

دعوة للعقل

السيد عبد الرءوف

رئيس مجلس الإدارة: **أحمد مصيلحي**

المشرف العام: **سليمان الحكيم**

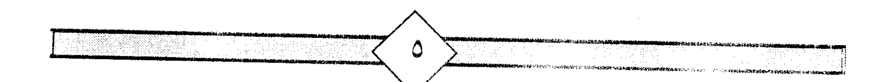
مدير عام الاعلانات: الدكتور ابراهيم ابو الخير
مساعد رئيس التحرير: عبد الرحمن عبد الصمد
المشرف الفني: محمود إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾

صدق الله العظيم

سورة فصلت آية ٣٣



إهداء

إلى كل من علمني حرفا
إلى كل من أهداني رأيا
إلى كل من أسداني نصحاً
أهدي هذه الدعوات
مصحوبة بأطيب الأمنيات

السيد عبدالرءوف

مقدمة

كرَّم الله سبحانه وتعالى الإنسان وميَّزه عن سائر المخلوقات بالعقل الذى جعله به أهلاً لحمل الأمانة : أمانة المخاطبة بالتكاليف الشرعية، وأمانة الطاعة والعبادة عن وعى واختيار، وأمانة الخلافة فى الأرض وإعمارها، وأمانة الاختيار بين الحق والباطل وبين النور والظلام وبين العلم والجهل وبين الخير والشر وبين الحلال والحرام وبين ما يصلح الحياة وما يفسدها.

ودعا الله الإنسان بل أمره بأن يعمل عقله فى آيات الله المكتوبة وفى آياته المنظورة فى ملكوت السماوات والأرض . وتكررت فى القرآن الكريم هذه الدعوة بل هذا الأمر فى آيات كثيرة وبألفاظ مختلفة وصيغ متعددة من التفكر إلى التدبر إلى التعقل إلى التبين إلى التفقه إلى التيقن. وإذا كانت هذه السبل مؤدية إلى العلم والمعرفة فهما - أى العلم والمعرفة - مجالان للتسابق والتنافس. والناس فيهما ليسوا سواء : **﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** سورة الزمر آية ٩. وذروة العلم خشية الله: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** سورة فاطر آية ٢٨. وكان العلم المقترن بالإيمان سبيل رفعة الإنسان عند الله سبحانه: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾** سورة المجادلة آية ١١.

وإذا كانت الدول الغربية قد بنت تقدمها على العقل وحده فإن الأمة الإسلامية قادرة بالجمع بين العلم والايمان على أن تختزل الفجوة الحضارية التى تفصلها عن الغرب وأن تصل بالعزيمة والمثابرة والجدية إلى أن تعوض ما فاتها وأى كلمة مخلصة يجب أن تصب فى هذا المجرى وتدعم هذا التوجه. وعندما كنا نخطط لإصدار صحيفة عقيدتى فى أواخر عام ١٩٩٢ كانت هذه الحقائق حاضرة وماثلة فى ذهنى مضافا إليها ما كان سائداً فى الشارع المصرى من تيارات متصارعة خرج الصراع فيها من مجرد حوار الفكر مهما بلغت درجة حرارته إلى أحداث إرهابية يأباها الإسلام وتنفر منها الفطرة السليمة. وكان من الضرورى أن نُعمل العقل ونحتكم للعقل وندعو للعقل والتعقل فى كل القضايا العامة والخاصة .

من هنا كانت فكرة مقال «دعوة للعقل». وعلى مدى نحو عشر سنوات تكررت هذه الدعوة عبر عقيدتى. وحين فكرت فى إصدار كتاب يحوى عددا مختارا من هذه الدعوات - المقالات - كان على أن أصنفها حسب موضوعاتها الرئيسية وأن أنسقها فى تتابعها التاريخى . ويسرنى أن أشكر زميلى وصديقى الكريم الأستاذ سعيد نور الدين على موافقته على نشر هذه الدعوات وأشكر الزملاء الذين ساعدوا بجهد قيم فى جمعها.

والحمد لله فى الأولى والآخرة .

السيد عبدالرءوف

مواسم الخير - ١

فى شهر رمضان المبارك تتفتح أبواب الخير والرحمة.. ويتجه الناس للطاعات أملا فى مغفرة من الله سبحانه وتعالى ورحمة... ويسعى كل مسلم لأن يكفر عن ذنوبه وخطاياه فى الشهور السابقة... ويحاول أن يكون خلال الشهر الكريم رصيدا ينفق منه فى قادم الأيام.. وتتبارى المؤسسات والهيئات والأفراد فى أعمال البر بكل أشكالها وعلى مختلف مستوياتها.. من هنا فإن صدمتنا هائلة بسبب ما يجرى فى الجزائر.. فمن العار أن تسجل قائمة الأعمال الإرهابية الدموية التى تجرى فى هذا البلد العربى الإسلامى أعلى معدلاتها فى شهر رمضان المبارك بينما التاريخ القديم والمعاصر على حد سواء يحفل بمبادرات لوقف القتال بين الأطراف المتناحرة والمتحاربة خلال شهر رمضان مالم تكن ثمة ضرورة ملحة للقتال.

فحتى على افتراض أن الجهة المرتكبة لهذه المذابح الدموية هى من يسمونها الجماعة الإسلامية المسلحة.. أليس من المنطقى أن تكون أعمالها موجهة ضد النظام الحاكم ورموزه ومواطن قوته ولاجهزته الأمنية فى الدرجة الأولى؟ وماهى الجدوى الحقيقية من ذبح الآمنين المسالمين العزل من السلاح؟ وماهو المنطق فى القتل دون تمييز بين شاب وشيخ وطفل أو بين رجل وامرأة؟ ولماذا القتل بهذا الدم البارد وهذه الأعصاب الحديدية وهذا التنظيم المحكم دون خوف من مداهمة أو مطاردة؟ ولماذا لم نسمع عن معركة بين قوات الأمن وبين مرتكبى أى من هذه الحوادث وقت ارتكابها؟ ولماذا لم يتم الإعلان عن القبض على أى فرد أو جماعة تنسب إليها هذه الأعمال؟

هذه الأسئلة وكثير غيرها تلقى بظلال كثيفة حول ما يجرى فى هذا البلد الشقيق.. وهو الأمر الذى يدعو إلى كشف الحقائق سبيلا الى تحديد الجهات الحقيقية صاحبة المصلحة فى إشاعة الإضطراب وعدم الاستقرار بل والتخريب فى الجزائر التى دفعت مليون شهيد حتى تحصل على استقلالها وهاهى تدفع عشرات الألوف من الشهداء قبل أن تصل إلى الاستقرار... وهذه مسئولية النظام الجزائرى فى الدرجة الاولى ثم مسئولية الأمة العربية والإسلامية التى ينبغى ألا تقف مكتوفة الأيدى تاركة زمام المبادرة للقوى الغربية التى تبدو الآن حريصة على العرب والمسلمين - من منطلق انسانى عام - أكثر من حرصهم على أنفسهم.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾** سورة البقرة آية ١٣٧●.

●١٢ يناير ١٩٩٨

بالأمس بدأ عام هجرى جديد.. وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم: **﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾**..

ونحن نستعيد ذكريات الهجرة لا نريد أن نكتفى بمجرد تبادل التهانى الشكلية ولا اجترار ذكريات الأيام العطرة فى تاريخ الإسلام والحديث المكرر والمعاد عن دروس هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة التى كانت انتقالاً بالدعوة وبداية لبناء دولة الإسلام، وإيذانا بانتصار دعوة التوحيد على دعاوى الشرك وسيادة نور الإيمان على ظلام الجهل.

نحن نريد أن نستلهم ما حوته الهجرة وما أعقبها من جهد وجهاد فى سبيل نشر الدعوة واقامة الدولة.. وما كادت الأمور تستتب للرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة حتى بدأ رحلة عالمية الإسلام انطلاقاً من هذا المحضن الكريم الذى تشرَّف بوجود النبى صلى الله عليه وسلم فيه.

نريد - بل وعلينا - أن نتذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم عاد إلى مكة بعد ثمانى سنوات فقط من الهجرة.. وقد غادرها لا يصحبه إلا رجل واحد هو أبو بكر الصديق وعاد إليها ومعه جيش قوامه عشرة آلاف رجل.. لكنه لم يفتحها بقوة السلاح بل بقوة الإيمان.. بالقرآن.. بكلمة الهداية.. وبالمحبة.. وعندما قال أحد الصحابة: اليوم يوم الملحمة قال النبى صلى الله عليه وسلم : بل اليوم يوم المرحمة.

نريد - بل علينا - أن نستعيد ونوقن بأننا أمة صاحبة حضارة.. وقبلها نحن أمة صاحبة رسالة.. ويجب علينا أن نكون فى مستوى هذه الحضارة وعلى قدر تلك الرسالة.. ولن يكون ذلك إلا بالعودة إلى المنابع الصافية : القرآن الكريم.. وسيرة صاحب هذه الذكرى العطرة : النبى صلى الله عليه وسلم. بهذا فقط يكون تعبيرنا عن الاحتفال بذكرى الهجرة ذا معنى وذا جدوى للأمة الإسلامية.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾** الأحزاب آية ٢١•

• **٢٨ أبريل ١٩٩٨**

ضيفاً عزيزاً وزائراً كريماً كان شهر رمضان المبارك.. وراحلا عزيزاً ومسافراً كريماً يمضى.. حل وحلت معه نفحات كبرى طوبى لمن تعرض لها.. الرحمة فى أوله.. والمغفرة فى أوسطه.. والعتق من النار فى آخره كما وعدنا وبشرنا نبينا صلى الله عليه وسلم.

وبعد أيام قليلة يحل يوم عيد الفطر.. يوم الجائزة الكبرى.. يوم الفرحة الكبرى لكل مؤمن كما ورد فى حديث النبى ﷺ: «للصائم فرحتان فرحة يوم فطره وفرحة يوم لقاء ربه» وذلك لمن صام رمضان إيماناً واحتساباً وأحسن الصيام قولاً وفعلاً مصداقاً لقول النبى عليه أفضل الصلاة والسلام : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

أما من أخذ من رمضان مجرد قشور وحوله إلى احتفالات مظهرية وإلى موائد باذخة فقد أضاع جانباً كبيراً من الأجر وقد يذهب بأجر الصيام كله.. وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قول الرسول ﷺ «رغم أنفه.. من أدركه رمضان ولم يغفر له».. أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ولعل الأيام القليلة القادمة تكون فرصة سانحة وربما أخيرة لمن فاته أن ينعم بنفحات شهر رمضان المبارك.. ففى هذه الأيام ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر.. وهى أيام الاعتكاف وأيام صلاة التهجد.. وهى أيام إخراج زكاة الفطر التى تزكى وتطهر الأنفس والأموال وتشيع روح التضامن بين المسلمين وتمسح على نفوس الأيتام وتطيب خاطر الفقراء وتحقق بهجة العيد.. ولعلنا جميعاً نبادر ونعمل على تدارك ما فاتنا فيما مضى من أيام الشهر الكريم.

●●●

يحن القلب وتهفو النفس وتتطلع المشاعر والحواس إلى البقاع المقدسة وحين تأتى الدعوة الكريمة للوقوف أمام الأعتاب المقدسة تتسارع الخطى وتتلاشى العقبات وتذلل كل الصعاب.

وأمام الكعبة المشرفة التى جعلها الله سبحانه وتعالى للناس قياماً ترق المشاعر وتتوحد القلوب فى نداء واحد ودعاء موحد وإن اختلفت الأعراق والألوان واللهجات.. الجميع ينشدون نفحات العفو وجميل الصفح وعذب المغفرة، وفى الروضة الشريفة وبين يدى الحبيب المصطفى تشف النفوس وتطير القلوب بأجنحة الحب والإيمان واليقين.. فيا أيها الحبيب صلاة الله عليك وسلامه.. نشهد أنك أديت الأمانة وبلغت الرسالة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وجاهدت فى الله حتى أتاك اليقين.. وكما المطر الذى يتدفق من سماء المدينة المنورة تتدفق المشاعر فى المسجد النبوى ومعها تتدفق الدموع : دموع السعادة للوقوف بين يدى خاتم الأنبياء.. ودموع الوجل والندم على كل تقصير وذنب.. ودموع الرغبة فى التطهر.. ودموع الحزن على فراق أحب حبيب والرحيل من أحب مكان.. اللهم نسألك عوداً كريماً وحميداً لأحب الأماكن إليك وإلى قلب رسولك الكريم صلى الله عليه وسلم.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى :﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما﴾. الفتح آية ٢٩•

• ١٢ يناير ١٩٩٩

مواسم الخير - ٤

فى بداية شهر رمضان المبارك الماضى وفى بداية شهر شوال الحالى طرحت قضية تعدد المطالع ورؤية الهلال نفسها من جديد بسبب اختلاف بدايات الشهرين فى عدد من البلاد العربية والإسلامية.. وبالطبع فإن ثمة خلافات بين الفقهاء من قديم الزمان.. فتيار يذهب إلى الأخذ بالرؤية فى كل البلاد المشتركة فى جزء من الليل إذا ثبتت فى أحد هذه البلاد.. وتيار آخر يرى أن أهل كل بلد أو مصر لهم أن يأخذوا برؤيتهم اذا ثبتت..

واختلاف الرؤية وبالتالى اختلاف مطالع الشهور الهجرية لا يثير أى جدل إلا عندما يتعلق الأمر ببداية شهر رمضان المبارك وهى البداية التى تتحدد بها فريضة ويقوم عليها ركن من أركان الإسلام الخمسة وبداية شهر شوال التى تحدد تمام شهر الصوم وكذلك ببداية شهر ذى الحجة التى يترتب عليها ركن آخر من أركان الإسلام الخمسة وهو ركن الحج بما فيه الوقوف بعرفة وهو أساس الحج لقول النبى ﷺ.. «الحج عرفة» وكذلك يوم النحر أى يوم عيد الأضحى المبارك.

وفيما عدا هاتين المناسبتين الهامتين - بدء شهر الصوم وختامه وأداء مناسك الحج - لا يكاد يشعر المسلمون بمشكلة إذا اختلفت بدايات الشهور الهجرية فى البلاد العربية.. لكن المشكلة ان اختلاف البدايات ووجود فروق فيها بين البلاد العربية والإسلامية لا بد أن يؤدى فى النهاية إلى فروق ملموسة بين بدايات شهور رمضان وشوال حتى ذى الحجة.. وقد يصعب تجاوز هذه الفروق مما يؤدى إلى نوع من البلبلة بين المسلمين.. وللأسف فإن الأمر يصل أحياناً وخاصة بين الأقليات والجاليات الإسلامية فى بلاد المهجر إلى حد الخلاف والتنابز مما يسىء إلى صورة المسلمين ويضخم من صورة الاختلاف بينهم فى هذه الأمور التى يبدو حلها سهلاً ويسيراً إذا حسنت النوايا وخلصت العزائم وتوارت الحساسيات السياسية مفسحة المجال لسماحة الإسلام واتساعه.. فإذا كانت الوحدة فهى لصالح الإسلام والمسلمين وإذا كان التعدد ففى اطار الوحدة التى تجمع ولا تفرق وتقوى ولا تضعف وتحافظ على صورة الإسلام والمسلمين بدلاً من أن تسىء إلى هذه الصورة.

ولعل علماء المسلمين يعودون إلى الدعوة الطيبة التى صدرت منذ سنوات بهدف توحيد كلمة المسلمين فى شأن توحيد بدايات الشهور الهجرية فيواصلون الجهد والتنسيق حتى تصبح هذه الدعوة حقيقة فاعلة وحتى لا يتكرر الخلاف والاختلاف حولها كل عام.•

• ١٩ يناير ١٩٩٩

ومضت أيام رمضان ولياليه بما حملته للمسلمين من نفحات إيمانية تتمثل فى الصيام والقيام والإحسان وتلاوة القرآن ووحدة المشاعر والتكافل الاجتماعى داخل البيت الواحد والشارع الواحد والقرية أو المدينة الواحدة وداخل الوطن الواحد.. وفى بعض الحالات انتقلت ملامح التكافل الاجتماعى لتعبر المحلية الضيقة وتنتقل إلى آفاق إقليمية ودولية واسعة.. وهذا كله أمر طبيعى ومرغوب بل واجب من واجبات المسلمين التى ينص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.. ولكن الذى ينساه بعض المسلمين أو يتناسونه هو أن شهور السنة اثنا عشر شهراً.. وأن الحياة بتفاعلاتها ومشكلاتها قائمة قبل شهر رمضان وفى رمضان ومستمرة بعد رمضان.. والدين موجود فى الناس ومع الناس ومن أجل حياة الناس فى رمضان الماضى والقادم وإلى أن تقوم الساعة.. وليس من المنطقى أن يتراخى أحد فى العبادة وفى فعل الخيرات بعد رمضان على أمل أن يعوض فى رمضان قادم ما فاته خلال شهور العام الأخرى فإن أحدنا لا يضمن أن يأتى عليه رمضان آخر.. **﴿وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت﴾** صدق الله العظيم.. ولذلك فإن الحرص على عمل الخيرات والإستزادة منها واجب فى كل وقت.. وشيوع روح التسامح والتكافل مطلوب فى كل وقت فإن المشكلات قائمة والفقراء والمساكين والمحتاجين من المسلمين وغير المسلمين موجودون فى كل وقت وكل مكان.. وربما تزداد حاجتهم فى غير شهر رمضان عن حاجتهم فى رمضان بسبب ما أشرنا إليه من التراخى الذى يحدث بعد رمضان..

وقد نقل لى الزملاء الذين قاموا بجولات مشروع الخير والأمل التى نظمتها عقيدتى خلال شهر رمضان صوراً موجعة للمرضى والمحتاجين خاصة من الأطفال والمسنين فى معاهد الأورام والقلب وغيرها.. كما نقلوا لى صوراً مضيئة لطوابير المتبرعين فى الشهر الكريم.. والذى أرجوه أن يستمر تدفق الخير والإحسان طوال شهور العام حتى نخفف عن إخواننا معاناتهم ونحقق قدراً من التكافل والبر الذى دعانا له الإسلام.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى : **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾**. سورة المائدة آية ٢●

● ٢٦ يناير ١٩٩٩

مواسم الخير -٦

و.. مضت أيام الحج بما حملته لنا من قيم سامية ومعان نبيلة.. قيم العبادة والطاعة والامتثال أسوة بنبى الله إبراهيم عليه السلام عندما رأى فى المنام أنه يذبح ابنه فبادر إلى تنفيذ الأمر الإلهى.. وقبل أن يستل سكينه أخبر ابنه بالأمر وطلب منه النظر فيه فما كان من الإبن إلا أن أطاع صابراً محتسباً فكان الجزاء فداء عظيماً وصارت حادثة الذبح والفداء سنة من سنن العبادة والطاعة.. وقبل هذه الحادثة كان اختبار آخر للطاعة عندما ترك النبى إبرهيم عليه السلام زوجه وابنه بواد غير ذى زرع عند البيت الحرام وتقبلت زوجه الأمر صابرة محتسبة فكان جزاؤها نبع زمزم الذى يتدفق بالماء الزلال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وهكذا.. دروس لا حصر لها فى الطاعة والامتثال ولكل منها جزاؤه فى الدنيا والآخرة.

و.. إلى جانب هذه القيم العليا للعبادة والطاعة والامتثال حملت لنا أيام الحج مزيداً من القيم النبيلة: قيم المساواة والأخوة والوحدة بين المسلمين عندما يجتمعون بلا تفرقة فى مكان واحد لهدف واحد يجمعهم لباس واحد لا تمييز فيه بين حاكم ومحكوم ولا بين غنى وفقير ولا بين أسود وأبيض ولا بين قوى وضعيف إلا بالتقوى وحسن العبادة.. وقيمة التكافل عندما يتوزع لحم الأضاحى والهدى والفدية بين الأهل والأقارب والفقراء أسوة واقتداء بالنبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

ويطول الحديث والشرح حول القيم العظمى والمبادىء والمثل العليا المستمدة من فريضة الحج وما يرتبط بها من مناسك وعيد الأضحى وما يرتبط به من شعائر.. ولكن الأهم فى الحديث مكتوباً كان أو مروياً على منبر أو فى ميكروفون إذاعة أو على شاشة تليفزيون هو أن نتدبر هذه المعانى ولا نحبسها فى أيام معدودات هى أيام النسك.. وأن نتمثلها فى حياتنا فى أيام الحج وفى غير أيام الحج.. وأن يلتزم بها من حجوا إلى بيت الله الحرام وزاروا مسجد رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يكتب لهم هذا الشرف.. الأهم هو ألا يكون انتباهنا لهذه القيم والمبادىء والتزامنا بها التزاماً لحظياً يرتبط بهذه الأيام القليلة المحددة ثم سرعان ما يعود حالنا إلى ما كان عليه من فرقة وتمزق ومشاحنة وأنانية وحصر للعبادة فى أضيق صورها وأدنى درجاتها فالإسلام دين عمل وحياة.. دين علاقات ومعاملات داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات بعضها وبعض.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم. الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** صدق الله العظيم. سورة البقرة الآيتان ٢٥٦ -٢٥٧●

● ٢ مارس ١٩٩٩

حديث طويل دار بينى وبين فضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية وكان موضوعه ما أثير من اقتراح عجيب بتقسيم الحج على دفعات فى بضعة أشهر بدلاً من أن يكون فى شهر ذى الحجة ويصل فى ذروته إلى الوقوف بعرفات فى يوم التاسع من الشهر ثم الإفاضة على النحو المذكور فى القرآن الكريم والمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم.

أعجبنى فى حديث فضيلة المفتى التزامه أولاً بأدب الإختلاف والحوار وهو أدب أصيل فى تعاليم الإسلام والتزام بنهج القرآن الكريم فى الخلاف والجدال.. وأعجبنى أيضاً حرصه على وضع القضية فى حجمها دون زيادة أو نقص.. فقد بادر فى البداية بتوضيح الرأى الشرعى فى القضية دون الدخول فى مهاترات.. ثم هو رفض بعد ذلك أن يستدرج ونستدرج معه فى جدل لا طائل من ورائه بل الضرر الناتج عنه أكبر من أى فائدة.. بل الفائدة الوحيدة هى اسباغ الأهمية واعطاء الشهرة لأصحاب الآراء الخارجة والأفكار الشاذة .. لذلك فنحن بما ننشره اليوم فى هذه القضية [1] سوف نغلق الباب بعد أن أخذ كل طرف فرصته وأبدى رأيه وساق حججه وبراهينه ولم يعد ثمة مجال لمزيد من الحجج والبراهين اللهم إلا إذا كان المقصود هو مجرد للاستمرار فى الحديث واللغط.

القضية نفسها كانت محل نقاش بينى وبين عدد من العلماء النابهين الذين يهولهم ما يجرى على الساحة الإسلامية الآن وما يطرح فيها من قضايا كثير منها مفتعل ولا يخدم الإسلام من قريب ولا من بعيد.. وقد أجمع هؤلاء العلماء والأعلام على أن أعداء الإسلام يضربون الإسلام بأيدى أبناء الإسلام.. وأن محاولات الضرب تتم على ثلاثة مستويات:

● **الأول** الطعن على حجية التراث الفقهى الإسلامى والدعوة إلى فقه جديد لا علاقة له بهذا التراث تحت دعوى المعاصرة ومسايرة مستجدات الواقع.

● **الثانى** الطعن فى مكانة السنة النبوية الشريفة احتجاجاً بأن تدوين السنة بدأ بعد قرنين من الرسالة وأن ما هو منقول إلينا حافل بالضعيف والدخيل والإسرائيليات.. أو أن الاحتجاج بالسنة فيه اتهام للقرآن الكريم بالنقص.. ألا ساء ما يحكمون.

● **الثالث** الطعن على القرآن الكريم ووصفه بأنه بشرى اللفظ وأن الأحكام فيه تاريخية ترتبط بالمناسبات والحوادث والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الذى نزلت فيه.. ويذهبون إلى أن عربية القرآن تتنافى مع العالمية إلى آخر الأباطيل التى يرددونها، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وواجب علماء المسلمين أن يتناسوا خلافاتهم ويوحدوا جهودهم لمواجهة هذه الحملة الضارية ضد الإسلام والمسلمين.. وأن يكونوا على قلب رجل واحد حتى تتخطى الأمة الإسلامية محنتها وتنهض من عثرتها.. والله المستعان.

---

(١) فى صحيفة عقيدتى

كلمة أخيرة

بقدر ما أعجبنى موقف الدكتور نصر فريد واصل ساءنى وأحزننى موقف أحد علماء الدين المعروفين حيث اشترك فى برنامج تليفزيونى فضائى فكان أضعف المتحدثين حجة وأكثرهم حدة.. ووزع اتهاماته لمخالفيه فى الرأى بعدم الفهم وعدم الإسلام.. وليس هكذا يكون العلماء.. بل هكذ يعطى العلماء فرصة لأعداء الإسلام للنيل من الإسلام بدعوى التعصب وعدم قبول الآخر حتى لو كان هذا الآخر مجرد رأى مخالف.●

● ٢٧ أبريل ١٩٩٩

فى شهر رمضان المبارك تتضاعف أعمال الخير.. ويتسابق الناس أفراداً وجماعات فى أنشطة البر بكافة أشكالها من مادية ومعنوية.. ويتدفق الخير أنهاراً معبراً عن روح التكافل الكامنة فى قلوب الناس تنتظر من يفجرها ويوجهها.. حتى إذا جاء الشهر الفضيل تفتحت الأبواب وانطلقت الطاقات وسادت روح من المحبة والتآخى والتكافل.. وظهرت فى مصر على وجه الخصوص روح الوحدة والتسامح.. وإذا كانت موائد الرحمن التى يقيمها المسلمون ويستضيفون فيها الأقباط أو التى يقيمها الأقباط لإخوانهم المسلمين تعبيراً عن هذه الروح فإن هذا تعبير ظاهر..ولكن التعبير غير الظاهر هو فى الواقع أضعاف ماهو ظاهر.. ومن متابعتنا لأعمال الخيرالتى يشارك فيها الزملاء فى إطار مشروع «الخير والأمل» لاحظنا أنه إذا كان هناك سباق بين طالبى البر من مستحقين فإن هناك سباقا مماثلاً بين فاعلى الخير ومقدمى المعروف..وهذا أمر بقدر ما نسعد به باعتباره فيضاً من فيوضات شهر رمضان المبارك نتمنى أن يستمر طوال العام بحيث نسد حاجة المحتاج ونرفع بعض الأعباء عن كاهل الدولة.. ولعل أعز ما نتمناه ونسأل الله أن يوفق إليه رجال الأعمال وأهل الخير عندنا ألا توجه أموال البر إلى الإعانات النقدية أو العينية الوقتية التى تستهلك فى وقتها ولا يبقى منها شيء لقادم الأيام.. نتمنى أن توجه نسبة من هذه الأموال- وليتها تكون النسبة الأكبر- لمشروعات منتجة صغيرة تساعد فى تحقيق دخل منتظم للأسر الفقيرة وتساعد فى حل مشكلة البطالة وتنشط حركة التجارة الداخلية وتعطى أبعاداً أوسع وأعمق لمفهوم التكافل- ولعل جزءا من هذه الأموال يتجه إلى المستشفيات والمراكز العلاجية التى تضم الألوف بل عشرات الألوف من الحالات الحرجة التى تدمى العيون وتعتصر القلوب.. وأنا أعلم يقيناً أن هناك من رجال الأعمال من ينفقون ملايين الجنيهات سنوياً فى أوجه البر المختلفة ويرفضون تماماً أن يعلن عنها شيء مطبقين الآية الكريمة: **﴿إن تبدوا الصدقات فنعماً هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾** سورة البقرة آية ٢٧١. وأنا أدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منهم أعمالهم وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

على جانب آخر.. كان من أنشطة الخير التى حفلت بها ليالى رمضان - على خلاف سهرات الغناء والطرب والسحور الراقص - الندوات الثقافية التى كان لنا حظ المشاركة فيها فى أكثر من موقع فى القاهرة والمحافظات وا لتى لمسنا خلالها كما لمسنا من قبل مرات عديدة تعطش الناس فى كل مكان ومن كل الأعمار والمستويات التعليمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية لمعرفة أمور دينهم.. وهو تعطش قائم ومستمر فى كل وقت ويتضاعف فى شهر رمضان بفضل الجو الروحانى التى تتميز به أيام وليالى الشهر الكريم.. وبفضل هذه الرغبة فى المعرفة حققت قوافل عقيدتى الدينية نجاحاً فاق كل خيال وصارت مطلوبة فى كل مكان

وخاصة أن العلماء المشاركين فيها وهم من خيرة علماء الدين فى مصر يشاركون فى هذه الندوات احتساباً لوجه الله فتخرج كلماتهم خالصة من القلب لتصل إلى قلوب المستمعين.. أسأل الله جلت قدرته أن يوفقنا للمزيد من هذا العطاء وأن يجعله فى ميزان حسنات كل من دعا إليه وسانده وشارك فيه إنه سميع مجيب.

●●●

مسك الختام

من وصايا لقمان الحكيم لابنه: «يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك.. فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الله الأرض الميتة بوابل السماء»●

● **٢٨ ديسمبر ١٩٩٩**

مواسم الخير - ٩

كل عام وأنتم بخير..

انتهت رسمياً عطلة عيد الفطر المبارك.. ومع ذلك فنحن ما زلنا فى رحاب العيد والأيام البيض الستة من شوال التى حث النبى صلى الله عليه وسلم على صيامها ووعد من صامها فى عقب يوم عيد الفطر بحسن الجزاء من الله. وفى اثناء استراحة قصيرة بعض أيام العيد تواردت وتوافدت أخبار عديدة أختار بعضها للقارئ العزيز:

●● أعلن الروس هدنة من طرف واحد فى الشيشان وزعموا أن ذلك بسبب احتفال المسلمين بعيد الفطر واحتفال المسيحيين الأرثوذكس بعيد الميلاد المجيد.. والسبب الحقيقى كما أعلنت وكالات الأنباء أن الهجوم الروسى الكاسح لم يحقق النتائج المرجوة منه ولم تنكسر مقاومة مسلمى الشيشان بل حققوا انتصارات وإن كانت محدودة وجزئية إلا أنها كسرت غرور الآلة العسكرية الروسية.. ونذكر هنا بأن العديد من المعارك والانتصارات الإسلامية الكبرى تحققت فى شهر رمضان وأن مقاتلى الشيشان صمدوا فى رمضان رغم أنهم يخوضون حرباً غير متكافئة بكل المقاييس العسكرية.. ونذكر أيضاً أن بعض وسائل إعلامنا تعاملت لفترة طويلة مع مقاومة الشيشان على انها حركة انفصالية ولم يدرك القائمون عليها الحقيقة إلا متأخراً جداً.. فهدف الحرب من جانب روسيا هو القضاء على أى وجود اسلامى مؤثر فى هذا الجزء الحيوى من العالم.

●● خلال أيام ينتقل قانون الأحوال الشخصية من الغرف المغلقة إلى المناقشات العلنية داخل مجلس الشعب فضلاً عن أنه خضع خلال الأسابيع الماضية للتحليل والنقد على صفحات الصحف والمجلات وفى الندوات والمحافل النسائية والرجالية على حد سواء.. والشعار البراق المرفوع الذى وضعت فى إطاره بعض نصوص القانون المثيرة للخلاف والجدل مثل الخلع وسفر الزوجة دون إذن الزوج ومنع الزوج من السفر بسبب النفقة هو شعار إنصاف للمرأة من ظلم الرجل واسترداد كرامة المرأة المهدرة بسبب تعسف المجتمع الذكورى.. وقد تجاهل أصحاب هذا الشعار أن ما يطرحونه لا يمثل هاجساً لمجموع نساء مصر.. وتجاهلوا أن المجتمعات الغربية التى حرصت على تحقيق مساواة تامة بين المرأة والرجل لم تصل إلى تحقيق هذا الهدف قط. بل إن الإغراق فى الدعوة للحرية التامة للمرأة ومساواتها التامة للرجل أدت إلى تفكك الأسرة وقطع صلة الرحم وفساد الأبناء مما أدى إلى ظهور حركات نسائية جديدة مضادة تطالب المرأة بالتخفيف من غلوائها وتدعو لعودتها إلى البيت أو على الأقل بذل مزيد من الاهتمام نحو بيتها وأبنائها.. ونرجو ممن يناقشون هذا القانون.. قبل اصداره ألا ينساقوا وراء مشكلات محدودة لفئة محدودة من النساء ويستخلصوا منها قاعدة قانونية تضر أكثر مما تنفع.. وألا يكون الهدف صنع واجهات براقة نواجه بها جمعيات حقوق الإنسان فى الغرب.

●● انتهت أحداث قرية الكشح على خير.. وعاد الصفاء والوئام بين أبناء القرية مسلمين ومسيحيين.. وكشفت التحقيقات والتصريحات المبدئية أن هناك مثيرين للفتنة.. وقد بدأ إصلاح ما أحدثته الصدامات التى وقعت من تلفيات فى محلات القرية.. وهذا كله تأكيد لأن أى حادث فردى مهما كان حجمه لا يمكن أن ينال من وحدة الشعب المصرى.. ومع ذلك فإن تكرار أحداث الكشح يعنى أن هناك أموراً بحاجة لمراجعة وإلى ضبط حتى لا تتكرر مثل هذه الأحداث مرة أخرى لأى سبب وحتى لا تكون هناك فرصة لمثيرى الفتن ومروجى الشائعات لكى يعكروا المياه ثم يصطادوا فيها.

●● يقول الخبر الوارد من شبرد زتاون بالولايات المتحدة أن مرافقى إيهود باراك رئيس وزراء إسرائيل أعربوا عن استيائهم من تدخل الأمريكيين فى كل شىء فى المفاوضات الثلاثية السورية الإسرائيلية الأمريكية وأنهم - أى الأمريكيين - فرضوا جدول الأعمال واختاروا ملابس باراك إذ طلبوا منه ارتداء ملابس مريحة وغير رسمية لكنهم فوجئوا بفاروق الشرع وزير خارجية سوريا يحضر الاجتماعات بملابسه الرسمية.. وربما أراد الأمريكيون أن يكون باراك «على راحته» وألا يشعر بالتوتر.. لكن على أى حال.. فما دام الأمريكيون قد أقنعوا باراك بتغيير ملابسه فلعلهم يستطيعون إقناعه بتغيير مواقفه وتليين تعنته والاستجابة لنداء السلام.

●●●

مسك الختام

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى
لشوقى الى عهد الصبا المتقادم
حننت إلى أرض بها أخضرَّ شاربى
وقطع عنى قبل عقد التمائم●

● ١١ يناير ٢٠٠٠

الأوامر والنواهى فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية الشريفة لها حكم جليلة وأهداف سامية ومرام نبيلة.. وقد أفاض العلماء على مر العصور فى بيان الحكم والأهدف والمرامى والتى منها ما هو ظاهر جلى ومنها ما هو باطن خفى.. ولعل الظهور والجلاء هدفهما أن يستبين الناس ثواب الطاعة وعقاب المعصية.. ولعل هدف الخفاء فتح الباب أمام الناس للاجتهاد فى الطاعة والامتثال أملاً فى رحمة الله التى وسعت كل شىء وأجره الذى يجرى على من يشاء بغير حساب.

وقد حمل شهر رمضان المبارك أوراقه إيذاناً بالرحيل.. وهو من المناسبات الكبرى للطاعات الكبرى.. فهو ثلاثون يوماً وليلة.. وبحساب الزمن هو جزء من اثنى عشر جزءاً من العام.. ولكنه بحساب العمل والأجر طويل وعظيم.. ليس فقط بالصيام والقيام ولكن بالعمل والانتاج والكلمة الطيبة والأسوة الحسنة والإصلاح بين الناس وإشاعة روح التكافل والتكامل وتثبيت مفهوم العدالة الإجتماعية والتعاون على البر والتقوى وهى كلها مفاتيح للأجر والثواب والطريق إلى وعد الله الحق بالجنة التى وعد بها عز وجل المتقين من عباده.

وإذا كانت أيام شهر رمضان فرصة لسباق الخير حتى يكون كما وصفه النبى الكريم صلى الله عليه وسلم أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فإن ختامه يجب أن يكون فرصة لمراجعة النفس. فعلى كل انسان مؤمن حقاً أن يسائل نفسه إن كان قد حقق شيئاً من القيم النبيلة التى أشرنا إليها أو استطاع الإمساك بمفتاح من مفاتيح الأجر والثواب.. فإن كان قد فعل فعليه الإستزادة لأن الأيام كلها أيام الله سبحانه وأبواب الخير مفتوحة فيها دائماً بغير حجاب.. وإن كان الإنسان قد فاته أن يغتنم الفرصة وينال مكافأة الصائمين صياماً حقيقياً فعليه أن يحاول التعويض.. فالمرء فى الدنيا فى امتحانات دائمة ولديه دائماً فرصة للإستزادة أو للإعادة.. و.. كل عام وأنتم بخير.

●●●

●● ما ضاع حق وراءه مطالب.. هذه الحقيقة البسيطة تؤكدها بقوة المفاوضات الشاقة والمتعثرة التى جرت مؤخراً بين الفلسطينيين والإسرائيليين فى قاعدة عسكرية قرب واشنطن.. فإن الصمود الفلسطينى وانتفاضة الحجارة وما ترتب عليهما من آثار وتداعيات فى الشارع السياسى الإسرائيلى وما رافق ذلك من دعم عربى - محدود حتى الآن. كل ذلك أدى إلى مقترحات أمريكية جديدة قد لا تكون ملبية لمطالب الشعب الفلسطينى والقيادة الفلسطينية لكنها بكل تأكيد تمثل تغييراً كبيراً فى الموقف الأمريكى - وبالطبع فى الموقف الإسرائيلى - فبعد الاعتراف لأول مرة بقابلية قضية القدس للتفاوض أصبح هناك الآن ولأول مرة أيضاً حديث عن قدس إسرائيلية وقدس فلسطينية وسيادة فلسطينية على المسجد الأقصى.. وبمزيد من الصمود الفلسطينى على مستوى الشارع والقيادة على حد سواء وكذلك بقدر من الجدية والتركيز فى الدعم العربى لا بد أن تتغير الصورة أكثر.

●● كثير من مسلسلات التليفزيون هذا العام يمكن أن يطلق عليها - بلا مبالغة - اسم مهلهلات.. خيال الظل هو فى الحقيقة خيال مسلسل.. ووجه القمر ليس فيه سوى استغلال اسم فاتن حمامة الذى توقف بريقه عند ضمير أبلة حكمت .. وأوان الورد لو استبعدت منه «تيمة» علاقة المسلمين والمسيحيين لكان مسلسلاً بوليسياً ضعيفاً.. وإلا فما الحاجة إلى الإعلان عن مسابقة للإرشاد عن خاطف الطفل أحمد على طريقة (من القاتل؟ أو الجانى؟) ويبقى سؤال : لماذا نحشو خريطة رمضان بكل هذا العدد من المسلسلات وكأن الناس ليس لديها فى رمضان سوى الجلوس أمام التليفزيون لمشاهدة مسلسلاته الضعيفة أو برامجه المعادة والمكررة والمملة والاستماع إلى ذكريات نفس الأشخاص وخبايا زواجهم وطلاقهم كل عام؟!

●●●

مسك الختام

عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قام ليلتى العيدين محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».. رواه ابن ماجه●

● ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠

بالأمس احتفلت الأمة الإسلامية بعيد الأضحى المبارك.. أفاض حجاج بيت الله الحرام من عرفات وذكروا اسم الله عند المشعر الحرام وطاف من طاف وحلق من حلق ونحر من نحر.. وفى كل مكان من العالم احتفل المسلمون بالعيد بالتضحية ونحر الملايين من الخراف والأبقار والإبل وتبادلوا لحوم الأضاحى كما تبادلوا التهانى بالعيد وعبر كل منهم للآخر عن أطيب الأمنيات.. وأظهر الجميع الكثير من صور البر والإحسان والتعاون على البر والتقوى والتكافل الاجتماعى وتلاقى المشاعر وتوحد التوجه إلى الله أن ينصر الأمة الإسلامية على أعدائها.. وقد أفاض الخطباء بعد صلاة العيد وردد وراءهم الجميع الأدعية التى تبتهل إلى الله أن يصلح أحوال المسلمين وأن ينصرهم على أعدائهم وأن يشتت شمل هؤلاء الأعداء ويجعل كيدهم فى نحورهم وأن يحصيهم عدداً ويهلكهم بدداً ولا يبقى منهم أحداً.

وكل هذه الصور والمظاهر مطلوبة.. ولكن المطلوب أكثر هو أن تترجم هذه المشاعر إلى سياسات وقرارات وعلاقات مؤثرة ومنظمة وفاعلة ودائمة تعتمد على العقل والعلم والتخطيط السليم والتنفيذ الدقيق والمتابعة اليقظة ولا تبقى مجرد انتفاضات عاطفية وقتية سرعان ما تنطفىء جذوتها ولا يبقى منها إلا رماد تذروه الرياح.. الأمة الإسلامية تحتاج إلى أكثر من الأمنيات الطيبة والنوايا الحسنة.. وقديماً قالوا إن الطريق إلى جهنم مفروش بالنوايا الطيبة. ذلك إن النوايا الحسنة ما لم تترجم إلى عمل حقيقى تتحول إلى نوع من المخدر يتلهى به الناس ويرجعون سوء أحوالهم وتدهور أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى المؤامرة الخارجية.. ونظرية المؤامرة لها أساس.. والتآمر موجود وله تأثيره.. لكن نظرية المؤامرة لا يمكن أن تنجح والتآمر الخارجى لا يمكن أن يحقق نتائجه إلا فى ظل الفرقة والخمول والاتكالية وهى بعض الأمراض التى أصيبت بها الأمة الإسلامية والتى بسببها قعدت عن ملاحقة التطورات الحضارية التى شهدها العالم خلال القرون الأخيرة والتى أدى قعود الأمة الإسلامية عنها إلى تراجعها فى قائمة الحضارة لتسبقها العديد من الدول الأخرى سواء تلك التى تتبع ديناً غير الإسلام أو التى لا تتبع ديناً سماوياً على الإطلاق مما دعا وشجع الكثيرين على إلقاء اللوم فى تأخر الأمة الإسلامية على الإسلام مع أنه دين العقل ودين العلم ودين العمل ودين التقدم.

وإذا عادت الأمة الإسلامية إلى جوهر الدين فسوف تجد أن نصر الله سبحانه وتعالى مشروط.. وأن التغيير إلى الأفضل ليس كلأ مستباحاً لمن يستحق ومن لا يستحق.. وأن الاستحقاق يكون على قدر الجهد والعمل.. ولعلنا هنا نتوقف أمام بعض هذه الآيات الكريمات:

●● قوله تعالى: **﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** سورة الأنفال آية ٥٣

●● وقوله عز وجل: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** سورة الرعد آية ١١

●● وقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنو إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾** سورة محمد آية ٧

●● وقوله عز من قائل: **﴿ولينصرن الله من ينصره..﴾** سورة الحج آية ٤٠

وهذه الآيات هى غيض من فيض الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى تحث على العمل وبذل الجهد والأخذ بأسباب النهضة.. وهذه هى الدروس الحقيقية التى ينبغى أن نخرج بها من المناسبات الدينية الكبرى التى تمثل وحدة المسلمين فى العبادة.. فكما هو مطلوب أن يتوحد المسلمون فى طلب الآخرة مطلوب أيضاً أن يتوحد المسلمون فى جنى ثمار الدنيا.

●●●

●● بدأ الإعداد لاختيار خليفة لكوفى عنان السكرتير العام للأمم المتحدة.. قرر الحزب الفيدرالى الاجتماعى الروسى ترشيح ميخائيل جورباتشوف آخر رئيس للاتحاد السوفيتى السابق لدخول الانتخابات القادمة للمنصب الدولى.. السؤال هو: هل آن الأوان لكى يقبض جورباتشوف ثمن الدور التاريخى الذى قام به فى انهيار الاتحاد السوفيتى ومنظومات الدول الشيوعية الشرقية الأوروبية؟؟

●●●

●● قرر الدكتور نجيب الهلالى جوهر رئيس جامعة القاهرة إلغاء التحفظ على جثث المرضى المتوفين داخل مستشفى القصر العينى - الفرنساوى - مقابل سداد نفقات العلاج - الذى ينتهى بالموت - مع خصم ٢٠٪ من نفقات العلاج لحالات الوفاة.. وأصدر تعليماته لإدارة المستشفى بتسليم جثث المتوفين- المحتجزة لديها - إلى ذويهم وأخذ تعهدات كتابية بسداد تكاليف العلاج.. لست أدرى هل المطلوب أن نحيى هذا القرار أم نلوم الذى قرر من البداية احتجاز جثث الموتى لضمان سداد تكاليف علاجهم بصرف النظر عن ظروفهم وإمكانيات أسرهم ومشاعرهم الإنسانية.. أم نلوم الذين حولوا العلاج حتى فى المستشفيات الحكومية والجامعية إلى تجارة كما هو الحال فى المستشفيات الاستثمارية!!؟

●●●

●● حسام وابراهيم حسن نجمان متفردان فى تاريخ كرة القدم المصرية سواء بما قدماه للأهلى والمنتخب القومى فى البطولات المحلية والقارية والعالمية أو بما يقدمانه الآن للزمالك. وقد تحدى اللاعبان الكثير من العقبات والصراعات واستعادا قدرتهما على البقاء بقوة فى الملعب.. ولذلك من حقهما أن يفخرا بما قدماه وأن يفرحا بكل فوز يشاركان فى تحقيقه.. ومن حقهما أيضاً أن يسعدا جمهور الزمالك ويشاركاه فرحته وأن يعتبا على جمهور

الأهلى لشتائمه البذيئة التى انهال بها عليهما منذ بداية مباراة الزمالك والأهلى الأخيرة.. ولكن ليس من حق إبراهيم حسن أن يرد على بذاءة وسوء أدب بعض أفراد الجمهور بالبصاق على كل الجماهير أو يمن على المنتخب بلعبه هو وأخيه له.. فالنجم يجب أن يكون قدوة لا باللعب فقط ولكن بالسلوك قبل كل شيء.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** سورة البقرة آية ١٨٩.

● **٦ مارس ٢٠٠١**

مواسم الخير - ١٢

مع قدوم شهر رمضان المبارك يبدأ موسم جديد من مواسم الخير والبر والطاعات والانفاق فى سبيل الله. واذ نرحب بهذه الروح ونزكيها ندعو إلى استمرارها طوال العام حتى تتحقق خيرية هذه الأمة وحتى تشيع وتسود روح التكافل الاجتماعى الذى يقود بدوره للسلام الاجتماعى.

ولقد رأيت صورة لهذا التكافل منذ أيام فى افتتاح مستشفى سوزان مبارك التخصصى للأطفال بالجيزة.. فقد أقامت هذا المستشفى جمعية الهلال الأحمر المصرى بتكلفة بلغت ثلاثين مليون جنيه من مساهمات رجال الأعمال وأهل الخير. ويتكون من خمسة طوابق تضم ١٢٠ سريراً.

وقد استوقفنى فى هذا الافتتاح عدة أمور مهمة هى:

●● **الأول:** أنه يأتى فى سياق اهتمام عام بإنشاء المؤسسات الصحية بصفة عامة ومؤسسات علاج الأطفال بصفة خاصة.. ففى الوقت الذى تم فيه افتتاح هذا المستشفى التخصصى يجرى الإعداد وجمع التبرعات لإقامة مستشفى لعلاج سرطان الأطفال.

●● الثانى: هو تنامى دور القطاع الأهلى فى مجالات التنمية بصفة عامة وفى مجال الخدمات بصفة خاصة بالتوازى والتكامل مع الجهدين الحكومى والخاص.

●● **الثالث:** ان قائمة الشرف التى نشرتها الصحف ضمت عشرات الأسماء من رؤساء الجامعات ورؤساء ومديرى الشركات العامة والخاصة والبنوك والأطباء ومسئولى الإدارة المحلية والإسكان والشئون الاجتماعية وغيرهم.

●● **الرابع:** ان جمع مثل هذا المبلغ ومبالغ أخرى لإقامة مشروعات مماثلة لإقامة مؤسسات صحية تقدم الخدمة الطبية للمحتاجين مجاناً أو بأقل التكاليف هو تعبير عن روح التكافل فى المجتمع من ناحية وعن ضرورة اشاعة روح الدور الاجتماعى لرأس المال من ناحية أخرى وهو السبيل لتحقيق السلام الاجتماعى.

●● **الخامس:** ان الحرص على تكريم المشاركين والمساهمين فى تنفيذ هذا المستشفى وتقديم دروع وشهادات تقدير لهم من السيدة سوزان مبارك ليس مجرد لمسة وفاء لمن تبرعوا ولكنه فى الحقيقة إعلاء لقيمة التكافل الاجتماعى واذكاء لروح العمل الخيرى واشاعة لفكر العمل التطوعى.

●● **السادس:** أن ارتباط أسماء البنوك والشركات والإدارات والأفراد بمثل هذا العمل الخيرى الذى يوفر خدمة أساسية هدفها المحافظة على الحياة ومواجهة المرض وإعانة المحتاجين على مقابلة هذا المرض هو أفضل مئات المرات من ارتباط هذه الأسماء بمسابقات لا يستفيد منها إلا المشاركون فيها وقد يكون الفوز بجوائز سريعة الزوال كما أن أثرها الإعلامى أوالدعائى لا يبقى طويلاً ولا يكسب تعاطفاً.. بينما الارتباط بمشروعات خيرية وخدمات اجتماعية هو خير وأبقى عند الله قبل وبعد أن يكون عند الناس.

●● **السابع:** ان هذه النماذج الناجحة يجب تعميمها فى مختلف المجالات.. فنحن بذلك نخفف من معاناة الفئات الفقيرة من الشعب.. ونستخدم جزءا من دخول وأرباح المؤسسات الاقتصادية ورجال الأعمال لتحقيق هذا الهدف. وكما سبق فإنه من خلال مثل هذا المشروع يتحقق التكافل والعطاء بين أبناء مصر.. كما يتحقق التعاون بين القطاعين الخاص والأهلى.. وكذلك التنسيق والتعاون بين الحكومة والقطاع الأهلى وهو ما يجب أن يتحقق فى جميع المجالات الخدمية وخاصة فى مجالات الصحة والإسكان والتعليم التى تمثل حاجات أساسية للمجتمع وتعجز فئات من المجتمع عن الحصول عليها إلا بمشقة وعسر.و القيام بهذا الدور لا ينبغى أن يكون فقط لأنه يتمشى مع الاتجاهات العالمية ولكن التكافل والتعاون وإشاعة الخير بين الناس مبدأ إسلامى مهم ينطلق من الآية الكريمة **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾** والحديث النبوى الشريف «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

●● **المعنى الأخير:** أو النقطة الأخيرة هى أن الأحداث الجسام التى تعيشها المنطقة ويعيشها العالم ولمصر فيها موقف ودور لا تلهينا عن العمل الداخلى وعن استمرار جهود التنمية فى مختلف المجالات.. بل إن العمل الداخلى الجاد والمخلص والنزيه هو السبيل الوحيد لكى نواجه الآثار السلبية للتداعيات الاقتصادية للأحداث الحالية [1].

●●●

●● دخلت الحملة العسكرية الأمريكية على أفغانستان أسبوعها السادس دون أن تحقق أهدافها.. ولم يعد فى استطاعة أحد أن يحدد متى تحسم المعركة. وتأكد خطأ الادعاءات الأمريكية التى قالت فى بداية الحملة إنهم يبدأون الحرب وهم يعرفون نهايتها ونتائجها.

●●●

●● **مجرد سؤال:** من الذى سيدفع فى النهاية فاتورة الحملة الأمريكية والبريطانية على افغانستان؟؟

●●●

●● **سؤال آخر:** من الذى عليه الدور بعد أفغانستان؟!

●●●

●● **سؤال ثالث:** ما هى القوة السحرية التى يمارسها القادة الإرهابيون الإسرائيليون على الإدارة الأمريكية حتى تغمض أعينها عن جرائمهم ضد الشعب الفلسطينى؟؟!

●●●

● **١٣ نوفمبر ٢٠٠١**

---

(١) أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١

بعد ساعات قلائل يلتئم شمل نحو ثلاثة ملايين مسلم وفدوا على الأراضى المقدسة من جميع بقاع الأرض ليتجمعوا على أرض منى استعداداً للصعود بعد غد إلى عرفات والوقوف بها ليتموا الركن الأساسى فى الحج لقول النبى صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة» وليكملوا بعد ذلك مناسكهم كما وردت فى القرآن الكريم وأرشد إليها النبى صلى الله عليه وسلم بالفعل والقول: «خذوا عنى مناسككم». ومهما كانت مشقة الحج البدنية والنفسية وتكاليفه المالية وعقباته السياسية والتنظيمية فإنه يظل الشوق الأكبر لكل مسلم استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى فى قوله: **﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات﴾**. وتحقيقاً لدعوة أبى الأنبياء إبراهيم: **﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾**.

وهذا الشوق قائم لدى من لم يحج ويتوق إلى أن يؤدى الفريضة ويكمل أركان دينه ويتمتع بزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وقائم أيضاً لدى من حج مرة أو مرات وتمتعت حواسه وارتوت روحه بما فى هذه الأماكن المقدسة من غذاء للروح وتطهير للنفس وشفاء للقلب.. وهذا بالطبع لمن أتى الله بقلب سليم وحج حجاً لا رياء فيه ولا سمعة ولا اتخاذا للحج رحلة فاصلة يتطهر فيها مما فات ليعود إلى ما كان عليه فيظلم هذا ويستولى على حق هذا ظناً منه ان الحج تذكرة مفتوحة للمرور إلى عالم النقاء والطهر والقرب من الله. صحيح أن جميع من يذهبون إلى الحج متساوون فى ضعفهم أمام قوة الله وفى قلة حيلتهم أمام قدرة الله وفى فقرهم إلى الله وفى طمعهم فى رضوان الله ورحمته ومغفرته وهى كلها أمور مباحة ومتاحة ولكن بشروطها. وهى ليست فقط أداء حقوق الله من صلاة وزكاة وصيام وحج وطاعات أخرى ولكن أداء حقوق العباد.. وحقوق الله مبنية على المسامحة وحقوق العباد مبنية على المشاحة.. ولا عجب فى ذلك فالله تعالى يقول: **﴿قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء﴾**.. ويقول عز وجل: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**. ويقول تبارك اسمه: **﴿وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾**.

ولذلك فإن العبرة فى الحج ليست بأداء المناسك على وجوهها الشرعية الصحيحة فقط. ولكنها بما قبل وما بعد الحج فرب حاج ليس من حجه إلا الإسم والمظهر حتى وإن بكى وتضرع.ورب حاج عمل بحجه فتاب إلى الله وتصالح مع الحق وأعطى الناس حقوقها فكان حجه مبروراً وكان عمله بعد ذلك محسوباً له لا عليه أمام الله سبحانه وتعالى.. ولو أن كل حاج راعى ذلك والتزم بتقوى الله فإن ذلك هو المفتاح الحقيقى لالتئام شمل الأمة وتحقيق العدالة والأمن وإشاعة الرضى العام وذيوع السلام الفردى والاجتماعى وانطلاق الأمة

الإسلامية لتأدية رسالتها المنوطة بها: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾. نسأل الله أن يتقبل من الجميع..

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**﴾ صدق الله العظيم. سورة ص آية ٢٦●

● **١٩ فبراير ٢٠٠٢**

هذه الصورة تتكرر كثيراً..

فى عيد الفطر والأضحى والمناسبات الإسلامية المختلفة على امتداد العام يذهب البابا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية إلى الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وبصحبته وفد كبير من القيادات الكنسية للتهنئة والمشاركة.

وفى عيد الميلاد والقيامة المجيدين وغيرهما من الأعياد والمناسبات المسيحية المختلفة يذهب شيخ الأزهر إلى مقر البطريركية وبصحبته وفد يضم وزير الأوقاف والمفتى ورئيس جامعة الأزهر ونخبة من العلماء للتهنئة والمشاركة.

هذا هو الشكل الظاهر للقاءات.. وهو شكل فيه قدر كبير من المجاملة.. لكن هناك فى الحقيقة معان أهم وأكبر من مجرد الشكل وأعظم من مجرد التقاط الصور ونشر أخبار الزيارات فى الصحف أو بثها فى الشبكات الإذاعية والقنوات التليفزيونية أرضية كانت أم فضائية.

ان المسلمين يتبادلون الزيارات فى المناسبات الدينية وهكذا يفعل المسيحيون فيما بينهم ، فهناك وحدة فى المشاعر ووحدة فى الفرحة.. وعندما يتشارك المسلمون والأقباط الاحتفال بالمناسبات الدينية على اختلافها فانهم يؤكدون نفس الوحدة فى المشاعر وفى الفرحة.

إن تبادل التهانى بصدق ليس قصراً على القيادات الدينية والسياسية.. لكنه أمر يحدث على مستوى الشارع.. يحدث فى البيوت وفى المكاتب وعبر أسلاك الهاتف وبمختلف السبل والوسائل والأشكال.. وهذا راجع فى المقام الأول إلى سماحة الدين.. ثم هو راجع إلى خصوصية مصر التى تعتبر نبعاً للسماحة والتسامح ونموذجا فريداً للتعددية فى اطار الوحدة.

من هنا كان رفض المسلمين والأقباط لكل محاولة داخلية أو خارجية للتعامل مع الأقباط على أنهم أقلية..

وكان رفض المسلمين والأقباط لكل ادعاء باضطهاد الأقباط فى مصر.. وكان رفض المسلمين والأقباط لأى محاولة غبية للتدخل فى شئون الوطن المصرى بدعوى حماية الأقباط.. فالوطن المصرى يحمى أبناءه جميعاً وليست قوانين يصدرها الكونجرس الأمريكى التى تسيطر عليه قوى صهيونية.. ولا أى جهة أخرى.

ولتبق مصر عزيزة دائماً بمسلميها وأقباطها.. ولمسلميها وأقباطها.

●●●

مسك الختام

قال تعالى: ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى..﴾ سورة المائدة آية ٨٢.●

● **٢١ ابريل ١٩٩٨**

هب الإعلام المصرى هبة كبرى للرد على الافتراءات والأباطيل التى رددتها صحيفة الصنداى تلجراف وغيرها من بعض وسائل الإعلام الغربية التى تتحدث عن الاضطهاد الموهوم والمزعوم للأقباط فى مصر. وبادر علماء الدين الإسلامى ورجال الدين المسيحى بلقاءات جماعية فى قرية «الكشح» لإبراز وحدة الشعب المصرى والرد على دعاوى الاضطهاد ومحاولات إذكاء نار الفتنة الطائفية التى يعمل كل المخلصين من أبناء مصر- مسلمين ومسيحيين - لاجتثاثها من جذورها إيماناً بأن المصريين شعب واحد وأن نار الفتنة اذا استعرت - لا قدر الله - فإنها لن تميز ولن توفر أحداً وستأخذ الجميع فى طريقها - مسلمين ومسيحيين.

ولكن حادثة قرية الكشح وما واكبها وتزامن معها وارتبط بها من أحداث كشف عن أوجه خلل جديرة بالنظر:

- كشف الحادث عن تجاوزات أمنية لم يتم تداركها والمحاسبة عليها فى حينها.
- وكشف عن أن هناك من هم مستعدون لاستغلال حوادث بسيطة أو يمكن السيطرة عليها- من الداخل- لإثارة الفتنة دون أن يحاسبوا أو يساءلوا.
- وكشف عن أن عدم التعامل بسرعة وصراحة مع الحادث وتقديم المعلومات الصحيحة والتعامل الإعلامى السريع والدقيق فتح الباب أمام هؤلاء المتاجرين بورقة الأقباط لإثارة زوبعة كنا فى غنى عنها.
- وأهم ما يكشف عنه الحادث هو موقفنا الذى هو موقف رد الفعل وهو أسوأ موقف يمكن أن نكون فيه.

ولتجنب آثار ما حدث وما يمكن أن يحدث مستقبلاً لا بد من معالجة أوجه الخلل التى أشرنا إليها ليس فقط فيما يخص الأقباط ولكن فيما يخص كل مواطن على أرض هذا الوطن.. وان تكون لدينا آلية إعلامية لديها المبادرة والقدرة على استجلاء الحقائق فوراً وتقديم هذه الحقائق للرأى العام المحلى والعالمى. كما لا بد من وجود آلية للاتصال بأبناء الوطن فى الخارج- مسلمين ومسيحيون- وهم بالملايين وتعريفهم بالحقائق والمعلومات.. ويجب أن تكون سفاراتنا ومكاتبنا الثقافية والإعلامية منارات فى خدمة مصر وليست مجرد مراكز لتوزيع بعض المطبوعات والنشرات التى لا تفيد أحداً.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير. ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾**. سورة هود الآيتان ١١٢- ١١٣.•

- **١٧ نوفمبر ١٩٩٨**



فى الاحتفال بالعيد الذهبى لانشاء كنيسة الشهيد مارمينا العجايبى بالإسكندرية تحدث البابا شنودة الثالث عن الوحدة الوطنية التى تحاول كل قوى الشر والتآمر أن تنال منها حتى تنسف استقرار مصر وأمنها وتشغلها عن قيادة أمتها فى هذه الظروف العصيبة التى تسعى فيها الصهيونية العالمية والقوى المساندة لها لتصفية القضية الفلسطينية وفرض الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة لحماية المصالح الحيوية الاستعمارية فى المنطقة.

قال البابا شنودة إن جذور الوحدة الوطنية المصرية تمتد منذ أيام الفتح الإسلامى لمصر على يدى عمرو بن العاص الذى كان أول قراراته عودة البطريرك بنيامين إلى كرسيه البابوى الذى كان قد عزل بمعرفة الرومان الذين حرموا البطاركة من الجلوس على الكرسى البابوى.. وقام عمرو بن العاص باعادة الأمان للكرسى البابوى وسمح ببناء كنيسة الاسكندرية لأنها مقر الكرسى البابوى لكى يمارس أبناء الدين المسيحى شعائرهم جنباً إلى جنب مع إخوانهم المسلمين.. ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن تجد المسلم و المسيحى المصرى يعيشان بقلب رجل واحد.

هذه الشهادة الموضوعية من بابا الاسكندرية هى ذاتها التى قررها وكررها كل قادة الأقباط- الروحيين والزمنيين- الذين استطلعت «عقيدتى».. آراءهم عندما دعونا للاحتفال بدخول الإسلام مصر- أو دخول مصر الإسلام- منذ ١٤٠٠ سنة.. اذ كان هذا الدخول هو بداية التنوير الحقيقى وبداية بناء أمة متكاملة وحضارة كاملة الأركان تمتد من الصين شرقاً إلى فرنسا وأسبانيا غرباً ومن إقليم صابرى- سيبيريا- شمالاً إلى أدنى جنوب أسيا وأفريقيا.. وفى الغالبية الغالبة كان دخول الإسلام لا بفعل الجيوش ولكن بفضل الدعاة الذين قدموا للشعوب الأخرى القدوة والمثل فى التعامل الانسانى وفقاً لقيم الإسلام.

غير أن مصر كانت لها خصوصية تميزها. فقد وجد الإسلام فيها أرضاً خصبة لهذه المبادئ والقيم- فامتزجت سماحة الإسلام ونبل طبيعة الشعب المصرى فكانت النتيجة نموذجاً فريداً فى الإخاء الانسانى وفى تعددية الأديان فى اطار الوحدة الوطنية. هذا النموذج الفريد كان وسوف يبقى دائماً أقوى من كل محاولة للنيل منه. غير أن هذا يستدعى أن نكون على بينة وعلى يقظة حتى نواجه بقوة وحسم وجهد موحد كل محاولة للنيل من هذا النموذج سواء أكانت هذه المحاولات من الداخل أم من الخارج.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾**. سورة آل عمران الآيتان ١٠٤، ١٠٥.

لعلى لا أضيف جديداً عندما أتحدث عن مكان مصر و مكانتها ودورها فى صيانة الإسلام ورعايته والدفاع عنه وعن قضاياه وقضايا الأمة الإسلامية. وكيف لى أو لغيرى أن يأتى بجديد وقد تكرر ذكر مصر فى القرآن الكريم عدة مرات.. وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهلها خيراً وقرر أن أجندها هم خير أجناد الأرض وانهم فى رباط إلى يوم القيامة.

وكيف لى أو لغيرى أن يأتى بجديد والتاريخ نفسه شاهد على حقائق لا ينكرها إلا جاحد أو منحرف.. ومنها حقيقة الاشتراك فى الأصل والمصاهرة والنسب والتزاوج بين المصريين والعرب على مدار التاريخ كله فيما قبل الإسلام والعلاقات التى توطدت وتعمقت عندما تزوج النبى نبى الإسلام والإنسانية من مارية القبطية المصرية (المنياوية) وأهدى أختها سيرين لأحد أخلص صحابته رضوان الله عليهم. ومارية هى التى أنجبت للنبى ابنه ابراهيم الذى عندما مات بكاه النبى وقال قولته الشهيرة التى اختتمها بقوله: «وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون». ومنها حقيقة أن أقباط مصر استقبلوا الإسلام والفاتحين المسلمين خير استقبال لأن هذا الفتح الإسلامى خلص أقباط مصر من ظلم الرومان وأنهى عقوداً طويلة من الاضطهاد والاحتقار وأعاد للكنيسة المصرية احترامها ولابائها مكانتهم وتقديرهم. كما ان مظلة الإسلام الواسعة الرحبة اتسعت لتشمل المسلمين وغير المسلمين فى إطار الشعار السمح: لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

من هنا كان المسلمون والأقباط دائماً يدا واحدة وقلبا واحداً فى مواجهة المخاطر الخارجية التى استهدفت مصر والأمة الاسلامية سواء أجاءت هذه المخاطر من التتار شرقاً أم من الصليبيين غرباً.. ومن هنا كان دور مصر فى قضايا أمتها العربية والإسلامية شركة تلقائية بين مسلميها وأقباطها.. ومن هنا هنا أيضاً ففى فترات الظلم والظلام التى مرت على البلاد كان نصيب المسلم والقبطى منها سواء.. وفى مرحلة التنمية الشاملة التى تعيشها البلاد فإن عائد هذه التنمية هو لصالح كل مواطن مصرى مسلماً كان أم قبطياً دون تفرقة.

بهذه الروح استطاعت مصر أن تواجه كل التحديات وأن تخوض غمار كل المخاطر الداخلية والخارجية وأن تحارب معارك الحرب والسلام وأن تفوت على مؤامرات الخارج وعمالة الداخل كل فرصة للنيل من استقرارها وأمنها وأن تجتاز كل العقبات التى وضعت فى طريقها وأن تمضى فى طريقها إلى القرن الجديد بخطى ثابتة وواثقة..كما استطاعت أن تدافع بكفاءة واقتدار عن قضايا أمتها العربية وأن تكون محور ارتكاز فى عملية السلام كما كانت طليعة النصر فى الحرب.. كذلك استطاعت أن تسهم بدور فعال وايجابى فى قضايا العمل الإسلامى ودعم التضامن الاسلامى، وبهذه الروح تتطلع مصر إلى آفاق أرحب فى التعاون والعمل البناء مع القوى الكبرى وكل الدول على حد سواء.

●●●

مسك الختام

قال الله: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾. سورة الأعراف آية ١٩٩*.

● ٢٩ يونيه ١٩٩٩

اتسمت معالجة أحداث قرية الكشح فى محافظة سوهاج بكثير من الحكمة سواء من جانب المسلمين أو الاقباط أو الحكومة. فقد تعاون أبناء القرية فى الإرشاد عن مثيرى الفتنة ومرتكبى حوادث القتل والتخريب التى طالت بشرها المسلمين والأقباط على حد سواء.. وبادر الذين أغرتهم الأحداث بإعادة ما سلبوه ونهبوه واستيقظ الناس صباحا فوجدوا الكثير مما نهب موجودا فى شوارع القرية.. وبادر بعض رجال الأعمال المسلمين والأقباط على حد سواء بالتبرع لإعادة بناء ما تم تخريبه من محال للتجار المسلمين والأقباط.. وقامت أجهزة الأمن بتعامل حاسم وموضوعى مع الأحداث ومرتكبيها مما عجل بالقبض على مخططى الأحداث ومثيريها ومرتكبيها واجراء التحقيقات معهم حتى تأخذ العدالة مجراها ويضرب بيد من حديد على يد كل من سولت له نفسه اثارة الفتنة وقتل النفوس الآمنة التى حرم الله قتلها إلا بالحق وتخريب المنشآت والاستيلاء على أموال الناس دون وجه حق. وطرح البعض ضرورة تغيير اسم القرية من الكشح الذى يعنى العداوة والبغضاء إلى اسم آخر يحمل معانى المحبة والاصلاح.. وكان ما جرى فى الكشح محل اهتمام من القيادات الدينية الإسلامية والمسيحية التى بادرت بالانتقال إلى القرية والالتقاء بأهاليها والعمل معا على احتواء الفتنة التى حاول بعض الموتورين وأصحاب المصالح اشعالها. وكذلك العمل على تهدئة النفوس مما ساعد على سرعة عودة الهدوء إلى القرية.

ولعل من أهم ما أسفرت عنه التحقيقات والشهادات أن بعض أبناء القرية من المسلمين استضافوا فى بيوتهم اخوانهم من الأقباط لحمايتهم من الأحداث وهذا هو الأمر الطبيعى الواجب حدوثه بين أبناء القرية الواحدة والوطن الواحد.. كذلك لعل من أهم ما صدر فى شأن هذه الأحداث ما أعلن بعد الاجتماع الوزارى الذى عقد برئاسة الدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء من أنه لا تمييز لأحد بسبب انتمائه ومن ثم فلا مجال لأن يقوم أحد بإثارة الفتنة متخيلا أو واهما أنه يمكن أن يكون بمنأى عن المحاسبة والعقاب وإلا ارتفعت الأصوات منددة بالاضطهاد الوهمى المزعوم. فوحدة الوطن ووحدة أبناء الوطن وأمنهم قضية لا تحتمل التلاعب أو المقامرة أو الرهانات المغرضة.

كل هذا طيب.. ولكنه يجب ألا يلهينا عن دراسة متأنية لما حدث حتى لا تتحول المنافسات أو المنازعات التجارية البسيطة إلى أحداث مؤسفة يدفع الوطن أو المواطنون ثمنها من دمائهم وأموالهم وممتلكاتهم.. ولابد أن مثل هذه الدراسة المتأنية سوف توصلنا إلى معرفة أسباب القصور والاسترخاء اللذين حدثا بعد أحداث الكشح السابقة مما حال دون اتخاذ الاجراءات والترتيبات التى تحول دون تكرارها فتكررت على نحو أكثر ايلاما.. المطلوب ألا تكون المعالجة هذه المرة بطريقة اطفاء الحرائق وإنما بوضع الاجراءات التى تحول دون تكرار الحريق.

●●●

سبحان من بيده أمر الحياة والموت.. فى أيام قليلة فقدت الصحافة المصرية عددا من نجومها الذين لمع بعضهم فى سمائها ومضى آخرون منهم وهم فى حكم الجنود المجهولين.. ومع أن الانسان يتألم لفقد كل صديق أو زميل فقد تألمت بصفة خاصة لفقد الزملاء إبراهيم مصبح وحمدى سلو وعبد العزيز صادق وكان ألمى مضاعفا عندما علمت بوفاة الزميل العزيز المرحوم الأستاذ عبد العزيز صادق.. فقد علمت بأزمته الصحية ونقله إلى المستشفى وعزمت على زيارته غير أن إرادة الله سبحانه وتعالى كانت أسبق. تغمد الله الجميع بواسع رحمته وفسيح جناته.●

● ٢٥ يناير ٢٠٠٠

الوحدة الوطنية فى مصر سمة من سمات المجتمع المصرى ومفردة من مفردات خصوصية هذا الوطن وهذا الشعب. فالشعب المصرى على امتداد تاريخه الطويل كان شعباً فاعلاً يتميز بالحيوية والتفاعل الايجابى مع محيطه الجغرافى والسياسى. ولم تكن مصر فى أى وقت من أوقاتها دولة خاملة أو خارج حسابات القوة بل كانت مؤثرة وفاعلة حتى ولو كانت خاضعة للاحتلال وكان من آثار تميز الشعب المصرى بالقوة والحيوية والتفاعل الايجابى قدرته على امتصاص ومواجهة كل الغزوات التى تعرض لها من غزوات الهكسوس إلى الاحتلال الرومانى فى التاريخ القديم حتى الاحتلال الفرنسى ثم الاستعمار البريطانى فى التاريخ الحديث.. وفى جميع المراحل احتفظ الشعب المصرى بخصائصه ومقوماته ولغته ولم يبق من كل الغزوات إلا بعض البقايا والآثار والمفردات الغريبة على لغة الشعب أو التى يسهل اكتشاف غربتها على اللغة.

ولكن الفتح الإسلامى لمصر منذ أربعة عشر قرناً كان مختلفاً فى هدفه وفى منهجه وفى أسلوبه وبالتالى فى نتائجه .. لقد كان دعوة وبشارة بالدين الجديد الذى جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويشيع العدل بعد أن ملئت الأرض جوراً.. لذلك كان من الطبيعى أن يرحب المصريون بهذا الفتح الذى حرر أقباط مصر من نير الاحتلال الرومانى - المسيحى - وهكذا دخل المصريون فى دين الله أفواجاً وصارت العربية هى لغة الشعب المصرى.. وفى أوج ازدهار الدولة الإسلامية نعم المسلمون والمسيحيون على حد سواء بثمار هذا الازدهار. وفى عصور القهر والظلم والبطش عانى المسلمون والمسيحيون على حد سواء أيضاً فإن البطش لا يميز ولا ينتقى. حتى عندما حاولت القوى المعادية لمصر ضربها من الداخل وهز استقرارها ووظفت الفكر المتطرف وعناصره ووجهت بعض الأعمال الإرهابية ضد المسيحيين فإن الضحايا الذين سقطوا كانوا من المسلمين والمسيحيين معاً.. بل ان عدد ضحايا العنف من المسلمين كان أضعاف عدد من سقطوا من المسيحيين.

ومواجهة هذا الإرهاب كانت من المسلمين قبل المسيحيين دون أن يكون فى ذلك أى مجال للمزايدة أو المفاخرة أو المنة.. فالإنسان حيث يحمى أخاه فى الدين أو أخاه فى الوطن إنما يحمى نفسه.

وفى أحداث الكشح - نسأل الله سبحانه ألا تتكرر - كان التحريض من عناصر غير مسئولة من هنا ومن هناك. وكان عقلاء المسلمين والمسيحيين يعملون على حماية أخوانهم دون تمييز، وقد كان طبيعياً ولا مجال للمزايدة فيه أن نجد محامين مسلمين يدافعون عن المتهمين المسلمين والمسيحيين فى أحداث الكشح على حد سواء.. أيضاً.. فقد كانت لفتة ذكية وطيبة إن قررت محكمة جنايات سوهاج إخلاء سبيل جميع المتهمين فى قضية الكشح وعددهم ٨٩ بضمان محال إقامتهم.. وقال المستشار محمد عفيفى رئيس المحكمة إن مبررات

الحبس الاحتياطى قد انتفت.. ومن بين المحبوسين أسر كاملة فهناك أب وأبناؤه الثلاثة وهناك ثلاثة أشقاء ومن بينهم المرضى والطاعنون فى السن ومضى عام على حبسهم.. ولعل أهم ما قيل هو قول رئيس المحكمة: إن مصر سوف تحتفل بعد أيام بعيد الفطر المبارك وعيد الميلاد المجيد ولأن المحكمة لم تتمكن من اصدار حكمها عقب اغلاق باب المرافعة فلا يجب أن يضار المتهمون بذلك.. وكان من الطبيعى أن تختلط دموع الأسر المسيحية مع الأسر المسلمة وأن يهتف الجميع باسم مصر وبعدالة ونزاهة وسمو القضاء المصرى.. وهذه بكل بساطة هى مصر.. ولو كره الكارهون.

●●●

مسك الختام

قال تعالى: ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين**﴾ سورة يوسف آية ١١٠●.

● **١٢ ديسمبر ٢٠٠٠**

تطرح قضية الراهب المخلوع أو المشلوح «برسوم المحرقى» وصحيفة الفضائح والاثارة «النبأ» من الاشكاليات بقدر ما تطرح من الأسئلة المستفزة «بفتح الفاء وكسرها»، وأول هذه الأسئلة وأهمها وأخطرها هو: هل نحن دائماً بحاجة إلى حادثة كبرى أو كارثة كبرى فقط لكى ندرك الخطأ ونتحرك للعلاج؟؟ وهل كنا بحاجة - تطبيقاً لذلك - إلى فضيحة صحفية تهدد بفتنة طائفية تهز أمن واستقرار البلاد وتفتح الباب للمزايدات وربما للتدخل الخارجى حتى ندرك حجم الخطأ الناجم عن التهاون والتغافل عن ممارسات الصحافة الصفراء وآثارها المدمرة؟؟

الإجابة على السؤال تقول بكل وضوح وللأسف الشديد: نعم.. نعم.. نعم.. نعم.. وفى حوادث كثيرة هاجت مشاعر الناس وخربت مرافق عامة وأحرقت سيارات وتعرضت أقسام شرطة للتخريب والعدوان بسبب التهاب المشاعر.. وفى هذه المرة وضعتنا صحيفة صفراء وصحفى غير مسئول على حافة فتنة طائفية.. وإذا كانت فضيحة نشر صور الراهب المنحرف المخلوع فى أوضاع جنسية مع ضحايا من نساء لجأن إليه لحل مشكلاتهن فقام بتخديرهن واغتصابهن وابتزازهن قد أثارت ما أثارت من هياج فإن استعراض صفحات الصحيفة يكشف عن مزيد من الفضائح الصحفية والموضوعات التى تتضمن تعريضاً بشرف العديد من الشخصيات الرجالية والنسائية المشهورة.. وهذه ليست أول مرة تتكرر فيها الألفاظ البذيئة والعناوين المثيرة والصور الفاضحة على صفحات النبأ..

ومع ذلك فإن إجراء واحداً لم يتخذ لردع الصحيفة ووقف المسئولين عنها وعن هذه الجرائم مما شجعهم على التمادى فى طريق الضلال حتى وقعت الكارثة التى كان يجب الوقوف عندها بقوة والتصرف ازاء الجرم الكبير بعنف يناسب جسامة الأثر الرهيب الذى كان يمكن أن يحدث لو لم تبادر كل أجهزة الدولة «الأمن - المجلس الأعلى للصحافة - الإعلام - الأزهر - دار الإفتاء - الكنيسة - وأخيراً نقابة الصحفيين مروراً بالشارع المصرى» إلى اجراءات تراوحت بين الاستنكار وبين تأكيد روح الأخوة ومتانة الوحدة الوطنية واتخاذ الاجراءات لسحب ترخيص النبأ وآخر خبر واجراء المحاكمة العاجلة وأخيراً شطب ممدوح مهران وابنه من عضوية نقابة الصحفيين.

●●●

السؤال الثانى الذى تطرحه هذه الفضيحة الكارثة هو: هل هناك قوانين تحكم اصدار الصحف والمجلات؟! ونحن لا نطرح هذا السؤال من موقع الجهل بوجود هذه القوانين ولكن من موقع الدهشة من وجود قوانين لا تنفذ مثل قانون نقابة الصحفيين الذى يمنع دخول ملاك الصحف فى عضوية النقابة.. ومن وجود أكثر من قانون تنظم اصدار الصحف وتجعل من تملك الأفراد لها أمراً عسيراً.. ومع ذلك فإن ممدوح مهران استطاع بسهولة شديدة أن

يصدر صحيفة وأكثر وأن يكون ثروة هائلة فى زمن قياسى تحسده عليه كبرى المؤسسات الصحفية فى مصر والوطن العربى إذا أخذنا فى الاعتبار أن صحيفة النبأ كانت مجرد صحيفة أسبوعية وأن وليدتها آخر خبر لا يزيد عمرها عن عدة أشهر؟؟؟ ونطرح السؤال أيضاً من موقع الدهشة التى جعلت ممدوح مهران يتاجر بأسماء كبار المسئولين.. وفى ذات العدد الفضيحة ينشر عموده الصحفى «ألاعيب ساسية» وتحت عنوان «أنت الوحيد اللى فاهمنى» مستهلاً إياه بالقول: «قال لى الرئيس وهو يشير إلى بإصبعه فارداً كامل ذراعه بأعلى صوته «أنت الوحيد اللى فاهمنى» على مرأى ومسمع من كبار رجال الدولة والصحافة والإعلام ورجال الأعمال والفنانين الذين التفوا حوله قبل أن ينطلق بسلامة الله فى سيارته بعد أن كان قد شرف الاحتفال بعيد الإعلاميين.. وأنا أقول له: مع السلامة.. ويرد قبل أن يغلق الباب موجهاً نظره إلى : «الله يسلمك». ومضى فى الصفحة السابعة يفيض فى شرح ظروف وملابسات ومفهوم ما ذكره بإيجاز فى صدر الصفحة الأولى . ولو أنه حقاً يعرف فكر حسنى مبارك - كما ادعى - لعرف أن فكر مبارك ضد الابتذال الصحفى وضد الابتزاز الصحفى وضد النيل من عرض أى إنسان مسيحياً كان أم مسلماً رجل دين كان أم مواطناً عادياً.. ولو كان يعرف فكر حسنى مبارك لخجل من نفسه ولما أقدم على تلك الجريمة الشنيعة.

وتطرح القضية أسئلة أخرى عديدة مثل: كيف وصل إليه الشريط الذى سجل عليه الراهب المنحرف جرائمه؟؟ وأى شيطان أغراه بهذا النشر الفضائحى الذى انتهك الحرمات وداس القوانين وولغ فى الأعراض واستفز المشاعر وأهاج النفوس وفتح الباب لفتنة نائمة نلعن كل وقت من يوقظها!!

وقد تجد بعض الأسئلة إجاباتها.. وقد تظل أسئلة أخرى معلقة بلا إجابة ولكن الأهم من ذلك هو أن نقرر بعض النقاط على النحو التالى:

●● إن مصر أكبر من أى مؤسسة صحفية كائنة ما كانت وكائنا من كان المسئول عنها.. وان الوحدة الوطنية أكبر من فضيحة صحفية توهم مرتكبوها أن يجنوا من ورائها مجداً فلم يحصدوا إلا الخيبة والندامة.

●● إن دم وعرض ومال وحرية الأقباط هى من دم وعرض ومال وحرية المسلمين سواء بسواء بحكم الشرع والدستور والقانون.. والمجتمع الذى يحاكم الراهب المشلوح المنحرف على جرائمه هو ذاته المجتمع الذى يحاكم الصحفى المنحرف.. ولذلك فلا مجال للمزايدة والاهتياج.

●● إن انحراف الراهب المخلوع حالة فردية يمكن أن تحدث من أى راهب سواء أكان فى الخدمة أم كان مطروداً منها.. ويمكن أن تحدث من أى رجل دين فى أى موقع.. وهذا لا ينسحب بأى حال على مجموع رجال الدين ولا على الكنيسة ولا على الدين نفسه وأتباعه. وكذلك الأمر فى حالة النشر الفضائحى الذى جرى.. هو حالة فردية لا تنسحب على الصحف المصرية الشريفة ولا على الصحفيين الشرفاء الذين يشكلون القاعدة العريضة.

●● انه آن الأوان لأن نغلق هذا الملف من ناحية وأن نبقيه مفتوحاً من ناحية أخرى.. نغلقه من ناحية أن الجريمة التى ارتكبها الراهب هى محل تعامل موضوعى من السلطة القضائية لاستيفاء حقوق الضحايا والمجتمع وأن الجريمة التى ارتكبها الصحفى غير المسئول قد اتخذت بشأنها اجراءات متعددة بدءاً من مصادرة الصحيفة مروراً بطلب سحب ترخيصها وشطب مرتكبى الجريمة من عضوية نقابة الصحفيين وصولاً إلى المحاكمة الجنائية بتهم متعددة لا داعى لتكرارها. وآن الأوان لأن نبقى الملف مفتوحاً من حيث مراجعة أساليب وحدود نشر الجرائم والحوادث.. من حيث ضوابط وقواعد إصدار الصحف وتقويم أدائها.. ونحن ضد أى نيل من الحقوق والحريات التى حصلت عليها الصحافة والصحفيون نتيجة نضال مجيد ولكنها الحريات والحقوق التى تحفظ حقوق وحريات وأعراض الأفراد والمجتمع فلا مكان فى بلدنا لصحافة الابتذال أو صحافة الابتزاز وليكن القانون دائماً هو الفيصل ولتكن الشريعة هى الهادى وليكن الدستور هو المرجع، وليدرك الجميع أن بلادنا مستهدفة وأن قوى الشر والبغى والعدوان تسعى بكل السبل للنيل من مكانة مصر ودورها فى قضايا المنطقة وليس أمامها من سبيل لتحقيق ذلك سوى افتعال الأزمات وصب الزيت على النار.. وهذه الأزمات قد تكون اقتصادية أو سياسية أو طائفية.. وليدرك الجميع أن أمن واستقرار مصر يعمان الجميع دون استثناء.. وأن الخطر - لا قدر الله - ينال الجميع دون استثناء.

●●●

●● الحمد لله.. الأحلام ليس عليها حتى الآن ضريبة مبيعات.

●●●

●● منذ سنوات تحدثت السيدة اعتماد خورشيد بصراحة فاضحة فى عدة كتب.. الآن تخطط لإنتاج مسلسل تليفزيونى عن حياتها.. يا سيدة اعتماد.. ارحمينا يرحمك الله.

●●●

●● انتهى كابوس مذاكرة وامتحانات الثانوية العامة.. وبقى كابوس نتائج الثانوية العامة.. كان الله فى عون الطلبة وأولياء الأمور.

●●●

مسك الختام

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من جلس مجلساً كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك». رواه أبو داود والترمذى وصححه والنسائى وابن حبان●.

● ٢١ يونية ٢٠٠١

أثبتت الأحداث التى كان شبابنا طرفا فيها سواء أكانت حادثة - أم حكاية - عبدة الشيطان أم كانت حوادث إدمان أو بلطجة - كما حدث أخيراً - أو حتى حوادث قتل أن شبابنا هم ضحايا واقع اجتماعى وثقافى وإعلامى.. فإلى جانب افتقاد القدوة فى المدرسة يعانى هؤلاء الشباب من غياب التوجيه الأسرى بسبب تفكك الأسرة وغياب الأب والأم - أحدهما أو كليهما - للسفر إلى الخارج أو الانشغال بجمع المال والجرى وراء الاهتمامات والمظاهر الاجتماعية الباذخة التى استشرت بين فئات معينة من المجتمع.

كذلك يعانى هؤلاء الشباب من الضغوط والاغراءات التى تحيط بهم من كل جانب سواء إعلاميا أو إعلانيا أو عملياً من خلال لافتات العرض فى المحلات.. وكلها تستفز المشاعر والغرائز والرغبات التى يستطيع جانب من الشباب تلبيتها بكل شراهة بينما يعجز جانب آخر من الشباب عن الحصول على الحد الأدنى منها..

وفى هذا الخضم المتلاطم من الإغراءات والضغوط التى تتجاذب شبابنا يأتى دور الإعلام الذى إذا صلح واتخذ طابعاً توجيهيا هادفاً - دون التخلى بالطبع عن الترفيه البرىء الراقى - فانه يسهم اسهاما كبيراً وحيويا فى تحصين شبابنا وقيادتهم إلى تجاوز مراحل السن الخطرة بأقل قدر من الأضرار ويساعد على تكوين الأجيال الجديدة تكوينا يجعلهم صالحين نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم.. أما إذا انحرف عن جادة الصواب وجرى وراء الغرائز والفضائح وهتك أستار البيوت وإشاعة الكراهية فانه يدمر بناء الوطن ويضع شبابه فى أتون من الانحرافات والفتن وهو ما اعتمدته الصحف الصفراء وبلغت به حدا دعا الرئيس حسنى مبارك إلى وضع المجلس الأعلى للصحافة ونقابة الصحفيين أمام مسئولياتهما حتى يأتى التصحيح من قلب المؤسسات المختصة وليس من قبل الدولة..

ومادمنا نتحدث عن الإعلام ودوره فلابد من أن نعبر عن سعادتنا بالتطور الهائل الذى حققه التليفزيون سواء بزيادة عدد القنوات أو عدد ساعات البث أو سعة الانتشار الجغرافى وتعدد القنوات المتخصصة والفضائية.. وقد سعدنا أكثر بقرارات اللجنة الوزارية لتطوير التعليم فيما يخص اطلاق سبع قنوات تعليمية متخصصة ابتداء من أول العام الدراسى الجديد.. وما نأمله أن يكون فى هذه القنوات مساحة أوسع للتربية الدينية حتى نحارب الأمية الدينية التى كشفت الأحداث والحوادث أنها وراء الكثير من انحرافات الشباب.

●●●

مسك الختام

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل درجة من الصلاة والصيام والصدقة؟» قالوا: بلى يارسول الله. قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة».

رواه أبو داود وابن حبان والترمذى●.

● ٢٤ مارس ١٩٩٨

شبابنا المفترى عليه - ٢

لا يختلف اثنان على أن رعاية الشباب وتربيتهم وتعليمهم وتوجيههم التوجيه الصحيح تشكل فى مجملها واجباً وطنياً واستثماراً قومياً من الدرجة الأولى.. فهم عدة الوطن وذخيرته للمستقبل، وإذا كانت الأجيال المتتابعة قد تحملت أعباء العمل الوطنى سواء اتجه هذا العمل إلى محاربة الاحتلال وتحقيق الاستقلال أو لبناء الممارسة السياسية السليمة أو اقامة قواعد العدالة الاجتماعية فإن الأجيال الجديدة مطالبة بالحفاظ على المكتسبات واستكمال البناء وعلاج الأخطاء - وهذا لا يتحقق إلا بالتعليم والتربية البدنية والعقلية والنفسية والروحية.

وإذا كانت الأسرة هى النواة الأساسية ونقطة الانطلاق فى تربية الفرد وتلقينه قيم المجتمع وكانت المدرسة هى الموقع الأساسى لتعليمه وتزويده بالمهارات المختلفة وإكمال دور الأسرة فإن أجهزة الإعلام والثقافة والأجهزة العاملة فى ميدان الشباب والرياضة تقوم بدور لا يقل أهمية فى بناء الفرد وتوجيهه الوجهة الصحيحة وتصويب اتجاهاته وتصحيح أخطائه.. ولابد من تكاتف هذه الأجهزة وتكامل جهودها وتنسيق سياساتها. فلا يمكن أن تتحقق النتائج المرجوة إذا كان كل جهاز من هذه الاجهزة يعمل فى اتجاه مخالف أو باجتهاد معاكس للأجهزة الأخرى فهذا يؤدى إلى تمزيق الشباب وفقدان المصداقية وضياع لمئات الملايين من الجنيهات التى تنفق فى هذه المجالات.

وقد عاشت عقيدتى منذ بداية صدورها تجربة فريدة فى مجال التنسيق مع جهاز الشباب بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة واذاعة القرآن الكريم وشبكة الشباب والرياضة شملت الندوات وقوافل التوعية الدينية والمسابقات الشهرية.. وأشارت كل تقارير المتابعة إلى نجاح هذه التجربة نجاحاً فريدة وإلى تزايد التجاوب بين الشباب وبين هذه القوافل بفضل التفاعل المباشر بين الشباب والعلماء وكذلك المسئولين.

هذه التجربة أكد استمرارها الدكتور مسعد عويس رئيس جهاز الشباب فى لقائى الأخير معه مضيفاً أن الجانب الروحى يجب أن يكون حاضراً مع الشباب فى كل الأنشطة التى يقومون بها ويجب أن يكون هناك تنويع فى الوسائل والأساليب والأشكال التى يتم من خلالها توصيل المعلومة والمعنى والدرس إلى الشباب وهذا هو ما يسعى إليه جهاز الشباب. وفى تقديرى فإن وجود هذه الروح وهذا الفكر فى جهاز يقوم بهذه المهمة الكبيرة أمر يستحق التهنئة ويستحق التشجيع خاصة عندما يرتبط بالقدوة السلوكية البعيدة عن المظهرية.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾** سورة الكهف آية ٣٠.

● ٢٩ سبتمبر ١٩٩٨

قامت لجنة الشباب فى مجلس الشعب برئاسة عبد الرحيم الغول بجولة فى عدة محافظات لدراسة واقع العمل الشبابى والتعرف على مشكلات الشباب وقضاياهم ومطالبهم والتوصل إلى مقترحات محددة لحل المشكلات وتلبية مطالب الشباب.. وشملت الجولة زيارات ميدانية لمراكز الشباب والمنشآت الشبابية والرياضية.. وتوصلت اللجنة من خلال جولتها ولقاءاتها الميدانية الى تحديد شامل لمشكلات الشباب ومقترحات حلها..

كان من أبرز ما توصلت إليه اللجنة من حصيلة لقاءاتها ومناقشاتها للبرامج لتأكيد أهمية روح الانتماء لدى الشباب المصرى واستثمار طاقات الشباب بالاستغلال الأمثل للبرامج والمشروعات.. وكذلك الاهتمام بالتربية الروحية والاجتماعية والصحية للنشء وترسيخ القيم الدينية والأسرية والبيئية وذلك بالتركيز على دعم هذه القيم الدينية والأسرية والبيئية نظرا لانتشار الغزو الثقافى الغربى وما يحمله من أفكار ومبادىء هدامة.

وهذا المعنى الذى صاغته اللجنة فى بضع عبارات فى تقريرها يمثل إحدى القضايا المهمة التى يجب أن تعتنى بها كل أجهزة الدولة وليست أجهزة الشباب والرياضة.. فهذه الأجهزة المختصة بالعمل الشبابى مهما أوتيت من قدرات وتوافر لديها من الإمكانات وتميز به العاملون فيها من اخلاص وقناعة بقضايا الشباب والعمل فى خدمتها الا أنهم لا يستطيعون أن يحققوا البناء النفسى والروحى والبدنى للشباب فى عزله عن بقية الأجهزة التى وان كان جهدها موجها للمجتمع كله فإن الشباب يمثلون الشريحة الأكبر والأهم والاخطر والتى يجب أن تتضاعف الجهود لرعايتها وحمايتها ليس من منظور ترفى أو إنسانى أو خدمى ولكن من منظور أن الاهتمام بهذه الشريحة هو واجب وطنى واستثمار من الدرجة الأولى.. فان شباب اليوم هم رجال الغد أو بتعبير آخر هم نصف الحاضر وكل المستقبل.

ولعل اللجنة كانت واقعية من حيث أنها لم تحلق فى آفاق التنظير وإنما وضعت مقترحات واقعية محددة كان من بينها إضافة إلى ما ذكرنا فى بداية هذا الحديث الاهتمام بتوافر فرص العمل للشباب. وهكذا فإذا نحن أحسنًا اعداد الشباب بدنيا ونفسيا وروحيا وأتحنا لهم الفرصة كى يكونوا عناصر فاعلة ومنتجة فى المجتمع فإننا نكون قد حصناهم ونأينا بهم عن الفراغ والانحراف وحميناهم من الاختراق والتطرف الذى يقود إلى الإرهاب.. وإذا صحت مقولة أن العقل السليم فى الجسم السليم تصح أيضاً مقولة أن الشباب السليم فى المجتمع السليم.. أى ان السلامة البدنية والعقلية والروحية للشباب هى علامة على سلامة المجتمع كله. ومن هنا تأتى أهمية العناية بالشباب.. وكما ذكرنا فى البداية فان المسئولية ليست مسئولية أجهزة الشباب وحدها ولكنها مسئولية كل الأجهزة العاملة فى الدولة.

ونحن فى عقيدتى قد استشعرنا منذ البداية هذه المسئولية.. من هنا كان اهتمامنا الفائق بالمساهمة فى كل أنشطة التوجيه والتثقيف الدينى للشباب.. وثمة حقيقة نسجلها

هنا بكل صدق وارتياح وهى أننا وجدنا تعاونا كبيرا فى هذا المجال منذ ان كان الدكتور عبد المنعم عمارة مسئولا عن المجلس الأعلى للشباب والرياضة ومعه محمد عبد الرحيم الرئيس السابق لجهاز الشباب ومحمد عبد العال وكيل الوزارة بالمجلس وتدعم هذا التعاون وتعمق واتسعت آفاقه فى ظل رئاسة الدكتور مسعد عويس لجهاز الشباب.. فقد رحب الرجل بكل فكرة جيدة وكل اقتراح نافع تقدمنا به سواء فى مجال قوافل التوعية الدينية أو المسابقات أو الدورات التدريبية وقامت مجموعة من القيادات الواعية بالتنفيذ والمتابعة نذكر منهم الأستاذ مسعد أبو الرجال والسيدة هناء مصطفى واعتذر لمن فاتنى ذكر أسمائهم من الجنود المجهولين الذين يقودون العمل الشبابى بكل إخلاص.. فتحية لهؤلاء الرجال.. والشكر كل الشكر لأصحاب الفضيلة علماء الأزهر والأوقاف الذين لم يبخلوا بجهد ووقتهم وعلمهم وجابوا معنا البلاد من أقصاها إلى أقصاها يقدمون الثقافة الدينية المستنيرة ويتيحون الفرصة للشباب لكى يعبروا عن أنفسهم.

●●●

مسك الختام

قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾** سورة التحريم آية ٦*.

● ١٢ يوليو ١٩٩٩

يقول الخبرالمنشور فى إحدى المجلات الأسبوعية المعروفة ما يلى : فوجىء المطرب... أثناء الحفل الساهرالمقام بالمسرح الرومانى بمارينا الساحل الشمالى بفتاة فى العشرين من عمرها تصر على تقبيله وسط دهشة الحاضرين .ومع رفض الأمن الخاص بتنظيم الحفل استطاعت الفتاةأن تتسلل إلى خشبةالمسرح وتعلقت فى رقبة المطرب الذى حاول إبعادها لكنه لم يستطع الافلات من أخذ (بوسة) هكذا ... بالاكراه. توقفت الفرقة الموسيقية بضع دقائق بعدأن قام الأمن بإعادة الفتاةإلى مقعدها وعاد المطرب للغناءمرة أخرى .وهذة الواقعة ليست الأولى من نوعها على مسارح مارينا فقد تعرض لها من قبل الفنانون .....و....و.....

انتهى الخبر ..ويبقى أن نتساءل : من المسئول عن هذا الهوس ؟؟ فالمؤكد أن الفتاة التى قامت بذلك ليست الأولى ولا الوحيدة ولن تكون الأخيرة . بل إنها وألوفا غيرها من الشبان والشابات لايميزون بين الحلال والحرام وبين المباح والممنوع وبين الجائز والعيب .. والمؤكد أن هؤلاء الآلاف من الشباب لم يتلقواأى جرعة من الثقافة الدينية الحقيقية سواء فى البيت أو المدرسة أو من خلال أجهزة الاعلام ... ولعلى هنا أتوقف أمام الدور السلبى الذى تؤديه أجهزة الإعلام تجاه الشباب فى هذه الناحية المحددة بالذات.. فما ينشر حول مارينا من اعلانات وتحقيقات صحفية ومقالات يكاد يجعلها دولة أخرى ومجتمعا آخر غير المجتمع المصرى الذى نعرفه والذى يحرص على القيم الدينية والأخلاقية والذى يحاول بناء قدراته فى مواجهة التحديات والأخطار التى تواجهه ويسعى لأن يحافظ على مكانة بلده ودورها فى المنطقة ويجعل لها. مكانا فى إطار النظام العالمى الجديد.

والأخبار أو التحقيقات أو المقالات الناقدة لما يجرى فى هذا الجزء من الساحل الشمالى تكاد تضيع وسط ركام الاعلانات عن الحفلات والسباق المحموم بين منظمى الحفلات الفنية والأرقام الخيالية التى تنشر حول عدد الحضور فى هذه الحفلة أو تلك والمبالغ التى دفعت بما يوحى بأن الشعب المصرى قد حل مشكلاته الاقتصادية والاجتماعية وتفرغ للغناء والرقص فى مارينا وكأن الغناء والرقص قد صارا فلسفة شعب وثقافة مجتمع، أو كأن الشباب المصرى لم يعد له هم سوى حضور مثل هذه الحفلات والجرى وراء المطربين والمطربات لتبادل القبلات.. مع أن الواقع يقول إن الشباب المصرى هو الوقود الحقيقى لمعركة التنمية فى توشكى وفى سيناء وفى شرق التفريعة وفى غيرها كما كان هو الوقود فى معركة التحرير فى ١٩٧٣.. والواقع يقول ان آلاف الأسر تعيش فى المقابر وتنافس الموتى وتزاحمهم. وان أعداداً كبيرة من الشباب لا يجدون مصروفات مدارسهم مما حدا بوزير التعليم إلى اصدار أوامر مشددة بعدم طرد أى طالب يعجز عن سداد الرسوم الدراسية. وأن آلاف الأسر لا تجد لأبنائها ملابس للعام الدراسى الجديد. وأن الدولة تبذل جهودا خارقة لمعالجة هذه

المشكلات والعناية بتلك الأسر وهؤلاء الشباب.. وهى فى ذلك تترجم انحياز الرئيس حسنى مبارك لمحدودى الدخل وعنايته الفائقة بالشباب.

وقد أخطأ المسئولون فى التليفزيون عندما توهموا أن الحرص على نقل العشرات من حفلات الرقص والغناء فى مارينا من شأنه الترفيه عن الناس فى البيوت.. فالحقيقة أن هذه الحفلات أثارت من الاستفزاز أكثر بكثير مما حققت من الترفيه. ولعل انتهاء برنامج هذه الحفلات مع بداية سبتمبر والاستعداد للعام الدراسى الجديد يكون فرصة للدراسة والمراجعة والمصارحة.

•••

مسك الختام

يقول الله تعالى: **﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾** سورة الإسراء آية ١٥*.

• ٣١ أغسطس ١٩٩٩

كنت دائما وفى كل المناسبات أقرر وأكرر أن القاعدة العريضة من شبابنا بخير وأن الغالبية العظمى منهم جادون وملتزمون ويمثلون المستقبل الأفضل الذى ننتظره ونسعى اليه.. وأن مايبدو من انحرافات فى اتجاه التطرف والإرهاب أو فى اتجاة التحلل من الدين هو مجرد بثور لاينبغى أن تشوه الصورة الطيبة لهذا الشباب .. غير أنى الآن استشعر خطرا داهما يتهدد شبابنا ويهدد المستقبل الأفضل الذى نسعى إليه لا على المدى البعيد بل على المدى القريب جدا.. بل ان بعض المخاطر تهدد الحاضر الذى نعيشه .. والشباب الذين يتورطون فى أية انحرافات وإن بدوا فاعلين إلا انهم فى حقيقة الأمر ضحايا..ضحايا للخلل الاقتصادى والخلل الاجتماعى والخلل السياسى والخلل القيمى.

إذا نظرنا الى الجانب الاقتصادى فسوف نجد تفاوتا هائلا فى الدخل يتكرس يوما بعد يوم وتتكرس معه البطالة التى وان اختلفت فيها التقديرات والأرقام بين الجهات الحكومية المختلفة فإن أحدا لايستطيع ان يجادل أو يمارى فى كونها حقيقة كارثية .. فجيش البطالة القائم هو عبء اقتصادى واجتماعى وانسانى وسياسى ضاغط على الدولة وعلى المجتمع.. والأخطر من ذلك أن جيش البطالة الذى يعيش دون أية عناية أو توجيه أو أمل هو المحضن «بفتح الميم والضاد» الدافىء للتطرف والإرهاب وهو التربة الخصبة لنمو النبت الشيطانى للجريمة وأية دراسة موضوعية متأنية للجريمة الفردية أو الجماعية التى وقعت فى مصر على مدى سنوات طوال سوف تظهر وجود اثنين على الأقل من الثالوث الكارثى الذى يواجه المجتمعات وهو : الفقر والجهل والمرض والذى أضيف إليه منذ فترة ليست بعيدة: الجوع .. ولعلنا نذكر هنا بالدراسة المهمة التى ناقشها مجلس الشورى إبان حوادث الإرهاب فى أوائل التسعينيات من القرن الماضى وهو التقرير الذى حلل الظاهرة وأرجعها بأمانة لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية واقترح لها الحلول مؤكدا أن الحل الأمنى مهما بلغت كفاءته لايمكن أن يكون . ولاينبغى أن يكون . هو الحل الوحيد.. بل ان الأجهزة الأمنية ذاتها نبهت أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة إلى ضرورة الحلول الاجتماعية والاقتصادية وهذا أمر يسجل لها بكل التقدير.

وإذا نظرنا إلى الجانب الاجتماعى وهو لصيق ووثيق الصلة بالجانب الاقتصادى فإن المفارقة الهائلة فى مستويات الدخل تخلق تفاوتا هائلا فى مستوى المعيشة والقدرة على تلبية الحاجات الأساسية.. ففى الوقت الذى لاتجد فيه شريحة كبيرة من المجتمع ما يلبى الاحتياجات الأساسية نجد شريحة أخرى تعيش فى ترف وتنفق إنفاقا بذخيا وسفيها مستفزا ولاتخفى هذا الإنفاق بل تترجمه الى مانراه من مواكب محاطة بسيارات الحراسة والحراس الشخصيين «البلطجية» ليس من باب الضرورة ولكن من باب الوجاهة من ناحية واكتساب هيبة وهمية من ناحية أخرى. هذا التفاوت يخلق احتقانا فى المجتمع.. وإذا كانت الأجيال كبيرة

السن قادرة على امتصاص هذا الواقع وتحليله أو ايجاد مبرر له أو التحلى بكل الصبر الممكن من منطق الإيمان بالأرزاق وبالقضاء والقدر فإن الشباب وهو فى سن الحماس والاندفاع والحيوية لايتحلى بنفس هذه المزايا ولايمكن ان يطلب منه ذلك.. يدعم ويغذى هذا الشعور عند الشباب مايشاهدونه ويقرأون عنه من أخبار وقصص ويعيشونه من مفارقة بين الصعوبة التى تصل إلى حد المستحيل فى حصول أى شاب على قرض يبدأ به مشروعا يعيش منه عيشة حلالا كريمة ويفتح بابا للرزق أمام غيره من الشباب وبين السهولة واليسر والليونة التى بها يحصل كبار رجال الاعمال - أو بعضهم - على المليارات من الجنيهات والدولارات بلا ضمانات أو بضمانات وهمية ثم لايلبث بعضهم أن يعجز عن السداد - أى يتعثر - ومنهم من يستمر فى مناوشات مع البنوك فى الداخل ومنهم من يجد طريقه بسهولة ويسر لينعم بما نهب وهرب.

●● أما على الجانب السياسى فإننا نصوغ المشكلة فيه فى صورة عدة أسئلة هى: ماذا يفعل الحزب الوطنى والأحزاب الأخرى للنهوض بالعمل الشبابى؟ ماهى حصة الشباب من المواقع القيادية فى الأحزاب؟ ما هى النسبة التى يحتلها الشباب فى المجالس المحلية والتشريعية - الشعب والشورى- ؟؟ ماهو المشروع القومى الذى جندت له اهتمامات وجهود الشباب ؟؟ أين التنسيق بين الوزارات المختلفة المعنية بالعمل مع الشباب ؟ وما أثر هذا التنسيق؟؟ وهل توجد خطة قومية لجهد مشترك على أى مستوى للتعامل مع الشباب؟؟ وفى أى اتجاه يتم حشد جهود الشباب؟؟ هل على مبادىء الحزب الوطنى أم أن هناك اتفاقا عاما ورؤية عامة تشترك كافة الأجهزة والأحزاب فى تنفيذها ويكون الباب فيها مفتوحا للاجتهادات المختلفة؟؟

وفى هذا الخضم كله أين مجال التوعية الدينية بمفهومها الواسع والشامل؟

●● وأما فى الجانب القيمى فإن ثمة خللا جسيما فى منظومة القيم التى ظلت تربط ..ذا المجتمع طويلا وتوجه حركته.. فإن الوافد من القيم الغربية وأغلبها قيم مادية يكاد يفقد نا بوصلة التوجيه مما أتاح الفرصة لتغييرات سلبية جسيمة.. ولن نتحدث عن الفساد فى الادارة المحلية ولا عن نواب القروض ولا عن تقديم وزير سابق ومساعديه للقضاء ولا عن التحقيق فى المخالفات الجسيمة المنسوبة لإدارة البورصة ، ولا عن أن الحكومة هى التى تكتشف حالات الفساد وتقدمها للقضاء ، أو انها تفعل ذلك مضطرة وتحت ضغط الإعلام والرأى العام.. ولكننا نقول إن هناك قيما سلبية قد تفشت وتمثل خطرا داهما على شبابنا ونخص منها: تراجع روح الانتماء عند الشباب.. شيوع روح الكسب السريع والسهل.. البحث عن تبريرات للسلوك الخاطىء.. غياب القدوة السلوكية.. فما أكثر مايسمع الشباب وما أكثر مايرون وما أوسع الهوة بين مايسمعون وبين مايعاينون. أن حالة «عبدة الشيطان» منذ سنوات وحالة «وكالة الله فى الأرض» الآن هما نموذجان صارخان لانحرافات الشباب.. والجدير

بالتحليل فيهما أنهما إفرازان اجتماعيان مرضيان «بفتح الميم والراء».. وأن الفكر فيهما وافد وليس اصيلا.. وأن ثمة من يُنَظِّر للانحراف والشذوذ وأن هناك من يسهل هذا الانحراف والشذوذ ويوفر له الفرصة للتعبير عن نفسه فكريا وعمليا.. وأن هناك علاقة وثيقة بين وجود المال وغياب الدين وانسحاب الأسرة من وظيفتها فى التربية والتوجيه والمراقبة والمحاسبة.. وأن منظومات التربية والتعليم والاعلام لا تؤدى دورها على نحو صحيح وكل هذه أخطاء مجتمع وليست أخطاء أفراد..

إنها مشكلة ليست بمنظور المستقبل فقط ولكن أيضا بمنظور الحاضر.. والشباب فيها هم الضحايا.. والفاعل ليس مجهولا بل هو معروف تماما.. انه: نحن ويجب أن نعترف بهذا ونعتذر عنه لشبابنا ونبدأ خطوات إصلاح حقيقية قبل فوات الأوان.

●●●

●● علاقة المطبعين مع اسرائيل = علاقة القتيل الذى يعشق قاتله= علاقة الحمار الذى يندفع الى أحضان الأسد.

●●●

●● من حق على سالم أن يعتقد مايشاء.. وأن يعبر عما يعتقده صوابا كان أم خطأً.. ومن حق اتحاد الكتاب أن يفصل عضوا فيه خرج على قرارات جمعيته العمومية.

●●●

●● تراجعت غرفة تجارة القاهرة عن معارضتها لضريبة المبيعات فى مرحلتيها الثانية والثالثة.. هذا ليس هو المهم.. ولكن المهم هو واقع السوق.. وواقع السوق يقول أن هناك بلبلة ومايشبه التوقف لحركة البيع والشراء.

●●●

مسك الختام

قال الشاعر:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

● ١٢ يونية ٢٠٠١

عندما يقترب موظف كبير من سن الإحالة للمعاش يحدث نوع من القلق والتوتر ليس فقط عند هذا الموظف الذى يعتبر بلوغ سن المعاش نهاية الدنيا حيث ينتهى دوره فى العمل وتنحسر عنه الأضواء.. ولكن القلق والتوتر يمتدان ليشملا دائرة واسعة من الناس.. فهناك العديدون من المحيطين به الذين اعتاد عليهم واعتادوا عليه وبينه وبينهم ألفة و«عشرة» وقد تكون ثمة مصالح . وهم لايدرون إن كان سوف يستمر أم يأتى أحد آخر قد يعرفونه أولايعرفونه وقد يبقى هذا الجديد عليهم أو يتخلص منهم ويأتى برجاله ومساعديه وهناك العديد ممن لديهم الطموح والمؤهلات والخبرة الذين يرى كل منهم انه كفؤ وأحق بشغل المنصب.

وفى كل الحالات تحدث مناورات وتبذل جهود من أجل التجديد والمد و من أجل الوصول إلى المنصب المشتهى. ولدينا دائما تفسير أو تبرير أو تعليل لأى قرار يتخذ.. فإذا كان القرار هو التغيير وإتاحة الفرصة لقيادة جديدة وهو الأصل والأساس فى كل بلاد الدنيا تحدثنا عن القيادات الجديدة وخلق الكوادر وتربية القيادات وتجديد الدماء.. وإذا كان التجديد أو المد وهو الاستثناء الذى تحول عندنا إلى قاعدة تحدثنا عن الخبرة التى لاتضاهى والقدرات التى لانظير لها وضرورة الاستمرار حتى إتمام تنفيذ مابدأ من مشروعات واستكمال ماتحقق من انجازات.. وتحدثنا كذلك عن ندرة الكفاءات وغياب الصف الثانى وصعوبة العثور على وجوه قادرة على النهوض بأعباء العمل.

وأصحاب هذا الرأى يتجاهلون أبسط مبادىء الإدارة والقيادة والسياسة.. ومن هذه المبادىء أن الجميع يبدأون صغارا : المدرس يبدأ مدرسا صغيرا ويتدرج حتى يصبح مدير مدرسة.. وقد يسعفه ويسعده الحظ ويكون وزيرا.. والمهندس يبدأ مهندسا صغيرا وقد يصل يوما لكى يكون وزيرا للصناعة.. والمحاسب البسيط يمكن ان يكون يوما ما رئيس بنك او شركة تأمين.. والضابط فى الجيش يبدأ ملازما أول ويتدرج فى الرتب المختلفة بالأقدمية وبالتطور العلمى والخبرة المكتسبة من خلال المشروعات والعمليات والفرق.. وهذا يصدق على معاون النيابة الذى يمكن أن يصبح رئيسا للمحكمة الدستورية أو مجلس الدولة أو وزيرا للعدل وعلى المعيد فى كلية الذى من حقه أن يحلم بأن يكون رئيسا للجامعة أو على الأقل عميدا لكليته عندما تتوافر له الأقدمية المناسبة والكفاءة العلمية والخبرة اللازمة..

فإذا كان هناك نقص فى الصفوف الثانية فهذا فى الواقع ليس مسئولية شاغلى هذه الصفوف أو التى تليها ولكنها مسئولية النظام الإدارى العقيم الذى لايفرز قيادات ولايتعلم منه الموظفون تحمل المسئولية والقدرة على اتخاذ القرار ولايطلق طاقات الفكر والإبداع الوظيفى. فإذا ارتقى هؤلاء الموظفون بفعل الأقدمية فإنهم يبقون مفتقدين عنصر المقدرة وهنا تظهر حجة عدم المقدرة لحجب المناصب عن الصفوف الثانية واستمرار التجديد

والمد لمن تجاوزوا سن الإحالة للمعاش ليس فقط لعام أو عامين وللضرورة القصوى بل لخمسة أعوام وأحيانا لأكثر من عشرة أعوام.

يضاف إلى عقم النظام الإدارى وعجزه عن تخريج قيادات قادرة سبب شخصى هو عدم رغبة شاغلى المناصب القيادية العليا فى التجربة والخطأ.. وعزوفهم عن تغيير الأطقم التى اعتادوا التعامل معها على مدى سنوات طويلة وتحقق بينهم نوع من «الألفة والعشرة والتوافق والانسجام»ويدخل عامل السن كعامل إضافى لتحققه ممايجعل عملية التغيير صعبة إن لم تكن مستحيلة.

وليس ثمة حل لهذه المشكلة سواء فى المؤسسات الدينية أو مؤسسات الدولة الأخرى سوى الالتزام بالقانون التزاما صارما وعدم المد أو التجديد حتى عند الحاجة ولو لبضع سنوات حتى يستقر هذا المبدأ.. وفى الوقت نفسه لابد من ايجاد صيغة للاستفادة من خبرات الكبار ولكن ليس فى أعمال تنفيذية يحجبون من خلالها فرص الترقى أمام الصفوف الثانية والقيادات الجديدة.

وبهذه المناسبة : هل نطمع فى أن يتم شغل الدرجات العليا الخالية فى المؤسسات الدينية حتى نفتح باب الأمل أمام القيادات الشابة ونجدد دماء العمل الدعوى فى الأزهر والأوقاف .. و.. و.. ؟!

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحييم﴾** الحجرات آية ١٢●.

● **١٤ مارس ٢٠٠١**

الأزهر ـ ١

فى حديث هاتفى مع الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر قال لى إن الجامعة بصدد حجز موقع على شبكة المعلومات الدولية «الانترنت» وكذلك بصدد حجز قناة من القنوات التليفزيونية المتاحة على القمر الصناعى المصرى «نايل سات» وان كلا المشروعين يستهدف خدمة التعليم فى جامعة الأزهر وكذلك خدمة الدعوة الإسلامية من خلال تقديم وبث المعلومات الصحيحة والدقيقة والميسَّرة عن الاسلام والرد على الشبهات والادعاءات التى يثيرها أعداء الاسلام فى الداخل والخارج والإجابة على مايرد من أسئلة واستفسارات حول موقف الإسلام من القضايا المعاصرة على اختلافها.

وفى حدود معلوماتى فإن ثمة مشروعا موجودا فى وزارة الأوقاف ممثلة فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية للاشتراك فى «الانترنت» لغرض مماثل لغرض اشتراك جامعة الأزهر .. وفى حدود معلوماتى أيضا فإن دار الإفتاء المصرية تجيب على العديد من الأسئلة الفقهية عن طريق الانترنت.

ومما لاشك فيه أن تعدد مداخلنا إلى شبكة المعلومات الدولية «الانترنت» واستفادتنا بالامكانات المتاحة للقمر الصناعى المصرى ليسا فقط ضروريين بل هما من الأولويات فى العمل التعليمى والعمل الدعوى الإسلامى خاصة وأن أعداء الإسلام قد سبقونا بمراحل فى احتلال شبكة المعلومات الدولية وبث معلومات خاطئة وكاذبة ومغرضة عن الإسلام والمسلمين .. كما سبقونا فى استخدام القنوات الفضائية فى بث كل ماهو معاد للإسلام وضار بالمسلمين.

غير أنى اخشى ان يتم دخولنا - فرادى - إلى هذا العالم الفسيح المعقد- عالم المعلومات والاتصالات المتقدمة - دون تنسيق يكفل ترشيد الإنفاق وتوحيد الجهود وتكثيف الاستفادة من الموارد المتاحة مما قد يؤدى إلى التعارض أو التكرار اللذين يسيئان ويضران أكثر مما ينفعان ويقدمان خدمة للاسلام والمسلمين.

من هنا أدعو إلى ضرورة وجود مشروع موحد ومتكامل تتحدد فيه أدوار كل مؤسسة من المؤسسات الدينية وتوظيف امكاناتها فى إطار تيار موحد متناسق وإنى أتوجه إلى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الازهر ليأخذ زمام المبادرة ويعقد اجتماعا لرؤساء المؤسسات الدينية لوضع خطة عمل موحدة فى هذا المجال.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾** سورة التوبة ١٠٥.

• ٥ مايو ١٩٩٨

مـرر مـجلس الشـعب قـانون تعديـل القـانون ١٠٣ الـخـاص بتطـويـر الأزهر وأصبح اخـتـصـار سنوات الدراسة فى الثانوية - الأزهرية - من أربع سنوات إلى ثلاث سنوات أمرا محسوما قانونا وفى طريقه - بالتطبيق العملى مع أول العام الدراسى القادم - لأن يكون حقيقة مادية واقعة.. واقـتنع أعـضـاء مـجلس الشـعب بالحكمـة من التـعـديل وبالأسـبـاب التى سـاقـهـا شـيخ الأزهر لاختزال الثانوية الأزهرية.

ورغم مرور القانون فى مجلس الشعب فإنه لقى معارضة قوية بين أعداد من العلماء.. وكان أبرز المعـارضين أعضـاء جبهـة علمـاء الأزهر.. وقد دخل الخـلاف حـول هذا القـانـون مـراحل شائكة من التحقيقات والقضايا التى ماكنا نرغب- ومازلنا لاتريد - أن يصل إليها الحال بين علماء الأزهر الذى يمثل منارة اسلامية كبرى وحصنا من حصون الدعوة ورمزا تاريخيا لدور مصر فى خدمة الاسلام والمسلمين.

ونحن لانلتفت إلى ماسبق أن اثير من جدل بالحق أو بالباطل من أى طرف من الأطراف.. ولانريد من هذا الحديث أن نتكأ جرحا نريد له أن يندمل.. وقد عبرنا عن موقفنا الذى يتمثل فى نقطتين أساسيتين هما: أن تكون ثمة مبادرة للم الشمل وتنظيف الجرح واعادة روح الأبوة والأخوة فى العلم بين العلماء.. وأن تتم المحافظة على عدد ساعات المواد الشرعية وكذلك المـحـافظة على مـضـمـون المناهج بمـا يضـمن أن يتـخـرج أبناء الأزهر وهم مـزودون بالعلم الدينى الذى يؤهلهم لأداء رسالتهم داخل مصر وخارجها.

وقد تحدث فضيلة الأمام الاكبر شيخ الأزهر مرات عديدة وفى مناسبات مختلفة دفاعا عن القانون.. وكنا ظننا أن الأمر قد انتهى.. غير أننا علمنا أن فضيلته بصدد عقد مؤتمر صحفى اليوم للحديث عن القانون.. ولابد أن أمرا مهما قد حدث واقتضى عقد مثل هذا المؤتمر الصحفى.. وأيا كان هذا الأمر فإننا نأمل أن يخرج متابعو هذا المؤتمر بما يطمئن العلماء والآباء والدارسـين إلى أن التـعليم الأزهرى سـيـسـتـمـر منبـعـا لتـخـريج دعـاة من مـخـتلف التخصصات وأنه لن يتحول - كما يدعى البعض- إلى مجرد فرع لوزارة التربية والتعليم.●

● ١١ أغسطس ١٩٩٨

عندما حملت شبكة المعلومات الدولية - الانترنت - السور المزورة التى تسىء للقرآن الكريم وتطعن فى الاسلام وتعمل على الوقيعة بين المسلمين والمسيحيين ذهب البعض إلى أن مرتكبى هذه الجريمة شخص واحد مريض نفسيا أو مجنون وأنه استغل الموقع الذى استأجره من شبكة أمريكية هى أمريكا أون لاين «أمريكا على الخط» لبث هذا العبث.. وكان رأينا مخالفا لذلك.. وكنا نرى أن وراء هذا العمل الخبيث اللئيم منظمة ماتخطط وتستكتب وتمول وتبث هذه السموم..

وصح ماتوقعناه فقد تبين أن هذا الموقع لم يكن مستأجرا لشخص وإنما لمنظمة.. وحسب ما أعلنه بعض المسئولين فإنه تم رصد مئات المواقع التى تبث مواد اعلامية تزيف الدين الاسلامى الحنيف أو تشوه صورة النبى صلى الله عليه وسلم أو تسىء إلى المسلمين.

وإذا كان هذا هو ماتم رصده فمن المؤكد ان هناك الآلاف من المواقع تبث هذه السموم ولايتم رصدها.. وهذا بالطبع فضلا عما يتم نشره فى ألوف الصحف والمجلات والكتب والنشرات الدورية وغير الدورية وفى مئات الإذاعات والقنوات التليفزيونية الأرضية والفضائية..

وفى كل مرة يتم اكتشاف حالة صارخة من حالات الهجوم على الاسلام والاساءة للمسلمين تتحرك بعض الهيئات والمؤسسات والأجهزة للرد أو التوضيح أو الاتصال بالجهة المرتكبة للجريمة بهدف المنع أو التصحيح .. ولكننا - للأسف- لم نصل بعد الى حالة الفعل المبادر الذى يقدم الصورة الصحيحة بالكلمة الطيبة والأسلوب العلمى العقلانى الذى يخاطب فئات الجمهور فى مختلف أنحاء العالم باللغات واللهجات والأساليب التى يفهمونها. ولايكفى هنا الإنشاء البلاغى والكلام العاطفى ولكن لابد من صياغة الحقائق والأدلة والبراهين صياغة عقلية علمية وفقا لما أرشدنا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وقد كشفت قصة السور المزورة التى تم بثها عبر الانترنت عن قصور - وتقصير - فى تعامل مؤسساتنا الدينية والثقافية والإعلامية مع الانترنت بمفهوم العقل .. و .. وأخيرا تقرر تشكيل لجنة مشتركة من المؤسسات الدينية للتعامل مع الانترنت وتقديم صورة الإسلام عليها تقديما صحيحا.. فهل تتدارك اللجنة ماوقع من قصور؟ وهل تشمر عن ساعد الجد وتجند طاقات العلماء فى مختلف المجالات لتقدم الاسلام كما ينبغى وترد أباطيل الأعداء؟ نرجو.

●●●

مسك الختام

يقول الله تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** سورة الحجر آية ٩[•]

• ١٨ أغسطس ١٩٩٨

كانت حركة المواطنين فى بناء المعاهد الأزهرية بمراحلها المختلفة أسرع وأكثر فاعلية من خطوات الدولة.. وبلغ عدد المعاهد التى تم انشاؤها بالجهود الذاتية عشرات امثال المعاهد التى بنيت بأموال الدولة.. وبذلك ساهم المواطنون فى دعم هذا النوع من التعليم وخففوا العبء الملقى على كاهل الدولة وأتاحوا لها الفرصة لبناء الآلاف من المدارس. وظهرت اثار هذه الجهود بصفة خاصة بعد زلزال عام ١٩٩٢. فبينما توافرت الاعتمادات لترميم المدارس المنهارة فى الزلزال واقامة المئات بل الآلاف من المدارس الجديدة فإن ماحصلت عليه المعاهد الأزهرية لايكاد يذكر بمقاييس الأرقام الفلكية التى تتكلفها المبانى هذه الأيام.. بل إنه على حسب مايقول بعض المسئولين فى المناطق الأزهرية فإن بعض المعاهد التى أضيرت فى الزلزال لم يتم ترميمها بعد .. ولم تتوقف جهود المواطنين عند حد بناء المعاهد بل أصبحت ايضا تبنى الكليات وتسلمها لجامعة الأزهر.

وواجب الدولة أن تشجع هذه الجهود وأن تبارك جهود البناء هذه التى تمثل اضافات قوية وفعالة.. وهذا لايكلف الدولة كثيرا وحتى إذا كلفها عدة ملايين فإنه يوفر عليها أضعاف ماتنفقه.

إن هناك المئات من المعاهد التى أقيمت بالجهود الذاتية التى تحتاج إلى الضم للأزهر مادامت تتوافر فيها الشروط الهندسية والمادية والبشرية.. وابقاؤها خارج اشراف الأزهر واطاره التنظيمى وقواعده يحرم الأزهر والتعليم الأزهرى منها كما يحرم عشرات الآلاف من الطلبة والطالبات من هذا التعليم وكذلك يحرم الوف المدرسين والمدرسات من فرص عمل شريفة وفعالة ونافعة.

ان التعليم الأزهرى بعد قانون التطوير الأخير الذى يختزل الثانوية الأزهرية إلى ثلاث سنوات أصبح يقترب كثيرا من التعليم العام.. وليس هناك أى مبرر لعدم ضم هذه المئات من المعاهد ولا لعدم تعيين الأعداد المطلوبة من المدرسين.. ولذلك فنحن نطالب بتوفير الاعتمادات اللازمة للحفاظ على التعليم الأزهرى الذى يستوعب نحو مليون ونصف المليون طالب وطالبة.

●●●

مسك الختام

يقول الله تعالى: **﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وماتنفقوا من خير فلأنفسكم وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله وماتنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون﴾** سورة البقرة آية ٢٧٢*.

● ٨ سبتمبر ١٩٩٨



أعجبنى ماكتبه فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم. رئيس جامعة الأزهر. حول الزى الأزهرى والأسباب الوجيهة التى ساقها للتمسك بهذا الزى وفى مقدمة هذه الأسباب أن هذا الزى ينتسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذى كان يرتدى غطاء للرأس كما أن هذا الزى ارتبط تاريخيا بالأزهر وعلمائه وصار علامة مميزة لهم.. وأنه حفاظا على هيبة واحترام الزى الأزهرى أعد مشروع قانون يمنع غير الأزهريين من ارتداء الزى الأزهرى والإساءة إليه على النحو الذى شاهدناه جميعا فى كأس افريقيا لكرة القدم ونشاهده من وقت لآخر فى الشارع المصرى.

ولعلى أضيف إلى ما كتبه الدكتور أحمد عمر هاشم أن احترام وتوقير الزى الأزهرى وأصحابه فى البلاد الاسلامية والبلاد الاخرى - حيث يوجد مسلمون - هو فى الواقع أضعاف مانشاهده فى مصر. ولعلى هنا أروى بعض الوقائع من خلال مشاهداتى الشخصية.

● فى عام ١٩٩٢ سافرت مع الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ووفد كبير ضم نخبة من علماء الأزهر والأوقاف إلى دول آسيا الوسطى وكانت حديثة عهد بالاستقلال عن الاتحاد السوفيتى.. وكان بيننا شيخان معممان هما الشيخ عطية صقر والدكتور محمد سيد أحمد المسير.. وفى كل العواصم التى زرناها لم يكن أحد يستطيع أن يميز الوفد المصرى إلا بهذين الشيخين الجليلين .. وكان المسلمون فى مختلف الدول يتسابقون للترحيب بهما على نحو خاص ويتبركون بهما ويستفتيانهما ويعرضان عليهما أى خدمات يمكن أن يقدموها لهما.

● فى عام ١٩٩٤ زرت إندونيسيا لحضور مؤتمر عن الإعجاز العلمى للقرآن الكريم.. ومن بين عشرات العلماء الذين شاركوا من مختلف أنحاء العالم كان هناك موفد وحيد من الأزهر هو الدكتور محمد أبوليلة الذى اختار أن يذهب بالزى الأزهرى .. وكان هذا وحده كفيلا بتقديمه على الكثير من الأعضاء الآخرين ومنهم من يحتلون مناصب كبرى فى بلادهم.

● فى العام الماضى أقامت جامعة ولاية قدح فى ماليزيا حفلا كبيرا دعت إليه الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والدكتور عبد العزيز عزام عميد كلية الشريعة والقانون بدمنهور ولما كان الحفل مقاما تحت رعاية السلطان وبحضوره فقد كان الرجاء الوحيد من رئيس الجامعة الماليزية هو أن يذهب رئيس جامعة الأزهر ومرافقة لحضور المناسبة الجليلة وهما يرتديان الزى الأزهرى.. وقد كان.

ولا أريد إن أطيل فى ذكر المزيد من النماذج وهى بلاحصر. ولكنى أود أن أشير هنا إلى إن أقتراح رئيس الجامعة فى مشروعه قاصر.. فلايكفى منع غير الأزهريين من ارتداء الزى الأزهرى وانما الواجب والأساس هو الزام الأزهريين بارتداء الزى الأزهرى.. وليس فى هذا غرابة.. كما انه لاوجه للاحتجاج بأن هذا الزام هو ضد الحرية الشخصية فإن هذه الحرية

الشخصية لم تمنع من أن يكون للعسكريين من الجيش والشرطة لباسهم الخاص الذى يميزهم عن بقية الأفراد بل يميز كل جهاز منهم عن الآخر، كما ان القضاة لهم رداؤهم الخاص وكذلك الحال مع المحامين والأطباء.. والشركات الكبرى والبنوك تختار للعاملين فيها أزياء موحدة وكذلك شركات الطيران. وجميع هذه الجهات تتشدد فى الإلزام بالزى الذى اختارته إلا الأزهر وجامعته اللذين يبدو أنهما طلقا الزى الأزهرى طلاقا بائنا.. ولم يعد ارتداء الزى الأزهرى إلا استثناء.

وفى الوقت الذى نطالب فيه بأن يحتوى مشروع القانون الذى تحدث عنه رئيس الجامعة على النص بالزام الأزهريين بارتداء الزى الأزهرى فإننا نطالب كذلك بأن يقدم رئيس الجامعة وعمداء الكليات الأزهرية الشرعية خطوة عملية ومبادرة بارتداء الزى الأزهرى.. فالجبة والقفطان والعمامة ليست من لزوميات منصب شيخ الازهر فقط ولكنها يجب ان تكون من التقاليد الراسخة لكل من ينتسب إلى الأزهر وجامعته من دارسى ومدرسى العلوم الشرعية وعلى الكبار منهم وفى مقدمتهم رئيس الجامعة والعمداء ومديرو المعاهد الأزهرية أن يقدموا القدوة والمثل.. والنبى الكريم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس بالكلمة والفعل والعمل فى ذات الوقت.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالاتفعلون .. كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون**﴾ سورة الصف الآيتان ٢، ٣*.

● ٧ مارس ٢٠٠٠

حرص الدكتور محمود حمدى زقزوق منذ بداية مهامه فى وزارة الأوقاف على تحقيق عدة أمور..

- أول هذه الأمور الحفاظ على الأوقاف التى فى حوزة الوزارة..
- وثانى هذه الأمور السعى لاسترداد الأوقاف. من أراض وعقارات. انتقلت لحوزة وزارات أخرى دون مقابل أو بمقابل محدود لايناسب القيمة الحقيقية لها..
- وثالث هذه الأمور العمل على حسن استثمار ماتحت يد هيئة الأوقاف من أراض وعقارات.
- ورابع هذه الأمور العمل على ترشيد انفاق ريع الأوقاف وجعله - قدر الامكان - فى حدود شروط الواقفين فإن لم يكن ففى خدمة الدعوة الاسلامية..

غير أن الدكتور زقزوق - شأن وزراء الأوقاف السابقين على اختلاف اجتهاداتهم. كان محكوما بالقوانين التى صدرت فى فترات متفاوتة ونقلت الأوقاف إلى حوزة وزارة الأوقاف ممثلة فى هيئة الأوقاف .. كما أن العمل فى مجال الاوقاف كان محكوما بتراث بيروقراطى يقلل من عائداتها.

وفى الندوة التى شهدتها فى بورسعيد الأيام الماضية ونظمتها جامعة قناة السويس فرع بور سعيد بالتعاون مع رابطة الجامعات الاسلامية واجهت القضية من كافة جوانبها.. وقد أشار المتحدثون إلى أن حيازة الدولة للأوقاف والغاء الوقف الاهلى وسيطرة البيروقراطية على الجهاز العامل فى هذا المجال كلها أدت إلى تناقص عائد الأوقاف وإلى عزوف الناس عن هذا المصرف الإسلامى الحيوى ولجأوا إلى قنوات أخرى للبر..

وأجمع المتحدثون ومن بينهم ثلاثة من أعلام الشريعة والقانون فى مصر.. المستشار عبد الحليم الجندى والمستشار محمد بدر المنياوى والمستشار الدكتور محمد عوض المر على أننا بحاجة إلى نظرة تشريعية جديدة تطلق إرادة القادرين فى وقف جزء من ثرواتهم لأوجه الخير والتنمية.. كما أننا بحاجة إلى توعية مستمرة للناس حتى يتفهم القادرون الجدد أهمية الوقف.

إن الدولة تتجه إلى الخصخصة فى كافة المجالات الاقتصادية وتعمل على إطلاق المبادرة الفردية فيها.. أفلا تطلق ارادة الناس فى فعل الخير..

لقد تقبل الدكتور محمود حمدى زقزوق بقبول حسن فكرة تعديل اسم وزارة الاوقاف ليكون معبرا عن نشاطها الدعوى فى الداخل والخارج.. وإننى أتمنى أن يأخذ بزمام المبادرة ويعمل على تحرير ارادة الواقفين بحيث يكون دور الوزارة - إن كان حتميا أن يكون لها دور - اشرافيا وليس إداريا أو تجاريا.

●●●

مسك الختام

عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر ربه مثل الحى والميت». رواه البخارى●

● ١٢ مايو ١٩٩٨

الدعوة والدعاة - ٢

أحسن الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف صنعا بسرعة استجابته لاقتراح الزميل الدكتور محيى الدين عبد الحليم مستشاره الاعلامى بتنظيم حلقة نقاشية تدور حول ما يطلبه الاعلاميون من الدعاة وما يطلبه الدعاة من الاعلاميين. فمثل هذا اللقاء مطلوب بشدة لعدة أسباب:

●● السبب الأول أن الإعلاميين والدعاة فى قارب واحد هو قارب التثقيف والتوجيه والنصح والإرشاد للمجتمعات الاسلامية كى تنهض وتواجه تحديات الحاضر والمستقبل.

●● أن الجميع. إعلاميين ودعاة. يستقون مادتهم من المنابع الأصيلة ذاتها. القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وصحيح ما أجمعت عليه الأمة.

●● إن ثمة نواحى للقصور والتقصير فى كلا الجانبين بحاجة إلى مداركة وإصلاح. والسبيل الصحيح لهذه المداركة وهذا الإصلاح هو الحوار والمصارحة بين الفريقين اللذين يشكلان فى الواقع فريقا واحدا.

●● إن التحديات المفروضة على الأمة الاسلامية تحديات حضارية. والجانب الفكرى فيها هو الأظهر والأقوى أثرا.. وكل محاولات الاختراق تتوجه إلى عقل الأمة ولا سبيل لمواجهة ذلك إلا بتضافر كل القوى القادرة والمؤسسات المؤهلة لهذه المواجهة والتى تشمل مؤسسات التعليم والاعلام والدعوة والثقافة وكل الأجهزة الأخرى المناظرة.

ومن الطبيعى أن تحدث خلافات فى الرأى وتباينات فى الاجتهادات.. وأرى أنه من الطبيعى أيضاً أن ترتفع درجة حرارة الحوار والمناقشات.. وذلك صحى طالما أنه يتم فى اطار الالتزام بالتعددية التى هى أصل فى الإسلام. وفى إطار حق الاختلاف وهو حق كفله القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة..

وفى رأيى فإن اللقاء على درجة كبيرة من الأهمية. وأهم من التوصيات التى صدرت عنه أن تجد هذه التوصيات طريقها للتنفيذ سواء من الإعلاميين أو الدعاة.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾**. صدق الله العظيم سورة النحل آية ١٢٥●

● ١٩ مايو ١٩٩٨

الحديث كما يقولون ذو شجون.. ولأن أطراف الحديث كانوا نخبة من الاعلاميين المعنيين بهموم الأمتين العربية والاسلامية فقد تطرق إلى موضوعات شتى: الدعوة والدعاة.. الاعلام والاعلاميون.. الاعلام والثقافة.. التيارات الاسلامية بين الجمود والتجديد.. العلمانيون والعلمانية.. الدين والسياسة.. وكل موضوع من هذه الموضوعات يستحق وحده أن يكون عنوانا لسلسة من الكتب أو الندوات أو المقالات أو البرامج الاذاعية والتليفزيونية.. ومن المؤكد أن مناقشة أى موضوع منها سوف تستدعى مباشرة أو بطريق غير مباشر بقية الموضوعات..

والملاحظات التى خرجت بها من هذا المناقشات يمكن أن تشغل هذا الحيز من عقيدتى لفترة غير محدودة.. ولكن الملاحظة الكبرى والجوهرية هى أن الاسلام دائماً هو فى قلب هذه المناقشات وفى صلب هذه الموضوعات.. لأننا فى مجتمعات إسلامية يشكل الدين لا جزءا من فكرها وثقافتها وحضارتها فحسب بل جزءا من نسيجها الحى.. وهو موجود فى كل ناحية وكل مظهر من مظاهر حياتها بعيدا عن الخلافات النظرية أو السياسية أو الشعارات المؤيدة أو المعارضة من مثل: الاسلام هو الحل أو: لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين.. وهذا وحده دليل على أن الاسلام دين حى وفاعل ومؤثر ومن ثم فهو ليس فقط مستمرا ولكنه حسب كل الشهادات والارقام يكسب مزيدا من الأرض خصوصا فى الغرب الذى حجر الدين وألغى فكرة الإله وبنى حضارة مادية تقوم على العقل والمادة فقط.. وهذا الانتشار السريع والمستمر يأتى من ذاتية الاسلام وقدرته على تلبية احتياجات الانسان المادية والروحية وحل مشكلات المجتمعات المختلفة رغم أن التيارات الاسلامية وتجارب الحكم المختلفة لم تنجح حتى الآن فى تقديم النموذج الذى يمكن القول بأنه يمثل الاسلام تمثيلاً كاملاً..

على أية حال... يطول الحديث فى هذا المجال بلا نهاية ما أسلفنا ولكن ملاحظة هامشية استوقفت نظرى وهى أن بعض مهاجمى الاسلام لا يهاجمون الاسلام من منطلقات عقائدية أو فكرية ولكن من باب التكسب والتربح.. وأن بعض المتحدثين باسم الاسلام لا ينطلقون من اتجاهات وأهداف دعوية ولكن أيضا من منطلقات التكسب والتربح.. فالفريقان اختلفا فى الهدف واتفقا فى الأسلوب والنتيجة.. الفريقان احترفا حول الاسلام وكسب المال والشهرة والوجاهة الاجتماعية.. ولكن المؤكد أنهم فى النهاية هم الأخسرون.. وهذا هو وعد الله الذى لا يخلف الميعاد.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿قل لمن ما فى السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾** سورة الأنعام آية ١٢.

فى لقاءات عديدة عامة وخاصة عقدت فى السنوات الأخيرة كان الحديث دائما يدور عن قصد أو يتداعى الحوار حول الدعوة والدعاة.. وحول العلاقة بين الدعوة والإعلام..

وفى جميع اللقاءات دون استثناء كان الاجماع ينعقد على عدة أمور حيوية:

الأول: أن الدعوة هى عصب حيوى فى الإسلام. وهى وسيلة نشر الإسلام بين غير المسلمين ووسيلة التعريف بمبادئه وأحكامه الأصلية والفرعية بين المسلمين.

الثانى: أن الاهتمام بالدعاة على كل المستويات وبكل السبل هو استثمار من الدرجة الأولى وليس إنفاقا ترفيا أو نوعا من الكفالة الاجتماعية لأن معرفة الدين وشيوع روح التسامح والتطبيق الصحيح لمبادىء الدين وأحكامه هى صمامات الأمان للمجتمع المسلم.

الثالث: أن الأئمة والدعاة هم على وجه العموم من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.. ويكفيهم شرفا أنهم يخاطبون الناس من على المنبر تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرابع: أن ثمة مشكلات عديدة تواجه الأئمة والدعاة.. منها ما تم حله ومنها ما ينتظر حلولا أكثر جدوى حتى تتوافر للأئمة والدعاة والوعاظ ظروف حياة أفضل وظروف عمل أيسر.. وهم يستحقون ذلك عن جدارة وليس أحد منهم أقل من نظيره فى اى موقع عمل آخر.

الخامس: أن لنا وللجميع ملاحظات على كثير من الأئمة والدعاة سواء فيما يتعلق أحيانا بالمظهر أو السلوك أو ما يتعلق بالمستوى العلمى أو اللغوى أو طريقة الأداء.. وثمة الكثير مما يجب أن يقدم فى هذا المجال سواء من جانب الأئمة والدعاة انفسهم أو من جانب وزارة الأوقاف والازهر وجامعته أو من جانب المنظمات الأهلية العاملة فى حقل الدعوة مثل الجمعيات الشرعية أو جمعية أنصار السنة المحمدية وغيرها.. ولكن هذه الملاحظات لا تنال من أشخاص هؤلاء الأئمة والدعاة ولا من مكانتهم ولا دورهم.. ولا تقلل من شأن الجهود التى تبذل لتحسين أحوالهم. لكننا نتطلع للمزيد لأننا نريد أن يكون المسجد عامل جذب ومركز إشعاع بفضل الأئمة والدعاة.

السادس: أن العلاقة وثيقة بين الدعوة والإعلام. وأنه إذا كان الرسول الداعية صلى الله عيله وسلم قد استخدم كل وسائل الإعلام المعروفة فى عصره فإن الداعية العصرى يجب أن يكون عارفا بل مسيطرا على أدوات الاتصال الحديثة ولا يتأتى هذا إلا بالدراسة والتعليم والتثقيف الذاتى.

•••

من هنا فإننا نرفض أى إساءة للأئمة والدعاة والوعاظ مهما كان تبرير هذه الإساءة حتى ولو كانت الرغبة فى الصالح العام فإن نبل الغاية لا يبرر سوء الوسيلة أو رداءة الأداة.. ولعل ما أبداه الدكتور إمام عبد الفتاح رئيس قسم الفلسفة بجامعة الكويت من بعض الملاحظات السلبية نحو الدعاة والأئمة هو نموذج للإساءة غير المناسبة حتى وإن جاءت بطريق الخطأ

وبغير قصد فلابد أن نحفظ للدعاة والأئمة مكانتهم ونحرص على احترامهم مهما كانت ملاحظاتنا على بعض أخطاء الأداء.

●●●

من هنا أيضا واستشعارا لأهمية وحيوية وعظم الدور الذى يقوم به الأئمة والدعاة.. واستمراراً للدور التنويرى الذى التزمت به عقيدتى منذ صدورها والذى أدته بتعاون وثيق مع علماء الأزهر وأئمة ودعاة الأوقاف.. ورغبة فى أن يكون الأئمة والدعاة وخاصة الشباب منهم على صلة قوية بكل العلوم قررت عقدتى أن تخصص اعتبارا من اليوم صفحتين للأئمة والدعاة.. وهدفنا ليس مجرد توصيل رسالة من خلال هاتين الصفحتين بل إن أهدافنا تتجاوز ذلك.. فنحن نريد أن تكون هاتان الصفحتان صوتا للدعوة والدعاة وسبيلا للوصول إلى الداعية العصرية الذى يمسك بين يديه بزمام علوم الدين وعلوم العصر.

والله من وراء القصد.. وهو سبحانه الهادى إلى سواء السبيل●.

● ١٧ أغسطس ١٩٩٩

الدعوة والدعاة ٥

قالت الضفدع قولاً

حار فيه الحكماء

فى فمى ماء وهل ينـ

ـطق من فى فيه ماء

تذكرت بيتى الشعر هذين وأنا أتابع الواقع الأسيف الذى يعيش فيه الفكر الإسلامى والجهود الهزيلة التى تخدم بها القضايا الاسلامية سواء أكان ذلك على المستوى الرسمى أم الأهلى وسواء أكان فى مجالات السياسة أم الاقتصاد أم الاجتماع أم الثقافة. ففى مقابل الجهود المنسقة والمنظمة والرؤى الاستراتيجية والخطط والسياسات التى تتميز بالكفاءة والتى تدار بها المعارك وتنفذ بها الأنشطة المعادية أو المناهضة أو المنافية للإسلام نجد أن الجهود المقابلة من الجانب الاسلامى جهود متفرقة تفتقر إلى الرؤية المستقبلية والتخطيط الاستراتيجى والتنسيق الضرورى.. بل نجد تشرذماً واحتراباً بين القوى الإسلامية سواء داخل الوطن الواحد أو على مستوى الأمة الإسلامية.. والنتيجة هى كسب مواقع من جانب الآخرين فى مقابل مزيد من الضعف والتشرذم للعمل الإسلامى.

ويحضرنى مثال بسيط وواضح على المستوى الفكرى والثقافى.. فمنذ عامين برزت دعوة للاحتفال بمرور مائتى عام على الحملة الفرنسية لمصر باعتبارها بداية التنوير فى مصر والمنطقة العربية.. وتجاهل أصحاب هذا المشروع أن الحملة الفرنسية لم تكن سوى غزوة استعمارية وحلقة فى سلسلة المحاولات الفرنسية للسيطرة على مساحات أكبر تضمها فرنسا لامبراطوريتها كما كانت حلقة فى سلسلة الصراع والتنافس بين فرنسا وانجلترا للسيطرة على العالم.. وبينما هاجت الدنيا ضد المشروع من منطلق وطنى فإن علماء الأزهر ظلوا صامتين ولم يتذكر أحد منهم أن سنابك خيل نابليون بونابرت لوثت حرم المسجد الأزهر وأن هذا الصرح الاسلامى التاريخى الكبير كان منطلق الدعوة للجهاد ضد الاحتلال الفرنسى.

مثال آخر.. منذ أسابيع عقد فى القاهرة مؤتمر ضخم نظمه المجلس الأعلى للثقافة تحت عنوان «مائة عام على تحرير المرأة» وتحول المؤتمر بفعل عدد من الشخصيات النسائية الشائهة التى شاركت فيه إلى منتدى للهجوم على الإسلام وأحكامه: الطلاق.. تعدد الزوجات.. العدة.. القوامة.. الميراث.. حجاب المرأة.. وغيرها من القضايا التى نزل فى بعضها نصوص قطعية من آيات القرآن الكريم أو وردت فيها أحاديث صحيحة للنبى صلى الله عليه وسلم وأفاض فيها علماء المسلمين على مدى العصور بالتفسير والشرح والتحليل.. وبينما هوجم المؤتمر من العديد من وسائل الإعلام وبعض المنظمات الأهلية لأن المؤتمر خرج عن أهدافه وتحول إلى «رصيف» للشتم وطرح الإفرازات المريضة لم نسمع صوتاً يحتج على تهميش

وتجاهل المؤسسات الثقافية والفكرية الإسلامية وإقصائها المتعمد من المشاركة فى المؤتمر.. وكان فشل المؤتمر فى الوصول إلى توصيات أو بيان لا بفعل الاحتجاج المنظم ولكن بسبب الخلافات بين التيارات المتصارعة داخل المؤتمر فكأن الله سبحانه وتعالى جعل كيدهم فى نحورهم.

ومثال أخير هو الاحتفال بالألفية الثالثة الذى تستقبل به مصر الألف الميلادى الثالث.. فى التخطيط للاحتفال الذى سيكلف عشرات الملايين من الجنيهات والذى ليس ثمة ما يضمن تغطية نفقاته لم تراع طبيعة مصر كبلد إسلامى ولا كون الاحتفال سيأتى خلال شهررمضان المبارك.. وكان السلاح الذى أشهر فى وجوه معارضى الاحتفال أن احتجاجهم هو تغذية للفتنة وإثارة للتطرف، فأصبح مطلوباً التزام الصمت ورفع الأقلام وطى الصحف.

وبالمقابل.. منذ بداية العام الماضى ونحن ندعو للاحتفال بمرور ١٤ قرناً على دخول الإسلام مصر ودخول مصر فى الإسلام.. وهو حدث عزت به مصر وقوى به الإسلام.. وكان دخول الإسلام مصر بداية لانتشاره فى وسط أفريقيا وشمالها حتى عبر المسلمون جبل طارق واقاموا دولة كبرى فى أسبانيا.. وطرحنا الفكرة عبر عقيدتى.. واستطلعنا بشأنها أراء علماء المسلمين فتحمسوا لها وعرضناها على عدد من رجال الدين المسيحى فرحبوا بها.. وعرضناها على بعض من توسمنا أن يتحمسوا لهذا ويأخذوا بزمام المبادرة ويتبنوا تنظيم عدة فعاليات تنتهى بمؤتمر علمى كبير يبرز حضارة الإسلام وخصوصية مصر ويعظم من شأن الوحدة الوطنية ومعانى التعددية فى إطار الوحدة وتحت مظلة الإسلام.. ولكن الأمر ظل فى حدود الحماس اللفظى ولم يترجم إلى فعل مؤثر.. ولم نر شكلاً من أشكال هذا الاحتفال إلا على استحياء من خلال احتفال بسيط تشكر عليه محافظة شمال سيناء وندوة نظمتها هيئة قصور الثقافة.. وكنا نتوقع أن نرى مؤتمراً ضخماً حاشداً فى الأزهر وأن تتاح الفرصة للمشاركة فيه أمام باحثين مسلمين وأقباط بل وأن تكون الفرصة متاحة لمشاركات دولية.. ولكن ذلك لم يحدث على مدى ما يقرب من عامين.. وأخيراً فقط قررت جامعة الأزهر تنظيم ندوة حول الموضوع ما زالت فى مرحلة الدراسة.. كما أن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بدأ الاهتمام بالموضوع من خلال لجانه.. وهذا اهتمام متأخر سواء من جانب الجامعة أو المجلس.. ولكن.. ما لا يدرك كله لا يترك جله.. والمهم أن تؤتى هذه الجهود ثمرتها فى الوقت المناسب حتى لا نكون مثل فريق الكرة الذى يبدأ التسخين بعد انتهاء المباراة.

●●●

مسك الختام

قال تعالى: **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾**. سورة سورة الصف آية ٨*

● ٧ ديسمبر ١٩٩٩

تعرضت الدعوة والدعاة من كل التخصصات وعلى كل المستويات وفى ه ختلف المواقع لحملة مسعورة خلال الأسابيع القليلة الماضية.. ولم يتح للمسئولين الأساسيين المعنيين بالدعوة والقائمين عليها وأعنى بهم المسئولين فى وزارة الأوقاف الرد أو المشاركة فى مناقشة القضية.. تلك المناقشة التى تحولت من دعم الدعوة وتقويم الدعاة إلى تسطيح القضية ومطاردة الدعاة وتعقبهم مما أثار استياء الدعاة الحقيقيين بل والجمهور الراغب رغبة صادقة فى معرفة أمور دينه والاستماع الى مختلف الاتجاهات والتعرف على كل الثقافات.

وفى هذا السياق المغرض صدرت غمزات وتلميحات وإشارات وإسقاطات حول دور بعض الصحف القومية.. وفهم بعض المعنيين بالدعوة وبعض الزملاء المقصود من هذه الإشارات.. وتساءلوا: لماذا لم نرد طوال الفترة الماضية.. وكان جوابى على التساؤل بسيطا.. واوجزه فى النقاط التالية:

أولا: إننا تعودنا فى عقيدتى أن نلتزم الموضوعية فى معالجتنا الصحفية وألا نهتم بالمهاترات.. واذا كانت التقارير التى يعدها المجلس الأعلى للصحافة هى المعيار الموضوعى المنصف للأداء الصحفى فإن هذه التقارير قد وضعت عقيدتى لشهور متتابعة على قمة الالتزام بآداب المهنة وميثاق الشرف الصحفى.. ونحن لا نريد أن نتخلى عن هذه القمة.. فضلا عن أننا نقول كلمتنا خالصة لوجه الله وهذا أهم من أى شىء آخر.

ثانيا: ان الذين همزوا ولمزوا كانوا من الجبن بحيث لم يجرؤ أحد منهم على الاشارة الينا صراحة.. والهمز واللمز هو أسلوب الدساسين والجبناء. وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك وتوعد الهمازين اللمازين فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم.. قال عز وجل: «ويل لكل همزة لمزة..» الى آخر السورة.

ثالثا: أن كل ما قيل هو محاولة استعداء لأجهزة الدولة.. وهذه الأجهزة أكثر وعيا منهم وأكثر خبرة ودراية.. وما نكتبه واضح وضوح الشمس ولا يحتمل التباسا.

رابعا: ان المتحاملين علينا إما اعلاميون فشلوا فى كسب قضية بالحق. لأنه ليست لهم قضية أصلا. فلجأوا إلى الكذب والتدليس والتشكيك والإرهاب الفكرى.. وإما مسئولون لا يرون للإعلام وظيفة سوى الترويج لأكاذيبهم والتسبيح بحمدهم والإشادة بأمجادهم الزائفة وانتصاراتهم وأدوارهم الوهمية.. ولا يطيقون كلمة نقد حتى وان كانت معززة بالوثائق أو بالوقائع وكانت خالصة لوجه الله.

خامسا: ان مثل هذه الحملات التى تستهدف زيادة التوزيع ولو كان ذلك على حساب الحقائق بل وعلى حساب الدين مسألة تكررت كثيرا وفشلت فى كل مرة.. ولكن الأغبياء لا يتعلمون الدروس ولا يستخلصون العبر من تجارب الآخرين وحتى من تجاربهم هم أنفسهم.

سادسا: اننا فى الحقيقة نأسف من أجل هؤلاء وأولئك.. نأسف لإعلاميين لا يجدون

لترويج بضاعتهم الفاسدة سوى الافتئات على الدعاة ومطاردتهم على المنابر . حتى لو كانت منابر المساجد التابعة لوزارة الأوقاف . وسوى ارهاب أصحاب الرأى المخالف.. وهو بذلك يقعون فى تناقض فاضح يكشف زيف ادعاءاتهم.. ففى الوقت الذى يفتحون فيه صفحات مطبوعاتهم على مصاريعها للمتهجمين على الدين وثوابته يطلقون اسهم الاتهامات المسمومة ضد كل من يقول كلمة حق.. ولا مانع لديهم من الكذب والادعاء واجتزاء الحقائق وتحويلها من سياقها الصحيح وتوظيفها لتحقيق اغراضهم الدنيئة.

ونأسف من أجل علماء استهوتهم شهوة المناصب والبريق الإعلامى فتوهموا أن المناصب دائمة . ولو دامت لغيرهم ما وصلت إليهم . وأن البريق الاعلامى قادر على الهاء الناس عن الحقائق التى يلمسونها بأيديهم ويرونها بأعينهم.

وفى هؤلاء وأولئك نفوض أمرنا إلى الله الذى عليه نتوكل وبه نستعين.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا﴾** سورة الكهف الآيتان ١٠٣ . ١٠٤

● ٥ فبراير ٢٠٠٠

شهد الأسبوع الماضى جلسات المؤتمر السنوى الثانى عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وهو المؤتمر الذى يضم قيادات وممثلين للمسلمين من مختلف أنحاء العالم.. وتتضمن الجلسة الافتتاحية له كلمة من الرئيس حسنى مبارك يتحدث فيها عن قضايا الأمة الإسلامية والتحديات التى تواجهها ورؤيته لحل هذه القضايا ومواجهة هذه التحديات.. ويختتم المؤتمر فى العادة بالاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف حيث يلتقى رئيس الجمهورية مع العلماء ويكرم عددا من رجال الدعوة وأوائل حفظة القرآن الكريم.

والمؤتمر بكل أعماله هو سنة حميدة وتعبير عن دور مصر ومكانتها عند المسلمين وتاكيد للدور الذى يجب أن تقوم به مؤسساتها الدينية منفردة ومجتمعة فى خدمة الإسلام ونصرة المسلمين.. وحتى وإن بدا أن المؤتمر يأخذ أحيانا شكل المظاهرة السياسية وأن بعض ما يصدر عنه من توصيات إنما يصدر من منطلقات عاطفية حماسية تفتقر إلى آلية التنفيذ فإن هذا لا يقلل من شأن تجمع هذا الحشد من علماء وفقهاء المسلمين البارزين وتعارفهم وتبادلهم الآراء والخبرات والمشكلات وإتاحة الفرصة لسد احتياجات المسلمين فى هذا البلد أو ذاك من الكتب والمراجع والعلماء والمساعدات المادية فى حدود الإمكان.. وأقل ما يسجل لمثل هذا المؤتمر إننا نستطيع أن نذكره فى مقابل عشرات المؤتمرات والملتقيات المخصصة للتمثيل والغناء والرقص واختيار ملكات الجمال إلى آخر قائمة المؤتمرات التى يحاول أصحابها أن يقدموها على أنها التعبير الحقيقى عن وجه مصر (الإسلامية) وأن ما يصنعونه ويقدمونه هو الذى يشكل وجدان الشعب المصرى!!! أقل ما يسجل لمؤتمر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية هو انه يعدل الكفة قليلا ويقدم بحق وجه مصر الإسلامى.

وقد كان موضوع المؤتمر هذا العام عن توطين التكنولوجيا فى البلاد الاسلامية.. وهى قضية فى غاية الأهمية والخطورة لمستقبل الأمة الإسلامية.. وتطرح بشأنها عشرات الأسئلة الكبرى والقضايا الحيوية التى وإن أمكن تصور أطر عامة لها على مستوى الأمة الإسلامية فإن من المستحيل إيجاد إجابات تفصيلية لها لاختلاف طبيعة كل بلد ودرجة نموه ومستوى تقدمه السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى عن البلدان الأخرى البعيدة أو حتى المجاورة.. وفى مثل هذه القضية من الصعب الوصول إلى قرارات قابلة للتنفيذ إلا من خلال القنوات الشرعية التى تتجاوز قدرات المؤتمر والجهة المنظمة له والمشاركين فيه.. من هنا كان الانتباه منذ الجلسة الافتتاحية إلى ضرورة تحقيق أمرين: أولهما الاتفاق على توصيات قابلة للتنفيذ.. وثانيهما ايجاد آلية لمتابعة تنفيذ التوصيات من خلال ابلاغها للجهات المعنية.

ومع التأكيد على الجهد المخلص الذى بذل لإنجاح المؤتمر فإن ثمة ملاحظات من المهم جدا ان ياخذها منظمو المؤتمر وعلى رأسهم الوزير المستنير الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف برحابة صدر وهى:

●● إن هذا المؤتمر هو الثانى عشر أى أننا نعقده ولدينا خبرة أحد عشر عاما سابقة.. ومن العيب أن تتكرر الأخطاء التنظيمية التى وقعت فى المؤتمرات السابقة مما يشير إلى أننا لا نتعلم من أخطائنا.

●● إن هناك تكرارا مملا فى الكثير من الشخصيات التى حضرت المؤتمر والتى لم يعد لديها جديد.. كما أن كثيرا من حضور المؤتمر من مصر كانوا فى الواقع أعباء على المؤتمر.. ولم يكن لهم تأثير إلا فى خلق نوع من الزحام المزعج فى الاستراحات وقاعات الطعام.. والمفروض ألا يدعى للمؤتمر إلا من لهم إسهام علمى بالبحث أو المناقشات والمداخلات أو دور تنظيمى.

●● إن هناك تراجعا واضحا فى دور المرأة فى مثل هذه المؤتمرات بل شهد هذا المؤتمر إقصاء كاملا للمرأة فمن بين عشرات الأبحاث التى قدمت ليس هناك بحث واحد لأى عالمة مسلمة.. وهذا غبن ظاهر وغير مبرر.. ففى جامعات مصر وحدها ومراكزها البحثية المتخصصة آلاف من الأستاذات كن قادرات على اثراء البحث والمناقشة.. وإلا فما جدوى هذه الجامعات والمراكز البحثية؟؟ وبالمقابل كانت هناك أبحاث صلتها بموضوع المؤتمر صلة هشة مما يوحى بشىء من المجاملة فى اختيار الباحثين وتقرير موضوعاتهم.. فمادام الموضوع الأساسى المطروح هو توطين التكنولوجيا فقد كنا نود أن نشاهد بعض أستاذات الطبيعة والكيمياء والهندسة والصيدلة والطب والمحاسبات الآلية والجيولوجيا والفضاءمن جامعة الأزهر وغيرها من الجامعات المصرية.. بل إن هناك عالمات مسلمات نابهات فى بلاد كثيرة وكان هذا المؤتمر فرصة لإبراز دور المرأة المسلمة فى هذا الجانب الحيوى: جانب العلم والتكنولوجيا. ألسنا بهذا الإقصاء للمرأة نعطى حجة لمن يدعون أن الإسلام لا ينصف المرأة؟

●● أمر آخر أهمله منظمو المؤتمر هذا العام وهو أنه سبق أن شهدت بعض مؤتمرات المجلس حلقات نقاشية حول قضايا ذات ارتباط بموضوعات المؤتمرات.. وكانت لها آثار ايجابية خاصة من النواحى الإعلامية.. فما سر هذا التراجع؟؟

مرة أخرى.. هذه الملاحظات لا تقلل من قيمة مثل هذا المؤتمر.. ولكن الهدف منها هو أن تكون حركتنا دائما إلى الأمام وإلى أعلى.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾** صدق الله العظيم سورة التوبة آية ٧١●.

● **٢٠ يونية ٢٠٠٠**

الشعراوى.. إمام الدعاة ـ١

كان بمقدور فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الداعية الإسلامى الكبير أن يوقع شيكا بقيمة تبرعه للازهر ويرسله بالبريد أو مع مراسل إلى مكتب شيخ الازهر.. ولو فعل ذلك لما لامه احد.. وكان بوسعه ان يتصل بشيخ الأزهر ليوفد له مندوبا لاستلام الشيك منه فى منزله.. ولو فعل ذلك لما عتب عليه أحد.. وكان يمكن أن يرسل من يودع قيمة التبرع فى حساب الازهر بأحد البنوك.. ولو فعل ذلك لما لاحظ أحد..

لكن الشيخ الداعية لم يفعل شيئا من ذلك.. وإنما تحامل على نفسه وغالب ظروفه الصحية الصعبة التى تستدعى رعاية ومتابعة طبية دائمة وذهب إلى مشيخة الأزهر والتقى بالإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وجمع كبير من العاملين فى المؤسسة الاسلامية العريقة مؤكدا بذلك قيمة ومكانة هذه المؤسسة التى كانت دائما قلعة من قلاع الدفاع عن الاسلام ومنارة لعلوم الدين ورمزا لدور مصر فى خدمة الإسلام والمسلمين.. ومؤكدا كذلك أن علماء الدين وإن اختلفت اجتهاداتهم وتباينت آراؤهم فى الفروع والتفصيلات فهم. ويجب ان يكونوا. على قلب رجل واحد.. يرفعون لواء الإسلام ويصدعون بكلمة الحق ويعملون على جمع الكلمة وعلى تنقية الفكر الاسلامى مما شابه ويقفون بكل حزم فى وجه محاولات التغريب أو التخريب أو الاختراق تحت دعاوى الحرية والإبداع والتحرير والحداثة التى تعتبر فى معظم الحالات كلمات حق يراد بها باطل.

لقد تابع محررونا زيارة الشيخ الشعراوى لشيخ الأزهر ومشيخة الأزهر لحظة بلحظة.. وكانت الزيارة نموذجا حيا لما نعرفه ونلمسه من الشيخ الشعراوى من تواضع جم وإنكار للذات.. وتابعته الكاميرا وهو يخفض جناحه لشيخ الأزهر والعاملين فى المؤسسة العريقة.. كما تابعته وهو يغادر الازهر وشيخ الأزهر يتأبط ذراعه ورجال الأزهر يحوطونه بكل الحب والإجلال والإكبار الذى يستحقه.

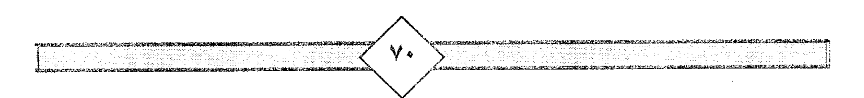
إننا نرجو وقد تابعنا هذه الزيارة أن تكون منطلقا لعلاقات حب ورحم ومودة بين العلماء لا أن نرى معارك الكلمات والتحقيقات الإدارية التى لن نجنى منها سوى الاساءة للرجال والرموز وأخيرا للإسلام..

***

مسك الختام

قال تعالى: ﴿**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾. سورة التوبة آية ١٢٢●

● ١٠ فبراير ١٩٩٨



القارىء لهذا العدد من عقيدتى سوف يشاهد صورتين نادرتين فى حدوثهما وفى التقاطهما.. والصورتان لإمام دعاة هذا العصر المغفور له الشيخ محمد متولى الشعراوى.

الصورة الأولى وهو فى جلسة خشوع وكأنه فى حالة زهد وانصراف عن الدنيا إلى الآخرة.. وقد رأيت الرجل فى مثل هذه الحالة فى سرادق العزاء فى المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق.. فبينما كان الآخرون يتسابقون للخطابة واحتلال صدر المجلس كان الشيخ الشعراوى يجلس فى ركن قصى يغالب مرضه ويغالب برودة الجو ويغالب حزنه على رفيق من رفاق العمل الإسلامى.

والصورة الثانية للشيخ الشعراوى وهو ينحنى توقيرا على يد شيخ الازهر الحالى الدكتور محمد سيد طنطاوى يوم ذهب الشعراوى الى الازهر ليتبرع بمبلغ نصف مليون جنيه للأزهر وطلبته.. وكان يستطيع ان يكتفى بارسال شيك بالمبلغ مع سكرتيره أو بواسطة ابنه الشيخ سامى الشعراوى الذى يشغل منصبا رفيعا ومؤثرا فى الازهر ولكنه آثر ان يذهب بنفسه فى لفتة حافلة بالمعانى الكريمة.

كلتا الصورتين تنبىء عن روح شفافة وعقل مستنير وتواضع جم ووفاء للرجال والقيم والرموز وهى من سمات العلماء الحق والذين يخشون الله والذين قال الله تعالى فيهم **﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** سورة الزمر آية ٩ وقال عز وجل ثناؤه: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** سورة فاطر آية ٢٨.

ونحن إذ ننشر هاتين الصورتين فى عقيدتى واذ أكتب هذه السطور فإنما لكى نستدعى لهذه المعانى والقيم أنظار الجميع وخاصة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والذين يعتلون المنابر التى هى امتداد لمنبر الرسول صلى الله عليه وسلم لكى يتأسوا باخلاق وسلوك الراحل الكريم ومن قبله بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وصفه ربه جل شانه بقوله: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** سورة القلم آية ٤.

إن الرسالة فى هذه الكلمات أوضح من ان تحتاج إلى مزيد من التفاصيل والبيان اللهم بلغت.. اللهم فاشهد.

●●●

مسك الختام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له».●

● ٢٣ يونية ١٩٩٨



قد تغضب منا أسرة إمام الدعاة الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى رحمه الله وغفر له.. وهذا بالطبع أمر لا نقصده ولا نريده ولانسعى إليه ولا نسعد به.. وقد كنا دائما ومازلنا وسوف نظل دائما نحمل للإمام الراحل كل حب واحترام وتقدير.. ونعتبر أن كل ما كنا ننشره له من أحاديث عامة أو خاصة كسب لعقيدتى وإضافة جيدة.. ذلك أن الشيخ الشعراوى رحمه الله وغفر له كان عالما عاملا مجتهدا مفسرا محسنا أحسن الله اليه.. ولم يكن ملك أسرته ولا وطنه مصر بل كان ملكا لدينه ولأمته الإسلامية بل للإنسانية كلها.. ومن هنا فإن أى امر يتعلق بالشيخ الشعراوى لايخص أسرته وحدها ولا مريديه ولا المنتفعين به بل هو يهمنا جميعا.. ويهمنا أن يظل اسم الشعراوى نموذجا ورمزاً لكل القيم والمثل العليا التى جسدها وعبر عنها قولا وعملا فى حياته.

وقد تغضب منا أسرة الشيخ الشعراوى أو بعض أفرادها لما ننشره فى هذا العدد من عقيدتى من ملاحظات سلبية حول الاحتفال بـ «مولد سيدى الشعراوى».. وكلنا نعلم ما يحيط بمقامات الأولياء وأضرحتهم و«موالدهم» من ممارسات سلبية تبدأ من اعتقادات خاطئة وتمر بتصرفات ساذجة وأخرى غير أخلاقية وتصل إلى جرائم يعاقب عليها القانون. وكثير من أصحاب الأضرحة مشكوك فى هويتهم وتوجهاتهم بل إن بعضهم مشكوك فى وجودهم من الأصل. لكن الشيخ الشعراوى كان حتى عام مضى ينبض جسده بالحياة ويفيض عقله بالفكر وتجسد روحه معانى السمو. وكان نموذجا للعقل واعلاء شأنه وقد فتح عقول وأعين مئات الملايين على كنوز من المعانى فى القرآن لم يكونوا ينتبهون إليها رغم التراث الهائل من تفسيرات القرآن الكريم. فكيف يتحول الاحتفال بـ «مولد سيدى الشعراوى» إلى ساحة لبيع الحمص ولعب الأطفال ولا أدرى ماذا؟؟

ليس هكذا يكون الاحتفال بالشيخ الشعراوى وليس هكذا يكون احياء ذكراه - التى لن تموت- ولكن هناك سبلا أخرى كثيرة ومضيئة للاحتفال بذكراه.

● من هذه السبل أن تمد المؤسسة الخيرية التى أنشأها فى بلده دقادوس نشاطها إلى أماكن أخرى وأن تعمل أسرته على زيادة مواردها المالية حتى تواصل دورها فى خدمة الدين وفى خدمة المجتمع.

● ومن هذه السبل أن تنشأ مؤسسة ثقافية تقوم على نشر تراث الشعراوى الفكرى وتتولى رعاية وتمويل عدد من الدارسين والباحثين فى مجالات علوم القرآن.

● ومن هذه السبل أن تنشأ جائزة دولية سنوية باسم «جائزة الشعراوى لخدمة القرآن الكريم» توفر لها الأموال اللازمة. وهناك من محبى الشعراوى من هم مستعدون لدفع الملايين لهذه المؤسسة وتقدم هذه المؤسسة من خلال المسابقة السنوية جوائز لأفضل الأبحاث المبتكرة فى خدمة القرآن الكريم.

بهذه السبل وغيرها يظل اسم الشعراوى رمزا مضيئا ومعينا لا ينضب للعلم والخير وليس لبيع اللعب البلاستيك والحمص.

أقول هذا مع الاعتذار لأسرة الإمام أن كنا أغضبناهم بغير قصد واستهدى بقول الله تعالى: «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله».

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين﴾** سورة القصص آية ٨٥ ●.

● ٢٢ يونية ١٩٩٩



فى أغسطس من عام ١٩٩٤ تعرفت على الدكتور زغلول النجار فى اطار مؤتمر الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم الذى عقد فى باندونج باندونيسيا.. وفى نفس المؤتمر تعرفت على عدد من العلماء العرب والمسلمين وأيضا غير العرب وغير المسلمين المعنيين بدراسة الظواهر والإشارات والحقائق العلمية الواردة فى القرآن الكريم والتى تؤكد صدق هذا الكتاب الكريم وبأنه منزل من عند الله سبحانه وتعالى وليس قول بشر وأن فى معرفته وفقهه مفاتيح لكل العلوم.. وكان من أبرز المعنيين بهذه القضايا راعى المؤتمر فى هذا الوقت الدكتور بحر الدين يوسف حبيبى وزير الصناعة والبحث العلمى فى اندونيسيا - ورئيس الجمهورية فيما بعد - والعالم الفرنسى موريس بوكاى أستاذ المصريات واللاهوت والمرحوم الدكتور منصور حسب النبى والدكتور كارم غنيم والدكتور أبوالوفا عبدالآخر.

ولأن البحث والحديث عن الإعجاز العلمى للقرآن الكريم - أو فى القرآن الكريم - له محاذيره ومحظوراته ومن أهمها أن هذا الكتاب المنزل ليس كتابا فى التاريخ ولا علوم الأرض ولا الطب ولا الفضاء ولا غيرها، ولأن ثمة خشية من أن تحمل الآيات بما لا تحتمل من المعانى والنظريات العلمية القابلة للتغير فإن هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم فى مكة المكرمة وجمعية الإعجاز العلمى فى مصر حرصتا على وضع ضوابط ومعايير دقيقة بل ومتشددة فيما يتعلق بالبحث فى هذا المجال المغرى والخطير فى ذات الوقت.. وعلى مدى أكثر من عشر سنوات من العمل المتصل استقرت القواعد والضوابط والمعايير وصار هناك إنجاز بحثى له ثماره التى ظهرت فى صورة مجلة دورية وكتب غير دورية تناقش قضايا محددة وتعرض ما أثبتته أحدث الدراسات من حقائق علمية - وليس مجرد افتراضات أو نظريات - على آيات القرآن الكريم.. وما آيات خلق الانسان أو تكون السحاب أو دور الرياح فى التلقيح للأشجار أو حركة الجبال التى نحسبها جامدة والتى جعلها الله سبحانه رواسى للأرض أو البحر المسجور إلا مجرد نماذج للإشارات القرآنية المبهرة للظواهر الطبيعية التى احتاجت الانسانية إلى آلاف السنين وملايين البحوث والتجارب حتى تصل إلى فهم وتفسير ووضع نظريات لها واستكناه حقائقها التى وردت فى القرآن الكريم إما بصراحة وتحديد وإما فى اشارات تطلق العنان لعقل الإنسان وتفكيره.

ولم يخل هذا العمل الذى يتناول جانبا مهما من جوانب إعجاز القرآن الكريم من انتقادات وجهت إليه.. ولكن المخلصين لعملهم ولدينهم من العلماء لم يلتفتوا إلى هذه الانتقادات بل ربما استفادوا منها فى أن يكونوا أكثر حرصا وأكثر تشددا فى بحوثهم.. ومن هؤلاء العلماء الدكتور زغلول النجار وهو أستاذ علوم الأرض الذى اكتشفت فى حواراتى معه سواء خلال المؤتمر الذى أشرت إليه فى البداية أو فيما بعد أن ثقافته الشرعية لا تقل عن ثقافته العلمية بل قد تفوقها مما يجعله قادرا على الربط والتحليل والاستخلاص.. كما اكتشفت قدرته

الفائقة على توصيل المعلومة العلمية الدقيقة أو المعقدة بأسلوب سلس بسيط يرضى العالم المتخصص ولا يشق على المتلقى متوسط التعليم.. كما اكتشفت أن الرجل يتمتع بميزتى التواضع والإيثار.. وأتذكر أننا كنا بصدد الإعداد لبرنامج علمى يبث عبر قناة اقرأ الفضائية.. وكان مفترضا أن يعد البرنامج ويقدمه الدكتور زغلول النجار.. فإذا بالرجل يقرر بكل تواضع أن البرنامج سوف يحتاج إلى مجموعة من العلماء المتخصصين فى العلوم المختلفة من فيزياء إلى كيمياء إلى طب إلى صيدلة إلى فضاء إلى غيرها وأنه سوف يكتفى بالحديث فيما يخص علوم الأرض.. ولأمر ما لم يتم إعداد البرنامج وأعتقد أن قناة اقرأ خسرت بذلك خسارة كبيرة فلو أن برنامجا من هذا النوع قد أعد وتحدث فيه الدكتور النجار وغيره من العلماء لاكتسح هذا البرنامج كل البرامج المماثلة.

المهم، لم يسع الدكتور زغلول النجار ولم يجر وراء أحد من الصحفيين للكتابة عنه وظل يواصل مسيرته العلمية فى صمت إلى ان «اكتشفه» الاعلامى الكبير أحمد فراج وقدمه فى برنامجه الناجح «نور على نور» فإذا به بين يوم وليلة يصبح نجما يتهافت الناس على شراء اشرطة الحلقات التى تحدث فيها وتتزاحم قنوات التليفزيون لاستضافته فى برامجها وتحرص الصحف والمجلات من كل الاتجاهات على اجراء احاديث معه. ولم يخل الأمر بالطبع من أصحاب نظرية «كرسى فى الكلوب» الذين سارعوا بمهاجمته والنيل منه .. ولأن أحدا من المهاجمين لا يمكن أن يصل إلى معرفة قدر يسير مما يعرفه ويتحدث عنه الدكتور النجار فقد حصروا هجومهم فى نقطتين: الأولى انه صورة جديدة معدلة من الشيخ الشعراوى والثانية أنه سوف يهدم الإسلام بإدخال القرآن الكريم فى كل شىء وتحميله مالا يحتمل.

وبعيدا عن أية محاولة للدفاع عن الدكتور زغلول النجار فهو كفيل بالدفاع عن نفسه او الاكتفاء بالصمت وهو أحيانا ابلغ من أى كلام - فإن الذى يستوقفنى هو سؤال : لماذا هذا الإقبال المبهر على الدكتور زغلول النجار والاشتياق لأحاديثه؟؟: والإجابة ببساطة فى نقاط محددة:

النقطة الأولى: أن خطاب الدكتور النجار خطاب غير تقليدى.. فهولا يتحدث بمنطق الحلال والحرام والجنة والنار وعذاب القبر.. ولكن بفكر الإعجاز فى الخلق: خلق الإنسان وخلق الكون والعلاقة الوطيدة بين هذا وذاك (الإنسان/ المادة/ الكون) وبالتعبير عن ذلك فى الكتاب المعجز (القران الكريم).

النقطة الثانية: أن خطاب الدكتور زغلول النجار لا يخاطب العاطفة - وهى مهمة جدا للإيمان - وإنما يخاطب معها وربما قبلها العقل الذى هو وعاء العقيدة ومناط التكليف بالأحكام الشرعية.

والنقطة الثالثة: أن الناس قد سئموا وملوا من الوجوه التقليدية التى تطاردهم



بميكروفونات الإذاعة وعبر شاشات التليفزيون وتلاحقهم فى الصحف والمجلات وتسد عليهم الطريق فى المؤتمرات والندوات والمحاضرات والمواسم الثقافية فضلا عن احتكارها للمنابر.. الدكتور زغلول النجار باختصار ظاهرة جديدة تؤكد شوق الناس للتغيير .. حتى فى الخطاب الدينى .. فهل نعى الدرس.

●● ونحن بصدد الحديث عن الدكتور زغلول النجار لا نستطيع أن ننسى أو نتجاهل عددا من العلماء البارزين المعنيين بالحديث العلمى السليم معززا بالثقافة الإسلامية الشاملة والعميقة ومنهم الدكتور أحمد فؤاد باشا عميد علوم القاهرة .. والدكتور أحمد شوقى إبراهيم والدكتور عبد الحكم الصعيدى الأستاذ بجامعة الأزهر والاعتذار الصادق لكل من فاتنى ذكر أسمائهم من العلماء الاجلاء.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾** سورة فاطر الآيتان ٢٧ - ٢٨*.

● ١٣ مارس ٢٠٠١

خان بور هو اسم لبريطانى تنزانى مسلم من أصل هندى تم انتخابه فى البرلمان الأوروبى عن دائرة نورويتش الانجليزية التى تقطنها أغلبية ساحقة بيضاء.. فلا لون الرجل ولا أصله ولا دينه حال دون انتخابه ليكون أول مسلم فى البرلمان الأوروبى ..

منذ يومين تحدث خان بور فى جلسة الاستماع الاولى التى عقدتها لجنة الشئون الدينية والاجتماعية والأوقاف فى مجلس الشعب ورأسها الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس المجلس وحضرها الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر والبابا شنودة الثالث بطريرك الكرازة المرقسية والدكتور محمد على محجوب رئيس اللجنة وعدد من القيادات الدينية الإسلامية والمسيحية وعدد من المفكرين والإعلاميين وهى الأولى فى سلسلة جلسات لمناقشة دعوة الرئيس حسنى مبارك لتحديث وتطوير الخطاب الدينى.

كان خان بور يتحدث باسم وفد البريطانيين المسلمين (أو المسلمين البريطانيين) الذين يزورون مصر ودعوا لحضور هذه الجلسة.. وأثنى الرجل ثناء عاطرا على مصر ودورها التاريخى فى نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام وتبنى قضايا المسلمين وذلك فضلا عن كونها مهد الحضارة الإنسانية ومنشأ التاريخ.. وتحدث عن الإسلام والمسيحية فى بريطانيا وكأنهما عجلتا دراجة لابد أن يسيرا فى نفس الاتجاه ولابد من رابط يربطهما وهذا الرابط هو الإيمان بالله وتوحيده.. وأن ما بين المسلمين والمسيحيين تراث كثيف وعميق من التاريخ والفلسفة والعلوم والفنون والآداب.. وقال انه واخوانه المسلمين البريطانيين سيبذلون كل جهد ممكن لتوثيق العلاقات بين مصر وبريطانيا..

لم يكن المسلم البريطانى عضو البرلمان الأوروبى يتحدث من فراغ أو عن فراغ.. ولكنه عبر عن حقيقة بالغة الأهمية يدركها الغرب ربما أكثر مما ندركها نحن.. ألا وهى أن مصر دولة محورية ومركزية ليس فى منطقة الشرق الأوسط وحدها ولكن بالنسبة للأمة الإسلامية كلها.. وان مصر من خلال الأزهر الشريف - أعرق جامعة الإسلامية فى العالم - تقوم - ويجب أن تقوم - بدور قائد ورائد فى مجال الدعوة السلامية .. وأنه إذا كانت الدول الاسلامية تنظر إلى مصر بالأمل والتقدير فإن العالم الغربى ينظر لها بكل الاحترام نظرا لأنها تمثل صوت الاعتدال وسماحة الإسلام.. ولذلك فإن صوتها مسموع وشهادتها مقبولة لدى الجميع.. ولا ينسى الجميع ان دعوات ومشروعات تجديد الفكر الاسلامى بدأت دائما فى مصر.

●●●

على هذه الخلفية يجب ان تكون مناقشة قضية تطوير أو تحديث الخطاب الدينى.. وقد أخذ بزمام المبادرة عالمان لاشك فى إخلاصهما وقدرتهما وهما الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف الذى دعا إلى سلسلة ندوات فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والدكتور محمد على محجوب رئيس لجنة الشئون الدينية والاجتماعية والاوقاف بمجلس

الشعب.. ومن خلال الجلستين اللتين عقدتا واللتين تمثلان - حتى الآن - مجرد نقطتى بداية لحديث يجب أن يمتد بكل الصراحة والوضوح والموضوعية والشجاعة حتى نصل إلى رؤية واضحة ومفصلة لمشروع قومى لتحديث الخطاب الدينى يمكن الوقوف أمام عدد من النقاط المهمة:

●● أولى هذه النقاط أن تحديث الخطاب الدينى مطلب إسلامى متجدد.. وهو ضرورى لتأكيد أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان وحال.. وأن دعوات التجديد لم تتوقف الا فى فترات الانحسار والجمود والانحطاط فى تاريخ الامة الاسلامية.. وقد شهد نصف القرن الأخير دعوات متعددة من الصحوة الإسلامية إلى ترشيد الصحوة الإسلامية إلى تجديد الفقه الاسلامى إلى تجديد الفكر الاسلامى الحوار الإسلامى - المسيحى إلى حوار الإسلام والغرب إلى حوار الحضارات .. ولكننا هذه المرة أمام طرح جديد محدد هو تطوير وتحديث الخطاب الدينى .. هذا الطرح يتميز لأول مرة بأنه طرح مؤسسى تبنته الدولة ويفترض أن يتحول إلى مشروع تشارك فيه كل المؤسسات المسئولة عن تربية وتعليم وتوجيه وتثقيف الإنسان المصرى ويجب ان تنهض كل مؤسسة بدورها.

●● ثانية هذه النقاط أن تحديث الخطاب الدينى ليس هدفا فى حد ذاته ولكنه يجب أن يكون وسيلة لتحقيق أهداف متعددة فى مقدمتها ترشيد العمل الإسلامى بحيث يكون موافقا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ودفع حركة الأمة على طريق النهضة بما يحقق رسالة الإسلام ويتفاعل تفاعلا ايجابيا مع حضارة العالم المعاصرة.. ومن ثم تكون قضية الدفاع عن الإسلام وتبرئته من الاتهامات الموجهة له بالعنف والإرهاب مجرد واحدة من القضايا التى تتم معالجتها ولا تكون هى القضية المحورية التى يعاد من أجلها بناء الخطاب الاسلامى.

●● ثالثة هذه النقاط أن تحديث الخطاب الدينى يجب أن يكون نابعاً من ذاتنا ومن أحساسنا بضرورة هذا التحديث لنهضة الأمة ولا يكون نابعا من أزمة ما حدث فى ١١ سبتمبر وتداعيات هذه الأحداث وما نتج عنها من هجمات شرسة فكرية وسياسية واقتصادية وعسكرية على العالم الإسلامى.صحيح أنه لا يمكن تجاهل ما حدث واثاره السلبية العميقة على صورة الإسلام والمسلمين وهى آثار تجاوزت مجرد الشعور ودخلت دائرة الافعال العدوانية التى تراوحت ما بين الإساءات الشخصية للمسلمين فى دول الغرب ووصلت للقصف والقتل والتدمير والتهديد بتوسيع دائرة الانتقام.. ولكن التفكير تحت ضغط الازمة يمكن أن يوصل إلى أحد نقيضين كلاهما غير مرغوب وهما إما الرفض والعناد والتمترس وراء الخصوصية الثقافية والدينية والاحتماء وراء نظرية المؤامرة دون أى فعل يغير من الواقع شيئا.. وإما الاستسلام لقوى الضغط واحداث تغيير عشوائى ضرره أكثر من نفعة وخاصة للأجيال القادمة.. ففى الخيار الأول ستجد الأجيال القادمة خطابا دينيا منغلقا وفى الخيار الثانى ستجد هذه الأجيال خطابا شائها ممسوخا..

●● رابعة هذه النقاط ضرورة التحديد الواضح - الجامع المانع - لمفهوم الخطاب الدينى.. ومن المتفق عليه تقريبا أن المقصود بالخطاب الدينى هو منهج وأساليب توصيل مبادىء الدين وأحكامه وأخلاقياته وآدابه لجماهير المتلقين فى الداخل والخارج.. وأن مضمون هذا الخطاب لا ينبغى أن يمس بحال من الأحوال ثوابت الإسلام المتفق عليها من الأمة.

●● خامسة هذه النقاط أنه وإذا كانت المؤسسة الدينية - الأزهر والأوقاف وتضاف إليهما دار الإفتاء - هى المنوط بها أمور التعليم الدينى والبحوث والدعوة والوعظ والإرشاد والإفتاء - فإن المؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية والثقافية بل والرياضية لها أدوارها المتفاوتة ويجب أن تعمل كافة المؤسسات وفقا لمنظومة متكاملة فلا تهدم مؤسسة ما تبنيه أخرى.. وإذا كان المنبر - وسيظل - وسيلة الدعوة الأولى فإن الصحيفة والمجلة والكتاب والتليفزيون والراديو والفصل الدراسى لها تأثيراتها المختلفة.. وإذا كان للإمام والخطيب أبلغ الأثر فى جماهير المصلين فى المسجد فإن المدرس فى الفصل له أثر أكبر فى نفوس وعقول تلاميذه والمذيع اللامع أو الممثل القدير له أثر عظيم فى قلوب وعقول الملايين من المشاهدين والمستمعين خاصة فى مجتمعات تعانى من ارتفاع نسبة الأمية فيها. وهذه الآثار يمكن أن تكون سلبية أو ايجابية حسب المضمون وطريقة التوصيل وأسلوبه.

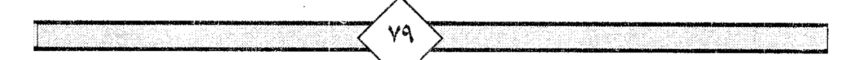
●● النقطة الأخيرة أنه مع الحرص على تحقيق نتائج إيجابية فلا داعى ولا مبرر للعجلة.. ولابد من استيفاء كل النقاط واستيعاب كل القضايا من أجل الوصول إلى رؤية شاملة ومفصلة وتحديد واضح لنقاط الضعف والقوة وتفعيل لأدوار ومسئوليات المؤسسات المختلفة.. وبغير هذا تكون حركتنا مجرد رد فعل عصبى متعجل يمكن أن يؤدى لعكس النتائج المرجوة منه.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** صدق الله العظيم سورة يونس آية ٢٥●.

● ١٥ يناير ٢٠٠٢



قال الله تعالى فى كتابه الحكيم: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾** سورة الأحزاب آية ١»، وهذه حقيقة قرآنية لا تحتمل تبديلا ولا تحويلا.

وقال جل شأنه: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾** سورة آل عمران آية ١٥٩.

وهذا توجيه قرآنى كريم للنبى صلى الله عليه وسلم خاص بالدعوة وخاص بالادارة وخاص بالحكم وخاص بالصحبة وشامل لكل المعاملات.

وقد طبق النبى صلى الله عليه وسلم هذا التوجيه الإلهى فى كل موقف من مواقف حياته. وتجلى هذا على أنضر الوجوه وأكثرها إشراقا فى فتح مكة عندما دخلها النبى فاتحا منتصرا وكان بوسعه لو أراد أن يُعمل القتل والسبى والسلب والنهب فى أهلها الذين عذبوه وآذوه وكذبوه واضطروه للهجرة بدينه.. ولكنه لم يفعل ذلك بل آمنهم على أرواحهم وأعراضهم ودينهم. وعندما قال أحد الصحابة: اليوم يوم الملحمة قال النبى صلى الله عليه وسلم: بل اليوم يوم المرحمة.

وإننى أرجو من فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن يتأسى بمعلمه الأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاملة معارضيه من علماء الأزهر، فقد كان مطلوبا منه السماحة والحلم فى فترة الإعداد لعرض مشروع قانون الثانوية الأزهرية على مجلس الشعب، والآن و بعد أن وافق مجلس الشعب على القانون بأغلبية كاسحة أصبح مطلوبا من الإمام الاكبر ما هو أكبر من السماحة والحلم، أو بمعنى آخر تطبيق السماحة والحلم من موقع القوة بأن يعفو عن المعارضين، وأن يأمر فورا بوقف اجراءات إحالتهم لمجلس التأديب فى جامعة الأزهر.. وتداعيات هذه الإحالة ومنها وقف ترقية أستاذ مساعد إلى أستاذ رغم قرار اللجنة الدائمة باستحقاقه الترقية وذلك بدعوى أنه محال لمجلس التأديب.

إن الاجراءات الانتقامية ليست من شيم المسلمين ناهيك عن أن يكونوا من العلماء والرموز الدينية الذين ينظر لهم الناس بكل إجلال وتوقير ويأخذون عنهم دينهم.. إننا نريد أن يدخل الأزهر وجامعته واداراته مرحلة مصالحة عامة تجمع ولا تفرق وتبنى ولا تهدم كما يردد دائما الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

●●●

مسك الختام

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان وصلة لأخيه إلى ذى سلطان فى مبلغ برَ أو إدخال سرور رفعه الله فى الدرجات العلا من الجنة» رواه الطبرانى●.

● ١٦ يونية ١٩٩٨



عجيب.. نحن نلح فى طلب التضامن العربى.. وندعو للتضامن الإسلامى.. ونرحب بالحوار الإسلامى المسيحى.. ونتفاوض مع العدو الصهيونى ونؤسس جمعيات من السياسيين والمثقفين لتسويق ثقافة السلام وفلسفة التطبيع.. ونستقبل فى مؤسساتنا السياسية والعلمية والدينية ممثلين لكل الاتجاهات بما فيها أشد الاتجاهات تطرفا فى الدولة العبرية.. ومع ذلك فنحن غير قادرين على الحوار مع أنفسنا بروح التسامح الإسلامى وبعواطف الأسرة وبما يفرضه العلم من صلة رحم بين أهله.

انها لمأساة حقا.. وانها لبلية حقا - وشر البلية ما يضحك .. ولكنه ضحك كالبكا - أن تصل الأمور بين علماء الأزهر إلى ما وصلت اليه من تنابز وتباغض وتحقيقات وقضايا ومحاكم ومحامين ومذكرات ومحاولات لكسب الموقف بالحق أو بالباطل..

إن التداعيات التى وصلت إليها الخلافات بين قيادات الأزهر وقيادة جبهة علماء الأزهر تدعو للأسف.. ونحن لا نريد أن ندخل فى متاهة التوصيفات والتصنيفات لوضع الجبهة وهل هى جمعية خيرية أم مؤسسة علمية أم رابطة من أى نوع كان.. ولا نريد أن نضيع وقتا فى قياس قوة هذه الجبهة وهل هى تضم عدة آلاف من العلماء أم بضعة أفراد شاردين خارجين على ما وصف بإجماع الأمة!!

والذى يجب أن يشغلنا هو تأثير هذه الخلافات وتداعياتها على جهود الدعوة وعلى مكانة المؤسسة الدينية بعد أن يجرجر بعض أفرادها بعضا إلى غرف التحقيق أو قاعات المحاكم..

لقد كان السؤال فى البداية هو: أليس من الممكن أن نتحاور بأسلوب حضارى فنختلف ونتصارع ونتقارع حجة بحجة وبرهانا ببرهان تحت لواء الأزهر وتحت راية السماحة الاسلامية؟؟ ولكن.. وقد أفلت الزمام يصبح السؤال الآن: أليس منكم رجل رشيد يقود جهودا خيرة لرأب الصدع وحصر النزاع واعادة الألفة بين العلماء؟؟

●●●

مسك الختام

عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : «أنعم على من شئت تكن أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره. واحتج إلى من شئت تكن أسيره»●.

● ١٤ يوليو ١٩٩٨

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ونحن فى أيام كلها خير هى أيام النصف الثانى من شهر شعبان.. ونتأهب لاستقبال خير أيام طلعت فيها الشمس وهى أيام شهر رمضان الذى اختصه الله بنزول القرآن فيه وبركن من أركان الإسلام هو الصيام وبليلة القدر التى ميزها الله سبحانه وتعالى وجعلها خيرا من ألف شهر.

وكنت - ومازلت - أتمنى أن يكون من نفحات شهر رمضان المبارك على الأزهر وجامعة الأزهر أعرق مؤسسة علمية تعليمية دينية فى العالم الإسلامى أن يجتمع علماؤه على قلب رجل واحد وأن يتحاكموا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن مما يقتضى موضوعية النقد وسعة الصدر وتقبل الرأى الآخر والاجتماع على المصلحة العامة والحرص على صلة الرحم التى يوجدها العلم إذ العلم رحم بين أهله.

ونحن نأخذ عن هؤلاء ديننا فكيف نأخذ ديننا عن رجال متخاصمين متحاكمين إلى مجالس التأديب وجلسات التحقيق وساحات المحاكم.

كنت أتمنى أن يكون من نفحات رمضان المبارك أن يبادر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بدعوة معارضيه - مهما بلغت درجة المعارضة والخصومة - للقاء أبوى أو أخوى - فمنهم زملاء له ومنهم أبناء وتلاميذ له - بعيدا عن الأضواء والميكروفونات وعوامل الإثارة والتحميس والتسخين ويتفقوا على كلمة سواء فى كل القضايا المختلف فيها أو فى بعضها.

وكنت أتمنى بالمقابل أن يجمع المعارضون لسياسات وقرارات الامام الأكبر على رأى واحد وأن يختاروا أكثرهم قبولا وموضوعية ويبادروا بلقاء الإمام بعيدا أيضا عن عوامل التهييج والاثارة. وينتهوا الى حصر أى خلاف قائم فى دائرة اختلاف الرأى والاجتهاد بعيدا عن الضجيج والتجريح الشخصى والقضايا التى الفائز فيها هو أول وأكبر الخاسرين.

وكنت أتمنى أن يكون كل من يتدخل فى هذه القضايا المطروحة متدخلا بكلمة طيبة تستهدف جمع الشمل وتوحيد الصفوف وتهدئة الخواطر لا اشعال نار الفتنة وإذكاء العداء والكراهية التى يدفع ثمنها العلماء وتدفع ثمنها المؤسسة الدينية بأسرها عندما تفقد هيبتها ومصداقيتها.

وقد أحسن رئيس جامعة الأزهر والعديد من العمداء أعضاء المجلس عندما رفضوا دعوة البعض من الموتورين الذين طالبوا بإحالة كل من يبدى رأيه بنقد أو نصيحة إلى التحقيق وكأن الجامعة قد تحولت الى محكمة تفتيش.. وكانت وجهة نظر رئيس الجامعة والعمداء

العقلاء أن الأخذ بهذه الدعوة هو حجر على حرية الرأى ومصادرة لاجتهاد الفكر. ولعلى أضيف هنا أن المحققين فى الجامعة لايكادون يستريحون من كثرة التحقيقات وليسوا بحاجة لمزيد من التحقيقات التى لن تنتهى إلا بتوسيع الفجوة بين العلماء واتاحة الفرصة لعوامل الإثارة والبلبلة.

أقول: أحسن رئيس جامعة الأزهر وزملاؤه حين غلبوا صوت العقل والحكمة والمصلحة العامة على دواعى الحقد والإثارة والرغبة فى تصفية الحسابات.. فلهم التحية على هذا الموقف.. ولدعاة الحقد والكراهية: موتوا بغيظكم.

●●●

بحكم محكمة القضاء الادارى بإلغاء قرار محافظ القاهرة بحل مجلس إدارة جبهة علماء الأزهر ومن ثم كان ما ترتب عليه من إجراءات يدخل صراع العلماء مرحلة جديدة.. ونحن لم نكن نحب أن نستخدم لفظ الصراع لوصف ما يدور على ساحة علماء الإسلام فى الفترة الأخيرة. ولكن هذا الصراع مفروض فرضا واللفظ كذلك مفروض فرضا على أجهزة الإعلام.. بل يذهب البعض لتسميته «صراع الديكة» .هذا الصراع الذى انتقل من مجالس العلم وقاعات المحاضرات وداخل اللجان إلى ساحات القضاء وصفحات الصحف والمجلات بل ومجالس النميمة.

ولست أدرى.. هل كتب علينا أنه فى الوقت الذى تجتمع فيه قوى معاداة الإسلام للنيل منه وتتوحد جهودها وتتوزع الأدوار بينها ينقسم العلماء ويختلفون ويتنابزون ويقفون وجها لوجه بدلا من أن يواجهوا وحدة الهجوم بوحدة الدفاع عن الإسلام وعن أمة الإسلام ولا يفسحوا مجالا لقوى الدس والوقيعة والنفخ فى نيران الفتنة تشتعل بين العلماء فتحترق بنيرانها الأمة ويفرح اعداؤها.

ومنذ بداية هذه الفتنة ولنا موقف واضح ومحدد وهو أننا لسنا مع طرف ضد آخر ولكننا مع صالح الأمة ومع الحق والحقيقة.. وصالح الأمة أن يتحد العلماء.. فيتواضع الكبار قليلاً ويحفظ لهم من هم دونهم مكانتهم اللائقة بهم.. وبهذا نحفظ للعلم كرامته وللعلماء مكانتهم وللأزهر هيبته وللمؤسسة الدينية بصفة عامة دورها الحيوى فى كل وقت وفى هذا الوقت على وجه الخصوص.

منذ بداية هذه الفتنة ونحن نقول إنه إذا كانت الدعوة إلى كلمة سواء مطلبا بين المسلمين وأهل الكتاب كما أمر الله سبحانه وتعالى فإنها ضرورة حياة للأمة الإسلامية وفى الطليعة منها العلماء.

وقد كنا نتمنى أن تكون ثمة مبادرات تخمد نار الفتنة.. وكنا نتمنى أن تتسع الصدور والعقول لمحاولات رأب الصدع التى بذلت من جانب العديد من المخلصين الذين هالهم ما وصلت إليه الأمور بين علماء الأمة ورموزها وقياداتها الدينية إلى الحد الذى سمح لبعض المتطفلين والانتهازيين بالصيد فى الماء العكر أحيانا ومحاولة القضاء على المؤسسة الدينية ذاتها أحيانا أخرى.

ولم تكن دعوتنا تستهدف فى أى وقت إلغاء الاجتهادات الشخصية أصابت أم أخطأت.. ولم تكن تتوجه أو تفترض مصادرة الاختلاف فى الرأى.. ولكن كل ما رغبنا فيه ومازلنا هو أن تبقى خلافات العلماء داخل مؤسستهم وأن تسود روح الأبوة من جانب وروح النبوة في جانب آخر وروح صلة رحم العلم فى كل الحالات ثم روح مصلحة هذا الوطن والاهم من ذلك كله روح التسامح التى هى أساس فى دعوة الاسلام.

وقديما قال آباؤنا ان داخل المحكمة ندمان والرابح فيها خسران.. وليس هذا نيلا من القضاء أو تقليلا من قيمة دوره الحيوى فى الفصل فى كل ما يعرض عليه بدءا من مخالفات المرور إلى الجرائم الكبرى إلى خلافات الرأى..فكم أعلى هذا القضاء كلمة الحق وكان رمزا دائما لحماية مقدسات هذا الوطن.. وما قاله آباؤنا صحيح فى الماضى وصحيح فى الحاضر وخاصة اذا كان النزاع بين العلماء.

هذه المناسبة لأن نتمنى مرة أخرى أن يوضع حد لهذا الصراع المحزن الذى لا يستفيد منه سوى أعداء الاسلام وأعداء مصر.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾** سورة آل عمران آية - ١٠٣.

● ٨ مايو ١٩٩٩

فى سابقة هى الأولى من نوعها قررت لجنة جائزة مؤسسة الملك فيصل الخيرية العالمية منح جائزتها الكبرى وهى جائزة خدمة الإسلام للأزهر الشريف.. وهذه أول مرة فى تاريخ هذه المسابقة الكبرى التى يتم منح الجائزة لمؤسسة وليس لفرد كما اعتادت المؤسسة العالمية منذ إنشائها.. وكان المعتاد أن تمنح هذه الجائزة لشخصيات عالمية تقديرا لمجمل عطائها فى خدمة الإسلام والدعوة الاسلامية وقضايا البلاد والشعوب الإسلامية.

ومنح هذه الجائزة الكبرى للأزهر الشريف هو اعتراف وتقدير واعتزاز بدور الأزهر منذ أكثر من ألف عام فى خدمة الإسلام والمسلمين.. والأزهر المسجد والجامعة لم يكن فقط مكانا شريفا للصلاة وإنما كان منارة علم ومركز إشعاع وتعبيرا حيا عن تسامح الإسلام ومنبرا حرا لكل المذاهب ومنتدى لكل الأفكار وساحة للرأى والرأى الآخر.. كما كان فضلا عن كل ذلك منطلقا للكفاح ضد الاحتلال والاستعمار.. منه انطلقت الدعوة لمقاومة الحملة الفرنسية.. ومن فوق منبره انطلقت صرخة المقاومة ضد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦.

والأزهر لم يكن فقط مجرد بناء ولكنه علماء وأساتذة أنشأوا مدارس فكرية وأقاموا مذاهب ومدارس فقهية وقدموا للدنيا الألوف من الكتب الموسوعية وعشرات الألوف من التلاميذ الذين انتشروا فى كل أنحاء العالم ينشرون الدعوة الإسلامية ويبثون ثقافة التسامح والتراحم.. هكذا ارتبط اسم مصر فى كل الدول الإسلامية بالأزهر وارتبط الأزهر بنور الإسلام.

ويجب أن تستمر مسيرة الأزهر فى المستقبل بنفس الروح التى علت بها فى الماضى.. ولقد دعونا من قبل فى هذا الموضع عدة مرات لأن تسود هذه الروح المتسامحة.. وأن يعلو قادة الأزهر فوق الخلافات الفكرية وأن يتعاملوا مع مخالفيهم فى الرأى بروح الأبوة أو الأخوة أو الأستاذية التى تنطلق من مقولة: رأينا صواب يحتمل الخطأ.. ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب.. ولذلك نأمل أن يتوقف مسلسل مجالس التأديب وفصل المخالفين فى الرأى والقضايا المتبادلة أمام المحاكم .. ولينشغل الجميع بقضايا الدعوة.. وليكن هذا الشهر الكريم منطلقا لهذه الروح التى تعود بالخير على الأزهر وعلى علمائه وعلى مصر والإسلام فى النهاية.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾** سورة آل عمران الآيتان ١٠٤ - ١٠٥●

● ٢١ ديسمبر ١٩٩٩

رحلت سعاد حسنى وحيدة حزينة غريبة بعيدة عن الأهل والوطن... وكانت هذه الوفاة مناسبة إعلامية كبرى.. فقد تبارت الصحف والمجلات وقنوات التليفزيون وشبكات الإذاعة فى تغطية حدث الوفاة وماسبقه ومالحقه حتى صارت الجماهير تتابع لحظة بلحظة تطورات التحقيق وموعد الإفراج عن الجثمان العزيز من المشرحة وموعد وصول الجثمان... ولدى وصول الجثمان إلى أرض الوطن تسابقت كل الأجهزة فى تقديم خدماتها حتى توارى الفقيدة مثواها الأخير... وتسابقت جموع المواطنين تستقبل الجثمان وتلقى نظرة الوداع الأخيرة أو تحصل على لمسة أخيرة من سيارة الاسعاف.. وبلغ الحماس مبلغه من بعض زملاء وأصدقاء وصديقات وأقارب الراحلة فشكوا فى الوفاة وقدموا بلاغات وقامت النيابة بالتحقيق مع السيدة نادية يسرى آخر من رأت الفقيدة.

وتبارت وسائل الإعلام فى سرد القصص والروايات والحكايات الصادقة أو الملفقة حول سعاد حسنى بدءا من شجرة أسرتها وصولا إلى اكتشاف عبدالرحمن الخميسى لها وهى أمام «طشت» الغسيل مرورا بقصة حبها وزواجها المزعوم من عبدالحليم حافظ والأفلام التى مثلتها والأغانى التى شدت بها والمسلسل الوحيد الذى أضيف إلى تراث التليفزيون العربى.. وتبارى الكثيرون من الفنانين والإعلاميين فى إظهار حبهم لها وتعاطفهم معها والمطالبة بضرورة تكريمها وإطلاق اسمها على أحد أبرز الشوارع وإحدى أبرز القاعات الفنية.. كذلك وفى أقل من شهر ظهرت ثلاثة كتب. والبقية تأتى. تفيض فى شرح مواهب السندريلا الراحلة التى أسعدت الملايين وأدخلت البهجة فى قلوبهم وماتت وحيدة حزينة بعد أن تركها الأهل وتخلت عنها الحكومة وتنكر لها الأصدقاء... وفى الوقت نفسه ظهرت مقالات وعلت أصوات تنعى الوفاء الغائب وتندد بالجحود والتفريط فى ثروة مصر من الفنانين البارزين اللامعين وآخرهم سعاد حسنى.

●●●

تابعت ذلك كله وأنا أقول: اللهم لااعتراض... ولكنى لم أستطع أن أمنع نفسى من التساؤل... وماذا عن الذين يموتون وحيدين حزانى غرباء وهم وسط الأهل وفى أحضان الوطن؟؟ ففى الوقت نفسه الذى رحلت فيه سعاد حسنى رحل عن دنيانا الدكتور محمود حماية.. وهو لمن لايعرفونه من القراء أستاذ أزهرى وعالم جاد وهب حياته للدعوة وجاهد من أجلها وكان سبيله فى الدعوة هو قول الله سبحانه وتعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» سورة النحل آية ١٢٥ وقد عانى الرجل فى سنواته الأخيرة معاناة كبرى بسبب التحقيقات ومجالس التأديب التى اقتيد اليها بسبب خلافات الرأى التى يفترض أنها أصل فى الفقه الإسلامى وأنها لاتفسد للود قضية خاصة بين العلماء الذين يعرفون أن الاختلاف

سنة من سنن الكون وآية من آيات الله. وكانت الأسابيع الأخيرة من حياة الدكتور حماية عبارة عن رحلة عذاب بين غرف العمليات والعناية المركزة.... وحين رحل عن دنيانا لم يذكره ولم يتذكره أحد سوى «عقيدتى» التى تقدر العلماء حق قدرهم وتجعل الدعوة فى مقلتى عينيها وإذا كان الدكتور حماية لم ينل حقه من التقدير والوفاء فى الدنيا فإن ماعند الله خير وأبقى.

وإذا كان الدكتور محمود حماية غير معروف للبعض، فإن عدداً من قمم الدعوة والفكر الإسلامى قد رحلوا خلال الأعوام الخمسة الأخيرة وعلى رأسهم الشيوخ: الشعراوى والغزالى وجاد الحق وعبدالوهاب فايد واسماعيل صادق العدوى وخالد محمد خالد وغيرهم.... ولم يحظ أى منهم بعشر معشار ماحظيت به سعاد حسنى من اهتمام... بل إن بعضهم لم ينل شرف أن يصدر عنه كتاب واحد.. ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

●●●

●● المظاهرات التى شهدتها بعض المحافظات من عدد من الشباب الباحثين عن فرصة عمل تشير إلى أننا بطريقة ما... فعلنا الشىء الصواب بالطريق الخطأ.

●● هل لاحظتم أن غالبية المتفوقين فى الثانوية العامة من الفتيات؟ وهل لاحظتم أن معظم الفتيات المتفوقات محجبات وملتزمات؟ ألا يرد هذا على المتبجحين والمبتجحات الذين يزعمون أن الحجاب دليل تخلف، وأنه يوثر على معدل ذكاء الفتاة؟ أولا يؤكد هذا على ضرورة مادعت إليه «عقيدتى» فى العدد الماضى من الاهتمام بإنشاء مسابقة لملكة جمال الأخلاق والالتزام؟

●●●

●● مع احترامى للخطوة التى اتخذتها نقابة الصحفيين بالتنسيق مع الكنيسة والتى تتمثل فى تنظيم رحلة للصحفيين إلى دير المحرق والتى كنت أتمنى أن أشارك فيها لولا ظروف خارجة عن الإرادة فإنى لاأوافق على ماأعلن من أن هدف الزيارة هو تأكيد الاحترام لجميع المقدسات والتضامن مع الكنيسة المصرية.. ولذلك أسباب كثيرة فى مقدمتها أن احترام المقدسات أمر واقع ولاينتظر زيارة دير المحرق أو أى دير آخر... وثانيها أن خطأ أو جريمة «النبأ» هى جريمة فردية يسأل عنها مرتكبها ولاتمثل توجها عاما بأى حال من الأحوال وقد اتخذت الدولة بكل أجهزتها وهيئاتها موقفا حازما وعنيفا من هذه الجريمة. وثالثها أن الكنيسة لم تكن فى أى وقت مستهدفة.. و يجب أن يعلم الجميع أن الصحافة المصرية أكبر من صحفى منحرف وأن الوحدة الوطنية المصرية أكبر من فضيحة منشورة فى صحيفة صفراء... وأن مصر أكبر من جميع الأفراد والهيئات... ولذلك فالأوفق أن يكون هدف الزيارة وأى زيارات أخرى هو الانفتاح والتعارف بين الصحافة وبين المؤسسات الدينية القبطية.



•••

•• ياعرب... منظمة الوحدة الأفريقية تحولت إلى اتحاد أفريقى... متى تتحركون لكى تصلوا إلى هذه الصيغة ولو بعد حين؟؟

•••

•• وزارة الصحة الإسبانية اعترفت بأن ثمة عيوبا فى زيت الزيتون الإسبانى تسبب مخاطر على الصحة... وأصدرت تحذيرات على مستوى العالم... وبناء عليه أوقفت دول كثيرة استيراد او استخدام الزيت الاسبانى.. شجاعة.. وشفافية.

•••

•• تقرير مهم للأمم المتحدة أوضح أن الفجوة بين الدول المتقدمة تكنولوجيا والدول المتخلفة فى هذا المجال تتسع... ولكن عشرات الدول النامية تستغل التكنولوجيا فى تفادى التخلف بشكل أكبر عن ركب الاقتصاد العالمى... وأشار التقرير إلى ظهور مراكز تكنولوجية متقدمة فى الدول النامية تنافس وادى السليكون بالولايات المتحدة والمراكز المماثلة له فى أوروبا واليابان مثل بنجامور بالهند وغزالة بتونس وكاميناس وساوباولو بالبرازيل وكوالالمبور بماليزيا وجواتنج فى جنوب افريقيا... أين نحن على خريطة مراكز التكنولوجيا العالمية وتجربتنا فى البحث العلمى والتكنولوجيا أقدم من بعض هذه الدول؟؟!

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾ صدق الله العظيم. سورة البقرة آية ٤٤.

● ١٧ يوليو ٢٠٠١

الانتخابات .. ورأى الشعب -١

أطلق الرئيس حسنى مبارك إشارة البدء للعملية أو المعركة الانتخابية التى بدأت فعليا منذ شهور لكنها ستبدأ رسميا يوم الخميس القادم ببدء تلقى طلبات المرشحين لعضوية مجلس الشعب من الأحزاب المختلفة... ووصف العملية الانتخابية القادمة بأنها معركة ليس من قبيل المبالغة اللفظية أو التهويل فى قدر وقيمة هذه الانتخابات... بل هو تعبير حقيقى عن أهمية انتخابات يتوقع أن تكون بكل ظروفها وملابساتها والنتائج المترتبة عليها أهم وأسخن انتخابات فى تاريخ مجلس الشعب المصرى منذ العدول عن نظام التنظيم الشعبى الواحد والأخذ بمبدأ التعددية الحزبية بمبادرة من الرئيس الراحل أنور السادات.

وترجع الأهمية المتوقعة لهذه الانتخابات لأسباب عديدة فى مقدمتها مايلى:

•• إن ثمة رغبة فى وجود برلمان قوى يشارك بالرأى والمشورة والتشريع والرقابة فى قيادة العمل الوطنى لارتياد المستقبل.. ومثل هذا البرلمان يجب أن يكون بريئا من المطاعن التى تتعلق بدستورية اختيار أعضائه أو نوعية هؤلاء الأعضاء.. مثل هذا البرلمان لا مكان فيه لتجار مخدرات أو لصوص بنوك أو بلطجية أو مافيا أراض أو سيئى السمعة.

من هناك كانت أهمية الاختيار الدقيق للعناصر التى تخوض هذه الانتخابات سواء من جانب الحزب الوطنى الحاكم أو أحزاب المعارضة.

•• إن الشفافية والنزاهة التى يجب أن تتصف بها الانتخابات كانت مطلبا شعبيا فى كل الانتخابات السابقة والآن صارت قرارا سياسيا سياديا سواء تطبيقا لحكم المحكمة الدستورية العليا أو لتعديلات قانون مباشرة الحقوق السياسية أو اجراءات الانتاخابات.. ويجب أن تتحول الشفافية والنزاهة من رغبة ومطلب وقرار إلى فعل وسلوك من الجهات المشرفة على الانتخابات أو المشاركة فيها.. واذا كان الاشراف القضائى على العملية الانتخابية داخل اللجان يمثل ضمانا للنزاهة والشفافيه فإن واجب الجميع حماية العملية فى كل مراحلها حتى تكتمل منظومة الشفافية والنزاهة المستهدفة.

•• إن هذه الانتخابات هى أول انتخابات تجرى فى الألفية الجديدة... وهى تأتى بعد انتخابات جرت فى دول عديدة من الشرق والغرب... دول متقدمة وأخرى نامية.. ودول رأسمالية وأخرى رزحت عقودا تحت الحكم الشيوعى... وفى كل هذه البلاد اسفرت الانتخابات عن تغيرات فى النسب والحصص والتحالفات والتوجهات.. ونحن جزء من هذا العالم المتغير... ولايتصور أن يبقى كل شىء على حاله رغم ماكشفت عنه تجارب الانتخابات السابقة من طعون على المجالس السابقة سواء من حيث دستوريتها أو إجراءاتها أو صحة عضوية أعضائها.

•• إن هذه أول انتخابات لاتقابل بسلبية مطلقة من الأحزاب المعارضة التى كانت ترى فى الظروف والإجراءات والشروط الموضوعة للانتخابات السابقة قضاء مسبقا على فرص فوزها بعدد من المقاعد فى البرلمان كانت ترى أنها تستحق الحصول عليه... وتصريحات زعماء الأحزاب بعد لقائهم الأخير مع الرئيس حسنى مبارك مؤشر على تغييرات مهمة فى الانتخابات.



●● إن ثمة تغييرا يجرى.. وقد كانت العادة فى الانتخابات السابقة أن ينتظر الحزب الوطنى ويتأنى فى إعلان قائمة مرشحيه لمجلس الشعب حتى تنتهى الأحزاب الأخرى من إعلان مرشحيها ولكنه هذه المرة أعلن قوائم جزئية للمرشحين ثم اعلن القائمة الكاملة قبل أيام من الترشيح.. وبلغت نسبة التغيير ٤٢ بالمائة من الاسماء.. وربما كان الناس ينتظرون نسبة تغيير اكبر ويرون أن بعض الأسماء التقليدية التى احتكرت العمل السياسى فترات طويلة يجب أن تكتفى وتختفى وتفسح المجال لوجوه جديدة أكثر حيوية وقد تكون اكثر قدرة على العطاء.. ولكن من المؤكد أنه كانت هناك رغبة فى الموازنة بين ضرورة التجديد والتغيير وبين ضرورة عدم التفريط فى الكراسى.

يبقى أن نقول إن كل مااتخذ من اجراءات وصدر من قرارات وأعلن من رؤى وآراء يمثل جوانب ايجابية.. لكن المحك الحقيقى هو التنفيذ.. هو الالتزام بكل ماأعلن وتنفيذه بكل دقة.

ويبقى أيضا أن ننقل هنا ماصرح به المستشار حسن خليل أمين عام نادى القضاة من قوله إن الإجراءات التنفيذية لسير العملية الانتخابية ركزت على ضرورة التزام القضاة بانضباط وإحكام الاقتراع... واشارته إلى أن أى خطأ أو إهمال أو تقصير أو تزوير يظهر نتيجة شكوى أو تحقيق يعرض القاضى للمسئولية التأديبية.

وهذا بالطبع من الناحية القانونية وبالطبع يشترط للعقاب ان تكون ثمة شكوى أو تحقيق.. ويبقى جانب الضمير الذى لايسيطر عليه سوى الوازع الدينى والإحساس بالواجب الوطنى الأعلى قبل المسئولية الوظيفية.. لذلك لايندهش المرء للطلب المنشور فى صورة إعلان. رغم غرابته. يطالب فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة المفتى ببيان حكم الشرع فيمن يزور الانتخابات.... وأعتقد أن بيان حكم الشرع واجب فى هذه الحالة.

●●●

●● هذه خطوات جديرة بالتحية والتقدير... أعنى قرار اللواء حبيب العادلى وزير الداخلية احترام آدمية السجين والغاء عقوبة الجلد من السجون المصرية... وقراره خروج السجين المفرج عنه من باب السجن إلى بيته مباشرة دون عوائق أو تعطيل.

●●●

●● وهذه شهادة من بريطانيا تنسف دعاوى الحرية الجنسية وهدم مؤسسة الأسرة.. الشهادة هى رسالة ونداء من بول بوتنج وزير الدولة البريطانى للشئون الداخلية المسئول عن سياسات الأسرة فى الحكومة البريطانية إلى مواطنيه بتشجيع الزواج واقامة الأسرة لحماية الأبناء من الانحراف.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾** صدق الله العظيم. سورة النحل آية ٩٠.

● **١٩ سبتمبر ٢٠٠٠**

تأتى كتابة هذه الكلمات قبل ظهور أى نتائج أو مؤشرات لنتائج المرحلة الثانية من انتخابات مجلس الشعب.. ومن ثم فلا يمكن الحكم بأن نتائج هذه المرحلة ستكون تكرارا حرفيا أوصورة كربونية من نتائج المرحلة الأولى التى أسفرت عن فوز المستقلين بمعظم مقاعد دوائر المحافظات التسع التى جرت فيها الانتخابات وفشل عدد كبير من قيادات الحزب الوطنى. حزب الأغلبية. فى الحصول على أصوات الناخبين وكذلك فشل الأحزاب المعارضة جميعا فى الحصول على أى مقاعد باستثناء ثلاثة مقاعد لحزب التجمع ومقعد واحد يتيم لحزب الوفد.

والقول بأن نتائج المرحلتين الثانية والثالثة من الانتخابات لايمكن أن تكون تكرارا حرفيا أو صورة كربونية من نتائج المرحلة الأولى يستند إلى أن نتائج المرحلة الأولى مثلت صدمة هائلة للحزب الوطنى.. فحصول المرشحين المستقلين على هذا العدد الضخم من المقاعد يهدد أغلبية الحزب الوطنى إذا ماقرر هؤلاء النواب المستقلون أن يبقوا على استقلالهم وألا يعودوا أو يستعادوا للحزب الوطنى خاصة أن أغلبية هؤلاء المستقلين هم أعضاء سابقون أو مجمدون فى الحزب الوطنى وقليل منهم لهم انتماءات حزبية أو توجهات سياسية غير مفصح عنها. وقلة قليلة هى التى ليست لها انتماءات حزبية.

ولابد أن الصدمة التى احدثتها المرحلة الاولى من الانتخابات قد دفعت الجميع وخاصة قيادات الحزب الوطنى للمراجعة السريعة للمواقف والحركة العاجلة لدعم مواقف مرشحى الحزب وحشد الأصوات لهم فى المرحلتين الثانية والثالثة خاصة أن من بين من فشلوا فى الحصول على ثقة الناخبين فى المرحلة الأولى رموزا ظاهرة فى مجلس الشعب فى دوراته السابقة وأعضاء شبه دائمين فى هذه الدورات وأمناء للحزب الوطنى فى المحافاظت مما يوحى بأن الترشيحات فى بعض الحالات كانت فى جانب وآراء الناس كانت فى جانب آخر. وقد عبر الناس عن آرائهم بشكل عملى عندما واجه كل منهم لحظة الحقيقة ومارس الصدق مع النفس..

ولا يمكن الدفاع عن هذا السقوط بأنها لعبة المال أو الضغوط أو الحيل الانتخابية.. فهذه الأسباب إن كانت حقيقية فى بعض الحالات فلايمكن أن تكون حقيقية على المستوى العام.. ولابد أن قيادات الحزب الوطنى قد أدركت أن الانتماء للحزب أو شغل منصب قيادى فيه ليس بالضرورة جواز المرور إلى قلوب وعقول الناس وليس بالتالى تذكرة دخول إلى البرلمان.

وإذا كانت تجزئة الإنتخابات إلى ثلاث مراحل ضرورة فرضتها ظروف إشراف القضاء على العملية الانتخابية فإنها تجزئة جاءت بفائدة عظمى للحزب الوطنى... فلنا أن نتخيل ماذا كان سيصبح عليه الحال لو أجريت الانتخابات دفعة واحدة وفاز المستقلون بأغلبية كبيرة ومن

ثم لم يحصل الحزب الوطنى على الأغلبية اللازمة ولم تحصل أحزاب المعارضة الا على مقاعد تعد على أصابع اليد الواحدة أو أصابع اليدين فى أحسن الحالات.

لقد كشفت المرحلة الأولى من الانتخابات ضعف وهزال أحزاب المعارضة وعجزها عن الحصول على أعداد مشرفة من المقاعد فى البرلمان حتى فى ظل إشراف القضاء على العملية الانتخابية... وأن حديث بعض هذه الأحزاب عن تداول السلطة عبر صناديق الاقتراع هو أشبه بأحلام القيظة.. وأن مقولة أن معظم هذه الأحزاب ورقية ولاتزيد على صحيفة تصدر هى مقولة صحيحة إلى حد كبير.

لكن هذه المرحلة فى ذات الوقت أكدت انه وان كانت قيادات الحزب الوطنى قد تحركت بسرعة وقوة لحشد التأييد لمرشحى الحزب فى المرحلتين الثانية والثالثة فإن هذا لاينفى حاجة الحزب الى مراجعة شاملة لقياداته وعضويته وإلى الدفع بقيادات جديدة شابة. حقيقة. إلى مواقع العمل والمسئولية ليس فقط لكسب أى انتخابات قادمة دون حاجة الى الإعادة فى معظم الدوائر أو إلى استعادة مرشحين خرجوا على الالتزام الحزبى وانما لتفعيل دور الحزب فى الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية.. ولاعزاء لأحزاب المعارضة.

●●●

●● هذا مجرد رأى شخصى... إن الذين هاجموا مصر فى مظاهرات ديماجوجية أو بأقلام مسمومة فى بعض الصحف المأجورة أو العميلة أو عبر شاشات قنوات تليفزيونية مشبوهة هؤلاء جميعا لايستحقون أن نتعب أنفسنا كثيرا فى تخصيص مساحات أو أوقات للرد عليهم.. انهم جميعا مثل فقاعات الصابون بينما مصر كالجبل الشامخ الذى لاينال منه الحاقدون والحاسدون.

●●●

●● التقى بى صديق قديم كان قد تورط فى عضوية جماعة كوبنهاجن واختلفنا بسبب ذلك خلافا شديدا وصل إلى حد قطع كل اتصال بيننا... ومارآنى حتى راح يبادرنى ببشرى أنه انسحب وقطع صلته بهذه الجماعة التى إذا افترضنا براءتها من الشبهات فلا نستطيع أن نبرئها من السذاجة السياسية والتخلف الحضارى... لم أجد ماأعلق به على قوله خيرا من قول الله سبحانه وتعالى: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض﴾***.

● **٣١ أكتوبر ٢٠٠٠**

قرر الدكتور محمد ابراهيم سليمان وزير التعمير والإسكان زيادة مدة سداد أقساط المشروعات الصناعية والتجارية والخدمية بالمدن الجديدة الى ٦ سنوات بدلا من ٣ سنوات وخفض الفوائد على الأقساط المتأخرة الى ٦ بالمائة وذلك فى اطار توجيهات الرئيس حسنى مبارك بإزالة المعوقات من أمام المستثمرين لدعم حركة الاستثمار وايجاد فرص عمل للشباب.. وفى الوقت نفسه قرر الوزير خفض مقدم وحدات الإسكان المتوسط بالمدن الجديدة بنسبة ٥٠ بالمائة وخفض الفوائد على الأقساط من ١٠ الى ٥ بالمائة على أن يتم السداد على ١٧ عاما بدلا من ٤ سنوات (فى بعض المناطق) وخفض سعر الوحدات الاستثمارية فى مشروعات الشباب بنسبة ١٥ بالمائة فى حالة السداد الفورى وفى حالة التقسيط يتم خفض مقدم الحجز من ١٥ الى ١٠ بالمائة من ثمن الوحدة وسداد الباقى على أقساط نصف سنوية يتم دفعها على مدى ١٥ عاما بدلا من ١٢ عاماوتخفض الفائدة من ٨ الى ٥ بالمائة.

وهذه القرارات تأتى بالتأكيد فى سياق الجهود التى تبذلها الدولة لتوفير مساكن بأسعار معقولة للشباب تمكنهم من بدء حياة زوجية وتكوين أسر... وفى ضوء الضوابط والشروط والتحريات والتدقيقات والمراجعات التى تجريها الأجهزة المختلفة فان المفترض أن تؤدى هذه القرارات إلى تخفيض حقيقى من أعباء الشباب خصوصا إذا أضيفت اليها المساكن التى يتم تنفيذها من خلال جهود جمعية المستقبل.. والمفترض أيضا أن تصل هذه المساكن إلى مستحقيها ولاتتسرب الى اصحاب النفوذ والحظوة.. والمفترض فى النهاية أن يستفيد هؤلاء المستحقون بهذه المساكن وألا يعمدوا إلى «تسقيعها» أو الاتجار فيها أو تأجيرها على خلاف المقصود منها.

وقد سبق أن اتخذت الوزارة خطوة أخرى مهمة لتشجيع حركة العمران فى المناطق العمرانية الجديدة... فبعد طول انتظار (نحو خمس سنوات) بدأت تسليم أراضى البناء فى مناطق وتجمعات القاهرة الجديدة وذلك بعد توصيل المرافق إليها.. وكانت المفاجأة هى إعادة تقسيط المتبقى من أثمان الأراضى على أربع دفعات بدلا من دفعتين ويتم السداد على خمس سنوات بدلا من سنتين وبفترة سماح تتجاوز سنتين.

وبالطبع فإن قانون العلاقة الإيجارية الجديد الذى يتم التعامل بموجبه فى المساكن الجديدة أو المساكن القديمة التى تؤول إلى أصحابها. إن حدث ذلك بالقضاء والقدر. فإن الهدف منه أيضا.. تشجيع البناء من أجل التأجير ومن ثم نزع صمام أزمة الاسكان.. وقد تكون هذه الاجراءات خففت فعلا من أزمة الإسكان وحالت دون تفاقمها بشكل يهدد السلام الاجتماعى... غير أن الأزمة مازالت قائمة لأن الشق الأكبر والنسبة الأعلى من الثروة العقارية فى مصر مازالت أسيرة قانون الإيجارات القديم الذى جمد إيجارات المساكن. بعد عدة

تخفيضات . لما يقرب من نصف قرن.. وخلال هذه المدة تضاعفت الأسعار والدخول أحيانا بمتتالية حسابية وأخرى بمتتالية هندسية.. فمتر الأرض الذى كان يباع بقروش فى بداية الخمسينات من القرن الماضى صار يباع بألوف الجنيهات بل إن الأرض الزراعية فى الريف بعد أن كانت تباع بالفدان والقيراط صارت تباع بالمتر بعد أن دخلت فى حيز العمران... وسعر طن الاسمنت حتى بداية السبعينات كان بضعة جنيهات وصار بمئات الجنيهات.. وهكذا الأمر فى كل مواد البناء وأجور العمالة.. ورغم كل ذلك بقيت ايجارات المساكن على حالها.. وقد كانت هذه الإيجارات مناسبة ومعقولة بالنسبة للملاك والسكان . المحميين بلجان تقدير الإيجارات وغيرها بأسعار وقتها . و لكنها الآن لم تعد مناسبة ولامنطقية بأى حال..

والأمر ليس مجرد إيجاد صيغة عادلة للعلاقة بين المالك والمستأجر تنزع فتيل الحقد والكراهية وتزيل روح التربص والعدوان القائمة الآن ولكن إعادة صياغة هذه العلاقة وتحقيق العدالة هو الحفاظ على هذه الثروة العقارية المتداعية بسبب الإهمال والعناد..

وتستطيع المساحات الهائلة للمساكن القديمة أن تعيد التوازن لعملية البناء.. ويمكن من خلال تحريك الإيجار تحريكا حقيقيا مجزيا دون الإضرار بمستقبل فئات من السكان لايجدون مساكن بديلة أن نشجع على البناء.. ويجب ان تتوقف نغمة «يكفيهم ماأخذوه» أى يكفى الملاك ماأخذوه من ايجارات على مدى السنين الماضية وكأنهم ارتكبوا جرائم فى حق السكان وفى حق المجتمع عندما بنوا واجروا و خضعوا للقانون... والخوف هو ان نظل ندور فى حلقة مفرغة من الدراسات والقوانين التى تدور حول المشكلة ولاتدخل فى صميمها.. والخوف ايضا هو من أن تسود الروح التى تسببت فى إعادة النظر فى قانون زيادة ايجارات الاماكن غير السكنية والاتجاه لخفضها من ١٠ بالمائة الى ١ بالمائة فقط.. وكل مانعنيه هو أن تكون العدالة للجميع وليس لفئة على حساب فئة.... وأن تكون الحلول جذرية وليست التفافا حول المشكلات.

●●●

●● ناقشت القمة العربية المطالبة بمحاكمة مجرمى الحرب الإسرائيليين... وسيظل هذا الطلب مجرد كلام انشائى إلى ان تتخذ خطوة عملية بتحديد أسماء عدد من هؤلاء المجرمين وأبرزهم على قمة السلطة فى إسرائيل الآن؟؟ وإعداد قائمة بالاتهامات الموجهة لهم وإقامة دعوى أو عدة دعاوى والضغط بقوة فى هذا الاتجاه... متى يحدث هذا؟؟ مجرد سؤال..

●●●

●● قضت المحكمة بحبس الصيدلانية المتهمة بقتل ستة أطفال (أكرر ستة أطفال) بسيارتها فى ميت غمر لمدة سنة مع وقف التنفيذ... ماأرخص دماء الأبرياء..

●●●

●● ناس يأكلون الداندى والكافيار و السيمون فيميه. ثم لحم النعام. وناس يأكلون أرجل الدجاج... آلية سوق... و .. اللهم لا حسد...

●● الأمير وليام نجل ولى عهد بريطانيا الأمير تشارلز.. عمل لمدة شهر فى احدى المزارع بجنوب غرب انجلترا مقابل سبعة جنيهات استرلينية فى الساعة للحصول على أموال تساهم فى تمويل جولة أفريقية قرر القيام بها لدراسة الحفاظ على البيئة والعمل فى رحلات السفارى الأفريقية... بدون تعليق.

●●●

●● دعا الرئيس الألمانى يوهانس راو وسائل الإعلام الألمانية والغربية الى عدم الخلط بين الإسلام والتطرف والإرهاب.. وطالب بالنظر بموضوعية للمجتمعات الإسلامية.. وأكد أن التطرف الدينى ليس ظاهرة مقصورة على المجتمعات الإسلامية بل هو مشكلة فى المجتمعات المسيحية أيضا... هذه شهادة جديرة بأن تستثمرها وسائل الإعلام والمنظمات الإسلامية المختلفة ولو من باب الرد على الأقلام ذات الأسماء الإسلامية التى تشوه صورة الإسلام والمسلمين عن سوء قصد أو عدم فهم.

●●●

مسك الختام

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله» رواه البخارى ومسلم●

● ٣ أبريل ٢٠٠١

أثار مشروع قانون التمويل العقارى معارضة شديدة وجدلا حادا منذ بداية طرحه كفكرة الى أن صار مشروع قانون مطروحا أمام مجلس الشعب.. وقد عقدت بشأنه لقاءات عديدة على مختلف المستويات ونظمت الندوات ودخل المشروع مجمع البحوث الإسلامية مرتين لفحصه.. فى المرة الأولى أبديت عليه ملاحظات من حيث مدى مطابقته للشريعة الإسلامية وفى المرة الثانية تمت الموافقة عليه بعد مناقشات مطولة.. والآن يخضع المشروع لمناقشات حادة واعتراضات أكثر حدة. وهذا أمر طبيعى لأسباب متعددة:

● أول هذه الأسباب أن هذا المشروع يتعامل مع حاجة أساسية من حاجات الإنسان هى الحاجة الى سكن مناسب مستقر يلبى احتياجاته الآنية والمستقبلة ولايمثل عبئا على ميزانيته... وقد ظلت هذه الحاجة هاجسا أساسيا من هواجس الحكومات المختلفة وحاولت البحث عن حلول لها.. وكان من بين الحلول التى لجأت اليها حكومات ثورة ٢٣ يوليو إنشاء مساكن متوسطة وأقل من المتوسطة للفئات الفقيرة ومحدودة الدخل بايجارات رمزية ثم بالتمليك بعد ذلك بأسعار رمزية أيضا..

وكان منها أيضا خفض وتحديد ايجارات المساكن تحديدا تعسفيا أدى الى تجميد الايجارات على مدى يقارب نصف قرن رغم الارتفاعات المتوالية فى تكاليف المعيشة وفى مستويات الدخول مما أدى الى ظهور خلو الرجل والبناء من اجل التمليك ومأأعقب ذلك من زيادات مستمرة فى أسعار الشقق سواء بنيت من قبل القطاع الخاص أو من قبل الدولة... ورغم انه تم انفاق عشرات المليارات من الجنيهات فى إقامة مئات الألوف من الوحدات السكنية فإن أزمة الإسكان لم تحل.. حتى قانون الإيجارات الجديد الذى صدر منذ سنوات قليلة لم يؤد الى حل الأزمة.

● السبب الثانى أن نظام التمويل العقارى «المورجيج» نظام معمول به فى الغرب ويمثل نظاما متكاملا للبناء والتمليك للعقارات وفقا لصيغة ثلاثية الأطراف: المالك/ البنك/ المستفيد. وهى صيغة تلبى رغبة الانسان فى التملك وحاجته للسكن المستقر المناسب بتكلفة مناسبة حيث يتم تملك المسكن سواء أكان بيتا أم شقة فى فترة تتراوح بين ١٠ و ١٥ سنة بأقساط شهرية لاتزيد كثيرا عما يدفعه كايجار للبيت ذاته أو الشقة نفسها لو استمر يقيم فيها بالإيجار..

وقد كانت الزيادة فى السعر فى حالة التقسيط تمثل تخوفا وهاجسا لدى المسلمين فى هذه البلاد من استراليا إلى قلب أوروبا الى أمريكا وطرحت بشأنها العديد من الاسئلة بشكل رسمى وبشكل غير رسمى عبر العديد من القنوات الفضائية العربية التى يصل إرسالها الى هذه البلاد. وقد اجاب الكثير من العلماء من مختلف المذاهب بإباحة هذا النوع من البيوع.. كذلك أفتى المجلس الفقهى فى أوروبا بحل هذا النوع من التملك. ومن ثم فإن تطبيق هذا النظام فى مصر لااعتراض عليه من الناحية الشرعية وهو ماأكدته موافقة مجمع البحوث الإسلامية.

• السبب الثالث هو الاعتراضات الوجيهة التى أبديت من جانب أعضاء مجلس الشعب بصفة عامة ونواب الحزب الوطنى بصفة خاصة الذين لايمكن لأحد أن يدعى أن معارضتهم للمشروع هى مجرد المعارضة للمعارضة وخاصة عندما يكون فى مقدمة هؤلاء النواب الدكتور زكريا عزمى بمكانته المعروفة ودوره فى المجلس. وأهم الاعتراضات على المشروع أن ظاهره أنه للفقراء بينما إمكانية الاستفادة منه لن تكون متاحة إلا للقادرين. أى أنه قانون للفقراء يستفيد به الأغنياء... ومنها أنه سوف يؤدى الى تنشيط حركة البناء والإقراض فى البنوك لكنه لن يساهم مساهمة فعالة فى حل مشكلة الإسكان طالما أن الاستفادة منه ستكون للقادرين فى الوقت الذى لاتكفى فيه امكانيات الدولة لمتابعة إقامة المساكن الكافية لمحدودى الدخل وسوف يساهم المشروع. القانون. عند تطبيقه فى زيادة المعروض من الإسكان المتوسط والفاخر على حساب المستويات الأدنى والتى تحتاجها الغالبية العظمى من الشعب. وقبل ساعات من كتابة هذه الكلمة وافق مجلس الشعب على مشروع القانون من حيث المبدأ... وهكذا تبقى قضية محدودى الدخل معلقة حتى إشعار آخر.

•••

•• ليس من مصلحة الأغنياء أن يزدادوا غنى بينما يزداد الفقراء فقرا.

•••

•• حكمة: الإنسان يملك الكلمة التى لم يقلها. أو يكتبها. فإذا قالها. أو كتبها. ملكته. ولايكب الناس على وجوههم قدر حصائد ألسنتهم.

•••

•• فرح خسروى. ٤٢ سنة. سيدة ايرانية تقدمت بأوراق الترشيح لرئاسة الجمهورية.. والدكتورة ثريا عبيد سيدة سعودية تم تعيينها مساعدة سكرتير عام الأمم المتحدة.... وفى مصر هناك مشروع لتعديل قانون الغرفة التجارية ليسمح للمرأة بالانتخاب والترشيح لعضوية الغرفة.. مجرد ملاحظة.

•••

•• السنج والمطاوى والجنازير وصلت مدارس البنات... تم فصل ثمانى طالبات بمدرسة بهتيم الثانوية التجارية للبنات بشبرا الخيمة فصلا نهائيا لسوء سلوكهن وفصل خمس طالبات أخريات بنفس المدرسة لمدة أسبوع.. مطلوب من أجهزة التربية والتعليم التحرك قبل أن يتسع نطاق الكارثة.

•••

مسك الختام

قال الله عز وجل: **﴿هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم﴾** صدق الله العظيم سورة محمد آية ٣٨•.

• ٨ مايو ٢٠٠١

هل لدى أى جهاز فى الدولة من وزارة للتخطيط الى جهاز مركزى للتعبئة والاحصاء الى وزارة للإسكان والمجتمعات العمرانية الجديدة وغيرها أى بيانات إحصائية عن عدد المساكن الجديدة المغلقة فى المدن الجديدة والأحياء السكنية التى أقامتها الدولة فى مختلف المحافظات ومشروعات الاسكان التى نفذها القطاعان الخاص والتعاونى؟؟ وهل لدى الدولة دراسات تحليلية مقارنة عن مدى إسهام هذه المشروعات فى حل أزمة الاسكان من حيث توافر السكن من ناحية ووقف جنون أسعار البيع أو التأجير للوحدات السكنية؟؟ وهل لدى الدولة تقديرات دقيقة أو تقريبية عن حجم القروض والتسهيلات الائتمانية التى قدمتها البنوك من مدخرات كبار أو صغار المودعين لأصحاب مشروعات الاسكان الفاخر والمتوسط ومقدار ما حصلته البنوك من هذه الديون ومقدار ما تبقى فى ذمة هذه المشروعات؟؟ وهل لدى الدولة خطة واضحة لتحريك سوق العقار بحيث تنشط حركة البناء والتعامل فى العقارات بيعا وشراء وايجارا وانتقالا بحيث تساهم حركة البناء فى تنشيط قطاع البناء من ناحية وقطاعات الانتاج والتمويل من ناحية ثانية؟؟

هذه الأسئلة تدور فى الشارع دون جواب واضح بسبب ما أثير مؤخرا بشأن المدن الجديدة والاعفاءات الخاصة بها والاعلانات التحذيرية التى بدأت هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة نشرها فى الصحف المختلفة والتصريحات التى صدرت عن المسئولين والتى أحدثت بلبلة.. وكما يحدث عادة عند أى قرارات أو تعليمات أو سياسات جديدة فإن الذين اعتادوا القفز فوق القوانين أو التحايل عليها يكونون مسلحين بالمعلومات والخبرات وقدرات الاختراق التى تمكنهم من انتهاز الفرص والتحايل على القيود والتسلل من ثغرات القوانين وفجوات ذمم كبار صغار -أوصغار كبار- المسئولين فى القطاعات المختلفة وخاصة فى المحليات.. بينما المواطنون الشرفاء الذين يلتزمون بالقواعد ويؤدون بانتظام ما عليهم من واجبات هم الذين يدفعون فاتورة المخالفات والتجاوزات التى يرتكبها غيرهم.

وبالطبع فليس هناك قيد على حق الحكومة فى أن تراجع دوريا أو عند الحاجة ما اتبع من سياسات أو صدر من قرارات وتعليمات تنظم شيئا من أمور الانتاج أو الخدمات.. ولكن المهم أن يتم ذلك فى اطار نظرة شاملة ورؤية مستقبلية لاتكتفى بعلاج أزمة طارئة أو مشكلة آتية وإنما تحول دون استمرار المشكلات القائمة أو حلها حلولا مؤقتة تؤدى الى خلق مشكلات ونقص السيولة مثلا فان تداعيات أحداث ١١ سبتمبر الماضى تمثل سببا واحدا من أسبابها بينما الاسباب الأكبر والأهم هى التراكمات الاقتصادية للسياسات المتبعة فى السنوات الأخيرة.. ودون الدخول فيمن هم المسئولون عن ذلك وهل هى الحكومة الحالية أم الحكومة السابقة فإن الأهم هو تحديد ومعرفة الأسباب الحقيقية من خلال دراسة موضوعية واتخاذ الإجراءات العملية والواقعية لتنشيط السوق وتحريك عجلة الانتاج والتخلص من المخزون السلعى المتنامى ورفع كفاءة الخدمات وزيادة التصدير ومضاعفة الصادرات غير المنظورة.

ففى حالة حدوث ذلك لن تشكل زيادة الواردات مشكلة خاصة إذا تعدلت نسبة الواردات فزادت فيها الآلات والمعدات ومستلزمات التشغيل على الواردات تامة الصنع التى تنافس المنتجات المحلية وتهدد كثيرا من المصانع المحلية بالتوقف خاصة مع النظم الجمركية التى تفرضها منظمة التجارة العالمية والتى ترفع مظلة الحماية عن المنتجات المحلية.

وعودة الى قضية الاسكان والمساكن فانه من المطلوب قبل اتخاذ اجراءات تغير طبيعة التعامل توفير القدر الكافى من المعلومات والدراسات حول الواقع والمستهدف والعائد الذى يمكن أن يحققه التغيير وكذلك المضار المترتبة عليه.. وإذا كانت الخصخصة سياسة واتجاها لابديل عنه فاننا بحاجة لتقييم مستمر لما يتحقق من خلالها من نتائج فى مجالات زيادة الانتاج وزيادة الصادرات والحد من الواردات وتحقيق التوازن والاتزان لميزان المدفوعات ومعالجة مشكلة البطالة.. فليس الهدف مجرد تخفف الدولة من أعباء إدارة المشروعات سواء أكانت انتاجية أم خدمية.

●●●

●● نتمنى أن تنجح الحكومة فى مسعاها للحصول على المنح والتسهيلات والقروض لسد فجوة العملات الأجنبية.. ونتمنى أكثر أن يأتى يوم تتوجه فيه مساعى الحكومة للاستغناء عن المنح والتسهيلات والقروض الاجنبية.

●●●

●● بصرف النظر عن أى اعتراضات على وقف النضال الفلسطينى المسلح ضد الإرهاب الصهيونى فإن السلطة الفلسطينية ومنظمات المقاومة تسعى الآن لتفويت الفرصة على الإرهابى آريل شارون الذى يسعى لتفجير وحدة الشعب الفلسطينى.. فهل ستفى الولايات المتحدة هذه المرة بتعهداتها أم ستسوف كالعادة لحين تفجير آخر يخطط له شارون ويبرر لها نكوصها عن وعودها؟

●●●

●● الكابتن محمود الخطيب عضو مجلس إدارة النادى الأهلى علق على فوز الأهلى على صن داونز وحصوله على كأس رابطة الأبطال الأفريقية قائلا: الناس بحاجة الى انتصار. فعلا يا كابتن.. الناس بحاجة الى انتصار.

●●●

مسك الختام

عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه: «الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»●.

● ٢٥ ديسمبر ٢٠٠١



فى حفل الإفطار الذى أقامته الجمهورية -وهى سنة حميدة بدأت منذ عدة سنوات برعاية الكاتب الصحفى سمير رجب رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير- تحدث الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب وأجاب على العديد من الأسئلة و«الاستجوابات» الصحفية وتخلص برشاقة من أى إحراج.. وتحدث محمد أبو العينين رجل الأعمال وعضو مجلس الشعب.. ولا يعنينى هنا ما قاله عن نفسه وأدائه الاقتصادى والسياسى.. ولكن الذى استوقفنى ويهمنى الحديث عنه هو ما قاله من أنه عندما ارتفعت نبرة الحديث عن رجال الأعمال ومديونياتهم للبنوك وهروب بعضهم تقرر التحرك لإجلاء الحقائق وتوضيحها للرأى العام لتنقية مناخ الاستثمار من ضباب الشكوك والشائعات.. وأن مواقف رجال الأعمال تباينت فمنهم من وافق على نشر موقفه الحالى وحجم استثماراته وديونه للبنوك ومنهم من رفض.

هذه الكميات التى وردت بشكل عابر تفصح عن أزمة حقيقية يعانى منها مناخ الاستثمار هى أزمة الشفافية.. فإن رفض الإفصاح عن الوضع المالى للشركة أو لرجل الأعمال من شأنه أن يؤيد الشكوك والشائعات التى يمتلىء بها الشارع المصرى ولا تطول رجال الأعمال وحدهم بل تصل الى مسئولين كبار فى البنوك المختلفة وفى أجهزة الدولة ذاتها.. وعدم الافصاح لا يفسر إلا بأحد اعتبارات عدة هى: الخوف من الحسد.. خشية المنافسين.. التهرب من الملاحقة الضريبية.. الخوف من أجهزة الرقابة.. والمعروف أن الشركات الكبرى فى العالم تفتح دفاترها بلا خوف لأجهزة الضرائب وأجهزة الرقابة وتتنافس فى إظهار قوتها المالية فى وجه المنافسين ويعقد المسئولون فيها مؤتمرات صحفية ولقاءات إعلامية بصور دورية وصور غير دورية لإيضاح الحقائق.

وثمة مراكز بحثية ومجلات وصحف متخصصة كبرى مثل فورتشن والفاينانشيال تايمز ووول ستريت جورنال وغيرها تتبارى فى اصدار قوائم سنوية بأكبر البنوك وأكبر الشركات وأغنى الأفراد فى العالم وتبرز حجم ثرواتهم وحجم معاملاتهم.. ما يصدر من هذه القوائم على المستوى العربى إنما يصدر عن اجتهادات فردية أو نقلا عن بعض المصادر وليس عن نظام مؤسسى يرصد ويجمع ويحلل ويستخلص ويعلن النتائج.

وإذا كان الإفصاح المالى سمة من سمات القوة الاقتصادية ودليلا من أدلة وجود الشفافية والثقة فإن الإخفاء والإنكار يلقى بظلال قاتمة على مناخ الاستثمار.. ولاشك أن الوضوح وثقة الناس فى سلامة المعاملات وبعدها عن الاستغلال والفساد والمبادرة لمقاومة المعوج وعقاب المنحرف وبتر الفاسد إنما هى مفاتيح للسلام الاجتماعى الذى حرص الاسلام على تحقيقه من خلال العدالة فى توزيع الثروة ومسئولية ولى الأمر عن تحقيق هذه العدالة ومحاسبة الخارجين عليها بأى صورة من صور الخروج.. فالأصل أن المال هو مال الله:

﴿..وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ سورة النور آية ٣٣ والناس مستخلفون فيه وعليهم أن يكتسبوه بحقه وينفقوه بحقه أيضا وأن يؤدوا واجبهم الاجتماعى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾** سورة التوبة آية ١٠٣.

●●●

●● قبل بداية شهر رمضان فاجأنا التليفزيون مفاجأة لطيفة عندما طرح علينا العديد من الأسئلة التى تتعلق برأى المشاهدين فى مواعيد بث البرامج المختلفة فى فترة المساء وهى فترة المشاهدة الرئيسية.. واستبشرنا خيرا.. فها هو التليفزيون يهتم بمعرفة آراء المشاهدين وسوف يعمل بها.. ولكن للاسف الشديد.. يبدو أن استطلاع آراء المشاهدين كان لمجرد المعرفة وليس للعمل وفقا لها.. فإن الاخطاء والعيوب التى وقعت فى السنوات الماضية تكررت هذا العام: فالمسلسلات والبرامج الدينية التى انفقت عليها ملايين الجنيهات تبث فى أوقات ميتة تصل فيها المشاهدة الى حدها الأدنى بينما برامج الترفيه والتسلية تحظى بالإذاعة فى أوقات الذروة وتحفل بالإعلانات المستفزة.. وأرجو أن يطرح التليفزيون سؤالين اثنين على المشاهدين وأرجو أن يكون المسئولون فيه أمناء فى استخلاص النتائج: السؤال الأول: ماهى نسبة المشاهدة للمسلسلات الدينية -حسن البصرى.. الفتح المبين.. ذو النون المصرى.. الوعد الحق-؟ السؤال الثانى: ماهى القيم التى خرج بها المشاهدون فى مسلسلات الترفيه -وجه القمر- خيال الظل- أوان الورد-؟

●●●

●● لأول مرة منذ سنوات ستشارك إيران والسودان والعراق فى معرض القاهرة الدولى للكتاب الذى تبدأ فعالياته فى ٢٤ يناير حتى ٦ فبراير ٢٠٠١. قال الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب أن هذه المشاركة تأتى فى إطار التطورات الايجابية التى تشهدها العلاقات المصرية مع كل من السودان وأيران واتساقا مع توجهات مصر إزاء رفع المعاناة عن الشعب العراقى الشقيق.. هذا ملام طيب.. وأطيب منه أن نجعل الحضور السودانى والإيرانى والعراقى ملموسا ليس فقط فى أجنحة الكتب ولكن فى الفعاليات الفكرية والثقافية والفنية فى المعرض فهذه هى مجالات التفاعل الحقيقية.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وبشر الذين آمنوا عملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأُتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾** صدق الله العظيم. سورة البقرة آية ٢٥.

الفاسدون .. والمفسدون ١

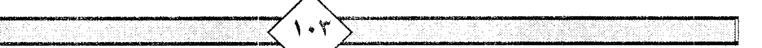
خلال بضعة أسابيع فوجىء الناس وصدموا بهروب اثنين من كبار رجال الاعمال هما مصطفى البليدى ورامى لكح بعد أن حصل كل منهما على مئات الملايين من أموال البنوك التى جمعتها من مدخرات الشعب المصرى المكافح وتعثرا فى سدادها ولم يصلا الى صيغة وسط مع البنوك الدائنة..

ولسنا هنا بصدد ما يدعيه أو يمكن أن يدعيه أى منهما من تعرضه لضغوط أوابتزاز أو اضطهاد بسبب المنافسة غير الأخلاقية أو الألاعيب السياسية أو الاختلاف المذهبى مما قد يكون صحيحا أو مجرد ادعاءات و افتراءات يقصد بها التهديد والضغط استنادا الى دعاوى حقوق الانسان والاضطهاد الدينى التى تطاردنا بها بعض الهيئات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية فى الغرب وأحيانا فى الداخل.

ولكننا بصدد هذه «الحالة» المتكررة ولا نقول «الظاهرة» حتى لا يغضب بعض المسئولين الذين يحاولون التهوين من شأن حالات التعثر والهروب بأموال الشعب أو الحكومة على حد سواء.. فسواء كانت هذه الاموال المنهوبة أموال أفراد أو بنوك أو حكومة فهى فى النهاية أموال الشعب والوطن و المحافظة عليها هى حماية للحاضر وادخار للمستقبل والتفريط فيها تحت أى دعوى من تيسير الاستثمار أو تشجيع المستثمرين أو تنمية الثقة فى الجهاز المصرفى فهو خطأ يرقى الى مستوى الخطيئة والجريمة..

وقد طرحت ثلاثية الاقتراض «على البهلى» بفتح الباء وتسكين الهاء أى بدون ضمانات أو بأقل الضمانات ثم التعثر فى السداد ثم الهروب بما تيسر من الأموال المقترضة العديد من التساؤلات حول مدى جدية رجال الاعمال هؤلاء فى اقامة مشروعات حقيقية توضع فيها أموالهم وأموال الذين وثقوا فيهم من مساهمين وبنوك ومسئولين.. وحول مدى جدية الضمانات التى يقدمونها للبنوك للحصول على قروض بمئات الملايين من الجنيهات.. وحول جدية إدارات البنوك فى التحقق من كفاية الضمانات ومن كفاءة إدارة المشروعات التى تم الاقراض من أجلها وفى تحصيل المديونيات أولا بأول.. وحول جدية وجود قاعدة معلومات خاصة بالاستثمار وأوضاع وقدرات المستثمرين وأخرى حول مديونيات البنوك وضماناتها بحيث لا تستخدم قروض بنك لسداد أقساط قروض بنك آخر وتتوالى القروض من هنا وهناك الى أن يحدث التعثر والهروب.. وفى النهاية تدور التساؤلات حول دور هذا المسئول أو ذاك فى تزكية مستثمر ما لإقامة مشروعات أو للحصول على تيسيرات أو قروض.. وأخيرا حول كيفية هروب هؤلاء المستثمرين دون أن يستوقفهم أحد خاصة عندما يكون أحدهم على قوائم الممنوعين من السفر..

إن ترك هذه التساؤلات دون إجابات واضحة ودون وجود اجراءات توفر مرونة منح القروض والتسهيلات الائتمانية وتشجيع المستثمرين الجادين وتحفظ فى الوقت نفسه أموال البنوك



التى هى أموال الشعب له آثار خطيرة منها: ضياع المزيد من المليارات من مدخرات الشعب الذى اؤتمن عليها الجهاز المصرفى.. وإحداث هزة فى أوضاع الاستثمار والبنوك.. وخلق تيار من المشكلات والقضايا يعوق مسيرة التنمية.. وإحجام المدخرين كبارا وصغارا عن التوجه الى البنوك والبحث عن أوعية ادخارية أخرى قد لاتصب فى شرايين التنمية.

إننا لا نستطيع أن نتهم ذمة رجال الاعمال.. فهناك مئات بل آلاف من هؤلاء يعملون فى صمت ويضيفون كل يوم جديدا الى رصيد الوطن.. ولا نستطيع أن نتهم أمانة المسئولين فى البنوك الذين يشرفون على إدارة مئات المليارات من الجنيهات.. ولا نستطيع أن نتهم نزاهة مسئول ائتمنه الوطن على قطاع أو آخر من قطاعات العمل الوطنى.. لكننا فى الوقت نفسه لا ينبغى أن نضع ثقتنا فى أى أحد دون ضمانات وقواعد وآليات للرقابة والمحاسبة.. ولسنا بدعة فى ذلك.. فكل دول العالم تفعل ذلك دون خوف من أى ادعاءات أو مراوغات.. والمحافظة على المال العام هى واجب شرعى والتزام قانونى ومطلب وطنى من الدرجة الأولى..

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾** صدق الله العظيم. سورة النساء آية ٥٨.

الفاسدون .. والمفسدون - ٢

خلال أقل من شهر تمت احالة اثنين من كبار المسئولين السابقين الى المحاكمة الجنائية.. أحدهما هو الدكتور محيى الدين الغريب وزير المالية السابق.. والآخر هو المستشار ماهر الجندى محافظ الجيزة السابق..

وأول ملاحظة يجدر بنا تسجيلها هى شجاعة الحكومة فى تقديم بعض كبار مسئوليها - وإن كانوا سابقين - للمحاكمة.. وعدم لجوئها للتستر والتكتم ومحاولة التعتيم وتضليل الرأى العام.. ولايجدر بنا أن نبحث عن أسباب إقدام الحكومة على مثل هذه الخطوة..

الملاحظة الثانية أن إحالة كل منهما للقضاء جاء من قبل النيابة العامة وهى عين المجتمع وضميره وأداته الفعالة فى تبيان الحقيقة ووضع الخارجين على مصالح المجتمع والمتلاعبين بها والمستهترين بقوانينه عرض الحائط أمام العدالة لتقتص منهم وتزرع الثقة بين المواطنين والدولة..

والملاحظة الثالثة ان احالة المتهمين جاءت بعد تحقيقات وتسجيلات ودراسة أوراق وقبلها تحريات استمرت شهورا طويلة وشملت العديد من الاطراف متهمين كانوا أم شهودا.

ومع اختلاف موقعي الغريب والجندى ومقدار مسئولية كل منهما الوظيفية فإن صحت التهم الموجهة إليهما فهى تحمل عنوانا واحدا هو : «الفساد» وهذا يقودنا الى الملاحظة التالية وهى أن كلا منهما ليس هو المتهم الوحيد وإنما هناك متهمون آخرون فى كل قضية .. بعضهم مشاركون فى تسهيل الفساد وآخرون مستفيدون به.

معنى هذا ان الفاسد الصغير يكون اثر فساده محدودا.. وتكون فائدته الشخصية محدودة.. وتكون قدرته التدميرية محدودة.. لكن الأمر يختلف مع الفاسد الكبير.. فهو يستطيع أن يعطل القوانين أو ينحرف بها عن أهدافها بل قد ينتحل الاسباب لتغيير قوانين ويزين هذه الأسباب ويضفى عليها طابع المصلحة العامة بينما يكون الهدف منها مصلحة شخص أو فئة.. وبالطبع لا تتحقق مصلحة الشخص أو الفئة إلا مرورا بمصلحة الفاسد الكبير.. واذا كان القانون يجرم الرشوة مهما كان حجمها ومقابلها فإنها فى حالة الفاسد الكبير يكون الجرم فادحا لأكثر من سبب:

●● **السبب الأول** هو حجم الخسائر الجسيمة التى تلحق بالوطن سواء فى حرمان خزانة الدولة من موارد تستحقها أو تسليم أراض لمن لايستحق على حساب مجموع الشعب.

●● **السبب الثانى** هو أن فساد المسئول الكبير وحصوله على رشوة مقابل تسهيل حصول من لايستحق على مالايستحق سواء من أراض أو خدمات أو تسهيلات هو خيانة جسيمة للثقة التى أولاه إياها الوطن ممثلا فى قيادته وخديعة للوطن والقيادة..

●● **السبب الثالث** ان فساد المسئول الكبير يخلق حوله جيشا من الفاسدين المتوسطين والصغار من موظفين الى رجال أعمال.. أى أن الجريمة هنا هى اشاعة الفساد..



•• **السبب الرابع** ان فساد المسئول الكبير يمكن أن يلقى بظلال قاتمة على لمبادىء التى يحرص الحكم عليها وهى النزاهة والطهارة والشفافية.

والشفافية مطلب اجتماعى كما أنها صارت مطلبا دوليا وشرطا من شروط منح القروض والتسهيلات والقبول فى المؤسسات الدولية الكبيرة.

•• **السبب الخامس** ان الآثار العامة للفساد وتهديده لمقادير المجتمع لايقل بحال عن آثار التطرف والارهاب.. فإذا كان المتطرفون يتحركون بدافع من خليط من الفكر المنحرف مع معاناة من الفقر والبطالة فإن فساد الكبار يأتى من فساد فى الطبع وخراب فى الذمم وانتهاز غير سوى للفرص التى يتيحها وجودهم فى مواقع السلطة.

إننا هنا لاندين هذا ولاذاك من هذين المسئولين السابقين فهذا دور ومهمة وحق القضاء المصرى الذى يعلق عليه الوطن آماله فى احقاق الحق والانتصار للحقيقة ومعاقبة الخارجين على أمنه ومصلحته واستقراره ونشد على يد كل من قام ويقوم بدور فى تحقيق الأمن والمصلحة والاستقرار خاصة أجهزة الرقابة والأمن وفى مقدمة الجميع وفوق الجميع جهاز العدالة.

ويبقى أن نقول ان تقديم هذين المسئولين- وإن كانا سابقين- للنيابة العامة ثم للقضاء هو درس لكل من تسول له نفسه استغلال منصبه لتحقيق كسب حرام لنفسه أو لأحد من أقربائه..ويبقى ايضا ان نتمنى ان يقدم المسئول الفاسد لأيدى العدالة فورا وليس بعد أن يصبح مسئولا سابقا.

•• بمناسبة احالة الدكتور محيى الدين الغريب والمستشار ماهر الجندى للمحاكمة ينتظر الناس ماسوف يجرى بالنسبة للبورصة.. ورغم حساسية الوضع بالنسبة للبورصة فإن الاعتراف بالخطأ - إذا حدث- واصلاحه فورا أفضل كثيرا من الصمت والتجاهل ..

• انتبهوا .. انهم يحاولون استدراج العرب للتسليم بما يريد شارون فرضه على الفلسطينيين بدعوى انه رغم ارهابه هو البديل الأفضل.. وأن هناك من خلفه من هم أسوأ منه.

•• أعلن المشاركون فى المؤتمر الاسلامى المسيحى الذى عقد بالقاهرة تحت شعار «القدس.. القضية والحل» إن القدس مدينة عربية خالصة منذ فجر التاريخ.. الى آخر ماجاء فى مناقشات وتوصيات المؤتمر .. ونقول : مع احترامنا لهذا الجهد فإن القدس بحاجة للعمل اكثر من حاجتها للكلام.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: ﴿**وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين**﴾ صدق الله العظيم. سورة النحل آية ٣٠.



اكتشفت الحكومة فجأة أن عندنا أزمة بطالة.. وأن الأزمة حقيقية.. وأن ارتباطها بأزمة السيولة والركود يعتبر كارثة.. وأن هذه الأزمة ليست طارئة ولا وافدة ولانابعة من فراغ ولكن لها جذورها القديمة وأسبابها الجديدة التى أضافت الكثير الى جيش البطالة.. وأن القطاع الخاص الذى تنتقل إليه بشكل متسارع مسئوليات التنمية وأصول القطاع العام وتتدفق عليه قروض البنوك لم يقم بالدور الواجب القيام به فى مجال اتاحة فرص العمل أمام الشباب .. وأن عليها - أى الحكومة- أن تقوم بدور حاسم وخطوات سريعة لاستيعاب عشرات الألوف من الشباب.

واكتشفت الحكومة أن لديها عشرات الألوف من فرص العمل فى دواوين الوزارات والمحافظات والأحياء والمدارس والمستشفيات .. فسارعت بالإعلان عن هذه الوظائف.. وبدلا من أن تدخل البهجة والفرحة فى قلوب الملايين الذين داعبهم الأمل فى الحصول على وظيفة فإن ماصاحب اتاحة هذه الفرص من ملابسات أحدثت ردود فعل عكسية وصلت إلى التظاهر على مستوى الشارع بالإضافة الى الخلاف على مستوى الحكومة .. فالجهة التى تولت الاعلان عن الوظائف هى وزارة التنمية الادارية وليست وزارة القوى العاملة التى يعتبر التشغيل والتوظيف هما المقوم الأساسى لها والمبرر الرئيسى لوجودها.. وتقييد التعيين بسن معينة حجب فرص العمل أمام مئات الألوف من الشباب.. ولوح كثيرون بعدم الدستورية لاخلال هذا التقييد بمبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بين المواطنين.

ومشكلة البطالة كما قلنا ليست طارئة ولا وافدة ولانابعة من فراغ.. بل هى قديمة ولها جذورها وأسبابها القديمة فضلا عن الأسباب الجديدة التى اضيفت إليها خلال السنوات الماضية.. ولعل أهم الأسباب القديمة:

●● انخفاض معدلات التنمية بسبب الحرب التى خاضتها مصر والتى استنزفت قدرا هائلا من مواردها..

●● غياب التنسيق الحتمى بين خطط التعليم والتدريب وبين احتياجات السوق من التخصصات المختلفة.

●● الهجرة الداخلية والنزوح من الريف الى المدن.

وقد خفت حدة مشكلة البطالة نسبيا بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ عندما تضاعفت عائدات النفط وفتحت الدول العربية النفطية أبوابها على مصاريعها أمام الأيدى العاملة المصرية من كل التخصصات.. وهكذا استقبلت ليبيا والعراق ودول الخليج ما يقرب من سبعة ملايين مصرى.. ومثل وجود هذا العدد الضخم عاملا من عوامل التخفيف من أزمة البطالة كما خفف العبء عن كل وحدات المرافق والخدمات فضلا عن كونه مصدرا رئيسيا من مصادر العملات الصعبة التى واجهت بها البلاد احتياجاتها الأساسية.

ولكن انخفاض أسعار النفط فى الثمانينات ثم الغزو العراقى وحرب تحرير الكويت كانت لهما آثارهما السلبية على هذا الجانب حيث بدأت دول الخليج التى كان عليها دفع فاتورة الحرب تعانى اقتصاديا كما بدأت تعانى من شبح البطالة بين أبنائها فلم يكن أمامها سوى التقليل من الاعتماد على الأجانب حيثما كان ذلك ممكنا.

وتزامن ذلك مع الأخذ بآليات السوق عندنا وبدء سياسة الخصخصة والأخذ بمبدأ العرض والطلب فى أسعار السلع وكذلك فى التشغيل.. وكانت احدى القضايا الأساسية فى عملية الخصخصة هى مصير موظفى وعمال الشركات التى تجرى خصخصتها.. وبينما كانت الادارات الجديدة تتجه الى التخلص من العمالة كانت الحكومة حريصة على المحافظة على البعد الاجتماعى وكان الحل الوسط المتمثل فى المعاش المبكر مع التعويض لمن يشاء من العمال. ولكن.. اذا كان هذا الحل الوسط الجزئى قد خفف من حدة أزمة عمال الشركات المخصخصة فإنه أقفل الباب أمام قبول اعداد جديدة من الموظفين والعمال فى هذه الشركات إلا فى أضيق الحدود.

وأما الاستثمارات الجديدة التى تكلفت عشرات المليارات من الدولارات والجنيهات فقد تدفق جزء كبير منها للمشروعات العقارية والسياحية وليست المشروعات انتاجية تعتمد على العمالة الكثيفة.. وعلى عكس النهج الذى كانت تسير عليه الدولة من تغليب البعد الاجتماعى فى المشروعات الاقتصادية فإن أصحاب المشروعات ركزوا على جانب الربح وجعلوا البعد الاجتماعى فى آخر قائمة اهتماماتهم.. وحدث ذلك فى الوقت الذى ازداد فيه عدد الخريجين زيادة هائلة كانت تتطلب مزيدا ومزيدا من فرص العمل مما فاقم المشكلة. ولجأت الدولة الى حلول غير تقليدية للمساعدة على حل هذه المشكلة ونخص بالذكر تمليك الخريجين الأراضى المستصلحة فى المناطق الجديدة.. والمشروعات الصغيرة الممولة من خلال الصندوق الاجتماعى للتنمية.

واذا كانت وزارات التنمية الادارية والقوى العاملة والتنمية المحلية هى الظاهرة فى الصورة باعتبارها صاحبة الجهد الأكبر فى حل هذه المشكلة فإن الحقيقة انه مثلما أن أسباب البطالة متعددة فإن أساليب حلها أيضا متعددة ومعالجتها يجب أن تكون فى اطار عام وتشارك فيها كل أجهزة الدولة وفقا لهذا الاطار العام.

وقد تلقيت منذ أيام مجلدين قيمين يضمان الأبحاث وأوراق العمل المقدمة لندوة مشكلة البطالة فى جمهورية مصر العربية التى نظمها مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الاسلامى بجامعة الأزهر وشارك فى أعمالها عدد من الوزراء والمسئولين فى الوزارات وثيقة الصلة بالمشكلة.. كما شارك فى الأبحاث وأوراق العمل عدد من أساتذة الجامعات المصرية.. ولست أدرى لماذا لايتم تفريغ مؤشرات ومقترحات هذه الأبحاث وأوراق العمل فى هذه الندوة وغيرها من الندوات وطرحها للحوار العام للخروج بتصور يشارك فيه الجميع لحل مشكلة حادة حاليا ومرشحة لمزيد من الحدة فى المستقبل؟

●● لوتأمل الناس لأدركوا أن الفرق بين القصر والقبر هو مجرد حرف.

●● فى جنوة بإيطاليا ومن قبلها فى سياتل بالولايات المتحدة ثار الناس على العولمة فقتل منهم من قتل وجرح من جرح واعتقل من اعتقل.. وفى بلاد العالم الثالث - ونحن منها- يتساءل الناس- فقط يتساءلون - عن ماهى العولمة؟.

●●●

مسك الختام

من أشعار الإمام الشافعى:

تحكمـوا فـاسـتطالوا فـى تحكمـهـم

وعـمـا قليل كـان الأمـر لم يكن

لو أنصـفـوا أنصـفـوا لكن بغـوا فـبـغى

عليـهم الدهر بالأحـزان والمـحن

فـأصـبحـوا ولسـان الحـال ينشـدهم

هـذا بذلك ولاعـتب علـى الزمـن

فعلت الحكومة خيرا عندما اعترفت مؤخرا - ومتأخرا - بأزمة الجنية المصرى أمام العملات الاجنبية والتى هى تعبير عن واقع الاقتصاد المصرى والأزمة التى يعيشها وتعيشها معه البلاد والتى يرجع بعض أسبابها إلى أحداث ١١ سبتمبر الماضى وتتمثل فى الانخفاض الحاد فى عائدات السياحة والنقل والركود العام فى الأسواق والإحجام عن الاستثمار ويرجع بعضها الآخر الى السياسات الاقتصادية والعجز عن تحقيق التوازن بين الصادرات التى تنمو بسرعة السلحفاة والواردات التى تنمو بسرعة الصاروخ ممايهدد بتزايد العجز فى الميزان التجارى والنقص الحاد فى العملات الاجنبية ويؤدى فى النهاية الى مزيد من الخلل فى سوق العملات الاجنبية وفى مقدمتها الدولار الامريكى وبالتالى الى مزيد من الانخفاض فى سعر الجنيه المصرى أمام العملات الاجنبية مماينعكس فى صورة زيادة فى أسعار «مكونات الانتاج» والسلع تامة الصنع المستوردة ويزيد فى النتيجة النهائية من أعباء الاقتصاد المصرى ويثقل كاهل المواطن المصرى المثقل بالفعل بسبب ارتفاع الاسعار وعجز الشريحة الأكبر من المواطنين - محدودى الدخل - عن الموازنة بين دخولها واحتياجاتها مالم تتدخل الدولة لدعم هذه الشريحة.

وقد فتحت التصريحات الصادرة عن كبار المسئولين الباب أمام مزيد من الارتفاع فى أسعار الدولار والعملات الاجنبية الأخرى أى انخفاض سعر صرف الجنيه المصرى أمام هذه العملات - بالتأكيد على أنه لن تصدر قرارات ادارية وسوف يعتمد على السياسات .. والأمر المؤكد انه مالم تؤد السياسات الاقتصادية - وليست الاجراءات النقدية وحدها - الى زيادات حقيقية فى الانتاج والصادرات وخفض حقيقى وضخم فى الواردات وفى الانفاق السفيه والترفى على المستوى العام والحكومى بصفة خاصة- وبحث جاد عن موارد اضافية للدخل القومى خاصة فى العملات الاجنبية فإن الانخفاض فى سعر صرف العملة الوطنية أمام العملات الأجنبية سوف يستمر.. ولن يفيد فى مواجهة ذلك اتهام مافيا العملة او القبض على بعض مسئولى شركات الصرافة أو وضع قيود على التحويلات .. فالمسألة فى بدايتها ونهايتها عرض وطلب.. واذا كانت الحكومة قد وعدت بضخ مئات الملايين من الدولارات فورا وبشكل دورى لسد الفجوة بين العرض والطلب فإن السؤال الذى يتبادر الى الذهن هو من أين ستستمر الدولة فى توفير هذه الدولارات دون ان تنتقص من الاحتياطى المركزى الاستراتيجى من هذه العملات ؟ هل ستفعل ذلك عن طريق الاقتراض واصدار السندات واللجوء للمنظمات الدولية أم من موارد حقيقية فى زيادة الصادرات المنظورة وغير المنظورة؟

ان الزيادة فى الصادرات تتطلب النهوض بالمنتج الوطنى نوعية وتغليفا والوصول بتكلفة انتاجية وسعر تصديره الى مستويات تنافسية.. والى الالتزام الكامل بمستويات الجودة التعاقدية وبمواعيد التسليم.. تستوى فى ذلك الخضراوات والفواكه مع الملابس والأجهزة

الكهربائية مع الفارق فى احتياجات كل نوعية من هذه المنتجات فى التعبئة والحفظ وسرعة الوصول الى الأسواق وتتطلب الزيادة فى الصادرات البحث عن أسواق غير تقليدية فضلا عن العمل على استعادة الأسواق التى فقدتها المنتجات المصرية.. وفى توقيع اتفاقيات تفضيلية تستفيد منها النتجات المصرية.. وهذه كلها أمور لايمكن الاعتماد فيها على مجرد ضمائر المنتجين ولكن لابد من تدخل الدولة سواء بحوافز ايجابية أو حوافز سلبية لزيادة الصادرات..

والحد من الواردات يتطلب ابتداء تنفيذ مأأشرنا إليه من تحسين مستوى الانتاج المحلى نوعا وخفض أسعاره حتى يقبل عليه المستهلك المصرى وتستطيع المنتجات المصرية أن تواجه غزو المنتجات الأجنبية.. فليس منطقيا ولامقبولا أن تمتلئ المحلات المصرية بملابس تركية وسورية وصينية وفيتنامية واندونيسية على حساب الملابس الجاهزة المصرية ومصر دولة لها تاريخها الطويل والعريق فى صناعة الغزل والنسيج والملابس الجاهزة وليس معقولا ولامقبولا ان تتدفق الأجهزة الكهربائية المستوردة أو المهربة على السوق المصرية ولدينا عشرات المصانع التى تنتج هذه السلع.

وخفض الواردات يتطلب تعديل أنماط الاستهلاك وتشجيع المنتج الوطنى بحيث يتحول هذا التشجيع من مجرد شعار خال من المضمون الى واقع.. ويجب أن تقدم الحكومة فى ذلك القدوة والمثل فلاتستخدم منتجات مستوردة طالما هناك بدائل محلية سواء أكان ذلك فى السيارات أو تجهيزات المكاتب أو أدوات الكتابة ويجب ان يكف الجميع عن «الفشخرة» سواء أكانوا مسئولين حكوميين أم رجال أعمال.. وليعلم الجميع أن الاستقلال السياسى يظل منقوصا مالم يتحقق الاستقلال الاقتصادى.. والاستقلال الاقتصادى يظل منقوصا مالم ننتج مانحتاجه ونصدر للعالم بقدر مانستورد.. وليتق الجميع ربهم فى بلدهم.

●● أغلب الظن ان شريط بن لادن الذى سمحت الادارة الامريكية مؤخرا بإذاعته مزورا.. وارجعوا لحلقات مسلسل «مهمة مستحيلة» الأمريكى تجدوا الدليل على التزوير.. وحاولوا الاجابة على هذه الاسئلة من الذى صور هذه الجلسة؟ ومن الذى سرب الشريط ومتى ؟ ولماذا يذاع الآن فقط؟؟.

●● أسفرت الادارة الامريكية عن وجهها القبيح عندما أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش أمام عدد من القيادات اليهودية تعهده بالقضاء على منظمات المقاومة الفلسطينية وعزمه على عزل ايران وليبيا وتأكيده على ضرورة عودة المفتشين الدوليين الى العراق.. هل بقى شك لدى أى عاقل فى أن الولايات المتحدة تقوم بحرب- غير معلنة- على العرب والمسلمين؟.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: ﴿**فاصبر إن وعد الله حق ولايستخفنك الذين لا يوقنون**﴾ صدق الله العظيم - سورة الروم آية ٦٠.

نجحت مصر فى اقناع الدول المانحة بالاجتماع فى شرم الشيخ وفى الحصول منها على قروض وتسهيلات ائتمانية ومنح تقارب العشرة مليارات دولار تساعد على مواجهة الأضرار الاقتصادية الناجمة عن حوادث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتداعياتها السلبية وسد الفجوة بين موارد النقد الاجنبى واحتياجاته وتمويل عدد من المشروعات الاستثمارية التى تقدمت بها الحكومة لهذه الدول.

ومن قبل نجحت الحكومة المصرية فى اقناع دول الاتحاد الأوروبى بتبنى مشروع لتحديث الصناعة المصرية خصص لها مبلغ ٦٢٥ مليون دولار بهدف تمكين المصانع المصرية التى يشملها المشروع من تطوير وتحديث انتاجها بحيث يساير التطورات العالمية فى مجالات تكنولوجيا الانتاج وبحيث تصبح المنتجات المصرية قادرة على المنافسة فى ظل العولمة وقرارات منظمة التجارة العالمية.

واذا رجعنا قليلا للوراء فسوف نجد أن الحكومة نجحت من قبل فى الغاء جانب كبير من الديون المستحقة على مصر واعادة جدولة المتبقى من هذه الديون .. وكان ذلك بفضل اتصالات الرئيس حسنى مبارك وعلاقات الصداقة التى تربطه بالعديد من قادة الدول الأوروبية.. و بفضل اعتماد دبلوماسية التنمية التى توظف علاقات مصر بالدول المختلفة لخدمة مشروعات التنمية سواء بتشجيع الاستثمار أو تقديم المعونات المالية والفنية للمشروعات الانتاجية والخدمية.. وبفضل ايمان قادة الدول المختلفة بمكانة مصر ودورها المحورى فى قضايا الحرب والسلام والتنمية ليس فقط فى منطقة الشرق الأوسط ولكن على مستوى العالم.. وكذلك بفضل ثقة مسئولى هذه الدول فى سلامة التوجهات العامة وسياسة الاصلاح الاقتصادى فى مصر.

كل هذه الاعتبارات تدعو للارتياح.. فإن النتائج القريبة التى ينتظرها المعنيون هو أن تؤدى كل هذه الخطوات الى انفراج الأزمات القائمة سواء ماكان منها مترتبا على أحداث ١١ سبتمبر أو ماكان قبلها وفى مقدمة تلك الأزمات: أزمة السيولة وأزمة الركود وأزمة الانخفضات المتلاحقة فى سعر صرف الجنيه المصرى مما سيكون له - بل كان له بالفعل- الأثر المباشر فى ارتفاع أسعار الكثير من السلع.. وأزمة البطالة.. وإذا كانت الحكومة قد اتخذت اجراءات لمواجهة هذه الأزمات بضخ مئات الملايين من الدولارات من البنك المركزى او بقرارات تعيين مئات الألوف من الخريجين لخفض أعداد جيش البطالة أو بفرض رسوم جمركية على واردات الملابس فإن هذه الاجراءات تدخل فى باب الاجراءات العلاجية.. وهى وإن كانت تخفف من هذه الأزمات وتمنع تفاقمها إلا أنها لاتعالجها من الجذور ولاتقضى عليها من الأساس ولاتحول دون تكرارها وبصور أشد.

ففى الوقت الذى نستقبل فيه المزيد من المنح والقروض والتسهيلات الإنمائية علينا أن نراجع موقف ماهو متاح لدينا من منح وقروض وتسهيلات سابقة ونتأكد من أنه تم أو يجرى استخدامها كلها بأكبر قدر من الفاعلية.. وفى الوقت الذى ندعو فيه لخفض الاستيراد وزيادة التصدير وتشجيع المنتج المحلى يتوجب على المنتجين تطوير انتاجهم فلايمكن أن نتصور أن المستهلك سوف يقبل على الانتاج المحلى لمجرد تشجيع المنتج الوطنى وبطريقة «حب الوطن فرض على» أو «بالروح والدم» ففى الاقتصاد لامحل للشعارات والعواطف وإنما المصلحة هى التى تحكم وتتحكم.

والمواطن المطارد بعشرات الالتزامات والذى لايكفى دخله للأساسيات سوف يبحث عن الأرخص حتى لو كان مستوردا أو مهربا من أعدى الأعداء.. حب الوطن ليس بالأغانى ولا بالخطب العصماء ولابالتصريحات الوردية .. حب الوطن عمل وجهد واخلاص وتضحية.. والرئيس حسنى مبارك عندما يزور أمريكا أو فرنسا أو الصين أو هذه الدولة العربية أو تلك أو عندما يحضر هذا المؤتمر أو ذاك لايفعل ذلك من باب تبادل وجهات النظر حول قضايا العالم ولكنه فى الأساس يسعى لتوظيف هذه الاتصالات لخدمة قضية أساسية هى قضية التنمية.. ويجب ان يكون الجهد الذى يبذله كافة المسئولين فى مختلف القطاعات موازيا ومكافئا لهذا الجهد الخارجى.. وفى هذه الحالة فقط - تترجم الشعارات الى عمل ونترجم الوعود الى واقع.. ونحول التصريحات الى عائد مادى يشعر به الناس ويقتنعون به.

●● نجحت اسرائيل دائما فيما فشل فيه العرب.. نجحت فى تحييد دور الأمم المتحدة وتحجيم دور الدول الأوروبية.. ونجحت فى جعل كل الأوراق فى يدى الولايات المتحدة.. ونجحت فى السيطرة على الادارة الامريكية وجعلها تتحدث باسمها.. واستسلم العرب لذلك المخطط وسلموا بأن كل الأوراق فى يدى أمريكا .. الآن تحاول فرنسا أن تقوم بدور فاعل ونشط لانقاذ عملية السلام.. فهل ينجح العرب من خلال قمة بيروت فى الامساك بطرف الخيط ويحاولون استخلاص بعض الأوراق من أيدى الادارة الأمريكية ووضعها فى أيدى دول الاتحاد الأوروبى أم تضيع هذه الفرصة كما ضاعت فرص أخرى كثيرة؟؟.

●● أرييل شارون ليس عدو الشعب الفلسطينى رقم ١-.. بل هو عدو الشعب الإسرائيلى رقم ١ ايضا..

●●●

مسك الختام

●● قال الله تعالى: **﴿لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾** صدق الله العظيم - سورة المائدة آية ٧٠.

فوجىء طلبة وطالبات المستويين السابع والثامن بالمركز الثقافى الأسبانى في الدقى بمدرسة اللغة الأسبانية «كلارا» تعلن - دون مناسبة ودون سابق انذار - كراهيتها ورفضها للأديان.. قالت المدرسة أنها مسيحية بحكم المولد والنشأة فقط لكنها فى الحقيقة ملحدة ولاتعترف بالأديان.. وأنها مستريحة لهذا الوضع و«محايدة» وأن الأديان وأتباعها هم سبب شقاء البشرية بسبب خلافاتهم وماينتج عنها من صراعات وحروب.

صدم الطلبة والطالبات ودهشوا وحاوروا كيف يواجهون هذا الموقف الجديد والغريب عليهم.. ولكن صدمتهم ازدادت عندما واصلت المدرسة مسلسل الهجوم على الأديان.. ومرة أخرى لم يعرفوا كيف يواجهون الموقف وان كانوا قد مالوا الى الصمت لعدم اثارة المشكلات ولأن حرية الاعتقاد مكفولة للجميع فى مصر سواء أكانوا مصريين أم أجانب.

ولكن الصدمة تضاعفت عندما اثيرت قضية ماوقع فى قرية الكشح بصعيد مصر فقد أخذتها المدرسة «كلارا» حجة تؤيد خروجها على الأديان وتتهم المسلمين - هى الاخرى- باضطهاد الأقباط.. هنا شعر الطلبة.. والطالبات بأن الخطر الذى سكتوا عليه يقترب من صميم قلوبهم ويستفز وطنيتهم فهبوا - مسلمين ومسيحيين- لا فرق- يعترضون ويعارضون.. وكانت النتيجة هى أن السيدة - أو الآنسة - كلارا- خسفت بالطلبة والطالبات وبتقديراتهم الأرض.. وهذا بالطبع لايهم لأن شهادات هذا المركز ليس لها أى قيمة علمية أو وظيفية وكل قيمتها هى مجرد زيادة حصيلة الطلبة والطالبات من هذه اللغة التى يفرض تدريسها على طلبة وطالبات بعض كليات الجامعة بسبب المجموع.

لكن المهم والخطير أن هذه ليست أول سابقة من نوعها فى هذا المركز.. فقد سبق أن ذكر أحد أو احدى المدرسات آراء من هذا النوع اثارت الاحتجاج العنيف مما أدى الى ترحيل صاحب هذه الآراء.. ومنذ بضعة أشهر أثيرت عاصفة ايضا بسبب عرض مكتبة المركز كتابا بعنوان «أنا محمد » يفيض كراهية وحقدا وغباء واساءات مهينة للنبى صلى الله عليه وسلم.. واضطرت ادارة المركز لسحب الكتاب والاعتذار عن عرضه.

والسؤال الآن: ماذا يفعل هذا المركز بالضبط فى مصر؟! ماهو دوره؟ وماهو دور مثل هذه المراكز؟ ومن الذى يراقبها ويتأكد من أدائها لدورها الثقافى دون تجاوزات ؟ هذه الاسئلة موجهة للاستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى والبحث العلمى.. ونحن فى انتظار اجابة تشفى الغليل.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** سورة النحل آية ١٢٨*.

* أول **ديسمبر ١٩٩٨**

تلقيت من الاستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى ردا على ما نشر فى عمود دعوة للعقل بتاريخ ١٩٩٨/١٢/١ هذا نصه:

●● إيماء إلى ما نشر فى جريدة عقيدتى يوم ١٩٩٨/١٢/١ بعنوان «دعوة للعقل» بشأن ما حدث من مدرسة اللغة الأسبانية بالمركز الثقافى الأسبانى وتساؤلكم عن دور المركز وغيره من المراكز ومن الذى يراقبها ويتأكد من آدائها لدورها دون تجاوزات أتشرف بالافادة بأن هذا المركز وغيره يخضع لرقابة وزارة التعليم العالى وإشرافها ويتم متابعة الأنشطة الثقافية لهذه المراكز أولا باول وعند حدوث أية تجاوزات تقوم الوزارة بالتدخل لايقاف هذا التجاوز واتخاذ الاجراءات اللازمة والكفيلة بعدم تكرار ذلك.

وبالنسبة لما نشر فى جريدة عقيدتى يوم ١٩٩٨/١٢/١ فقد تم بحث الموضوع من جميع جوانبه وقد توضح أن المدرسة المعنية لم تقم بالتحدث فى الأديان السماوية كما أنها أنهت عملها خلال شهر ديسمبر الماضى.

وقد أفاد السيد مدير المركز الثقافى الأسبانى بالقاهرة أن المعلومات التى وردت بالمقال التى تشير إلى سابق ترحيل أحد المدرسين لتدخله فى المعتقدات الدينية غير صحيحة ولم تحدث مطلقا فضلا عن أن المعلومات التى وردت من كتاب «أنا محمد» غير دقيقة وأن التعايش السلمى هو السمة الدائمة للمركز. وإننى انتهز هذه المناسبة لاشكر سيادتكم على هذا الاهتمام.

انتهى خطاب الاستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى.. ومن ناحيتى لا يراودنى شك فى اخلاص الدكتور شهاب لدينه وحرصه على عقول شبابنا فضلا عن حرصه على القيام بمسئولياته كوزير مختص.. ولكنى.

كنت اتمنى أن تكون المعلومات التى تم تزويده بها صحيحة ودقيقة.. فما ذكرناه عن المدرسة المذكورة هو من واقع متابعة لما نشر فى الصحف والمجلات فى حينه.. أما الأهم من ذلك فهو أنه فى أعقاب النشر مباشرة اختفت المدرسة المذكورة من المركز.. كما أنى تلقيت دعوة لحضور لقاء مع المستشار الثقافى الأسبانى لكن لم أحضر هذا اللقاء.. ولكنى يبدو أن اختفاء المدرسة كان ذرا للرماد فى العيون فقد عادت أخيرا لتظهر فى قاعات المركز.. وكأن ابتعادها كان لامتصاص الغضب الى أن يستقبل المركز دفعات جديدة من الطلبة والطالبات فى دورات دراسية جديدة.

وإنى أرجو ألا تكتفى الوزارة بالافادات الشخصية من المسئولين فى المراكز وأن يكون تفتيشها على أداء هذه المراكز تفتيشا حقيقيا للتاكد من مسارها حفاظا على عقول شبابنا.

●●●

قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾** سورة المائدة الآيتان ٨٧ . ٨٨ •.

• **٢٣ فبراير ١٩٩٩**

أعلن فاروق حسنى وزير الثقافة منذ أيام قليلة أسماء الفائزين بجوائز مبارك وجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية وجوائز التفوق لعام ٢٠٠٠ فى الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.. وتمثل جوائز مبارك أهم هذه الجوائز واعلاها مستوى وأكبرها قيمة أدبية ومادية.. وقد تم تقريرها إلى جانب جوائز الدولة. الأقدم منها تاريخيا والأقل منها ماليا. تأكيدا لرعاية الرئيس حسنى مبارك وعناية الدولة بالعلماء والباحثين والمبدعين فى مختلف مجالات الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

ومن الطبيعى أن يتبارى العلماء والباحثون والمبدعون للحصول على هذه الجوائز أيضا من الطبيعى والمنطقى أن تتنافس المؤسسات والهيئات العلمية والبحثية والتعليمية وغيرها فى ترشيح علمائها وباحثيها ومبدعيها لنيل بعض هذه الجوائز وبقدر عدد من يفوزون بهذه الجوائز من هذا القطاع أو ذاك يكون الفخر والزهو والمكانة المتميزة.

وفى بعض الأعوام تخلو قوائم الفائزين من المفاجآت مما يعنى أن هؤلاء الفائزين كانوا محل اتفاق عام أو على الأقل حصلوا على الأغلبية المؤهلة للحصول على الجائزة.. وفى أعوام أخرى كانت تظهر مفآجات فيفوز علماء أو مبدعون لم يكن فوزهم متوقعا أو كانوا محل خلاف.. وقليلا ما كانت تحجب جوائز لأن المرشحين لها لم يحصلوا على الأصوات اللازمة.

غير أن المفاجآت الكبرى هذا العام ليست فى أسماء من فازوا.. ولكنها كانت فى حجب عدد كبير من الجوائز بدءا من أعلاها وهى جائزة مبارك وصولا إلى أدناها وهى الجائزة التشجيعية.. فقد تم حجب جائزتى مبارك فى الآداب وفى العلوم الاجتماعية.. وفى جوائز الدولة التقديرية تم حجب جائزتين من جوائز العلوك الاجتماعية.. أما جوائز الدولة التشجيعية وعددها ٣٢ جائزة فقد فاز ١٣ مرشحا فقط بينما تم حجب ١٩ جائزة.. وبحسبة بسيطة نجد انه تم حجب اثنين من أهم ثلاث جوائز وهى جوائز مبارك واثنتين من الجوائز التقديرية و١٩ من الجوائز التشجيعية أى نحو نصف مجموع الجوائز.

ومبدأ حجب جائزة ما لعدم توافر شروط ومواصفات الفوز بها أو لعدم حصول المرشح أو المرشحين على الدرجات أو الأصوات المؤهلة للفوز أمر معتاد ولا غبار عليه.. وقد يرجع لاختلاف مدارس الفاحصين والمحكمين.. وقد يرجع إلى التشدد فى شروط المنح.. وقد يرجع إلى خلافات شخصية بين المحكمين..وقد يرجع الى أن فرص الترشيح ليست متاحة بالقدر اللازم بسبب القصور فى قواعد الترشيح أو تقصير من الجهات العلمية المنوط بها الترشيح مما يستوجب من وقت لآخر التوقف والتقييم والتقويم.

من ناحية أخرى فان تركيز حجب الجوائز فى مجال العلوم الاجتماعية بصفة عامة (٨ جوائز تم حجبها بالكامل) هو أمر يدعو للدهشة.. فلو صح أن جميع المرشحين لهذه الجوائز لاترقى مؤلفاتهم للحصول على أى جائزة فإن معنى هذا أن الدراسات الاجتماعية لدينا فى

أزمة طاحنة وأن الاساتذة المساعدين والمدرسين والباحثين فى جامعاتنا ومراكزنا البحثية المتخصصة هم بحاجة الى إعادة تأهيل حتى يكونوا صالحين لتأليف كتب صالحة للترشيح والفوز باحدى هذه الجوائز.

وعندما ننظر فى أسماء المرشحين سواء الفائزين أو الذين لم ينالوا شرف الفوز فلن نجد من علماء الدين إلا أسماء لاتتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة..ففى جائزة مبارك للعلوم الاجتماعية التى تم حجبها كان ثمة ١١ مرشحاً منهم اثنان فقط ينتسبان الى الدراسات الشرعية هما الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية الأسبق والدكتورمحمد ابراهيم الفيومى الأستاذ بجامعة الأزهر وكلاهما له تاريخه الطويل فى مجال تخصصه..أيضاً فى جوائز الدولة للتفوق والجوائز التقديرية ليس بين الفائزين أو المرشحين أحد ينتسب الى جامعة الأزهر أو الى البحوث الثقافية الاسلامية العامة أو المتخصصة..نفس الأمر حدث فى العلوم القانونية عندما تم حجب خمس جوائز من هذا الفرع منها جائزة الشريعة الإسلامية.

النتيجة البسيطة التى يمكن أن يخرج بها الانسان من قراءة نتائج هذه الجوائز الكبرى هى أن العلماء والباحثين فى مجال العلوم الشرعية- التى تدخل فى قلب العلوم الاجتماعية على كل مستوى - هم الأقل حظاً سواء فى الترشيح أو الفوز بجوائز الدولة بكل مستوايتها التى ذكرناها فى البداية..ولانريد أن نصل الى استنتاج أن هناك تهميشاً لهؤلاء العلماء ولأبحاثهم وكثير منها على مستويات عالية وبعض هؤلاء العلماء يحصلون على جوائز وشهادات تقدير من خارج مصر.. ولكننا فى الوقت نفسه لانستطيع أن نمنع أنفسنا من التساؤل عن السر فى أن العلوم الشرعية وعلماء الدين هم الأقل حظاً فى الجوائز!!

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ماكانوا يعملون﴾** صدق الله العظيم سورة القصص آية ٨٤●.

● **٢٧ يونيو ٢٠٠٠**

وهموم ثقافية..؟

منذ شهور قليلة كان فاروق حسنى وزير الثقافة ضيفاً على ندوة عقدتها الزميلة الكبرى «الجمهورية» لمناقشة العديد من القضايا الثقافية المهمة..كانت المناقشات فى الندوة شديدة السخونة عالية النبرة الى حد كبير.. وكانت أزمة رواية «وليمة لأعشاب البحر» تلقى بظلال كثيفة على المناقشة بعد العاصفة التى أثارتها فى الدوائر الفكرية والأدبية بل وفى الشارع السياسى وكان من آثارها السلبية المظاهرات العاصفة التى شهدتها جامعة الأزهر وغلق صحيفة الشعب وتجميد حزب العمل وانقسام الكتاب والنقاد الى فرق متناحرة.

فى الندوة التى أشرت إليها قلت لوزير الثقافة وأنا فى معرض الحديث عن الراوية إننى لا أحب أن اتعرض لها بالنقد والتحليل فهذا ليس موضعه.. ولكنى أتساءل: هل تنفق الدولة من أموال الشعب لنشر مثل هذه الأعمال الأدبية التى تخلو من أى قيمة أدبية فضلاً عن خلوها من أى قيمة دينية بل تنال من القيم الدينية؟

وبعد الندوة بقليل بعث أحد الأصدقاء برسالة مفادها أنه رغم العاصفة التى ثارت أو أثيرت فإن نشر الأعمال الخارجة على القيم الدينية لم يتوقف.. وأن المسئولين عن نشر هذه الأعمال هم نفس المسئولين عن نشر رواية الوليمة.. وتأكيدا لما يقوله اختار نموذجاً هو عبارة عن ديوان شعر لشاعر دعى مجهول توهم أن العبقرية والابداع لايكونان إلا بتقليد آيات القرآن الكريم والتهجم على قصص القرآن الكريم من ناحية وعلى القيم البسيطة التى تتمسك بها المجتمعات المختلفة والتى تتعلق بشرف المرأة.. وإدراكا وتقديرا لما يتفاعل فى النفوس من غضب بسبب رواية الوليمة وللآثار السلبية والجرح التى أسفرت عنها المعركة قدرت أنه من المناسب ارجاء النشر قليلاً واختيار فرصة مناسبة وصيغة مناسبة لطرح القضية ليس من منطلق نقد كتاب معين أومهاجمة كاتب بالذات ولكن من زاوية أن نشر مثل هذه الأعمال الخارجة وفاقدة القيمة من خلال مؤسسات عامة ممولة من الضرائب والرسوم التى يدفعها الشعب المكافح يعطى انطباعاً زائفاً بأهمية وقيمة هذه الأعمال التافهة حقاً كما يعطى انطباعاً خاطئاً بأن هذا النشر هو سياسة للدولة وليس مجرد اختيار خاطىء وسوء تقدير لأفراد لم يكونوا على مستوى الأمانة والمسئولية تجاه هذا الشعب الذى يحاول أن يبنى مستقبله فى إطار من القيم المستمدة أساساً من الدين الاسلامى الذى ينص الدستور على أنه الدين الرسمى للدولة.

ورغم مرور الوقت وانشغالنا بالعديد من القضايا العامة المهمة فإن هذه القضية لم تفارق ذهنى.. حتى كانت القرارات التى اتخذها فاروق حسنى وزير الثقافة بتنحية كل من محمد كشك أمين عام النشر بهيئة قصور الثقافة وأحمد عبد الرازق أبوالعلا مدير عام النشر عن منصبيهما وكذلك اعفاء محمد البساطى من رئاسة تحرير سلسلة «أصوات أدبية» وجرجس شكرى مدير التحرير.. وأيضاً اعفاء على ابوشادى رئيس الهيئة..وحسبما نشرته الزميلة

«المساء» من تصريحات الوزير فإن اعفاء رئيس الهيئة جاء بسبب عدم التزامه بما تم عليه من ضرورة مراجعة كل الكتب قبل نشرها وعدم الموافقة على إصدار أى كتاب يمتهن الدين والعقائد ويتنافى مع قيم المجتمع..وأكد الوزير انه قرأ بعض الأعمال التى أصدرتها سلسلة «أصوات أدبية» مؤخراً ومنها رواية « أبناء الخطأ الرومانسى» ورواية «أحلام محرمة» ورواية «قبل وبعد» واكتشف كم الاباحية وامتهان الدين والعادات والتقاليد فى هذه الروايات مما جعله يأمر فوراً بالتحقيق مع المسئولين عن نشر هذه الأعمال وأكد الوزير أن الكتب التى أرسلت للمطبعة سوف يتم وقف نشرها واعادة قراءتها من جديد حتى لايتسرب أى كتاب يحمل مواد لاتتسق مع قيمنا وديننا وعاداتنا وتقاليدنا مشيراً الى ان وزارة الثقافة لن تكون وسيلة لنشر الكتابات الرديئة التى لاتمت للابداع بصلة.

ولاأريد أن أفيض فى مزيد من تفصيلات تصريحات الوزير فهى متاحة للجميع وهى تنعى على أدعياء الأدب الذين يتوهمون أن التطاول على الدين والخروج على القيم والمبادىء والعادات والتقاليد والذين يقدمون البلاغات فى أنفسهم لكى يظهروا فى صورة الأبطال والشهداء.. ولا أريد أيضاً أن ادخل فى خلفيات قرارات الوزير ولكن من المؤكد أن هناك خروجاً جسيماً على دور وواجبات هيئة قصور الثقافة التى كان اسمها فيما مضى هيئة الثقافة الجماهيرية ومن المؤكد أيضاً أن الوزير لن يسلم من هجوم مدعى الدفاع عن حرية الفكر والتعبير دون تمييز بين الابداع الحقيقى الذى يضيف الى ثقافة المجتمع وبين الغثاء الذى لايعبر إلا عن عاهات فكرية وبحث عن الشهرة حتى لو كان الثمن هو الدين و القيم.

فى اجتماعات مجلس الشعب السابق قال الدكتور زكريا عزمى عضو المجلس ورئيس ديوان رئيس الجمهورية ان الفساد فى المحليات وصل إلى الركب.. وفى بداية جلسات المجلس الجديد قال الدكتور زكريا عزمى إن فساد المحليات تجاوز الركب ووصل إلى الرقبة.. فإذا كانت السياسات والاجراءات الحكومية لمواجهة الفساد قد أدت إلى زيادة الفساد بهذه الدرجة فهل نتوقع أن يصل الفساد قريبا إلى الأفواه والأنوف؟! مجرد سؤال.

التصريحات التى سبق أدلى بها الدكتور يوسف بطرس غالى وزير الاقتصاد والتى كررها مؤخراً اسماعيل حسن محافظ البنك المركزى تصريحات مثيرة ومستفزة وذلك عندما يقول كل منهما إن معدلات الهروب بقروض البنوك طبيعية وفى حدود الأمان وانها مجرد بضعة مليارات.. هل نسى السيدان المسئولان أن هذه المليارات هى من دماء شعب تكافح الغالبية العظمى منه لا لكى تثرى ولا لكى تمتلك الفيللات والشقق الفاخرة والسيارات الفارهة ولكن لكى تعيش . مجرد تعيش . عيشة كريمة؟!

●●●

مسك الختام

وكم ذا بمصر من المضحكات .:. ولكنـه ضحـك كالبكـا

من كلمات أبى الطيب المتنبى

الزوبعة التى ثارت أو اثيرت فى الشارع الثقافى مؤخراً بسبب «إقدام» فاروق حسنى على تغيير عدد من القيادات فى هيئة قصور الثقافة التى تدخل فى اطار اختصاصه وصلاحياته ومسئولياته هى نموذج واضح للافتعال والخلط افتعال المشكلات وتضخيم الأمور.. وخلط العام بالخاص والمبادىء العامة بتفعيلات العمل ووقائعه.. والوصول من ذلك كله إلى نتائج خاطئة وضارة.

لقد تم تصوير قرارات وزير الثقافة بعزل رئيس هيئة قصور الثقافة وعدد من قيادات النشر بها على أنه عدوان صارخ على حرية الرأى والفكر والابداع.. وصورت هذه القرارات على أنها تراجع عن المواقف «الصلبة» التى اتخذها الوزير دفاعاً عن هذه الحرية إبان أزمة رواية «وليمة لأعشاب البحر».. وصورت على أنها استسلام للظلامين وقادة الفكر المتطرف سواء من أعضاء مجلس الشعب أو من غيرها.. وصورت على أنها تصفية حسابات بين الوزير وبين بعض موظفى وزارته.. وصورت على أنها محاولة من الوزير لاستباق الأحداث وقطع الطريق على امكان تغييره فى اطار الحديث عن تغييرات وزارية قادمة.

وكل الذين هاجموا قرارات الوزير جمدوا الزمن عند نقطة حرية الابداع.. ولم يفكر أحد منهم أن يسال نفسه أما كان حقا ينطق عن بينة وإن كان قد قرأ الروايات الثلاث التى أثارت العاصفة الأخيرة. والغالب ان كثيرا من الذين هاجموا الوزير هم من نوعية «شاهد ما شفش حاجة» وكثير منهم ركبوا الموجة وأرادوا أن يكونوا أبطالا ولا بأس من أن يكونوا شهداء حرية الرأى والفكر والابداع.. ويغلب على الظن أن بعض هؤلاء لا يخاطبون الرأى العام المصرى ولا الشارع الثقافى المصرى بقدر ما يخاطبون منظمات خارجية معينة تدعى الدفاع عن حقوق الانسان وعن حرية الفكر وهى. أى هذه المنظمات. لا تمارس دورها بكل قوة وحماس إلا عندما يتعلق الأمر بالهجوم على ثوابت الدين الاسلامى أو الاستهانة به أو ازدراء قيمه ورموزه. أما عندما يتعلق الامر بكاتب ومفكر وفليسوف غربى مسلم هو رجاء جارودى فإن هذه المنظمات تصاب بالخرس عندما يقدم هذا المفكر للمحاكمة فى فرنسا لأنه تجرأ ونفى وجود أسطورة او اكذوبة المحرقة النازية ضد اليهود وهى الاكذوبة التى يرددها اليهود ويستخدمونها لاشعار الالمان بعقدة الذنب ويبتزونهم كما حدث طوال النصف الثانى من القرن العشرين.

هؤلاء الذين هاجموا قرارات الوزير لم يطلقوا خاطرهم بقراءة الروايات وتقرير إن كانت تستحق النشر من أساسه والدفاع عنها ناهيك عن أن يتم هذا النشر من خلال هيئة من هيئات الدولة التى تمول من الضرائب والرسوم التى يدفعها الشعب المكافح مما يعطى هذه الأعمال التافهة وزناً ويكسبها شرعية وهمية ويضفى عليها احتراما افتراضيا باعتبارها صدرت عن هيئة ثقافية محترمة.. ولم يسألوا أنفسهم هل كان أى مؤلف من هؤلاء يجد فى نفسه الشجاعة لتقديم انتاجه الغث إلى دار نشر خاصة؟ وهل كان يفكر مسئول بدار نشر خاصة ومحترمة أن ينشر كتابات تافهة لكتاب مغمورين؟؟ ولم يسألوا أنفسهم اليس من حق وزير

الثقافة بل من واجبه أن يراجع أعمال مرؤوسيه وان تكون له معهم وقفات وأن يتخذ القرارات التى تصحح مسار العمل فى هذه الهيئة أو تلك إذا رأى فيها اعوجاجا أو انحرافا عن الطريق الصحيح؟ ولم يسال هؤلاء انفسهم أليس من حق المجتمع أن يحمى ثوابته ويدافع عن قيمة وأدابه؟

وهل يلام الوزير المختص إذا قرر أن يتصرف بمقتضى صلاحياته؟ولماذا اعتبروا وزير الثقافة بطلا عندما دافع عن رواية «وليمة لأعشاب البحر» وأسبغ حمايته على جهاز النشر فى هيئة قصور الثقافة والآن يعتبرونه خائناً لأنه قرر أن تكون له وقفة مع هؤلاء المسئولين عندما اعتبروا موقفه من راوية الوليمة ضوءاً أخضر للاستمرار فى نشر مثل هذا الغثاء؟؟

فى الواقع إن كل اللعنات التى تم صبها على رأس وزير الثقافة إنما تعبر عن أزمة فى الشارع الثقافى حيث استمرأ الكثيرون الهجوم على الثوابت الدينية والأخلاقية فإذا ما انتقدهم أحد أو حاول مجرد الرد أنهالت عليه الاتهامات بالتطرف والتأسلم والظلامية والانغلاق واطلاق فتاوى التكفير. ويجب ان يتوقف ذلك الآن وأن يراجع الجميع مواقفهم.. فنحن لا نريد فكرا متطرفاً يحكم الشارع الثقافى بدعوى المحافظة على قيم المجتمع.. لكننا فى الوقت نفسه لا نريد فكرا منحرفا منفلتاً بدعوى حرية الفكر والابداع. ومرحبا بكل ابداع حقيقى ذى قيمة ولا مرحبا بابتداع ضحل تافه يتمسح بمبادىء الحرية التى كانت وستبقى دائما شعاراً نبيلا تسعى من أجله كل المجتمعات.

ملحوظة أخيرة: نحن لا ندافع عن شخص وزير الثقافة ولا عن منصب وزير الثقافة وقد خالفناه واختلفنا معه فى مواقف وقضايا كثيرة سواء بالكتابة أو المشافهة.. ولا تعنينا الخلافات ولا المناصب داخل الوزارة وهيئاتها.. ولكن تعنينا الحقيقة ويعنينا الحق الذى هو أحق أن يتبع.

فى الولايات المتحدة انتقل الرئيس بيل كلينتون من البيت الأبيض أهم مقر للحكم فى العالم إلى بيت بسيط اشتراه بأمواله الخاصة وعاد مواطناً أمريكياً عادياً.. فى الكونغو انتقل الرئيس لوران كابيلا من القصر إلى القبر إثر اغتياله.. وفى الفلبين انتقل الرئيس جوزيف استرادا من قصر الحكم فى انتظار الوصول إلى قاعة المحكمة لمحاكمته عن الفساد المتهم به.. وهذا ببساطة هو الفرق بين دول العالم الأول ودول العالم الأخير الذى لا يترك فيه الحكام الفاسدون مقاعد الحكم إلا للقبر أو السجن أو المنفى.

●●●

مسك الختام

عن ابى مسلم قال: قلت لمعاذ (بن جبل) والله إنى لأحبك لغير دنيا (أرجو) أن أصيبها منك ولا قرابة بينى وبينك. قال: فلأى شىء؟

قلت: فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المتحابون فى الله فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء» صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم●.

● ٢٣ يناير ٢٠٠١

التربية الدينية .. ونشاط مشبوه

الحملة التى قادتها عقيدتى ضد مشروع وضع مناهج التربية الدينية فى مدراسنا من قبل أحد المراكز المشبوهة طرحت من جديد وبشدة قضية التمويل الأجنبى لنشاط المؤسسات الأهلية فى مصر.

وقد كان هذا التمويل الأجنبى أحد القضايا المهمة التى عنى مشروع قانون الجمعيات الأهلية بالتعامل معها والحيلولة دون تحول التمويل الخارجى إلى حصان طروادة الذى تغزونا به منظمات وحكومات وجمعيات ومن ثم ثقافات وأقطار. إما معادية عداء صريحا وإما مشبوهة وإما فى أحسن الحالات محل تساؤل.

ونحن هنا لسنا فى مجال الدفاع عن القانون فليس هذا مجال الحديث ولا هدفه.. ولكننا نؤكد أن الاهتمام بالتعامل مع هذه الظاهرة من خلال القانون المنظم لعمل الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخاصة لم ينشا من فراغ ولكنه ثمرة من ثمار ممارسات شهدتها السنوات الاخيرة طرحت العديد من الأسئلة حول هذا التيار.. من هذه الممارسات التوالد السريع لهذه الجمعيات بحيث سارت لدينا جمعيات ومنظمات وهيئات لحقوق الانسان أكثر مما هو موجود فى بعض الدول الكبرى التى هى منشأ ومصدر تمويل هذه الجمعيات.. واتجهت هذه الجمعيات الى التخصص الذى يبدو برئيا فى ظاهره لكنه فى حقيقة الأمر يقود الى نوع من الفتنة عندما يكون الأمر متعلقا مثلا بالدفاع عن حقوق فئات معينة من المجتمع.

ومن هذه الممارسات اعتماد الغالبية العظمى من هذه المنظمات على التمويل الخارجى الذى يمثل العصب الرئيسى لقيامها واستمرارها ومن هذه الممارسات اتجاه الغالبية العظمى من هذه المنظمات والهيئات الى مجالات العمل الاجتماعى والسياسى.

ولم نكد نسمع عن منظمة واحدة اهتمت بالتنمية البشرية أو التدريب المهنى أو البحوث التكنولوجية أو تزويد الفئات الاجتماعية المعنية بنشاطها بأى خبرات تساعد على تطوير مستوى حياتها ورفع مستوى دخلها.

وثمة أسئلة عديدة لم تنجح أو تحاول هذه المنظمات أن تجيب عنها.

ومن هذه الأسئلة:

لماذا التركيز على الجانب الاجتماعى والجانب السياسى فى نشاط هذه المنظمات؟؟

لماذا تتطوع الهيئات والمنظمات والحكومات الأجنبية بتمويل هذه المنظمات؟؟

ما مقدار الفائدة الحقيقة التى تعود على المجتمع مقارنة بالفوائد الجمة التى يحصل عليها أصحاب هذه الدكاكين من أسفار وبدلات وحوافز و.و.و.. الى آخر القائمة؟!

وإذا كانت حملة عقيدتى قد طرحت هذه القضية بشدة ولو بشكل غير مباشر فإن وسائل الإعلام قد تناولت هذه الممارسات الخاطئة والضارة بالحديث والبحث والتحليل خلال السنوات الخمس الماضية.

ولابد أن أجهزة الدولة المختلفة قد انتبهت وبحثت ودققت وتحركت. وإن كان متأخرا جدا، لوضع حد لهذه الممارسات التى شجع الصمت عليها أحد المراكز لان يجعل من نفسه وصيا على وزارة التعليم ويتطوع بوضع مناهج مشبوهة للتربية الدينية فى المدارس من الابتدائى حتى الجامعة ويدعى أن هذا تم بمباركة وزير التربية والتعليم الذى أعلن تبرأه من هذه المناهج مرة فى عقيدتى وأخرى فى مجلس الشعب.

ونحن نشكر كل من ساهم فى كشف هذا المخطط المشبوه ونخص بالذكر الأساتذة الدكاترة عبد العذليم المطعنى ومحمد رجب البيومى وسعد ظلام والنواب المخلصين لوطنهم ودينهم: طه غلوش ومحمود الفران وأمين حماد أعضاء مجلس الشعب ومعذرة لكل من فاتنى ذكر اسمه فى هذا السياق.

جزاهم الله جميعا عن الاسلام كل خير*.

* ١٥ يونيو ١٩٩٩

الذى يطالع صحفنا ومجلاتنا ويدقق فى المساحات المخصصة لأخبار الحوادث والقضايا سوف تسترعى انتباهه عدة أمور:

الأمر الأول هو مدى ضخامة الاهتمام فى نشر هذا اللون من الأخبار باعتباره وسيلة من وسائل الرواج وزيادة التوزيع.. وإذا كانت الصحف والمجلات القومية تتحرز وتدقق فى النشر فى كثير من الحالات، فإن عددا كبيرا من الصحف الخاصة تبالغ فى هذا النشر بصورة تكاد تحولها إلى صحافة صفراء وصحافة جنس لتركيزها بصفة خاصة على قصص الجنس والاغتصاب والخيانة الزوجية والدعارة إلى حد أنه فى أحد اعداد احدى هذه الصحف وردت كلمة «دعارة» فى العناوين الرئيسية فى ست صفحات من صفحاتها الست عشرة.

الأمر الثانى ان تواتر وكثافة النشر بهذا الشكل يوحى بأن المجتمع المصرى قد تحول إلى مباءة وأن أفراده مشغولون بالجنس والخيانة والاغتصاب والقتل لأوهى وأتفه الأسباب وهذا مخالف لحقيقة أن المجتمع المصرى مجتمع نام يبنى نفسه ويجاهد من أجل توفير الحد الادنى من الحياة الكريمة لكل افراده.

الأمر الثالث ان هذه الجرائم كانت موجودة دائما ولكن أعدادها تضاعفت ليس فقط بسبب تضاعف عدد السكان ولكن لأن الحياة أصبحت أكثر تعقيدا.. والاغراءات أصبحت أكثر حدة وتنوعا ومحاصرة للإنسان فى كل مكان.. كما أن ثمة جهات ودولا لا تريد مصر قوية ناهضة ولا تجد سبيلا لاضعاف مصر سوى باضعاف شعبها وبصفة خاصة عنصر الشباب الذى يمثل خمسين بالمائة من تعداد الشعب المصرى لذلك تطارده بالاغراءات بدءا من التبشير بمجتمع الاستهلاك والاعلانات المغرية والمستفزة مروراً بالمخدرات والجنس وصولا إلى التحلل من الدين أو الارتماء فى أحضان التطرف والارهاب.

الأمر الرابع أن كل ما ذكرناه لا ينفى أن ثمة أسبابا اقتصادية واجتماعية وتربوية وثقافية تقف وراء ازدياد معدلات الجريمة. ومن ثم فإن أى علاج لهذه الجرائم وأى محاولة للحد منها لا يكفى لها مجرد تشديد العقوبات وسرعة اصدار الأحكام رغم أنهما ضرورتان حتميتان.. ولا يكفى مجرد الحد من نشر أخبار هذه الجرائم أو ترشيد نشرها.. ولكن لابد من دراسات تحليلية تقوم بها الأجهزة القضائية والأمنية والبحثية. ممثلة فى: المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ومركز بحوث الشرطة وأقسام الاجتماع والتربية وعلم النفس فى عدد من الجامعات لتحليل الجرائم بصفة عامة وجرائم الزنا والخيانة الزوجية والاغتصاب والقتل بصفة خاصة فهذه الجرائم التى تتم بين أفراد المجتمع لأسباب مختلفة لا تقل أهمية وخطرا عن الجريمة المنظمة سواء أقامت بالجريمة المنظمة عصابات محلية أم منظمات دولية أم جماعات ارهابية.. فالجريمة المنظمة تستفز وتستفز وتستنهض قوى المقاومة فى المجتمع كله أفرادا وجامعات ومن هنا نجحت الدولة فى مواجهة التطرف والارهاب.. ولكن

هذه الجريمة تبدو وكأنها نتاج طبيعى لتفاعلات العلاقات بين أفراد المجتمع وهذا هو مكمن الخطر.. فلابد من أن ننظر إلى هذه الجرائم نظرة جديدة سواء من النواحى الشرعية أو القانونية أو التربوية حتى نطمع فى محاصرة هذا الخلل الذى يهدد أمن المواطن.

●●●

مسك الختام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اربع من كن فيه كان منافقاً خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».

منذ وقعت كارثة طائرة مصر للطيران حتى لحظة كتابة هذه السطور عقد المسئولون الأمريكيون العديد من المؤتمرات واللقاءات الصحفية والاعلامية واطلقوا العشرات من التصريحات.. وتبارت وسائل الاعلام الأمريكية . بالذات . والغربية بصفة عامة فى تقديم التقارير والتحليلات حول أسباب انفجار الطائرةوسقوطها فى الحيط الأطلنطى قرب السواحل الأمريكية ومقتل كل من عليها من طاقم وركاب بلغ مجموعهم ٢١٧ من الأمريكيين والمصريين وبعض الجنسيات الأخرى.

ومنذ وقع الحادث الرهيب والأجهزة الأمريكية تحقق وتعلن احتمالات ونتائج وتخمينات متضاربة.. وكان من الواضح أن هذا التضارب والتناقض فى التصريحات يرجع الى احد امور ثلاثة: اما أن المحققين عاجزون عن معرفة السبب الحقيقى .. وأما أن الأمور مختلطة وتحتاج الى مايجلوها ويظهر الحقيقة.. وأما أن السبب أو الأسباب معروفة وثمة رغبة فى اخفائها والتعتيم عليها والبحث عن كبش فداء يتحمل المسئولية حتى يتم غلق الملف ونسيان الموضوع.

أما أسباب اخفاء الحقيقة فهى:

تبرئة الأجهزة الأمريكية المختلفة من أى شبهة تقصير قد تكون أدت الى تفجير الطائرة فى الجو بشحنة متفجرات انتقلت إليها من مطار أمريكى.. أو انفجارها بصاروخ انطلق خطأ من قاعدة أمريكية أو من خلال حزمة من الأشعة أو الموجات الكهرومغناطيسية وهو ما أشارت إليه بعض الدراسات الأمريكية.

تبرئة شركة بوينج المنتجة للطائرة من شبهة وجود خطأ فى تصميم وتركيب بعض أجزاء الطائرة رغم ما أعلن من جانب الشركة نفسها عن وقف تسليم بعض الطائرات من ذات الطراز «بوينج ٧٦٧» بسبب ملاحظات على بعض مسامير التثبيت فى بعض أجزاء الطائرة.

القاء اللوم على مصر للطيران حتى تتحمل عواقب هذا الحادث المؤلم والمدمر للسمعة سواء فى صورة تعويضات لأسر الضحايا أو فقد ثقة المسافرين مما يؤثر فى الشركة الوطنية كما يؤثر ايضا فى حركة السياحة لمصر.

وفى هذا السياق طرحت أسباب عدة اتضح أنها غير حقيقية.. وبقى الصندوقان الأسودان هما الأمل فى معرفة الأسباب.. أما الصندوق الأول فقد زاد اللغز غموضا.. أما الصندوق الثانى الذى يحوى تسجيل مايجرى داخل كابينة القيادة فكان أكثر اثارة عندما توقف المحققون الأمريكيون أمام عبارة زعموا ان مساعد قائد الطائرة الكابتن جميل البطوطى قد رددها وهى «توكلت على الله» ثم نطق الشهادتين واستنتجوا من ذلك ان مساعد الطيار قد انتحر بالطائرة وقتل ٢١٦ آخرين.. ورغم أن المسئولين الأمريكيين قد بادروا الى نفى ذلك واستنكار تسريب مثل هذه المعلومات لوسائل الأعلام الامريكية والغربية إلا ان هذه الوسائل

استقبلت هذه المعلومات بترحيب وبالغت فيها وضخمتها محاولة التأكيد على فكرة الانتحار.

وقد أخبرنى بعض علماء الدين بأن مراسلى بعض وكالات الأنباء الأمريكية الموجودين فى القاهرة طاردوهم بالاسئلة حول معنى عبارة « توكلت على الله» وهل تعنى التشاؤم أم التفاؤل وهل تعبر عن اضطراب نفسى؟ وهل تدل على نية الانتحار؟ ولماذا لاتدل على ذلك ؟ وقد رد هؤلاء العلماء بأن هذه العبارة ليست مجرد نتاج للثقافة الشرقية كما أشار البعض ولكنها مسألة عقدية ايمانية يتساوى فيها المصريون مسلمين ومسيحيين يؤمنون بالله القدير ويؤمنون بأن الله سبب الاسباب وهم يأخذون بهذه الأسباب.. وأن الوصول بجهودهم الى غاياتها مرهون بالمشيئة الالهية .. وأن الانسان وهو يبذل جهده يجب أن يكون متوكلا على الله اى معتمدا على توفيق الله.. وأن الانسان الذى يقول « توكلت على الله » لابد أن يكون عميق الايمان هادىء النفس مقدما على خير. وأن الانسان الذى يعتزم الانتحار لا يمكن أن يكون إلا فاقد الايمان مضطرب الأعصاب مختل العقل أو النفس ومن ثم لايمكن أن يعتمد أو يتوكل على الله فى ارتكاب جريمة فى حق نفسه وفى حق الآخرين الذين لاذنب لهم ولا جريرة وفى حق الله الذى خلقه ووهبه الحياة ولم يعطه الحق فى قتل النفس وسلب حق من حقوق الله وهو حق الأحياء والأمانة.

وهكذا فرغم تراجع المسئولين الامريكيين ولو مؤقتا عن طرح وتأكيد هذا الاحتمال كسبب لانفجار وسقوط الطائرة فإن ماجرى فى هذه النقطة بالذات يكشف حالة التربص والاصرار على أن ندفع نحن ثمن جريمة نحن أول ضحاياها حتى لو كان الطريق الى ذلك يمر فوق جثث الضحايا والأهم من ذلك أن يمر فوق معتقداتنا الدينية التى هجرتها الحضارة المادية الغربية.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون﴾** سورة المائدة آية ٣٢.

● ٣٠ نوفمبر ١٩٩٩

يمثل حادثا ميت نما فى محافظة القليوبية وأولاد سيف فى محافظ الشرقية وقبلهما حادثا الكشح (١) والكشح (٢) فى محافظة سوهاج نواقيس خطر تدق بعنف لتنبه إلى مخاطر عديدة يتوجب علينا أن نبصرها ونعيها ونعمل ليس فقط على معالجتها بطريقة إطفاء الحرائق ولكن بالبحث والتحليل والتقصى لمعرفة أسبابها وتداعياتها ومن ثم منع الأسباب ووقف التداعيات.

وقد يبادر البعض للقول بأن هذه الحوادث فردية لا تمثل ظاهرة.. وإلى القول بأنه فى بعض الحالات يحدث تحريض.. وأنه فى كل الحالات يستغل المغرضون ومثيرو الشغب الفرصة لإشعال الحريق أو زيادة اللهيب.. وقد يكون هذا صحيحا.. ولكن الصحيح بالمقابل أن ثمة علامات ونذر خطر يجب أن ينتبه إليها كل مسئول انطلاقا من قول النبى صلى الله عليه وسلم: « كلكم راع.. وكلكم مسئول عن رعيته».. ونحن نذكر هذه العلامات والنذر من باب التواصى بالحق والأمر المعروف والتعاون على البر والتقوى كما أمرنا بها الله جل وعلا.. ففى هذه الحوادث وكذلك فى حوادث الشغب والتجمهر والاعتداء على بعض أقسام ومراكز الشرطة بسبب بعض التجاوزات قواسم مشتركة يجب ان نتوقف عندها:

أول هذه القواسم أن ثمة عنفا بدرجة أو أخرى بدا يظهر على وجه الحياة فى الشارع المصرى.. واذا قال قائل إنه عنف دخيل وغريب وليس من طبيعة شعب مصر فإنه أدعى للتحليل والبحث والتقصى لمعرفة أسبابه وهى لابد أسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية.

ثانى هذه القواسم أن هذه الحوادث كشفت عن أنه فى كل حالة كان هناك سبب واضح مباشر للعنف وهو الحادث نفسه الذى فجر العنف.. كما كانت هناك اسباب أعمق قادت وأدت للحادث وهى إما اهمال واستهتار وإما تجاوز فى استخدام السلطات.. والناس يصبرون على هذا وذاك ويحاولون من خلال القنوات الشرعية: المحليات. الحزب الوطنى. أعضاء مجلس الشعب والشورى. وسائل الإعلام.. وفى بعض الحالات يوفقون فى حل المشكلات وفى حالات أخرى كثيرة لا يصلون إلى نتيجة.. وتستمر الأمور على هذا النحو حتى تقع الفأس فى الرأس.

ثالث هذه القواسم أنه عندما يقع حادث من هذه الحوادث تبادر الجهات الأمنية بالقيام بواجباتها فى القبض والضبط والتحقيق والاحالة إلى ساحات العدالة. وكأنها ناقصة. وتبادر الجهات المختصة من محليات ووزارات مختصة ومؤسسات سياسية. وأحيانا أيضا المؤسسة الدينية كما حدث فى الكشح. لتطيب الخواطر وتعترف بالخطأ وتقرر العلاج فتصنع مطبا هنا وكوبرى هناك أو تعيد بناء قرية خربتها أعمال العنف.

رابع هذه القواسم المشتركة أن هذا الحماس سرعان ما يفتر والهمة والعزيمة سرعان ما يبردان وتعود حالات الاسترخاء والاهمال لنفس الأماكن أو لأماكن اخرى فيقع حادث يستفز مشاعر الناس ويدفعهم لحركة غير واعية تضر اكثر مما تنفع. فما ذنب جنود وموظفى قسم أو

مركز شرطة إذا أساء ضابط استخدام سلطته حتى يهاجم المواطنون المركز؟؟ وما ذنب ركاب عدة أتوبيسات أن يتعرضوا للقتل والاصابة وتتعرض الأتوبيسات والقطارات للتدمير والحرق اذا اهمل مسئول غبى ومستهتر اتخاذ الاحتياطات اللازمة أو رفض محافظ فى غيبوبة اقامة كوبرى أو أهمل وتراخى مجلس محلى فى اقامة مطب أمام قرية على طريق رئيسى؟؟

خامس هذه القواسم أن الذين يرتكبون أعمال العنف يتعرضون للحساب والعقاب وبعضهم قد يمضى شطرا كبيرا فى حياته فى السجن بينما المتسببون فى أحداث العنف ينعمون بحياتهم ويجلسون فى المكاتب المكيفة ويتشدقون أمام كاميرات التليفزيون وميكروفونات الاذاعة وأقلام الصحفيين بأغبى تصريحات يمكن أن يطلقها مسئول فى تبرير ما حدث.

أخطر ما فى هذه القواسم وأشدها انذارا بالخطر هو أن يتحول العنف إلى وسيلة للحصول على الحقوق..لأن اقرار هذا المبدأ بالصمت والتجاهل وعدم التحرك الا يجابى المستمر لرفع مستوى الخدمات والمرافق وازالة أسباب الشكوى من شأنه أن يسقط هيبة الحكومة ويدمر جسر الثقة فى الحزب الوطنى ويحول أعضاء مجلس الشعب والشورى إلى جزر منعزلة ليس بينها وبين المواطنين التواصل الواجب لممارسة العمل الوطنى بشكل ايجابى.

لذلك نكرر ما قلناه فى البداية من أن هذه الحوادث وإن كانت فردية فهى تمثل نواقيس خطر لمن يسمح وأضواء كاشفة لمن يريد أن يرى.. اللهم فاشهد.

فى شجاعة فطرية نادرة وبصراحة تلقائية لا توجد إلا حيث تكون الشجاعة والاحساس الفائق بالمسئولية أجاب المستشار عدلى حسين محافظ القليوبية عن سؤال تليفزيونى حول رؤيته لأسباب انفجار العنف على الطريق السريع أمام قرية ميت نما بسبب مقتل طالبة بريئة فى حادث تصادم.. أوجز المحافظ الاسباب كلها فى كلمة واحدة.. قال: تراكمات.. ثم أوضح تفصيلا فقال إنه من خبرته فى النيابة والقضاء تعلم أن السبب القريب فى أى مشكلة ليس بالضرور هو السبب المباشر أو الحقيقى.. ولكنه كما يقول التعبير الشائع: القشة التى قصمت ظهر البعير..

وعادة كما يقول المحافظ تكون هناك أسباب مختلفة تتجمع وتتراكم فى صدور الناس ولا تجد مخرجا أو متنفسا حتى يأتى حادث بسيط معتاد يقع فى أى مكان وفى كل يوم فيهيج مشاعر الناس وتتداعى الانفعالات المكتومة فى الصدور.. والناس- يقول المحافظ- يعانون من مشكلات فى السكن والعلاج والتعليم والمياه والصرف الصحى وغيرها.. وهذه المعاناة تخلق نوعا من الغضب بدرجات متفاوتة عند الناس.. وهذا الغضب يعبر عن نفسه فى الحوادث المماثلة.

من أخطر ما قاله المحافظ أن غضبا مماثلا تفجر بسبب حادث مماثل فى ذات المكان قبل سنة.. وأن مطلب اقامة كوبرى فى هذه المنطقة ليس وليد الساعة ولكنه مطلب قديم طالب به وألح فيه محافظون سابقون.. وأن القرار فيه ليس بيد المحافظ وأن الرد فى المطالبات السابقة كان هو أن الكوبرى «سيدرج فى الخطة».. وهذه الاجابة عند هذا الحد تطرح العشرات من علامات الاستفهام حول المسئولين والمسئولية وحدود العلاقة بين الوزراء والمحافظين وبين وحدات الحكم المحلى والوزارات ليس هنا مجال بحثها أو شرحها الذى يطول.

المهم.. فى اجابة عن السؤال البسيط ما الحل؟؟ أجاب المحافظ إشاعة الرضى فى نفوس الناس.. وبقدر بساطة هده العبارة فإن تنفيذها يحتاج الى شرح طويل.. وقد تحدثنا عن ذلك فى مقال سابق وربطنا بين ماحدث فى ميت نما وفى أولاد سيف وفى الكشح (١) أو الكشح (٢) وفى مواقع أخرى.. ولا نريد أن نكرر ما ذكرناه من أسباب وحلول.. ولكننا هنا نجد أنفسنا مدفوعين برغبة فطرية لأن نحيى صراحة وشجاعة المستشار عدلى حسين.. ونقرر أن هذا الاسلوب فى التفكير والتعبير لو ساد فى العمل العام فإننا نستطيع أن ننزع فتيل الغضب من صدور الناس وأن نحل الكثير من مشكلاتنا بأقل جهد وأقل تكلفة وأعلى كفاءة.

●●●

●● فاز فلاديمير بوتين رجل المخابرات وصاحب الحملة الروسية على الشيشان بالرئاسة فى روسيا مما يعنى أن الحملة الروسية لن تتوقف حتى تحقق أهدافها من وجهة النظر

الروسية.. ولم نسمع أى مطالبة رسمية على المستوى الاسلامى أو العربى بأن يوقف بوتين هذه الحملة.. الصوت الوحيد الصادر فى هذا الشأن كان من الدكتور عبد الله العبيد أمين عام رابطة العالم الاسلامى وهو وحده لا يكفى.. ولا يكفى أيضا أن يصدر بيان من منظمة المؤتمر الاسلامى يؤكد أن ممارسات روسيا فى الشيشان هى من أعمال الاستعمار.. لابد من حركة عربية إسلامية تؤيد شعب الشيشان وتدعو الحكومة الروسية الجديدة إلى مراجعة موقفها فى الشيشان.

●●●

●● فى الوقت الذى يعانى فيه الشعب العراقى من الآثار المدمرة للحصار والعقوبات الدولية المفروضة عليه تزداد قبضة صدام حسين وولديه وأتباعه إحكاما على رقبة الشعب العراقى.. وأحدث التمثيليات التى جرت لتقنين السيطرة هى الانتخابات البرلمانية التى فاز فيها عدى صدام حسين بنسبة ٩٩,٩٩٪ بالمائة من أصوات دائرته.. وهو الزمر الذى يثير الضحك ولكنه كما قال أبو الطيب المتنبى ضحك كالبكاء.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾** سورة القصص آية ٨٣.

● **٤ أبريل ٢٠٠٠**

تحفل صفحات القضايا والحوادث فى الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية بالعشرات بل بالمئات من الحوادث والقضايا التى تمتد من حوادث المرور البسيطة وأعطال المترو أو القطار إلى كوارث المرور الكبرى على الطرق السريعة وهى التى اصطلحت الصحافة على تسميتها «نزيف الأسفلت» إشارة إلى الدماء البريئة التى تسيل بسبب فوضى المرور وتهور السائقين وعدم جدية المراقبة وبطء إجراءات التقاضى واحتمالات ضياع الحقوق والتعويضات.. وتتراوح هذه القضايا والحوادث أيضا بين المخالفات التموينية البسيطة التى يقع فيها الصغار غالبا وبين سرقة البنوك التى يجد «أبطالها» حشودا من المحامين للدفاع عنهم بالحق أو بالباطل.. بل يجدون من يضمن ويوفر لهم سفرا مريحا إلى خارج البلاد برغم قرارات المنع من السفر وإدراج الاسماء فى قوائم المنع وترقب الوصول.

●●●

أيضا.. تتراوح هذه القضايا والحوادث بين جريمة القتل التى ترتكب دفاعا عن العرض أو بسبب الغيرة أو أخذا بالثأر وصولا إلى القتل فى حانات الليل كثمرة من ثمرات الإثراء السريع بلا ضابط خلقى أو وازع دينى أو رقابة أمنية وفى ظل وجود متزايد وخطير ومفزع لشركات أمن تحول أفراد بعضها إلى بلطجية شبه رسميين.

كذلك.. تتراوح هذه القضايا والحوادث بين الرشوة البسيطة التى يتلقاها موظف بسيط فى الصحة أو التموين أو ما أشبه وبين الرشاوى من العيار الثقيل التى يتلقاها المسئولون فى الإدارة المحلية لإصدار قرارات الإزالة أو وقفها وإصدار رخص البناء أو إغماض العيون على مخالفات البناء أو توزيع الشقق على غير المستحقين وهى مخلفات جسيمة عائداتها بالملايين «فى كل حالة على حدة».

أخيرا.. و حتى لا نثقل على القارىء.. تتراوح هذه القضايا والحوادث بين حالات الشذوذ والاغتصاب الفردية التى تختلف أسبابها ويختلف ضحاياها وبين الشذوذ المنظم والجماعى والذى وجد من ينظر ويؤصل له دستورا مكتوبا ويحاول نشره بين شبابنا والذى يجد أيضا من يهيىء له المكان والظروف والحماية لكى يعبر عن نفسه فى مركب سياحى يتهادى على صفحة النهر الخالد.

هذه القضايا والحوادث والجرائم بالعشرات.. بالمئات.. بالآلاف.. تقع كل يوم.. وكما تحدث عندنا فهى تحدث فى كل مكان آخر فى العالم.. وربما المعدلات عندنا أعلى أو أقل فى نوع ما من الجرائم إذا جرت مقارنتها بدول أخرى متقدمة أو نامية قريبة منا أو بعيدة عنا.. وجهاز الأمن عندنا يقوم بما يجب عليه نحو هذه الجرائم بصرف النظر عما قد يكون فى أى حالة من قصور أو من تجاوز.. والعدالة عندنا هى الحصن وهى الملاذ رغم أن بعض الاحكام التى تصدر لا تكون- وهذا طبيعى- على هوى البعض، فالقضية إذن ليست قضية الأمن وحده

ولا جهاز العدالة وحده.. ولعلى أستعيد هنا ما قيل بحق عندما أطل الإرهاب بوجهه القبيح وجرائمه المدانة والمجرمة بكل مقياس شرعى وأخلاقى واجتماعى وسياسى وقانونى من أن المواجهة الأمنية وحدها لا تكفى بل لابد من مواجهة اجتماعية ثقافية فكرية اقتصادية اجتماعية.. ولعل هذا الإدراك وما ترتب عليه من حركة سريعة فى اتجاهات مختلفة هو الذى مكن للمواجهة الأمنية أن تؤتى ثمارها بالفاعلية التى تحققت وأعادت التوازن والأمن والأمان والاستقرار لهذا الوطن.

●●●

إذا حاول الانسان أن يأخذ عينة عشوائية من الجرائم أو الحوادث أو القضايا التى حفلت بها وسائل الإعلام وكانت محل اهتمام الشارع المصرى لما تحمله من دلالات فإن النظر لابد أن يتوقف أمام بعض هذه الجرائم أو الحوادث أو القضايا.

●● قضية نواب القروض التى اتهم فيها عدد من نواب الشعب ومنهم وزير مهم سابق ورئيسا بنكين هامين وابن محافظ سابق (٣٢ متهما) وبلغت الأموال المنهوبة مليارا وربع مليار جنيه.. بعيدا عن ظروف وملابسات المحاكمة التى بدأت عام ١٩٩٥ ولم تنته حتى الآن فإن وقائع القضية تطرح العشرات من الاسئلة حول مليارات ضاعت فى هذه القضية وقضايا أخرى مماثلة.

●● قضية الدكتور سعد الدين إبراهيم ومركز ابن خلدون الذى أصرت «عقيدتى» على تسميته بالمركز المشبوه بسبب محاولاته لتسريب مناهج للتربية الدينية فى التعليم تفرغ هذه المناهج من محتواها وتسىء للدين الإسلامى وإلى الرسول الكريم ﷺ إذا كان الدكتور سعد الدين إبراهيم ورفاقه فى المركز لم يقدموا للمحاكمة بسبب هذه المحاولة المشبوهة وإنما لأسباب أخرى فإن هذه الاسباب الأخرى كانت واردة فى حملة «عقيدتى» على المركز.. وما يسرى على مركز ابن خلدون يسرى على أى مركز بحثى أو جمعية أخرى تتستر وراء شعارات حقوق الانسان وتحاول أن تنال من ثوابت هذا المجتمع.

●● قضية أبناء أو أتباع قوم لوط من الشواذ الذين كونوا جماعة أو تنظيما له مخطط واضح ومحدد لتنظير الشذوذ وتأصيله ونشره بين شبابنا ووجدوا من يرحب بهم ويفسح لهم مكانا على باخرة نيلية ليمارسوا شذوذهم.. وهذه المحاولة ليست ولم تكن ولن تكون الأخيرة فى محاولات اختراق وإفساد شبابنا بالجنس والمخدرات.

●● قضية أركاديا التى تشير - دون الدخول فى تفصيلات وقائعها- إلى ما يحدث فى المجتمع المخملى مجتمع الثراء السريع دون وازع دينى أو أخلاقى أو تحصين فكرى مما يفتح الباب واسعا للعلاقات غير الشرعية والممارسات غير الشرعية المحمية بالحرس الخاص أو البلطجية إذا شئنا الدقة.

●● انتقال عدوى البلطجة من وسط رجال الأعمال إلى المدارس.. وحتى وقت قريب كانت

البلطجة مقصورة على مدارس البنين.. لكن الجديد انها انتقلت إلى مدارس البنات.. وحتى أيام قليلة كان حادث مدرسة بهتيم الثانوية للبنات.. وإذا كانت حادثة مدرسة بهتيم قد استخدمت فيها السنج والمطاوى والجنازير فإن حادثة مدرسة بنها استخدمت فيها الأحذية.

هذه الحوادث والجرائم والقضايا تدق نواقيس الخطر.. وتشير بقوة إلى مواقع خلل لابد من علاجها.. ولايكفى للعلاج أن نقول أنها حالات فردية ولا تمثل ظواهر وأن الجريمة موجودة فى كل مجتمع.. فاهمال علاج الحالات الفردية يحولها إلى ظواهر ثم إلى كوارث.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾** سورة البقرة آية ٢٨١*.

● ٢٩ مايو ٢٠٠١

بكل المقاييس الفنيةوالإدارية والاجتماعية والسياسية والانسانية كان حادث احتراق عربات قطار الصعيد رقم ٨٣٢ ليلة الأربعاء ٢٠ فبراير الحالى هو الأسوأ والأخطر والأبشع فى تاريخ حوادث القطارات والحوادث فى مصر بصفة عامة.. فعدد القتلى والجرحى فى الحادث هو الأكبر.. وطريقة مواجهة المصير كانت مأساوية بكل المعانى اذ تحولت عربات القطار إلى محرقة جماعية لمئات من المواطنين الفقراء العائدين من القاهرة إلى مدنهم وقراهم فى صعيد مصر للاحتفال بعيد الأضحى المبارك حاملين معهم مدخراتهم المحدودة وهداياهم البسيطة للزوجات أو الأبناء أو الأهل أو الأحباب فإذا رحلة العذاب- فى الظروف العادية- تتحول إلى رحلة للموت.

وكما يحدث فى الكوارث الكبرى- وحدث أكثر من مرة- فقد هرعت الحكومة بكل أجهزتها للتعامل مع الكارثة ومحاولة احتواء آثارها والتخفيف من هولها.. وكما حدث قبل ذلك أيضا فقد تضاربت التصريحات الأولية التى صدرت عن المسئولين وإن كانت كلها قد أجمعت على محاولة نفى العجز أو التقصير بالتأكيد على أن القطار قد تم فحصه فنيا وأنه غادر محطة القاهرة وكل شيء فيه على ما يرام وأن الأرجح أن يكون الخطأ البشرى- وخصوصا أخطاء الركاب- هو سبب الكارثة.

●●●

ولكن تداعيات الكارثة وحجمها وما كشفت عنه من قصور هائل فى اجراءات الفحص والأمن والسلامة والظروف غير الانسانية التى يسافر فى ظلها الملايين من أبناء الصعيد فى علب الموت كانت أكبر من أن تعامل باستخفاف يستفز مشاعر الناس وأكبر من أى محاولة لاخفاء الحقائق وأكبر من أى محاولة لالقاء تهمة على موظف صغير يضحى به ككبش فداء حتى يظل كبار المسئولين بعيدا عن المساءلة القضائية أو السياسية أو حتى الأدبية.. من هنا حدث أمران مهمان:

●● **الأمر الأول** هو استقالة الدكتور إبراهيم الدميرى وزير النقل والمواصلات والمهندس أحمد شريف رئيس هيئة السكة الحديد وهو أمر ليس له سابقة فى تاريخ الأداء الحكومى.. ولعله يمثل تطورا فى أسلوب التعامل مع القضايا العامة.. وبصرف النظر عما اذا كان الرجلان قد تقدما باستقالتهما من تلقاء ذاتهما أو أن ذلك قد طلب منهما لامتصاص الغضب وتهدئة الخواطر ووضع قاعدة جديدة للمسئولية عن إدارة المرافق الحيوية فى الدولة فإن الاستقالة وقبولها يمثلان ادراكا لحجم الكارثة ووعيا بما كشفت عنه من عجز وقصور فى الأداء تركا يمران دون علاج أو حساب حتى صارا بحجم الكارثة.

●● **الأمر الثانى** ان الرئيس حسنى مبارك قد خاطب الشعب مباشرة من خلال بيان مواساة قدم فيه عزاءه للشعب ولأسر الضحايا من حرقى ومصابين مؤكدا محاسبة من يثبت فى

حقهم أى تقصير وإعلان الحقائق كاملة وتوافر كافة الامكانات لرعاية الأسر المنكوبة ووضع الخطط العاجلة لتطوير هذا القطاع الحيوى.

●●●

كل هذه الاجراءات تدخل فى باب العلاج الذى يعقب الكارثة.. والمطلوب هو أن تتحول الاجراءات العلاجية التى تتصف بالحماس وتتم تحت ضغط الأزمة إلى اجراءات وقائية تتمثل فى تحديد واضح لأوجه النقص والقصور ووضع خطط علمية دائمة ومستمرة لتجديد وتحديث القطارات ورفع مستوى كفاءتها ووضع نظم للصيانة والاصلاح والأمن الصناعى والانقاذ.. ونظم لتسجيل الركاب والتأمين عليهم.. ونظم أمنية لمنع اصطحاب أجهزة أو مواقد أو مواد قابلة للاشتعال فى القطارات الى غير هذه وتلك من الاجراءات التى تحول عربات القطارات- خصوصا عربات الدرجة الثالثة أو عربات الفقراء- من علب للموت إلى وسائل مريحة للسفر.

●●●

وما يجب أن يحدث فى هذا المجال الحيوى يجب أن يحدث أيضا فى مرفق النقل كله.. بل فى كل المرافق فى بلدنا.. فهذا الحادث الكارثة اضافة الى حوادث كبرى أو كوارث طبيعية- أبرزها زلزال عام ١٩٩٢- كشفت عن قصور واهمال وتراخ فى تطبيق مواصفات اقامة الأبنية أو شراء وسائل النقل أو تركيب الأجهزة أوتزويد المصانع والفنادق والمبانى الكبرى بوسائل الأمن الصناعى واطفاء الحرائق.. وننبه هنا إلى أن الحرائق بالذات لم يسلم منها مرفق.. فقد امتدت من قرى الصعيد لتشمل مصانع العاشر من رمضان وأحد الفنادق الكبرى فى مصر الجديدة ومبنى التليفزيون ومركز المعلومات بمجلس الوزراء وأماكن أخرى لا تقل حيوية وأهمية.. وفى معظم هذه الحوادث- الكوارث- نكتشف اننا أهملنا أو قصرنا فى توفير نظم وأجهزة تتكلف الوف الجنيهات فنتحمل بسبب ذلك خسائر بملايين الجنيهات.

●●●

ما حدث فى قطار الصعيد هو جرس انذار أو ناقوس خطر ينبهنا إلى ضرورة ان نفيق وان نحسن تقدير الأمور وان نعيد النظر فى أولويات العمل والانفاق وان نتوقف عن سياسة البكاء على اللبن المسكوب.. أكثر وأهم من ذلك.. ما حدث فى قطار الصعيد ينبهنا إلى خطورة ان يشعر الفقراء فى هذا الوطن- وهم السواد الأعظم من الشعب- بأنهم مهملون- بفتح الميم الثانية- ومهمشون وأقل حظا من الاهتمام والخدمات وما يؤدى اليه ذلك من احتقان اجتماعى.

●●●

مسك الختام

عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ انه قال: **﴿إن الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء، ويكون لسانه مع قلبه سواء، ولا يخالف قوله عمله﴾**.

● ٢٦ فبراير ٢٠٠٢



القضاء المصرى الشامخ النزيه هو حصن العدالة.. والعدالة هى من أهم وأبرز القيم التى حرص الاسلام على إرسائها وترسيخ قواعدها فى المجتمع.. والعدالة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى واسم من أسمائه وقد نبه القرآن الكريم إلى العدالة فى العديد من الآيات.. يقول الله جل شأنه: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى**﴾ سورة النحل آية ٩٠.

وكما أمر الله بالعدل والقسط فقد نهى عن الظلم وورد هذا النهى والتحذير فى آيات كثيرة.. وقال الله تعالى فى الحديث القدسى: ﴿إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته عليكم محرما﴾.

ويطول الحديث فى معانى العدل التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى صيغ الأمر والتحبيب والاستحسان.. وكذلك فى معانى وصور الظلم التى وردت فى آيات الله وأحاديث الرسول  على سبيل النهى القطعى.

وفى قضية سفاحى مدينة نصر الذين اغتالوا حياة أم وطفليها كانت العدالة السريعة سبيلا وسببا لارتياح الناس واطمئنانهم إلى أن كل مجرم لابد أن يلقى جزاءه.. وبالامس القريب أودعت محكمة جنايات القاهرة التى حاكمت القتلة حيثيات الحكم فى القضية.. ويهمنى من هذه الحيثيات ما ورد فيها من قول المحكمة: إن تعميق الدين ومبادئه السامية فى نفوس الشباب هو أمر ضرورى ولازم لتجنب المجتمع مثل هذه الجرائم.. ولا يكون ذلك إلا بالاهتمام بتدريس الدين وجعله مادة أساسية بكافة مراحل التعليم.. ونشر الثقافة الدينية بين المواطنين بكافة الوسائل.. وكذلك تصحيح مسار برامج أجهزة الإعلام وخاصة المرئية منها بما يبعد الشباب عن طريق الرذيلة.

وهذه ليست أول مرة يدلى فيها القضاء بدلوه فى القضايا الاجتماعية الحيوية خاصة عندما يتحول بعض هذه القضايا إلى ظواهر أو أفعال اجرامية تهدد حياة الناس أو أموالهم أو اعراضهم أو دينهم أو عقولهم وهى الضرورات الخمس التى يحميها الاسلام ويصونها.

والقضاء النزيه عندما ينبه ويحذر ويناشد فإنه لا يصدر عن الهوى بل ينشد صالح المجتمع.. فهل نستمع الى هذه التنبيهات والتحذيرات والمناشدات حتى نحمى مجتمعنا من الجريمة ومن الارهاب؟؟ أم نغمض عيوننا ونصم آذاننا حتى تقع الواقعة؟؟.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ سورة آل عمران آية ١٠٤●.

● ٩ ديسمبر ١٩٩٧

أحوال شخصية -١

هل نحن نبالغ عندما نحذر من الزواج العرفى الذى انتشر فى المجتمع المصرى وقلنا إن هذا النوع من العلاقة بين الشباب يهدد نظام الأسرة الشرعى بالانقراض مالم تتخذ خطوات متعددة لمحاصرة هذه الظاهرة أو هذا المرض؟؟.

لا أظن أننا نبالغ.. فقد سرت الظاهرة المرضية فى الجامعات والمدارس سريان النار فى الهشيم وانتقلت من السرية إلى العلن وصارت تقام لها احتفالات فى الكليات والمعاهد بين الطلبة والطالبات.. وأصبحت لها صيغ مكتوبة ومطبوعة وتوزع مقابل أو دون مقابل.. وصار هناك محامون متخصصون فى إجراء هذه الزيجات التى ينكرها القانون ولا يعترف بها علماء الدين.

وقد ناقشنا الظاهرة مرات متعددة فى عقيدتى وكشفنا الفئات التى تقبل عليها وأهمها وأخطرها فئة الشباب من طلبة وطالبات الجامعات والمدارس.. وللأسف الشديد فإننا نشعر أن هذا المرض لم يأخذ حقه من الدراسة والعلاج سواء من قبل المؤسسات العلمية والتعليمية أو المنظمات الأهلية المعنية بقضايا الأسرة والمرأة بصفة خاصة أو من خلال أجهزة الدعوة و الوعظ أو أجهزة الإعلام.. بل ان التليفزيون بكل تأثيره لم يكد يناقش هذه الظاهرة بأى قدر يشفى الغليل.. بل أخطأ خطأ فادحا عندما عرض القضية عرضا عابرا فى مسلسل «امرأة من زمن الحب» فبينما رفضت الابنة إيمان هذا الشكل بحسها الراقى إذا بالسيدة شهيرة تقرر بكل اطمئنان أن الزواج العرفى «شرعى» ولعل المؤلف استدرك أو أن أحدا نبهه إلى خطورة مثل هذا القول فرد فى حلقة تالية على لسان الهامى وهو يخاطب زيزى (أو زوزولا أذكر) واصفا هذا النوع من الزواج بأنه دعارة.

وقد تفاءلنا نسبيا عندما قرأنا ان هذا الموضوع كان محل دراسة من المجلس الأعلى للجامعات وانه- أى المجلس- بصدد تنظيم سلسلة من المحاضرات والندوات فى الكليات والمعاهد لمناقشة المشكلة ولكننا للأسف- لم نسمع فيما بعد أى شىء يبشر بهذا النشاط الضرورى لتوعية الشباب وإن كنا نعتقد ان المشكلة أكبر من ان تمضى داخل هذا المجلس ومناقشتها ومن ثم علاجها يتطلب أكثر من مجرد سلسلة من الندوات وذلك لأن اسباب الظاهرة متعددة ومركبة.. فمنها اسباب اقتصادية وأخرى اجتماعية وثالثة دينية ورابعة إعلامية.. وكما تضافرت هذه الأسباب لتكوين الظاهرة وانتشارها بهذا الشكل الوبائى فإن علاجها يتطلب تضافر الأجهزة المختلفة حكومية وأهلية لمعالجة الظاهرة.. وللحديث بقية إن شاء الله.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمام﴾** سورة الفرقان آية ٧٤*.

● ٢ فبراير ١٩٩٩



لأن مشروع قانون الأحوال الشخصية الجديد تحول من مجرد قانون لتبسيط اجراءات التقاضى فى مسائل الأحوال الشخصية وإنصاف بعض النساء «المقهورات» من بعض الرجال «الظلمة» إلى التعامل المباشر مع جوهر العلاقة بين الزوج والزوجة وطرح قضايا وتضمن نصوصا يشتبه فى مخالفتها للشريعة الاسلامية فإنه لابد أن يؤثر تأثيرات كبيرة فى مستقبل نظام الأسرة وفى علاقات الزوجين وفى بناء المجتمعات المصرى.. وببساطة شديدة- لا تخل بجوهر القضية- فإنه اذا كان إنصاف المرأة واجبا اجتماعيا وتشريعيا وضرورة حضارية وتعبيرا حقيقيا عن سماحة الاسلام فإن تحقيق هذا الانصاف لابد أن يكون مشروطا بعدة شروط أهمها ما يلى:

●● أن يحافظ فى المدى القريب والمدى البعيد على حد سواء على مقومات بناء الأسرة فى الإسلام وهى المعاشرة بالمعروف.. وكون النساء لهن مثل الذى عليهن «بالمعروف».. وكون الرجال لهم عليهن درجة.

●● ألا يؤدى إنصاف المرأة إلى استلاب حقوق للزوج قررها الاسلام سواء بنص قرآنى أو بحديث نبوى صحيح.. وألا يتم لوى أعناق النصوص أو اجتزاؤها لخدمة أغراض سياسية أو اجتماعية معينة.

●● ألا تنتقل أسرار البيوت ووثائق تفاصيل حياة الزوجين من داخل الغرف المغلقة إلى ساحات المحاكم لأى سبب وتحت أى دعوى إلا فى حالات الضرورة القصوى.

●● ألا تؤخذ حالات فردية نادرة حجة لتعديل أوضاع مستقرة لا تمثل شكوى جماعية على المستوى العام.

●● أن يكون رائدنا نهضة مجتمعنا الذى لا تبنيه إلا جهود الرجال والنساء معا ليس باعتبارهم واعتبارهن طرفى خصومة ونزاع بل باعتبارهما متكاملين متعاونين متلازمين.. وفى ذلك يجب أن تكون الروح التى تسود هى روح الأخوة والتسامح التى أرسى قواعدها الاسلام وليست روح التنافر والتنازع والصدام الناتجةعن الحضارة الغربية المادية التى هجرت الدين وحطمت نظام الأسرة وتحاول الآن أن تستعيد ما فقدته بالعودة إلى الدين.

واعتقد أن هذه الاعتبارات تمثل الاسباب الجوهرية والأساسية للمناقشات الساخنة التى يشهدها الشارع المصرى الآن بسبب هذا المشروع والطرح الإعلامى الكثيف لهذه القضية الرئيسية وكل القضايا المتفرعة عنها مثل قضايا الخلع.. وسفر الزوجة بإذن الزوج أو دون اذنه.. ومنع سفر الزوج إلا بإذن الزوجة.. والاعتراف أو عدم الاعتراف بالزواج العرفى.. وغيرها من القضايا.. وهى أيضا- أى هذه الاعتبارات- هى الاسباب الجوهرية والاساسية للاهتمام بمناقشة المشروع فى النادى السياسى للحزب الوطنى الديمقراطى وإعلان كل من الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب والدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى

أن مشروع القانون سوف ينال حقه كاملا من المناقشة فى مجلس الشعب والتشديد على أن المجلس (مجلس الشعب) حريص على أن يتفق القانون مع مبادىء الشريعة الاسلامية وأن شيخ الأزهر سوف يشارك فى الجلسات للرد على جميع تساؤلات النواب الخاصة بالقانون.

وهذا مؤشر جيد وهام ويعبر عن اتجاه نرجو أن يتأكد ويترسخ قولا وعملا فى جلسات المجلس.. فلا يكفى أن يكون مشروع القانون قد مر من خلال مجمع البحوث الاسلامية.. فما أكثر القرارات التى اتخذت أو الفتاوى التى صدرت عن المجمع فى فترات معينة ثم خضعت للتعديل بل الإلغاء فى فترات لاحقة بل ان مانشر عن مناقشات المجمع للقانون يشير إلى وجود خلافات بين أعضاء المجمع ولا يكفى أن يكون المشروع قد مر فى اللجنة التشريعية لمجلس الشعب حتى وإن كانت قد ادخلت عليه بعض التعديلات التى رأتها ضرورية فأعضاء اللجنة فى النهاية عدد محدود من القانونيين والشرعيين.. وإنما العبرة والمعول عليه هو مناقشات مجلس الشعب التى تتسع للرأى والرأى الآخر والتى يجب أن يكون فيها متسع لعلماء الدين وليس لرأى واحد ينظر إليه على أنه الحجة والقول الفصل فالقول الفصل هو ما ورد فى كتاب الله سبحانه وتعالى.. وكل انسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا المعصوم ﷺ.. ومشروع القانون يستحق أن يأخذ أياما وأسابيع لكى تناقش مواده بكل تفصيل ودقة وسعة أفق ورحابة صدر لأنه سوف يحكم حركة الأسرة والمجتمع لأجيال كثيرة قادمة.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾** سورة آل عمران آية ١٥٩.●

● ١٨ يناير ٢٠٠٠

أحوال شخصية ـ ٢

انتهى النقاش فى مجلس الشعب حول قانون الأحوال الشخصية الجديد الذى اصطلح على تسميته قانون تبسيط اجراءات التقاضى فى مسائل الأحوال الشخصية.. وبصدور القرار الجمهورى بالقانون يصبح القانون حقيقة واقعة ووجودا ماديا له أثاره فى العلاقات الزوجية و سبل حل الخلافات الزوجية سواء بالتراضى أو بالتقاضى.

وإذا كان الجدال الآن ليس له جدوى ولا أثر فيما تضمنه القانون من نصوص ستحكم الايام والأحوال على مدى التوفيق فى وضعها وعلى مقدار آثارها على حياة الناس فإن الجدوى والأثر مازالا قائمين فيما يخص اللائحة التنفيذية للقانون والتى يفترض فيها أنها تشرح و تفسر وتفصل ويمكن من خلالها تلافى أى غموض أو لبس أو تعارض أو آثار سلبية.

لذلك من المهم جدا أن تصدر هذه اللائحة التنفيذية للقانون فى أقصر وقت ممكن.. ويجب أن تراعى فيها كافة الملاحظات والاعتراضات التى سيقت حول نصوص القانون ذاته.. ويجب الاستماع لاصوات العلماء الذين كانت لهم ملاحظات أو تحفظات على نصوص القانون.. وهذا بلا شك لا ينتقص من قدر أو قيمة الذين درسوا وبحثوا وناقشوا القانون فى مراحله المختلفة وخاصة أعضاء مجلس الشعب والإعلاميين الذى نبهوا لمخاطر مخالفة بعض النصوص للشريعة الإسلامية وكذلك مخالفة بعض النصوص الاخرى لمصلحة الأسرة خاصة والمجتمع عامة حتى وإن أكد البعض وعاهدوا الله مرارا وتكرارا على مطابقتها للشريعة الإسلامية.

لقد كشفت المناقشات وأكدت عددا من الحقائق المهمة التى بدا فى بعض الحالات انها غائبة عن الأذهان.

●● أولى هذه الحقائق أن انصاف المرأة لا يقتضى بأى حال سلب ولاية الرجل والجور على كل أو بعض حقوقه الشرعية وإلا إنهار نظام الأسرة من أساسه.

●● الحقيقة الثانية أن عقد الزواج ليس عقدا تجاريا وأنما هو عقد شركة حياة.

●● الحقيقة الثالثة أن الشريعة الإسلامية ليست نصوصا جامدة ولكنها نص وروح.. ولكل حكم فيها علة وحكمة.. ولا انفصال بين هذه وتلك.. «ولى» رقاب النصوص هو تزييف للشريعة وتزوير لأحكامها.

●● رابع هذه الحقائق أن أحكام الشريعة الإسلامية تدور مع مصالح الناس وجودا وعدما.

وأن المواءمة السياسية والاجتماعية أساس فى قياس مصالح الناس.. وان بعض الحالات الفردية لا تصلح أساسا لسلب حق أو تقنين وضع خاطىء مخالف للشريعة.

●● خامس هذه الحقائق لأن بعض العلماء الذين شاركوا فى مناقشة القانون فى مراحل مختلفة كانوا ملكيين أكثر من الملك «حسب التعبير الشائع» وتوهموا أن الدولة راغبة فى تمرير القانون بأى شكل وبأى ثمن فأسرفوا فى تأكيد مطابقة القانون للشريعة الاسلامية جملة وتفصيلا.

وجاء إلغاء نص المادة الخاصة بسفر الزوجة دون إذن الزوج ليؤكد أن رهانهم كان رهانا خاسرا وأن ولى الأمر الأكبر فى هذا البلد وهو الرئيس حسنى مبارك حريص على مطابقة القانون للشريعة حقا جملة وتفصيلا.

●● سادس هذه الحقائق ان التعديلات التى ادخلت على القانون كانت استجابة لمطلب عام فى الشارع المصرى الذى يشاهد ويسمع ويقرأ عن الثمن الفادح الذى تدفعه المجتمعات الغربية نتيجة انهيار الأسرة بسبب الحرية غير المسئولة التى حصلت عليها المرأة فى الغرب والتى نتج عنها الآن وجود حركات نسائية معاكسة تدعو إلى العودة الى أحضان نظام الأسرة وتدعو المرأة الغربية للعودة إلى البيت.

ولقد أشرت فى مقال سابق إلى أن تمرير مشروع القانون فى مجمع البحوث الإسلامية ليس مبررا لمروره فى مجلس الشعب لأن أعضاء المجمع لم يكونوا مجمعين على المشروع ولأنه ما أكثر التوصيات والقرارات التى صدرت عن المجمع فى فترة معينة ثم جاء من يعدلها أو ينكرها أو يلغيها.. ولعلى أذكر هنا بمشروع قانون الأحوال الشخصية للمسلمين الذى أقره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٣٩٦ هـ- ١٩٧٦م والذى تكون من ٢٤٦ مادة تناولت أحكام الأسرة بدءا من الخطبة حتى الفصل فى كافة المنازعات الزوجية وشارك فى صياغته وفحصه وبحثه ومراجعته صفوة علماء مصر من شيوخ الأزهر ومديرى جامعات الأزهر ووزراء الأوقاف وعمداء الكليات وأساتذة الشريعة والقانون واتساءل: لماذا لم يرجع مجمع البحوث الإسلامية بتشكيله الحالى لهذا المشروع ويستفد بما أجمعت عليه هذه الصفوة خاصة فى النقاط التى ثار الخلاف حولها وخاصة موضوع الخلع الذى تناوله المشروع المشار اليه بالتفصيل فى اطار نصوص وروح الشريعة الإسلامية؟ ولماذا؟.

●●●

مسك الختام

قال الإمام مالك فى المفتدية «المختلعة» التى تفتدى من زوجها انه إذا علم أن زوجها أخذ بها وضيق عليها وعلم انه ظالم لها مضى الطلاق ورد عليها مالها.

«موطأ الإمام مالك ص ٤٢٣ باب ما جاء فى الخلع»●.

● **١١ فبراير ٢٠٠٠**

حادثة الزوج الذى قتل زوجته وأبناءه فى يوم وفى اليوم التالى استدرج عشيق الزوجة لذلك يجب الا تمر أو نمر عليها مر الكرام.. صحيح انها حادثة فردية.. وصحيح ان ظروفها وملابساتها واضحة.. وصحيح أن وقائعها مفترضة وممكنة برغم هولها وبشاعتها.. وصحيح ان القاتل اعترف تفصيليا بجريمته وانه سوف يلقى جزاءه العادل.. ولكن ذلك كله ينبغى ألا يصرفنا عما وراء الحادثة.. فهذه الحادثة هى فى حقيقة الأمر صيحة تحذير وما أكثر صيحات التحذير التى تنطلق فى حياتنا فإما اننا لانعيرها انتباها واما اننا نهتم اهتماما لحظيا عاطفيا دون أن ندرك أبعاد الخطر ودون أن نتخذ خطوات تحول ذون تكرار المأساة.. يحدث هذا فى المجال السياسى وفى المجال الاقتصادى وفى المجال الاجتماعى.. وبسبب ذلك تتكرر العثرات وتتجدد الأزمات وتتفاقم المشكلات.. ولانريد أن نذهب بعيدا وراء تجليات وتداعيات هذا الخطأ والخطر فى مجالات حياتنا فى أزمات بطالة وسيولة وركود اقتصادى أو سياسى أو احتقان اجتماعى.. ونركز على قضية الزوج الذى قتل زوجته وأبناءه وعشيق الزوجة الذى أسمته بعض الصحف صديق الزوجة من باب التجميل والتخفيف والتذويق وهى الصفات الممجوجة التى ألفناها فى حياتنا والتى هى فى حقيقة الأمر تزييف وتزوير.

موجز القصة باختصار شديد فإن الرجل فتح باب بيته لأحد أصدقائه وبعد فترة أقامت الزوجة وصديق الزوج علاقة آثمة.. واكتشف الزوج المخدوع الحقيقة المرة فواجه زوجته التى اعترفت بجريمتها واستسمحته أن يغفر لها.. ولكن الرجل إزاء الخيانة المذهلة من الزوجة والصديق وإزاء الاعتراف الأكثر إذهالا وإهانة ظل يتعذب من العار الذى لحقه واللطمة التى وجهت لكرامته ورجولته.. فقرر أن يتخلص من الزوجة وعشيقها. صديقه الخائن. وامعانا فى الانتقام قرر التخلص من ابنائه.. ربما زيادة فى الانتقام.. وربما لشكه فى أن يكون أحدهم. أى الابناء. ثمرة للخيانة.. وربما لانه. كما قال. عطف عليهم فأراد أن ينقذهم من مصير مظلم عندما يواجهون المجتمع وفى عيون الناس نظرات الشك والاتهام والازدراء وفى ذاكراتهم ذكريات مرة عن الأم الخائنة والأب القاتل.. وأوغل الرجل فى الانتقام فاستدرج الصديق الخائن وذبحه وتركه ساعات ينزف ويتوسل إليه قبل أن يجهز عليه.

ووسط القصة وحولها مئات بل آلاف الأحداث والوقائع والتفصيلات التى قد تخدم فى مجال التشويق والاثارة.. وبعيدا عن التشويق والاثارة فإن هذه الحادثة هى مؤشر على خلل جسيم استشرى فى كثير من بيوتنا.. هو خطر التهاون بالقيم.. قيمة الأسرة.. وقيمة المرأة.. وقيمة الوفاء.. وقيمة الشرف.. وهذا التهاون الذى يكتسب فى الظاهر لباس «العشرية» والثقة المتبادلة يرجع فى الواقع الى ابتعاد تدريجى ومستمر عن الوعى الدينى وتعاليم الدين التى تقدس العلاقة الزوجية وتحوطها بسياج متين من الضمانات التى تكفل لها الاستمرار وإعطاء النتاج السليم الصحيح الذى تصلح به الدنيا والاخرة.

من بين هذه الضمانات: حسن الاختيار للزوج والزوجة.. الكفاءة بين الزوجين.. تفضيل ذوى الدين والخلق من الجنسين.. المعاملة بالمعروف.. التكافؤ بين الحقوق والواجبات.. و.. أخيرا الاحتفاظ بخصوصية العلاقة الزوجية.. ومن أبرز عناصر هذه الخصوصية الا تتزين الزوجة إلا بخصوصية العلاقة الزوجية.. ومن أبرز عناصر هذه الخصوصية الا تتزين الزوجة إلا لزوجها.. وألا تختلط بغير محارمها.. وأن يكون الاختلاط فى أضيق الحدود.. وألا تدخل الزوجة بيت زوجها أحدا إلا فى حضوره وبإذنه.. وألا يترك الزوج الحبل على الغارب لهذا الصديق أو ذاك لكى ينتهك حرمة البيت.

والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى تنهى عن الاختلاط وعن التكشف أمام الغرباء وتشدد فى حرمة البيوت عديدة.. لكننا نسيناها وتجاهلناها وجعلناها وراء ظهورنا فاستبيحت الحرمات.. وانتهكت الأعراض.. وإذا كانت مأساة البساتين نموذجا شديد الايلام فإن صفحات الصحف والمجلات لاتخلو بين يوم وآخر من أخبار الخيانات التى تتكشف وجرائم القتل التى ترتكب بسبب هذه الخيانات.. هذه الجرائم التى تمثل مثلثين متقابلين: مثلث الزوجة الخائنة والعشيق الغادر والزوج المخدوع.. ومثلث الزوجة الغافلة والزوج اللعوب والصديقة الأفعى.. هذه الخيانات متوقعة دائما وحادثة دائما فى كل مجتمع.. ولكن فى مجتمع يمثل الدين الأساس فى منظومة قيمة وبنائه الثقافى يجب الا نفتح الباب على مصراعيه أمام هذا الاختلاط غير الواعى وغير الرشيد.. يجب علينا الا نضع النار بجوار برميل الوقود ثم نبكى من الحريق.

●●●

●● مهما شرقنا أو غربنا.. ومهما شغلتنا قضايانا الخاصة أو العامة لانستطيع أن نعزل أنفسنا أو نقلل من اهتمامنا وانفعالنا بما يجرى على أرض فلسطين.. وستظل هذه القضية بندا ثابتا لانمل من الحديث فيه واستنهاض همة العرب وتفنيد دعاوى الإفك والبهتان التى يرددها زعماء العصابة الصهيونية الحاكمة فى اسرائيل والدعوة الى الصمود والمواجهة ودعم نضال الشعب الفلسطينى.. وقد أكدت العمليات الاستشهادية الأخيرة التى وقعت فى قلب القدس وغيرها ان شارون وغيره من مجرمى الحرب الاسرائيليين لايقتلون الشعب الفلسطينى فقط ولكنهم يقودون الشعب الاسرائيلى للموت.

●●●

●● الثلاثاء الماضى كان موعدنا مع عرس التفوق السنوى الذى كرمت فيه عقيدتى العشرات من العلماء والدعاة وأوائل الشهادات الأزهرية فى العام الماضى والعام الحالى والفائزين فى مسابقات عقيدتى الدينية لشهر رمضان المبارك الماضى.. فى هذا اللقاء كانت فرصة لإعلاء شأن العلم. خاصة علوم الدين. وإعلاء شأن التفوق سواء فى الدراسة أو فى التنافس العلمى الدينى الشريف من خلال المسابقات.. الشهادات التى أدلى بها المسئولون

والفائزون والمكرمون فى الحفل تفيض بالمحبة والتقدير.. وهى وسام على صدورنا ومسئولية فى أعناقنا.

***

•• أكد الدكتور عبدالرحيم شحاته محافظ القاهرة ضرورة وضع حل جذرى لسير عربات الكارو داخل شوارع القاهرة من خلال قيام الصندوق الاجتماعى بتقديم قروض ميسرة لأصحاب هذه العربات لشراء سيارات.. المشكلة بحاجة الى قرارات شجاعة لمنع سير هذه العربات بالتدريج بدءا من شوارع وسط المدينة وصولا إلا الأطراف.. فسيرها فى شوارع القاهرة المكتظة بكل أنواع السيارات عائق رئيسى من عوائق حركة المرور فضلا عن كونه مظهرا من مظاهر التخلف.

•••

مسك الختام

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى. صلى الله عليه وسلم. انه قال: «من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر شهيد».

الحجاب والسيادة الوطنية

تطرح قضية حجاب التلميذة عزة عمرو زكى الطالبة بمدرسة شمبليون الفرنسية بالاسكندرية العديد من القضايا والأسئلة المحرجة التى تحتاج إلى أن نجيب عليها بكل صراحة وشجاعة.

والقصة باختصار شديد أن هذه الطالبة الصغيرة لها أشقاء فى هذه المدرسة.. وقد التزمت الطالبة بارتداء الحجاب. وهذا حقها كمسلمة بل هو واجبها. ولم تعترض الادارة السابقة للمدرسة على ذلك. ولكن الإدارة الجديدة حاولت إجبار الطالبة على خلع الحجاب.. وعندما رفضت الطالبة ووالدها منعتها ادارة المدرسة من حضور الدروس.. أقام الأب دعوى أمام القضاء المصرى يتظلم فيها من قرار المدرسة الجائر بفصل الطالبة وأشقائها من المدرسة.. وكان حكم القضاء العادل والنزيه عندما قضت المحكمة برئاسة المستشار حسين الجابرى بإلغاء قرار مدير المدرسة وتعويضهم بمبلغ ستمائة ألف جنيه بسبب الأضرار المادية والمعنوية التى أصابتهم من جراء فصلهم واحتجاز الطالبة داخل المكتبة وعزلها عن زميلاتها.

وكانت حيثيات حكم المحكمة شهادة ضد العنصرية وانتصارا للحق والمبادىء والسيادة الوطنية والانسانية الرحيمة.. وقد وصفت المحكمة ماجرى من إدارة المدرسة بأنه تعد غير مشروع على الحرية الشخصية للطالبة وتدخل. غير مشروع أيضا. فى حق من الحقوق المرتبطة بشخصيتها ومعتقداتها الدينية من خلال محاولة منعها من استخدام هذا الحق واجبارها عن طريق الضغط عليها بعزلها عن زميلاتها وتركها وحدها داخل مكتبة المدرسة وهذا. كما تقول حيثيات الحكم. على الرغم من أن ارتداء الطالبة للايشارب (الحجاب) لايتعارض مع زى المدرسة.

قالت المحكمة إنه نظرا لذلك فإن ماقام به مدير المدرسة. الأجنبية. يعد تمييزا غير مشروع ينطوى على انتهاك صارخ لجميع المواثيق الدولية التى تحظر التمييز خاصة بالنسبة لدور التعليم كما يعد مخالفا للدستور المصرى اضافة إلى مخالفته لقانون الطفل بمصر واتفاقية حقوق الطفل الموافق عليها فى الأمم المتحدة عام ١٩٨٩.. وأن هذا القرار غير إنسانى لصدوره ضد طفلة لم تتجاوز اثنى عشر ربيعا مما ألحق بها وبأسرتها أضرارا أدبية ومادية جسيمة.

وفضلا عن حكم المحكمة فقد تبين أن ما ادعته إدارة المدرسة من أنها أرض فرنسية يسرى عليها القانون الفرنسى غير صحيح.. فالمدرسة لم تنشأ وفقا لاتفاقية التعاون الثقافى والفنى والعلمى والبروتوكولات الملحقة بها والموقعة جميعها فى القاهرة بين حكومتى مصر وفرنسا عام ١٩٦٨.. كذلك فإن المادة الرابعة من قرار رئيس الجمهورية رقم ١٤١٨ لسنة ١٩٦٠ تنص على أنه لا تعتبر المراكز والمعاهد الثقافية جزءا من السفارات أو المفوضيات الأجنبية وتسرى عليها أحكام الاتفاقات الخاصة بها ولايتمتع موظفوها بالحصانة الدبلوماسية

ويعتبرون فى حكم الأجانب المقيمين فى مصر كما أن الحكومة المصرية ومنذ انتهاء الملكية لم تعط حصانة دبلوماسية لأى أجنبى يمارس أعمالا تجارية فى مصر.. ومن ثم فإنه. أى المدرسة الفرنسية. وفقا للقرار الوزارى الصادر من وزير التعليم برقم ٣٦ لسنة ١٩٩٣ هى مدرسة خاصة بمصروفات خاضعة لأحكام القوانين المصرية. وليس القانون الفرنسى. ولقرار وزير التعليم المشار إليه.

وبصرف النظر عما إذا استشكلت ادارة المدرسة الفرنسية لحكم المحكمة المصرية أو انصاعت له طوعا أو كرها.. وبصرف النظر عما إذا ساندتها القنصلية الفرنسية فى مصر أو نصحتها.. بالاستجابة لحكم المحكمة واحترام قوانين البلاد التى استضافتها فإن الذى يستوقف النظر مايأتى:

أولا. أن ولى أمر الطالبة المهندس عمرو زكى خاض معركته ومعركة ابنته ومعركة مجتمعه بشكل حضارى راق.. ولم يستسلم للظلم أو التهديد ووضع مستقبل أبنائه جميعا فى كفة والحق والحقيقة والوطن فى كفة فرجحت تلك الأخيرة.

ثانيا. أن قضاء مصر سوف يبقى دائما الحصن والملاذ حين يعجز أو يقصر الآخرون ويتوارون وراء واجهات قد تكون براقة ولكنها كاذبة.

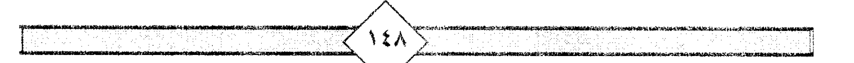
ثالثا. إننا لم نسمع صوتا لوزارة التربية والتعليم التى كان يجب أن تحتضن حق الطالبة المصرية بقوة وأن تدافع عن دستور البلاد وسيادتها وقوانينها وقرار وزيرها وأن تنضم إلى دعوى الطالبة المصرية انتصافا لها وانتصارا للحق والحقيقة.

رابعا. اننا لم نسمع ايضا صوتا لجمعيات حقوق الانسان التى أصابتنا بالصداع من كثرة الحديث عن حقوق المرأة وحقوق الطفل وحقوق السجناء وحقوق الأقليات وعشرات التصنيفات الاخرى.. وكان أولى ببعض هذه الجمعيات أن ترعى الطالبة عزة عمرو زكى باعتبارها طفلة مصرية تتعرض للاضطهاد من ادارة مدرسة فرنسية على أرض مصر لمجرد ارتدائها الايشارب.

اننا نسمع بين يوم واخر عن ضغوط ومطالبات ومناشدات من حكومات دول للافراج عن مواطنين لها ارتكبوا جرائم قتل أو شذوذ جنسى أو تجسس أو غير هذه وتلك من الجرائم البشعة.. فلماذا سكت الجميع عن حق طفلة مصرية على أرض مصر؟؟ هل هو الحرص الزائد على العلاقات المصرية الفرنسية؟؟ وهل علاقات البلدين هشة إلى هذه الدرجة؟؟ وهل نحن ملكيون أكثر من ذلك؟؟ أم أن «إيشارب» طفلة مصرية لايستحق مع أن الحكاية ليست مجرد حكاية ايشارب ولكنها حكاية سيادة وطنية؟؟

●●●

●● لاتكاد تخلو صفحات القضايا والحوادث فى الصحف والمجلات من قصة انحراف فى وحدة من الوحدات المحلية أو الادارات الهندسية أو قروض البنوك.. مجرد ملاحظة.



●●●

●● وزير على درجة بالغة من الأهمية يمضى موكبه فى هدوء ودون أن يشعر به أحد.. فلا «سرينة» ولا اغلاق للطريق ولا أيدى تمتد من نوافذ سيارات الحراسة تمنع السيارات الاخرى من الاقتراب.. ووزراء اخرون نكرات لايعرفهم أحد فى الشارع أو حتى فى المجالس يزعجون الناس بالحراسة المشددة دون مبرر وكأن الواحد منهم يحاول أن يقنع نفسه بأنه مهم.

●●●

●● سوق الفتوى فوضى.. فالبعض يفتون ابتغاء مرضاة الله.. والبعض يفتون ابتغاء مرضاة السلطان.. وآخرون يفتون لارضاء «عقد النقص» عندهم.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بماتعملون بصير﴾** سورة التغابن آية ٢.

نقل الأعضاء رحمة أم تجارة؟؟

شغلت قضية الأعضاء البشرية الأطباء وعلماء الدين فى مصر والعديد من البلاد الاسلامية على مدى السنوات العشر الأخيرة.. واختلفت الآراء بشدة واحتدم الجدل حول حل أو حرمة نقل الأعضاء سواء من الأحياء للأحياء أو من الموتى للأحياء.. وحشد كل فريق حججه وأسانيده.. ولكن هذا الجدل لم يمنع من صدور قوانين تجيز هذا النقل وتنظمه فى عشرات البلاد ومنها بلاد اسلامية.. ولم يمنع كذلك من ممارسة عملية النقل فى مصر دون غطاء شرعى أو قانونى ولكن وفقا لاتفاق صمت بين كل الأجهزة ذات العلاقة: وزارة الصحة ونقابة الأطباء والأطباء انفسهم والمرضى والجهات القضائية على حد سواء.

ويجرى الآن التحضير لاصدار قانون منظم لنقل الأعضاء ومن الواضح أن هذا القانون سوف يصدر رغم المعارضة والتحذيرات التى تثار ضد القانون.. ومن الواضح أيضا أن معارضة القانون أشبه بالسباحة ضد التيار وهو تيار عارم لاتتبناه نقابة الأطباء أو وزارة الصحة فقط بل يتبناه الألوف من المرضى الذين ينشدون فرصة فى الشفاء وأملا فى تخطى صعوباتهم الصحية.

ولو تجاوزنا الجانب الشرعى والاخلاقى فى الموضوع. مع صعوبة ذلك بل استحالته. واعتمدنا على الآراء المبيحة لهذا النقل ومنها آراء لعدد غير قليل من كبار العلماء فاننا سنظل دائما أمام قضية خطيرة جدا وهى قضية القفز على القانون أو اختراقه أو توظيفه لخدمة أصحاب المصالح سواء أكانوا بعض الأطباء التجار أم بعض المرضى الأثرياء من مصر ومن غيرها الذين لن يعدموا وسيلة للتحايل والحصول على قطع غيار بشرية بمقابل مادى.

الخوف والخطر اللذان يجب أن ينتبه إليهما واضعو القانون ومجلسا الشعب والشورى ونقابة الأطباء هما أن تتحول عملية نقل الأعضاء الى تجارة رابحة تحت مظلة القانون ورغم «أنفه» أو أن يتحول فقراؤنا الى مخازن لقطع الغيار البشرية بأرخص الأسعار.

الأسئلة التى تطرح نفسها حول هذه القضية عديدة: ما الذى يضمن التزام الأطباء والمتبرعين والمستفيدين بقطع الغيار البشرية بالقانون؟؟ وكيف سيتم التأكد من التزام الجميع به.. وهل سننشئ شرطة خاصة للتفتيش وتعقب المخالفين.. وقلبى مع كل مريض ينشد للشفاء.. ومع كل طبيب يستخدم علمه لتحقيق هذا الأمل.. ومع كل ممرضة تسهر الليل بطوله لتلبى للمريض أى طلب وتخفف عنه كل ألم ولكن قلبى أيضا مع كل فقير سوف يلهث ليبيع جزءا من جسمه ليحل مشكلاته الحياتية.

●●●

● ١٦مارس ١٩٩٩م

هل يحمل الرجال؟؟

كنا نتحدث فى أحد المجالس.. تناول الحديث موضوعات شتى.. وانتقل إلى موضوع «حمل الرجال» وما أثير حول هذا الموضوع من جدل علمى طبى واجتماعى واخلاقى.. هب أحد مدعى التحرر والتقدمية لمناصرة المرأة وقال: وماذا فى ذلك؟ لماذا لايعانى الرجل بعض ماعانته المرأة على مر العصور من متاعب الحمل والام المخاض والولادة؟ والى متى تظل المرأة مجرد وسيلة للتكاثر البشرى؟ ولماذا لانترك الباب مفتوحا ليريح المرأة من متاعب الحمل والولادة ويحافظ على جمالها ورشاقتها؟ ولماذا يتحدث البعض باسم الدين بل باسم الله فى كل شىء؟

حمى الجدل الذى شارك فيه العديد من الرجال والنساء من أطباء وعلماء دين وسيدات لسن من أهل التخصص لافى الطب ولا فى الدين.. ورغم أن بعض الاطباء اشاروا إلى امكان حدوث الحمل للرجال فانهم اتفقوا على نقاط مهمة فى مقدمتها ان هذا عدوان على الطبيعة.. وان هذا الحمل لايمكن ان يتم وانه بافتراض المستحيل ونجح الحمل فان النتاج سيكون مسخا مشوها.. وان الرجل الذى سيتعرض لمثل هذه التجربة سيكون هو الاخر مسخا شائها بسبب الأدوية والهرمونات التى سيكون عليها أن يتلقاها لتثبيت واستمرار الحمل مما يفقده رجولته ولايكسبه انوثة هى طبيعة وفطرة فى المرأة.. وان هذا سوف يعطل وظيفة مهمة من وظائف المرأة وهى وظيفة الحمل والانجاب والارضاع والرعاية وهى كلها أمور فى فطرة المرأة وممارستها تؤدى إلى ضمان صحتها البدنية والنفسية والعقلية.

ورغم ماساقه الاطباء من آراء طبية تحذر من مثل هذه الفكرة المجنونة فإن نصير المراة ومدعى التقدمية ظل على رأيه وموقفه.. وكانت المفاجأة ان النساء الحاضرات رفضن الفكرة لأسباب كثيرة منها ماذكرناه سابقا ومنها انه على افتراض نجاح الفكرة المجنونة الشاذة فإن مجرد النجاح سوف يؤدى إلى خلل جسيم فى مفهوم الاسرة والزواج والعلاقة بين المرأة والرجل.. وهذا الخلل قد اصاب المجتمعات الغربية منذ زمن طويل ولاينبغى أن تنتقل هذه الامراض الجسيمة الى مجتمعنا.. وفات المتحدثين انه حتى فى الولايات المتحدة فان هذا الموضوع اثار جدلا واشار العلماء إلى أنه أمر مرفوض من الناحية الاخلاقية حتى على فرض امكان حدوثه علميا.. وهكذا لايمكن القول بشكل مجرد ان العلم محايد بشكل مطلق وحتى اذا قيل ذلك فان تطبيق أى نتائج للبحوث العلمية يجب أن يكون محاطا بسياج من الضوابط الاخلاقية التى تحفظ للانسان طبيعته وتحفظ للمجتمعات توازنها.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾**. سورة المؤمنون الآيتان ١٢- ١٤.

● **٢ أبريل ١٩٩٩م**

هل يأتى يوم تستشرى فيه دعوة لاغلاق كليات الطب ووقف مناهج الفيزياء والأحياء فى المدارس الثانوية والغاء مناهج الصحة والعلوم فى المراحل من الابتدائية إلى الاعدادية؟؟ وهل يأتى يوم تحتاج فيه إلى اعادة تأهيل عشرات الألوف ومئات الالوف من الممرضات لممارسة أى أعمال أخرى مفيدة بدلا من التطبيب والتمريض ونرفع لافتات الأطباء من شوارعنا ونغلق الصيدليات ونسرح العاملين فى شركات الأدوية؟؟ وهل يحل محل ذلك كله تدريس مناهج السحر وتحضير وصرف الجان وكتابة الأحجبة على ورق من الخيار. أو على ظهر قرموط فقط أو نسقى أبناءنا وبناتنا من لبن تيس ذى خرزة بيضاء وأخرى زرقاء بين عينيه؟؟ باختصار شديد: هل تلغى تراث البشرية من المعارف والعلوم والثقافة ونعود قرونا الى الوراء.. وهل نجرد الإسلام من دعوته للعلم واحترامه للعقل ونذير ظهورنا لنصوص القرآن الصريحة الواضحة القاطعة وقطعية الثبوت والدلالة ونصرف النظر عن السنة النبوية الصحيحة التى أعلت من شأن العلم ودعت للتداوى؟؟

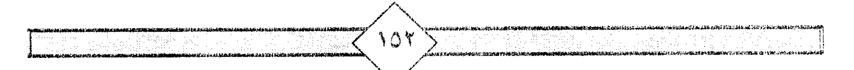
مناسبة هذه الأسئلة المستفزة (بفتح الفاء وكسرها) هو مانراه ونقرؤه ونسمع عنه من قصص السحر والدجل والشعوذة واستلاب هذه الأعمال المنافية للدين لعقول الناس.. والمدهش فى وجود بل وتفاقم هذه الظاهرة عدة أمور:

الأول: التمسح فى القرآن الكريم.. فالذين يدعون تحضير الجن واستخراج الجن من اجسام الملبوسين ويستندون إلى ورود ذكر الجن والجان فى العديد من آيات القرآن والنص على امكان استعانة الإنسان بالجان فى بعض الأعمال الخارقة للعادة ومن ذلك قصة النبى سليمان عليه السلام مع عرش بلقيس وعن استماع الجن للنبى محمد صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن الكريم إلى آخر هذه الآيات.. والذين يدعون العلاج بالقرآن يزعمون وجود آيات بعينها لعلاج السحر وعلاج العقم وعلاج الخلافات الزوجية بل وعلاج السرطان والأمراض المستعصية.. والذين يدعون فك الأعمال السفلية يدعون استخدام آيات القرآن الكريم فى هذه الأعمال.

الثانى: أن جماهير هؤلاء الدجالين والمشعوذين ليست فقط من الفقراء والجهلاء ومحدودى الثقافة.. بل إن الكثير من الحالات التى ضبطت كان لها زبائن من صفوة المجتمع مما يشير إلى أن التخلف الحضارى ليس مقترنا فقط بالأمية بل يمكن أن يكون موجودا على أعلى المستويات التعليمية.

الثالث: إن الكثير من هؤلاء يمارسون أعمالهم المنافية للدين والعقل والعلم.. وآخرهم الشيخة نادية.. وفقا لاتفاقية صمت مع أجهزة الأمن فى بعض الأحيان بحيث لاتتحرك هذه الأجهزة إلا بعد أن تصبح القضية قضية رأى عام.

الرابع: إن بعض العلماء الذين يفترض فيهم الاستنارة والرفض لهذه الممارسات يؤيدون



كليا أو جزئيا ادعاءات الدجالين والمشعوذين بل إن بعضهم يشارك فيها بالفعل.

الخامس: أن ماينفق على هذه الممارسات المتخلفة والمنافية للعقل والدين والعلم يبلغ مئات الملايين من الجنيهات.. ورغم أنه ليست هناك جهة اهتمت بإعداد دراسة احصائية تحليلية فإن متابعة ماينشر خلال عام واحد من قضايا يتم ضبطها يمكن أن يكون اشارة لحجم الانفاق الهائل.

وبعد.. فإننا نتساءل: كيف يمكن ان نحلم بنهضة تكنولوجية نقتحم بها القرن الواحد والعشرين وهذا الفكر المتخلف يزحف على الشارع المصرى؟

حتى لانذهب بعيدا نقول: اننا بحاجة الى حملة توعية كبرى ضد هذه الممارسات توجه عناصرها من على منابر المساجد وفى قاعات الكنائس وعبر الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون فضلا عن مؤسسات التعليم والثقافة والشباب.. نحن نريد أن نقود مجتمعنا من الخرافة الى العلم ومن التخلف إلى الأخذ بأسباب العلم والتكنولوجيا وهذا هدف ينبغى أن تتضافر من أجله جهود كل المؤسسات.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لاتظلمون﴾**.

سورة البقرة آية ٢٧٢.

عالم فياجرا!!!

التهمت الفئران . الشقية . ثلاثمائة مليون قرص فياجرا مستوردة فى الجمارك.. هذا هو مانشرته الصحف.. ورغم مرور ايام عديدة على نشر الخبر وتحول القصة إلى مادة للكتابة الساخرة ورسوم الكاريكاتير الأكثر سخرية فإن أحدا لم يتطوع بتكذيب الخبر أو تعديله وذكر الحقيقة وهل وقعت الواقعة أم لم تقع وكم عدد الأقراص الحقيقية التى التهمتها الفئران وماذا حدث نتيجة لذلك فيما يخص طاقتها الجنسية والتناسلية وماهى الاثار والأخطار المترتبة على زيادة قدرة الفئران التى تغذت على الفياجرا من حيث التكاثر والقوة الحيوية.

وما دام الأمر كذلك فإن الإنسان لايملك إلا ان يصدق هذا الخبر حتى اشعار أخر.. وإذا قدرنا سعر قرص الفياجرا المستوردة فى المتوسط بمبلغ ستة جنيهات. وهو أقل تقدير. فإننا نجد أنفسنا أمام مبلغ ١.٨ مليار جنيه. نكرر بالحروف الهجائية: مليار وثمانمائة مليون جنيه.. ولايملك الإنسان أمام هذا الرقم إلا أن يقول: يا ألطاف الله.. فياجرا مهدرة فى الجمارك بمليار وثمانمائة مليون جنيه؟! إذا كانت هذه قيمة الأقراص التى التهمتها الفئران فما هى قيمة الأقراص التى لم تلتهمها الفئران وابتلعها أو يبتعلها البشر؟ ولابد أن نضع فى الاعتبار أنه بعد أن كانت الفياجرا فى البداية اختراعا أمريكيا أصبحت الأسواق المصرية تستقبل فياجرا تركية وسورية وأردنية وصفها رئيس إحدى شركات الأدوية فى حواره مع حمدى قنديل فى برنامج «رئيس التحرير» بأنها «زبالة» وصحح حمدى قنديل التعبير بلطف مشيرا إلى أنه من غير اللائق استعمال هذا الوصف فى برنامج تليفزيونى يدخل كل بيت وله مشاهدوه فى كل مكان.

ولابد أن نضع فى الاعتبار أيضا أنه بعد أن كانت الفياجرا حكرا على الطبقة الجديدة ومن يقلدونها أصبحت موجودة ومتاحة فى الصيدليات العادية فى الأحياء الشعبية.. يعنى صارت هناك فياجرا شعبية.. ولو قسمنا عدد أقراص الفياجرا التى قيل أن الفئران التهمتها على عدد أفراد الشعب المصرى فسوف نجد أنفسنا أمام خمسة أقراص فياجرا لكل مواطن!!! وإذا أضفنا لذلك الاقراص التى لم تلتهمها الفئران والتى تمر من الجمارك بشكل رسمى والتى تصل وتدخل البلاد بشكل غير رسمى سواء بصحبة ركاب أو بطرق التهريب المختلفة فسوف يتضاعف نصيب المواطن المصرى من الفياجرا، وكل هذا ومازلنا نتساءل: هل ننتج الفياجرا أم نستوردها؟؟

ونحن هنا لايعنينا إن كانت الفياجرا تستورد أم يتم تصنيعها محليا.. فهى ليست رغيف خبز يطعم جائعا.. وليست مضادا حيويا يشفى مريضا.. وليست مكونا من مكونات أى صناعة تساعد فى أن تلاحق التطور الصناعى الهائل فى العالم والذى تخلفت صناعاتنا عنه مئات الخطوات ونحتاج إلى قفزات كى نتابعه.. وليست انجازا علميا كبيرا نواجه به مخاطر العولمة ونكبة الجات وكارثة التربس.. وليست قوة تضاف إلى قوتنا حتى نواجه عدوا يتحدث ولا يتوقف عن اطلاق التصريحات العدوانية الخرقاء تجاهنا ولايتوقف فى ذات الوقت عن محاولات اختراقنا فى الداخل وحصارنا فى الخارج.

الفياجرا هى مجرد أقراص منشطة للطاقة الجنسية لها فوائدها لدى البعض ولها آثارها المدمرة عند اخرين. لكنها تحولت عندنا إلى قضية.. وهذا بالضبط مايريدونه لنا وما يفعلونه بنا.. أن ننقاد وراءهم دون روية ودون أن نعرف ماينفعنا ومايضرنا وأن تبدد مواردنا المحدودة فيما لايفيدنا شخصيا أو يقوى بلادنا..

هذا هو مافعلوه من قبل عندما اكتشفوا الميلاتونين وادعوا أن له مفعولا سحريا.. وغزوا به العالم.. وجرينا وراء هذا الوهم وانفقنا مئات الملايين من الدولارات ثمنا لهذا الوهم.. والآن تتناحر شركاتنا وأجهزتنا حول الفياجرا فى الوقت الذى أعلنوا فيه أنه تم اكتشاف أقراص اكثر فعالية وأقل خطرا من الفياجرا.. وأنه فى مقابل فياجرا الرجال تم اكتشاف أو اختراع وتصنيع اقراص مماثلة للنساء.. ولا أحد يدرى إلى أين يمكن أن تقود هذه الاكتشافات.

والذى لايعلمه الذين يجرون وراء هذه الأوهام ويروجون لها ويجنون من ورائها الملايين وغيرهم الذين يجنون منها متعا وقتية زائلة قد يكون ضررها أكثر من نفعها أن ثمة فوارق مهمة بيننا وبين هذه المجتمعات التى بلغت الذروة فى المتع المادية وأصيبت بالتفسخ من جانب والملل من جانب آخر فهى تبحث عن مزيد من المتع ومزيد من أسباب التخلص من الملل.. كما أنهم يحصدون المليارات من وراء هذه الاختراعات التى سرعان ماينصرفون عنها إلى غيرها بينما نتهافت نحن على مخلفاتهم.. والسؤال المؤلم هو: متى نفيق؟؟ متى نعرف ماينفعنا ومايضرنا؟؟ مجرد تساؤل!!

●● رجاء: فتشوا فى سجلات شركات الأمن الخاصة وصحائف الحالة الجنائية للعاملين بها والمستفيدين منها قبل أن تتحول من شركات أمن إلى شركات بلطجة وعصابات جريمة منظمة.

●●●

●● أعجبتنى كلمة قالها الدكتور عبدالصبور شاهين: أحيانا يكون اختلاف الفقهاء رحمة.. وأحيانا يكون زحمة.

●●●

●● أخطر مايصيب الفتوى أن يصدر الفقيه فتواه وهو ينظر فى عينى السلطان.

●●●

●● رب يوم بكيت منه بالأمس. مع الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون. فصرت اليوم أبكى عليه. مع الرئيس الأمريكى الحالى جورج بوش.

●●●

●● من رئيس وزراء إرهابى وبلطجى. شارون. إلى رئيس دولة عظمى غشيم ومستعفى. بوش. ياقلب لاتحزن ولا تقل آه.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين﴾** صدق الله العظيم.
سورة القصص آية ٧٧.

تشهد المحافل العلمية والوسط الإعلامى فى الفترة الأخيرة أحاديث متكررة ومتزايدة عن العناية باللغة العربية.. وهذه الأحاديث مطلوبة بشدة.. بل مطلوب ماهو أكثر من مجرد الحديث.. مطلوب ان نتخذ اجراءات محددة وصارمة توفر العناية باللغة العربية والحماية لها فى مواجهة طوفان العولمة والتغريب والمحاولات المستمرة لتهميش اللغة العربية لحساب اللغات الأجنبية من ناحية ولحساب اللهجة او اللهجات العامية المحلية فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية من ناحية أخرى.. هذه العناية وتلك الحماية مطلوبتان بشدة للعديد من الأسباب الجوهرية التى يتصل بعضها بالعقيدة وبعضها بالشعور بالروابط الوطنية والقومية.

●● فمن ناحية العقيدة فإن اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم وقد اختار الله سبحانه وتعالى ان ينزل هذا الكتاب الكريم بهذه اللغة وفى ذات الوقت فإن الإسلام هو رسالة عالمية لكل الشعوب والقبائل ومن ثم فيجب الحفاظ على هذه اللغة بل ونشرها كجزء أساسى من نشر رسالة الإسلام.. ولذلك نرى أنه مهما اختلفت اللغات التى انتقلت اليها معانى القرآن وتفسيراته بالترجمة فإن آيات القرآن الكريم لاتقرأ إلا باللغة العربية سواء أكان قراؤها من المسلمين أم كانوا من غير المسلمين.. وكانت الإشارة أو الاستشهاد بالقرآن الكريم يكون باللفظ والنص وليس بالمعنى كما يحدث فى الأحاديث النبوية لأنه اذا جاز تعدد الروايات فى الأحاديث وخضوعها لاختلاف الألفاظ أو للحذف والإضافة فإن ذلك لايجوز على القرآن الكريم.. واذا كان الأمر كذلك وكانت هذه هى أهمية اللغة لارتباطها بالعقيدة الإسلامية كان من الحتمى الاهتمام بها والحفاظ عليها.

●● ومن حيث الرابطة الوطنية فإنه فى داخل الوطن الواحد «مصر أو السعودية أو السودان أو المغرب» فمع تعدد اللهجات واللكنات تبقى العربية الفصحى هى الرابطة الأساسية التى تتجاوز اختلاف هذه اللهجات واللكنات وتوحد فكر ومشاعر والتعبير عن «كل» أبناء الوطن.. كذلك فإن التمسك بالعربية الفصحى على مستوى البلاد العربية يتجاوز المشاعر والتحيزات المحلية ويبقى على رابطة عامة يفترض ان توحد بين مشاعر الأمة.. واذا كان هذا قد تم فى فترات زمنية سابقة من خلال الكتب والصحف والمجلات فان التقدم الهائل فى وسائل الاتصال خلال ربع القرن الأخير يعظم من امكانيات هذه الوسائل فى تأصيل هذه الرابطة فى وجدان الأمة.

●● أيضا.. الأمة العربية والاسلامية مستهدفة بعملية تغريب منظمة ومستمرة وشرسة.. وقد ازدادت فى الفترة الأخيرة فى ظل مفهوم العولمة وتجلياته فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة.. والحفاظ على اللغة العربية هو حفاظ على مقوم أساسى من مقومات هوية الأمة العربية التى هى المركز والنواة للأمة الإسلامية.. والتعاون فى التمسك بهذه اللغة او الدفاع عنها هو تهاون فى الحفاظ على الهوية الوطنية والقومية وتخل عن الخصوصية الثقافية والاستسلام للغزو الثقافى الأجنبى سواء أكان مقصودا ومخططا أم كان تلقائيا

وجزءا من الاجتياح الحضارى العام وان كنا نستبعد ان يكون مايجرى الآن وليد صدفة بل ان سيطرة العالم المتقدم على العالم المتخلف أو النامى الذى نحن جزء منه كانت سياسة دائما.. وقد انتقل لواؤها من أيدى القوى الاستعمارية التقليدية الذاوية الى يد القوة الأكبر والأحداث والأكثر حيوية واندفاعا..

●● ونضيف الى ماسبق ان اللغة العربية ليست لغة ميتة ولا خاملة.. بل على العكس هى لغة مرنة ومتطورة وقادرة على استيعاب كل جديد فى مجالات العلوم والفنون المختلفة.. واذا كان ثمة عيب فليس فى اللغة ذاتها ولكن فى القائمين عليها.. والدليل على ذلك أن مجمع اللغة العربية فى القاهرة وغيره من المجامع المماثلة فى الدول العربية الأخرى تضيف كل عام الكثير من الألفاظ المستحدثة أو المتعارف عليها الى قواميس التعامل فى اللغة بحيث يمكن الآن العثور على الاف الكلمات فى المعاجم الحديثة لاوجود لها فى المعاجم والقواميس القديمة.. وهذه الكلمات إما «عامية» شاع استخدامها أو «أجنبية» تم تعريبها او تبنيها القصد.. ان اللغة العربية هى من اللغات الحية المعترف بها عالميا.. والمثير للدهشة ان تعترف المنظمات الدولية باللغة العربية وتحرص دول اسلامية عديدة على ان تكون اللغة العربية احدى لغات التداول او التعليم فيها بينما نجد فى بلادنا أصواتا تهاجم الفصحى وتدعو للعامية.. كذلك.. من العجيب ان تحرص كل بلاد العالم التى تعتز بشخصياتها ومقوماتها الوطنية على نقل كافة العلوم الى لغاتها الوطنية بينما نجد تقصيرا شديدا فى ذلك من جامعاتنا.. والأدهى من ذلك شيوع الأسماء الأجنبية على واجهات محلاتنا التجارية وشركاتنا الخاصة والعامة على حد سواء رغم أن ثمة قانونا قائما يمنع ذلك.. والعجيب أن ابناءنا ينظرون بضيق شديد للغة العربية ويتعاملون معها كأنها هم ثقيل وشر لابد منه كمادة دراسية.

والذى نعلمه ان ثمة جهودا مخلصة تبذل على مستوى بعض الجمعيات العامة والخاصة للعناية باللغة العربية.. ولكن جهد هذه الجهات حتى الآن لايكفى.. ولابد من إعادة نظر فى مناهج وأساليب تعليم اللغة العربية سواء فى الأزهر أو التعليم العام.. ولابد من أن يقوم الإعلام بدوره فى هذا المجال.. وأول ماينبغى الوصول اليه هو تعليم الاعلاميين كيف يكتبون كتابة صحيحة وكيف ينطقون امام الكاميرات فى التليفزيون والميكروفون فى الاذاعة نطقا صحيحا وكيف تكتب الأسماء على الشاشة كتابة صحيحة.

●●●

●● فى مناسبة الحديث عن اللغة العربية لاننسى ان نوجه تحية خاصة لجمعية لسان العرب وللإذاعى القديم القدير الاستاذ طاهر أبوزيد الذى نذر الكثير من وقته وجهده وفكره للدفاع عن لغة القرآن.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾** صدق الله العظيم. سورة يوسف آية ٢

الثانوية.. مشكلة كل بيت

على امتداد الاسبوعين الأخيرين توالى اعلان نتائج امتحانات الشهادات العامة وعلى رأسها الثانوية العامة التى لم تفلح أى جهود بذلت حتى الآن فى التقليل من أهميتها كنقطة فاصلة فى حياة أى شاب وفتاة ولم تنجح أى تعديلات فى نظام الامتحان بها فى التقليل من اهتمام الطلبة والطالبات وأولياء الأمور بها واستعدادهم لبذل الجهد والمال بلا حدود من أجل ان يحصل أبناؤهم وبناتهم على درجات تؤهلهم لدخول كلية مناسبة.. وبسبب هذا الحرص ازدهرت الدروس الخصوصية- إلى الحد الذى أشار فيه البعض الى أن الدروس الخصوصية هى أحد اسباب الأزمة المزدوجة.. أعنى أزمة الركود ونقص السيولة المالية..!!

على أى حال فإن أزمة الركود ونقص السيولة ليست موضوع هذا الحديث فهى أزمة معقدة ومتشابكة ومتعددة الاسباب والنتائج السلبية وقد احتاج البحث عن حلول لها الى عقد اجتماعات على أعلى المستويات واتخاذ قرارات متعددة ومازال الجميع فى انتظار نتائج الاجتماعات وثمار القرارات ولابد أن الانتظار سوف يكون طويلا نسبيا وعلينا أن نتحلى بالصبر.

وعودة إلى موضوع الامتحانات والنتائج نقول ان باستمرار هناك ملاحظات عديدة جديرة بالتسجيل فى مقدمتها ان الفتيات يتقدمن باستمرار لاحتلال مواقع متقدمة فى الشهادات ومنها ان عددا من الطلبة والطالبات الذين احتلوا المراكز الأولى اعترفوا باعتمادهم على الدروس الخصوصية وآخرين اعتمدوا على جهودهم الشخصية وفى كل الحالات كان لابد من متابعة ورعاية وتشجيع الآباء والامهات لهم ومنها ان كثيرين من هؤلاء الطالبات والطلبة المتفوقين ينتمون للطبقة المتوسطة وما دونها من الذين يعتبر التفوق الدراسى أمرا حيويا لهم وسبيلا لتغيير مستويات حياتهم أو المحافظة على أوضاعهم الاجتماعية كحد أدنى.. ومنها ايضا ان غالبية هؤلاء المتفوقات والمتفوقين هم ممن يمكن وصفهم بالالتزام الدينى وهذا أمر منطقى لأن هذا الالتزام الدينى والاخلاقى يدعو الانسان للجدية والاخلاص فى عمله وفى حياته كلها ويوفر له الامان النفسى الذى هو اساس كل تقدم ونجاح.

واذا كان المسئولون حريصين على تكريم الأوائل فإنى أرجو ان يكون الجانب الاخلاقى هو أحد أهم عناصر التميز والتفوق ومن ثم التكريم.. واعتقد ان التكريم لا يكتمل اذا اقتصر على النابهين من الطلبة والطالبات فقط بل لا بد أن يمتد الى الآباء والابناء بشكل أو بآخر كما لابد من تشجيع المعلمين المجدين المخلصين ونظار ومديرى ومديرات المدارس ايضا حتى نزكى روح التنافس الشريف والتسابق فى العلم والاخلاق معا.

ولقد حرصنا فى عقيدتى على تطبيق هذا المبدأ ففى كل مناسبة لتكريم أوائل الشهادات

الأزهرية يتم اختيار عدد من مديرى ومديرات المعاهد الأزهرية لتكريمهم وكذلك بعض اساتذة جامعة الازهر وعدد من علماء الازهر ودعاة وأئمة الاوقاف حتى تكتمل منظومة التكريم بمثل اكتمال العملية التعليمية والتربوية.

●●●

مسك الختام

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

جمعيات حقوق الإنسان
وعلامات استفهام كبرى

تابعت الحوار الذى أداره بكفاءة عالية الزميل نصر نصار مقدم برنامج وجها لوجه وكان موضوعه نشاط جمعيات وهيئات حقوق الانسان فى مصر، وما جرى تجاه أحداث قرية الكشح من اختلاق وقائع لم تحدث واستعداء جهات أجنبية للتدخل فى شئوننا الداخلية ومحاولة اختراق الوحدة الوطنية فى مصر من زاوية يتصورها البعض ثغرة فى البناء المصرى القومى وهى العلاقة بين المسلمين والاقباط وكشفت المواجهة عن حقائق ومخاطر التمويل الأجنبى لهذه الجمعيات خاصة عندما يكون هذا التمويل من مؤسسات وهيئات مشبوهة مرتبطة بأجهزة حكومية معينة بالعمل الخارجي أو علاقات وثيقة خفية أو صريحة بأجهزة مخابرات غربية.

وقد بدت وجهة النظر المدافعة عن هذه الجمعيات ضعيفة ومتهاوية خصوصا فى نقطتى الارتباط بجهات أجنبية والحصول من هذه الجهات الأجنبية على تمويل نشاطها فى غياب التمويل الداخلى سواء من خلال المعونات أو التبرعات أو الاشتراكات مما يفقد هذه المنظمات استقلالها ويجعلها- دون قصد أو بقصد- قابلة للاستغلال والتوظيف من قبل الجهات الأجنبية حتى ولو كان ذلك على حساب الوطن والشعب والدين.. كما يفتح الأبواب على مصاريعها للفساد الذى يمارسه بعض الأفراد بما يحصلون عليه من أموال ومزايا نقدية أو عينية بالطرق الرسمية أو غير الرسمية.

وفى الوقت الذى نوافق فيه على أن التعميم خطأ وأن الاطلاقات فى الاحكام ضارة فإننا فى الوقت نفسه لا نستطيع أن نتجاهل أن هذه المنظمات أصبحت أشبه بظاهرة الدكاكين.. ويبدو أننا فى عصر يتصف بهذه الظاهرة فى مجالات كثيرة.. فما بين دكاكين حزبية ودكاكين صحفية ودكاكين حقوق الانسان، وليس هناك عاقل أو حريص على مصلحة هذا الوطن يمكن أن يكون ضد حقوق الانسان أو ضد الحرص على هذه الحقوق أو ضد وجود قدر كبير وفعال من الرقابة على ممارسة الأجهزة التى يمكن أن تحدث منها تجاوزات فى مجال حقوق الانسان وخصوصا الأجهزة الأمنية.. ولكن ليس هناك فى الوقت نفسه عاقل وحريص على مصلحة الوطن يرضى بأن تتحول منظمات حقوق الانسان من العمل لحماية حقوق الانسان إلى العمل ضد حقوق الوطن تحت أى دعوى مهما كانت براقة وخلف أى لافتة مهما كانت مخيفة.. وعندما يكون الأمر متعلقا بالدين وما يمكن أن يثار بسبب اختلاف الدين من مشكلات مفتعلة وموظفة وممولة ومغذاة من الخارج فإن الأمر لا يحتمل أى تهاون.

وقد أحسن معد ومقدم البرنامج الذى أشرت إليه فى البداية عندما لم يكتف بمواجهة أطراف الحوار وإنما أضاف مداخلات مهمة أثارت القضية وطرحت الحلول التى يجب أن تعنى الأجهزة المختصة بدراستها والأخذ بالممكن منها حتى لا يتكرر ما حدث ثم تهيج الدنيا بعد وقوع الفأس فى الرأس.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا﴾** سورة مريم آية ٧٦.

ذكرى انتصار

ونحن نعيش فى ذكريات واحتفالات انتصار السادس من أكتوبر ١٩٧٣ يستوقفنى أمران:

●● الأمر الأول أن هذا الانتصار لم يتحقق لأننا كنا نمتلك أكثر الأسلحة أو أقواها أو أكثرها تطورا.. ولا لأنه كان لدينا جسر جوى ينقل إلينا الأسلحة بشحمها كما حدث مع العدو.. ولا لأننا كنا نتلقى دعما سياسيا واقتصاديا ماديا ومعنويا مطلقا كما تلقت إسرائيل- ومازالت تتلقى حتى الآن- بل لأنه كانت لدينا طاقة ايمانية تعطلت فى حرب ١٩٦٧ فانهزمنا وانكسرنا ولكن هذه الطاقة الايمانية تفجرت فى حرب ١٩٧٣ فانطلق الرجال- أصحاب العقيدة والقضية- مقبلين على الموت طالبين الشهادة فتحقق لهم النصر وتحقق لمن عاش منهم- وهم الغالبية العظمى- الفخر والاعتزاز بأول نصر عربى حقيقى فى العصر الحديث وفاز من مات منهم بالشهادة.. وكل الخبراء يؤكدون أن بناء الجانب النفسى والروحى لأفراد القوات المسلحة كان إحدى الركائز الأساسية فى إعادة بناء القوات المسلحة وإعادة تأهيل الأفراد، وبهذه القوة النفسية والطاقة الايمانية نستطيع أن نواصل بناء قواتنا المسلحة بل نستطيع أن نبنى مجتمعنا ونحل كل مشكلاته.. وهذا ليس ضربا من الخيال أو تهويما مع الأمنيات ولكنه محاولة للتذكير بالحقائق التى أحيانا تغيب عن أذهاننا.

●● الأمر الثانى هو ما نبه إليه الرئيس حسنى مبارك فى الأحاديث والتصريحات والكلمات التى ألقاها فى هذه الذكرى من اننا نتجه بكل قوتنا نحو السلام نسعى إليه ونعمل من أجله.. ولكننا فى الوقت نفسه نعمل على زيادة و دعم وتطوير قواتنا المسلحة فهى درع الوطن وأداته الأساسية فى الدفاع وتحقيق السلام وحماية منجزات العمل الوطنى.

هذان المعنيان لا يلغيان ولا يقللان من أهمية أو قيمة المعانى العديدة التى تتداعى على الذهن ونحن نعيش ذكريات انتصار أكتوبر والتى يجب أن تحرص عليها كل فئات الشعب وكل أجهزة الدولة حتى تبقى معنا روح أكتوبر وانما ملهمة ومرشدة ودافعة فى سبيل التنمية والعدالة الاجتماعية وهما جناحا العمل الداخلى الوطنى.. وفى سبيل السلام والتعاون الدولى على أسس من التكافؤ وتبادل المصالح وفقا للمعاهدات والمواثيق الدولية.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾** سورة الأنفال آية ٦٠.

تابعت كما تابع الملايين عبر شاشات قنوات التليفزيون المصرى الأرضية والفضائية وقائع الاحتفال بمرور ألفى عام على رحلة العائلة المقدسة الى مصر.. تلك الرحلة التى استمرت ثلاث سنوات احتضنت فيها مصر مريم العذراء ورضيعها المسيح عليه السلام ويوسف النجار الذين لجأوا إليها بأمر الرب فرارا بالرضيع المبارك من بطش الحاكم الرومانى الطاغية هيرودس.. وقدمت مصر للعائلة المقدسة الأمن والأمان.. واذا كان هذا الحدث التاريخى ذا الأثر الكبير فى حياة ودعوة المسيح عيسى بن مريم أمرا انفردت به مصر ونالت من أجله الذكر الحسن فى الإنجيل ونال شعبها بركة الله «مبارك شعب مصر» فإنه كان متدادا لدور مصر عبر التاريخ فى احتضان النبوات وتوفير الأمن للأنبياء.. فأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام لجأ إليها فتزوج منها السيدة هاجر أم النبى إسماعيل عليه السلام جد العرب وإليه ينتسب خاتم الأنبياء محمد ﷺ.. ومن بعده استقبلت مصر حفيده يوسف عليه السلام الذى مر بالكثيرمن المحن والاختبارات قبل أن يصل إلى سدة الحكم وموقع التأثير ليلجأ إليه اخوته وأبواه ويدعوهم «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين» سورة يوسف- ٩٩.. وعلى أرض مصر تلقى موسى الوحى من ربه.

وتمضى رحلة التاريخ.. ويبعث آخر الأنبياء محمد ﷺ فى قلب الجزيرة العربية.. وبعد عشرين عاما من الهجرة تفتح مصر أبوابها لاستقبال الفتح الإسلامى.. وتفتح صدورها وعقولها لاستقبال الإسلام الذى حرر أهل مصر من الظلم الرومانى.. وكان فى خلفية قادة الفتح الاسلامى التكريم الذى اختصت به مصر فى القرآن الكريم والتوصية الكريمة من النبى ﷺ.. وهكذا كان دخول الاسلام إلى مصر ودخول مصر فى الإسلام نقلة جديدة نوعية فى حياة مصر وتاريخها فقد عزت مصر بالإسلام وقويت الدعوة الإسلامية بمصر وبجندها الذين وصفهم النبى محمد ﷺ بأنهم خير أجناد الأرض وأنهم فى رباط إلى يوم القيامة.. ومن مصر انطلقت مسيرة الإسلام إلى أفريقيا شمالا ووسطا وغربا.. وكانت مصر بقوتهاالعسكرية وبطاقاتها الروحية سندا للأمة الإسلامية ودرعا تحميها من العدوان ومركز اشعاع لنشر الدعوة من خلال الأزهر الذى صار رمزا للعطاء الفكرى والثقافى والاستنارة الدينية وفتح أبوابه للعلماء وطلاب العلم من كل أنحاء العالم.

وقد كان من اللفتات الظاهرة فى الاحتفال بذكرى رحلة العائلة المقدسة إلى مصر ظهور البابا شنودة الثالث بطريرك الكرازة المرقسية مع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.. وهما كثيرا ما يلتقيان فى المناسبات الدينية الإسلامية والمسيحية وكثيرا ما يشاركان فى الندوات واللقاءات العامة، وكما شارك هذان الرمزان فى هذه الذكرى التاريخية الطيبة فإننى كنت ومازلت أتمنى أن أراهما جنبا إلى جنب فى احتفال كبير وعلى

المستوى الوطنى- بل والعالمى- بذكرى مرور ١٤ قرنا على دخول الإسلام مصر- وفى ذلك تأكيد لدور ومكانة مصر الاسلامية.. وتأكيد جديد لروح الإخوة والوحدةالوطنية.. وإحياء لذكرى مجيدة لحدث كان له أبلغ الأثر محليا وعالميا.. ولقد طرحنا فكرة الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة منذ عامين وناقشناها مع العديدمن علماء المسلمين ورجال الدين المسيحى ولمسنا قبولا بل حماسا للفكرة.. ولكن فى مجال التنفيذ لم تجد الفكرة الاهتمام الكافى أو التنفيذ الذى يتواكب مع أهميتها.. فلم يحدث سوى بعض ندوات هنا وهناك.. وبضعة مقالات فى بعض الصحف.. وبعض الأحاديث الإذاعية.

لقد وجد الاحتفال بالألفية الثالثة من الحماس لدى وزارة الثقافة ما اقتضى تخصيص عشرات الملايين من الجنيهات لإقامة احتفال عالمى.. ولقى الاحتفال بذكرى العائلة المقدسة من الاهتمام والحماس ما تجاوز مجرد اقامة حفل وعرضٍ فنى إلى تطوير سياحى للمواقع التى زارتها العائلة المقدسة.. فهل تلقى فكرة الاحتفال بذكرى مرور أربعة عشر قرنا على دخول الاسلام مصر حماسا يحولها الى احتفال وطنى عام يليق بهذه المناسبة لتى لا تتكرر إلا كل مائة عام هجرى أم تبقى مثل الايتام على الموائد؟؟.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين. ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾** يوسف الآيتان ٩٩-١٠٠.

رجاء جارودى

نموذج للتأمل -١

كشفت محاكمة المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى عن حقائق عديدة كل منها أكثر إيلاما واستفزازا.

●● فى مقدمة هذه الحقائق أن المبادىء والشعارات المعلنة للحضارة الغربية هى فى حقيقة الأمر شعارات زائفة مخادعة.. وانها لا تصمد فى أى اختبار حقيقى.. والأدلة على ذلك ممتدة عبر التاريخ ولكن أكثرها وضوحا المفارقات الصارخة بين معاملة الدول الغربية للمجرمين الصرب والمجرمين الصهاينة ومعاملتهم للعراق والسودان وليبيا وايران وغيرها من الدول العربية أو الإسلامية.. ومحاكمة جارودى دليل حى على أن دعاوى حرية الفكر والابداع هى مجرد أكاذيب.

●● ومن هذه الحقائق أن هناك كراهية للاسلام ورموزه تظهر كلما جاءت مناسبة.. والحقيقة أن جارودى يحاكم ابتداء لأنه أسلم وكانت لديه الشجاعة لأن يشهر اسلامه ويدافع عنه.. وجاءت الفرصة الذهبية لاصطياده عندما كشف زيف الادعاءات والأباطيل الصهيونية.

● ومن هذه الحقائق أن الصهيونية العالمية تحكم قبضتها يوما بعد يوم على أجهزة الحكم فى الدول الغربية واحدة بعد أخرى.. فقد صار اليهود أغلبية بين كبار موظفى البيت الأبيض الأمريكى.. وفى فرنسا صدر قانون يحرم ويجرم أى محاولة لنفى أو مناقشة أكذوبة المحارق التى يزعم اليهود أن النازى (هتلر) قد أقامها لهم وقتل من خلالها ملايين اليهود بينما أثبتت دراسات عدة أن هذه القصص مختلقة اختلاقا وأن عدد ضحايا النازى من اليهود كانوا أقل بكثير جدا من ضحاياه من المسيحيين ومنهم مواطنون ألمان ومن كل الدول.

●● ومن هذه الحقائق اننا- نحن العرب- لسنا فى مستوى التحدى المفروض علينا.. ففى الوقت الذى تسبغ فيه الدول الغربية حمايتها لمن يطعنون فى الاسلام ويهاجمون النبى ﷺ مثل سلمان رشدى وتسليمه نسرين وغيرهما من الافاقين نجد أنفسنا متخاذلين ومفكر مسلم يقدم للمحاكمة لأنه قال مالم نستطع قوله فأين مليارات النفط وأين عباقرة المحامين وأين ألوف الأقلام التى تنهال علينا كل يوم مدافعة عن حقوق الانسان فى البلاد العربية؟ وأين حق جارودى فى أن يدافع عن نفسه وأن ندافع عنه لكى يدافع عنا؟ أفيقوا يا عرب.. أفيقوا يا مسلمين.. وانصروا الله ينصركم..

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** سورة آل عمران آية ١٦٠●.

● ٢٠ يناير ١٩٩٨

فى آخر دورة لمعرض القاهرة الدولى للكتاب أوائل العام الماضى نظم مثقفو مصر من جميع فئاتهم ومستوياتهم وتوجهاتهم مظاهرة دعم وتأييد للمفكر والفيلسوف الفرنسى المسلم رجاء جارودى الذى كانت محاكمته تجرى وفقا لقانون يمنع ويجرم ويعاقب على أى نفى لأكذوبة المحرقة التى يدعى اليهود أن هتلر قد نصبها لهم وبفضل هذه الأكذوبة تمت أكبر عملية ابتزاز من جانب اسرائيل والصهيونية العالمية للحكومات الألمانية المتعاقبة وحصلت إسرائيل- لضحايا اليهود المزعومون- على مليارات الماركات الألمانية والدولارات الأمريكية.

المهم.. فى لقاء حاشد طرح جارودى مطلبا يتمثل فى سعى الدول الإسلامية للاكتفاء الذاتى والاعتماد على النفس ومقاطعةالبضائع الأمريكية، وهو نوع من المقاومة السلبية شبيهة بتلك التى قادها غاندى فى الهند وكانت ذات أثر فعال فى نضال الشعب الهندى للتحرر من الاحتلال البريطانى، وفوجىء الحضور بمن يتساءل ومن أين نحصل على سجائر «كذا» ومشروب «كذا»، وأجاب جارودى بأن الانسان المسلم اذا عجز عن الاستغناء عن هذه الأشياء فى مقابل الدفاع عن دينه والحفاظ على كرامة أمته ومقوماتها ليس جديرا بأن يكون مسلما وكذلك المجتمعات الاسلامية.

ذكرنى بذلك موقف تلقائى اتخذه ابنى الصغير ونحن فى محل للملابس.. فقد أعجبته سترة قرر أنها هى بالتحديد التى يريد أن يشتريها، وبينما أنا أتهيأ لدفع قيمتها للبائع اذا بالفتى الصغير يبلغنى بأنه لن يشترى هذه السترة.. وكان السبب أنه مرسوم على ظهرها العلم الأمريكى.. وعندما أبدى البائع دهشته قال الصغير مصطفى أليس الأمريكيون يقتلون الشعب العراقى العربى المسلم؟؟ قال البائع: ولكن صدام.. قاطعه الفتى قائلا: لا تحدثنى عن صدام فأنا أعرف أنه جزار لكن الأمريكيين لم يقتلوا صدام وإنما قتلوا شيوخ العراق وأطفالها ونساءها.

رجاء جارودى مفكر اسلامى فرنسى دخل الاسلام وقد تجاوز السبعين عاما وتنقل بين المذاهب والنظريات والفلسفات، ومصطفى فتى مصرى مسلم صغير ليست له تجربة أو خبرة ولكنه الاحساس المشترك إحساس بالواجب وبالمأساة وبالدور البسيط الذى يجب أن نقوم به لمواجهة العدوان والظلم والنفاق الدولى.. فهل يصل هذا الاحساس الى حكام العرب والمسلمين وإلى رجال الأعمال والمستثمرين الذين ربطوا مستقبلهم واستثماراتهم ومصالحهم بالسيد الأمريكى.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين. ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون﴾** النمل الآيتان ٦٩-٧٠.

● ٥ يناير ١٩٩٩

بين التنوير.. والتغريب -١

يبدو أننا ننفخ فى «قربة مقطوعة» أو أن صوتنا صوت ضائع فى البرية.. أو أن صوت التغريب وفكر التبعية هو السائد وهو صاحب الكلمة المسموعةوالأمر المطاع والقرارالنافذ فى عالم الفكر والثقافة.

فمنذ بداية العام الماضى والاستعدادات تجرى على قدم وساق للاحتفال بمرور مائتى عام على الحملة الفرنسية على مصر وهى الحملةالتى تمت فى اطار مشروع غزو استعمارى لمصر.. ولا يقلل من ذلك أنها كانت بداية اتصال بين مصر والحضارة الأوروبية النامية من خلال من صحبها من العلماء وما جاءوابه من علوم وأدوات حديثة من منتجات العلوم الحديثة.. ورغم المعارضة الشديدة التى تستند إلى أسباب وطنية وحضارية عديدة فإن أصحاب مشروع الاحتفال ماضون فى طريقهم غير عابئين بصوت المعارضة.. بل وصلت بهم الصفاقة حد اتهام المعارضين بالتخلف والجهل.

ومن عجب أن تتزامن هذه الاستعدادات مع ذكرى حدث من أهم الاحداث فى تاريخ مصر وتاريخ الاسلام.. تلك هى ذكرى الفتح الاسلامى لمصر الذى يمر عليه الآن ١٤٠٠ سنة والذى كان نقطة انطلاقة جديدة فى مسيرة الدعوة الاسلامية كما كان ايذانا بميلاد جديد لمصر التى تحولت إلى حاضنة للدعوة ومدافعة عنها وناشرة لها و حاملة للوائها.. وفى ظل الاسلام وتحت لوائه عاش المسلمون والاقباط أخوة متحابين متكافلين متكاتفين فى السراء والضراء متوحدين فى مواجهة الهموم الداخلية والمخاطر الخارجية متحملين معا تقلبات الحكم والحكام.

وعندما تنبهنا ونبهنا إلى هذه الذكرى العزيزة دعونا للاحتفال بها وعندما انطلقت دعوتنا قال البعض انها قد تثير حساسية لدى بعض الأخوة الاقباط.. ولكننا عندما استطلعنا آراء عدد من كبار رجالات الكنيسة والمفكرين من الاقباط وجدناهم لا يقلون عنا حماسا وغيرة.

وقد توقعنا أن تبادر إحدى الجهات- وهى عديدة- لتبنى الفكرة- بعد أن كتبنا فيها أكثر من مرة- وكنا نتوقع أن تعقد سلسلة من الندوات واللقاءات وأن تنشر الدراسات التاريخية المختلفة عن هذه المناسبة المهمة فى تاريخ مصر والاسلام بل والعالم كله.. وأن تختتم سلسلة الاحتفالات باحتفال تاريخى عالمى يظهر الوجه الصحيح للاسلام ويبرز دور مصر فى خدمة الدعوة الاسلامية وفى خدمة الحضارة الانسانية بوجه عام.. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ربما لأن قطاعات وزارة الثقافة مشغولة ومجندة للاحتفال بذكرى الاحتلال الفرنسى لمصر ولأن أجهزة المؤسسات الدينية مشغولة بالخلافات بين العلماء والتى تتناثر شظاياها على صفحات الصحف والمجلات ومحاضر التحقيق الرسمية داخل غرف التحقيق فى بعض هذه المؤسسات ذاتها أو فى المحاكم.

ها نحن نكرر الدعوة ونكرر التنبيه.. اللهم بلغت؟ اللهم فاشهد؟.

●●●

مسك الختام

عن رجل من المهاجرين من أصحاب النبى ﷺ قال: «غزوت مع رسول الله ﷺ ثلاثا أسمعه يقول: المسلمون شركاء فى ثلاثة: فى الكلأ والماء والنار» رواه أبو داود.

بين التنوير .. والتغريب - ٢

هل أتى علينا حين من الدهر أصبحت كلمة التغريب هى السائدة والمهيمنة على الخطاب الاعلامى؟؟ وهل يأتى علينا حين من الدهر نستحى فيه أو نخشى فيه أن نحتفى ونحتفل بمناسباتنا الاسلامية الكبرى التى كان لها أثرها التاريخى فى بناء مصر وفى انتشار دعوة الاسلام وبناء الحضارة الاسلامية التى أعطت البشرية خير ما بقى لها من قيم ومبادىء ومثل!!

يبدو- لسوء الحظ ولحزننا العميق- أن إجابة هذين السؤالين هى بالايجاب.. فالاستعدادات تجرى على قدم وساق للاحتفال بمرور قرنين من الزمان على الحملة الفرنسية على مصر وهى التى لم تكن سوى غزوة استعمارية تريد بها فرنسا نابليون أن تسيطر على مفصل الاتصال مع افريقيا وآسيا وأن تزاحم منافستها اللدود بريطانيا وأن تفك أسرار الحضارة الفرعونية التى مثلت لغزا مستفزا لها وأن تضرب وحدة الدول العربية والاسلامية فى مقتل، وهذا هو وزير الثقافة يقود هذه الاستعدادات ويتهم المعترضين على الاحتفال بالجهل والتخلف ويهدد بأنه سيرد الصاع صاعين لكل من يهاجمه- ولمعرفة النص الصريح لما قاله نحيل القارىء الكريم الى مجلتى الكواكب والمصور ليرى أى مستوى لغوى استخدمه الوزير.

وفى ذات الوقت فقد اطلقنا منذ شهور دعوة للاحتفال بمرور ١٤ قرنا على دخول الاسلام مصر وهو الحدث التاريخى الذى أعاد لمصر كرامتها وانقذ اقباط مصر من ذل الاحتلال الرومانى وفتح الباب واسعا امام امتداد دعوة الاسلام الى افريقا شمالا وغربا ووسطا وجعل مصر دولة محورية لا فى المنطقة العربية فقط بل على مستوى العالم الثالث عموما.. وكررنا الدعوة فى أكثر من محفل وكتبنا أكثر من مرة وطرحناها للحوار الذى شاركت فيه نخبة من الأخوة الاقباط الذين لم نجد لديهم أى حرج من تأييد هذا الاحتفال بل وجدنا ترحيبا واستعدادا- صادقا- للمشاركة.. ومع ذلك فكل ما لمسناه من رد فعل هو مجرد استعداد لدى الأزهر لعقد مؤتمر لاحياء ذكرى هذا الحدث التاريخى.. ونحن نرى أن هذه الذكرى تستحق أكثر من مجرد ندوة أو مؤتمر.. بل تحتاج الى مسابقات ثقافية واحتفالات وندوات وبحوث فى مختلف المؤسسات على ان يكون المؤتمر خاتمة لهذه الانشطة المختلفة.. وأن يكون هذا المؤتمر عالميا وأن يكون تحت رعاية رئيس الجمهورية شخصيا وأن يكون شيخ الأزهر وبابا الكنيسة المصرية هما الشخصيتان المحوريتان فيه.

نحن نرحب بما هو منشور فى الصفحة الأولى من هذا العدد من رفض شيخ الأزهر للاحتفال بمرور مائتى عام على الحملة الفرنسية على مصر ولكننا نطلب ما هو أكثر.. نطلب الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على دخول الاسلام مصر.. فهذه هى بداية التنوير الحقيق.. والاسلام هو النور الحقيقى وليس الثورة الفرنسية.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾** سورة يوسف آية ٩٩.

● ٧ أبريل ١٩٩٨

فشل مؤتمر المرأة

كنت أنوى ان أغلق ملف مؤتمر «مائة عام على تحرير المرأة» التى نظمه المجلس الاعلى للثقافة الذى يفترض انه يمثل ويضم صفوة مثقفى مصر ويعبر عن روح ثقافتها ويمثل جهازا يشارك بفاعلية فى الانتقال بمصر الى القرن الجديد والالفية الجديدة فى وثبة حضارية كبرى تستجيب وتتفاعل مع مايعلنه ويقوده الرئيس محمد حسنى مبارك من جهد وطنى يستهدف تحقيق هذه الوثبة.

وكان سندى فى هذه الرغبة فى اغلاق الملف ان هذا المؤتمر كان يمكن ان يكون فرصة تاريخية لانطلاقة جديدة فى حركة المرأة المصرية والعربية تجاه قضاياها الحيوية وتصحيح ماقد يكون قائما من اخطاء او انحرافات فى مسيرة المرأة وتمكين المرأة من القيام بدورها والحصول على حقها فى التنمية والديمقراطية اسوة بالرجل وجنبا الى جنب مع الرجل وفى اطار حقيقة اننا مجتمعات اسلامية وان احكام الدين فى جوهرها هى عصمة للانسان . الرجل والمرأة على حد سواء . وحماية له وتمكين.. ولكن المؤتمر انحرف عن الطريق والمسار الطبيعى الذى كان يمكن بل ويحب ان يمضى فيه لتحقيق اهدافه ولكنه بدلا من ذلك انحرف الى مهاترات واكاذيب ومغالطات وممارسات ضد الدين بل ضد القيم الاخلاقية وضد المرأة وقضاياها ذاتها.. وتحولت الاصوات الناعية فيه عن ان تكون منظومة تضيف الى قضاياها المجتمعات العربية والمرأة فى قلبها بالطبع الى ان تكون مجرد زوبعة فى فنجان مشروخ او مجرد غناء فج داخل الحمام.. فلا هى كسبت ارضا ولا نالت رضا على أى مستوى من المستويات.. فلا المرأة المسلمة اعتبرت هذا المؤتمر معبرا عنها باى حال ولا المنتميات للتيارات الليبرالية اعتبرن المؤتمر محققا لاى اضافة لقضاياهن الحيوية المساواة فى التعليم . المساواة فى الحقوق الاساسية . المشاركة السياسية المتنامية . الفوز بنصيب اكبر فى التنمية وعائدها . ظروف العمل الافضل.. الخ.. فماذا بقى من المؤتمر غير سوء السمعة الذى اعترفت به.. وكما اشرت فى مقال سابق فان المؤتمر اعلن فشله من خلال العجز عن الوصول إلى توصيات او بيان او نداء رغم ان الوصول الى شىء فى ذلك كان يمكن ان ينقذ ماء وجه منظمى المؤتمر ويبرر ما أهدروه من اموال الشعب المكافح بل يبرر وجودهم فى مناصبهم غير اننى منذ الثلاثاء الماضى تلقيت العديد من المكالمات الهاتفية التى يندد اصحابها بالمؤتمر ويبدى كثير منهم الرغبة فى الكتابة فى عقيدتى.. ولكن اهم ما طرحه بعض المتحدثين معى بضعة أمور أردت ان اسجلها قبل ان أغلق الملف.

●● **الأمر الأول** ان هذا المؤتمر هو مجرد حلقة فى سلسلة نشاطات «ثقافية» تشمل العديد من المؤتمرات والنشرات والكتب التى تتخذ من قضايا المرأة وانصافها ستارا لمهاجمة الاسلام بشكل مباشر أو غير مباشر .. وماذكرى كتاب تحرير المرأة الا مجرد مناسبة تستغل فكأنه حصان طروادة.

●● **الأمر الثانى** ان هذه الانشطة تحمل زورا شعار التنوير.. وهو ذات الشعار الذى انطلقت تحته الدعوة للاحتفال بمرور مائتى عام على الحملة الفرنسية باعتبار هذه الحملة من وجهة نظرهم بداية التنوير فى مصر والوطن العربى وتجاهل هؤلاء ان الحملة لم تكن سوى غزوة استعمارية لها اهدافها من نهب لثروات مصر الى تأمين طريق مختصر لكنوز الشرق.. وما قافلة العلماء التى رافقت الحملة الا اداة فى خدمة الاهداف الاستعمارية قبل أى هدف علمى مجرد.

●● **الأمر الثالث** انه فى الوقت الذى تنطلق فيه هذه الانشطة وتتمتع بالامكانات المادية والبشرية نجد ان مناسبة عظمى تكاد تمضى دون ان يعيرها أحد اهتماما وكأننا نخجل منها الا وهى مرور ١٤ قرنا على الفتح الاسلامى لمصر وهو الفتح الذى قوى بالاسلام وعزت به مصر.. ولقد طرحنا فكرة الاحتفال بهذه المناسبة الجليلة فى عقيدتى منذ عامين وناقشنا فيها علماء الدين من مسلمين واقباط ووجدنا قبولا بل حماسا للفكرة.. وكان يمكن ان تكون هذه الفكرة منطلقا لسلسلة من الفعاليات الكبرى والحوارات الاسلامية المسيحية محليا وعالميا مما يثرى تاريخ مصر والاسلام وينمى روح الحوار والتفاعل بين الاديان ويؤكد عمومية الاسلام وخصوصية مصر التى كانت دائما تعبيرا فذا عن سماحة الاسلام وعن أخوة الانبياء عليهم سلام الله وعن التلاحم والوحدة الوطنية وعن الامكانية المنفردة للتعدد فى اطار الوحدة.. كان هذا كله ممكنا لكنه . ويا أسفى . لم يحدث ومازالت الفكرة تتخبط هنا وهناك ولايدرى أحد متى ترى النور.

لهذه الاسباب كانت عودتى للكتابة فى موضوع مؤتمر المرأة.. وأرجو الا نحتاج الى مزيد من الكتابة عنه فهو كما اشرت فى البداية لايستحق.. وأمامنا من قضايا وهموم الامة الاسلامية ما يجعل الدخول فى مزيد من النقاش حول مثل هذا المؤتمر مضيعة للوقت والجهد.

●●●

مسك الختام

قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم: «لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء» رواه الامام مالك فى الموطأ●

● **١٦ نوفمبر ١٩٩٩**

نموذج للتفكير الامريكى - ١

عندما بدأ دانييل كورتزر السفير الامريكى الجديد فى القاهرة مباشرة مهام منصبه اثار عاصفة من الاحتجاج عندما ادلى بتصريحات فهم منها انتقاده لموقف مصر من مؤتمر الدوحة.. واعتبرت هذه التصريحات نوعا من «الجليطة» السياسية والتدخل فى شئون مصر وهو مالا يقبله بالطبع أى وطنى.. وربط الكثيرون بين هذه التصريحات وبين كون السفير يهوديا.. وانتقد الكثيرون اختيار هذا «اليهودى» سفيرا للولايات المتحدة فى القاهرة. أهم وأكبر عاصمة عربية.

واحتاج السفير الامريكى الى ان يوضح موقفه اكثر من مرة.. احدى هذه المرات كانت يوم الاربعاء الماضى عندما جمعنا غداء على مائدة السفير حضره الدكتور احمد كمال ابوالمجد وزير الاعلام الاسبق والدكتور حسن حنفى استاذ الجامعة والزميل ابراهيم راشد رئيس تحرير صحيفة «اللواء الاسلامى».

تجاوزنا بالحديث هذه النقطة عندما أكد السفير انه يعتز بانه يهودى ولكنه يتصرف لا بهذه الصفة ولكن بصفته سفيرا للولايات المتحدة وانه يحترم مصر وقيادتها ويتفهم ويقدر مواقفها وانه ليس جديدا على مصر ولا على المنطقة فقد عمل فى مصر من ١٩٧٩ الى ١٩٨٢ وفى اسرائيل من ١٩٨٢ الى ١٩٨٦.. وتردد على البلدين بعد ذلك عشرات المرات..

وكان من الطبيعى ونحن نلتقى واجواء المنطقة لاتزال ملبدة بسبب الضربة الجوية الامريكية البريطانية الموجهة للعراق وبالجمود المميت لعملية السلام بسبب مواقف الحكومة الاسرائيلية بزعامة بنيامين نتنياهو ان تكون هاتان القضيتان هما المحور الرئيسى للحديث طوال اللقاء.

ورغم تعدد اتجاهات المتحدثين فقد كان ثمة اجماع منا على هذه النقاط:

●● ان الشارع المصرى والعربى مع كراهته لسياسات صدام حسين يرفض رفضا قاطعا توجيه ضربة يكون الضحية فيها - بالتأكيد - الشعب العراقى ومن ورائه الشعوب العربية نظرا للمخاطر التى تتعرض لها مجمل أوضاع المنطقة.

●● إنه من الصعب - بل من المستحيل - إقناع الشارع العربى بمثل هذه الضربة بينما حكومة إسرائيل متحللة من أى التزام أو قيد حتى بالاتفاقات التى سبق أن وقعتها.

●● إن الشارع المصرى والعربى لا يستطيع ان يتقبل ان تكيل الولايات المتحدة بمكيالين: مكيال العقاب والتدمير للنظام العراقى ومكيال المساندة والتدليل للحكومة الاسرائيلية.. إن الكيل بمكيالين ينفى بل ينسف مصداقية الولايات المتحدة.. ومن ثم يضر بمصالحها فى المنطقة.

●● إن العرب قدموا خلال الخمسين عاما الماضية تنازلات لا حصر لها حتى يمكن أن يطمئن الاسرائيليون ويتقبلوا سلاما عادلا متوازنا.. والكرة الآن فى الملعب الاسرائيلى.

●● إن العرب رغم كل الاحباطات مازال لديهم أمل فى الولايات المتحدة.. ومن ثم فإن الادارة الأمريكية مطالبة باستعادة مصداقيتها بالضغط على الحكومة الإسرائيلية للالتزام بعملية السلام وفقا لمقررات مؤتمر مدريد واتفاقية أوسلو ومابعدها. وللحديث بقية فى العدد القادم إن شاء الله تعالى.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الديم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾** سورة الممتحنة الآيتان ٨، ٩●

● ١٠ مارس ١٩٩٨

نموذج للتفكير الامريكى - ٢

فى اللقاء مع دانييل كورتزر السفير الأمريكى بالقاهرة كانت هناك وجهتا نظر فيما يتعلق بالعلاقات الأمريكية العربية بصفة عامة والأمريكية المصرية بصفة خاصة..

كانت وجهة النظر المصرية التى انطلقت من استعراض لتطورات المنطقة عبر فترة طويلة من الزمن تقول إن احداث السنوات الأخيرة بصفة خاصة قد اصابت مصداقية الولايات المتحدة بضربة قاصمة وان الشارع العربى فقد ثقته فى عدالة الولايات المتحدة لاصرارها على توجيه ضربة مدمرة للشعب العراقى بينما هى ترفض بذل أى جهد للضغط على اسرائيل لتعديل مواقفها المتعنتة التى تهدد بنسف عملية السلام فى الشرق الاوسط برمتها.. وان شرائح عريضة من الرأى العام المصرى. خاصة بين المثقفين - لديها شعور قوى نابع من استقراء الحوادث تسعى لتحجيم دور مصر وفرض طوق حولها حتى تكون السيادة لاسرائيل فى المنطقة.

وحققت وجهة نظر السفير الأمريكى ان الولايات المتحدة الأمريكية دولة عظمى لها مصالحها ولها حساباتها.. وان مصر ايضا دولة كبرى اقليميا ودولة لها وزنها دوليا.. ولها أيضا مصالحها وحساباتها.. وان هناك نقط التقاء كثيرة بين مصر والولايات المتحدة.. وهناك أيضا نقاط اختلاف سواء فى وجهات النظر أو فى بعض المصالح - وانه ليس هناك اتجاه لتهميش مصر أو تحجيم دورها.. هذا - كما يقول السفير - غير وارد لانه غير عملى وغير مفيد..

وفيما يخص قضية السلام مع اسرائيل قال السفير ان ٨٥ بالمائة من الشعب الاسرائيلى يرغبون فى السلام مع العرب.. وان حكومة الليكود فازت بائتلاف وبنيامين نتنياهو نفسه فاز برئاسة الوزارة بفارق أصوات محدودة.. واننا يجب ألا نتوقف عند جمود مواقف الليكود ونتنياهو بل علينا ان نتوجه للشعب الاسرائيلى..

لم يكن متوقعا - وليس عمليا - ان يغير اى منا أفكاره ومواقفه.. ولكن أهم ما كان فى اللقاء ان تسمع الادارة الامريكية - من خلال سفيرها فى القاهرة - صوت الشارع المصرى والعربى ممثلا فى عدد من مفكريه وكتابه فى صورة حوار موضوعى هادىء.. ولعل الرسالة تكون قد وصلت.

●●●

مسك الختام

عن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من استعاذ بالله فأعيذوه.. ومن سألكم بالله فأعطوه.. ومن استجار بالله فأجيروه. ومن اتى اليكم معروفا فكافئوه. فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا ان قد كافأتموه»..

رواه ابو داود والنسائى وغيرهما.

ليس جديدا ولا غريبا ان تستقبل مصر مواطنا عربيا للعلاج.. فالألوف من الاخوة العرب يقصدون مصر للعلاج ثقة فى اطبائها الذين اكتسبوا شهرة عالمية وثقة فى خدمات المستشفيات التى يمكن ان تصل الى مستويات ممتازة ومتميزة.. وكذلك لان تكاليف العلاج منخفضة جدا بالمقارنة مع تكاليف العلاج فى الدول الأوروبية.. والأهم من كل ذلك لان المواطن العربى عندما يصل الى مصر يشعر وكأنه لم يغادر وطنه.. فاللغة واحدة والثقافة واحدة ومشاعر الضيافة عند الشعب المصرى تشعر المواطن العربى وكانه فى بلده.

كل ذلك معروف وصوره ومظاهره لاتحصى ولا تعد.. ولكن استقبال مصر للشيخ أحمد ياسين المناضل الفلسطينى والزعيم الروحى لحركة حماس (حركة المقاومة الاسلامية) الفلسطينية يعنى أكثر من مجرد استقبال مواطن عربى.. فعندما أفرج عن الشيخ ياسين وغادر سجون اسرائيل بعد طول احتباس.. واثار الافراج عنه ثم استقباله فى غزة ضجة كبرى.. واثارت تصريحاته ضجة اكبر.. ففى الوقت الذى اعلن فيه تقبله لليهود ودعوته للتعايش فإنه أكد حق الشعب الفلسطينى فى الجهاد حتى يستعيد حقوقه المسلوبة أى أن سنوات السجن والامراض التى لاحقته وان كانت قد نالت من بدن الرجل وتركته حطاما فانها لم تنل من عزيمته.

وحين تحتضن مصر الشيخ أحمد ياسين فإنها تؤكد من جديد أنها الصدر الحنون لكل مواطن عربى والأم الرءوم لكل مناضل عربى والداعم الرئيسى لكفاح الشعب الفلسطينى والمؤيد الأكبر لحقوق كل شعب عربى ومسلم.

وحين يأتى الشيخ أحمد ياسين الى مصر امنا مطمئنا واثقا مشبعا بالثقة والأمل فإن ذلك يؤكد كل المعانى التى اشرنا إليها.. واذا كان الرجل محاطا بعناية طبية فائقة فانه محاط أكبر بمشاعر فياضة من كل مصرى.. وقد كانت لفتة طيبة - وواجبة - ان يكون شيخ الأزهر من أوائل من زاروا الشيخ أحمد ياسين وابلغوه مشاعر المصريين.. وفى تقديرى انه يعبر بذلك عن كل مشاعر العلماء.. واذا كان الحديث بين الرجلين قد دار بالكتابة لعجز الشيخ ياسين عن الكلام فان الفعل - فعل الحضور وفعل الاحتضان المصرى للرجل - ابلغ من اى كلمات منطوقة أو مكتوبة.

نجحت الصهيونية فى اختراق المؤسسات المالية والعسكرية والسياسية والدينية فى الولايات المتحدة والدول الأوروبية.. واستطاعت أن تخترق الفاتيكان.. ومن أهم مظاهر هذا الاختراق سيطرة الفكر الصهيونى على أهم الصحف والمؤسسات الإعلامية والثقافية فى الغرب.. وعلى أهم وأكبر المصارف والمؤسسات المالية الامريكية والاوروبية..وكذلك على الاجهزة والمؤسسات التشريعية والاستشارية.

واستطاعت إسرائيل. وليدة الحركة الصهيونية. من خلال هذا الاختراق وتلك السيطرة أن تحصل على تعويضات ومعونات بعشرات المليارات من الدولارات والماركات والفرنكات ومختلف العملات الأوروبية. وعلى معونات عسكرية وتكنولوجية ادخلتها نادى الدول الكبرى فى انتاج وامتلاك الاسلحة التقليدية وغير التقليدية.. وعلى دعم سياسى حال دون تنفيذ أى قرار من قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى.

ونجحت الصهيونية فى الحصول من الفاتيكان على تبرئة لليهود من دم المسيح..وأن تحصل على اعتذار تاريخى عما وقع لليهود من اضطهاد فى اوروبا المسيحية.. وأن تحصل على قوانين تعاقب من يحاول نفى أكذوبة محارق النازية ضد اليهود.. وأن تجعل اليهودية من الاديان المعترف بها فى الصين رغم أن عدد اليهود فى الصين لا يزيد على بضعة آلاف بينما تعداد الصين ١٢٠٠ مليون نسمة.

وأخيراً.. نجحت الصهيونية فى توظيف بعض الأقباط المصريين فى افتعال قضية وهمية حول اضطهاد الاقباط فى مصر كى تكون مصر من الدول المتهمة بالاضطهاد الدينى حيث يشملها القانون الذى أقره الكونجرس الأمريكى والذى يجعل من أمريكا وصية على العالم.

وواجبنا أقباطا ومسلمين أن نرفض هذا القانون وأن نعلن هذا الرفض.. ليس فقط دفاعا عن وحدتنا الوطنية..وليس فقط لرفض التدخل فى شئوننا الداخلية ولكن أيضا نرفض أن تتحكم الصهيونية فى أمورنا من خلال الكونجرس الأمريكى●.

● ٢٦ مايو ١٩٩٨

فعلها الاسرائيليون ولم يفعلها العرب.

منذ قامت دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ بل من قبل ذلك بعشرات الاعوام واليهود فى حالة فعل مبادر وإيجابى بينما العرب فى خانة رد الفعل الضعيف والسلبى والعاجز عن مجاراة الفعل.

قامت إسرائيل على جزء من أرض فلسطين..ثم التهمت كل أرض فلسطين وهى تساوم وتضغط وتقهر الفلسطينيين من أجل أن« تتنازل!!» لهم عن بعض أجزاء الأرض العربية الفلسطينية المحتلة.. وبسطت سيطرتها على سيناء والجولان وجنوب لبنان والبقاع.. ولم تستطع مصر أن تستعيد سيناء إلا عندما تركت خانة رد الفعل وانتقلت إلى حالة الفعل.

ومنذ فاز الليكود والاحزاب المتحالفة معه بالاغلبية البرلمانية الهشة وقفز بنيامين نتنياهو إلى سدة الحكم فى إسرائيل وعملية السلام التى بأت فى مدريد عام ١٩٩١ تتلقى الضربات والصفعات والاتفاقات الاسرائيلية الفلسطينية يجرى التحلل منها والقضاء عليها واحدا بعد الآخر..

وفى كل الحالات فإن إسرائيل هى فى حالة حركة وحالة فعل بينما العرب فى «خانة» رد الفعل الذى لم يتجاوز الكلام.. فلا رأينا ضغطا على إسرائيل بأى أوراق كى تعيد النظر فى سياساتها العدوانية الاستيطانية وتعطى عملية السلام فرصة لكى تؤتى.ثمارها التى تقف إسرائيل على رأس قائمة المستفيدين منها. ولا رأينا ضغطا على أمريكا التى تحمل إسرائيل وتمدها بكل عناصر القوة. فضلا عن البقاء. ولا رأينا تنسيقا عربيا يحول الموقف الاوروبى لموقف فاعل يحفز أمريكا ويزجر إسرائيل.

وأخيراً.. فعلها الاسرائيليون ولم يفعلها العرب.

ففى الوقت الذى لم تجتمع فيه كلمة العرب على عقد قمة تتخذ قرارات أو مواقف ايجابية..ولم يصدر عن لجنة القدس ما يمكن أن يساعد فى وقف عملية تهويد وتوسيع القدس.. فى ذات هذا الوقت قرر الكنيست الاسرائيلى فى قراءة أولى حل نفسه مما يمكن أن يؤدى إذا تكرر هذا ثلاث مرات إلى تحول القرار الى قانون وحل البرلمان فعلا والدعوة لانتخابات جديدة قد تطيح بنتنياهو وعصابته..وقد تكون هذه «الحركة» توجها حقيقيا نحو السلام.. وقد تكون مجرد توزيع أدوار وعملية التفاف على الغضب العالمى من السياسات الاسرائيلية.. لكنها على كل حال حركة يقابلها سكون عربى أو رد فعل عربى لا يتجاوز الكلمات.

●●●

مسك الختام

قال تعالى: **﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** سورة آل عمران آية ١٦٠●.

● ٤ أغسطس ١٩٩٨

قرر رئيس الوزراء الاسرائيلى المتطرف بنيامين نتنياهو تعيين الجنرال الجزار ارييل شارون وزير البنية التحتية وزيرا للخارجية.. ولقب جزار الذى اطلق على شارون لم يأت من فراغ فالجميع بما فيه الاسرائيليون انفسهم يعرفون انه رجل دموى وان قلبه يموج حقدا ويطفح احتقارا للعرب ولا يرى سبيلا للتعامل مع العرب سوى سبيل الذبح والقتل والابادة وهو . أى السفاح شارون» هو بطل مذبحة صابرا وشاتيلا التى راح ضحيتها المئات من الرجال والنساء والاطفال العرب العزل من السلاح. وهو . الارهابى شارون . بطل عملية الغزالة التى نتجت عنها ثغرة الدفرسوار التى حاولت اسرائيل خلالها احباط انتصار قواتنا فى اكتوبر ١٩٧٣ وسرقة هذا الانتصار وتحويل مسار الحرب وهو نفسه بطل عملية التهويد التى تقوم بها الحكومة الاسرائيلية فى السنوات الاخيرة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة والتى تهدف بها الى القضاء نهائيا على حلم الدولة الفلسطينية.

واختيار نتنياهو لشارون وزيرا للخارجية ليس عبثا ولكنه اختيار مقصود.. والهدف منه ان يكون هناك انسجام تام بين عناصر القيادة فى الحكومة الاسرائيلية حتى لا يحدث اى خلاف فى شأن تنفيذ المخططات التهويدية وهى رسالة واضحة من الارهابى الجديد نتنياهو الى العرب تؤكد بصورة عملية اصراره على تنفيذ خطة نسف السلام فى المنطقة باختيار ارهابى محترف وزيرا للخارجية وليس جديدا ان يمثل منصب وزير الخارجية فى اسرائيل عسكريون سابقون ولكن جرت العادة على ان يتحلى هؤلاء عسكريون سابقون فى هذا المنصب بشىء من الدبلوماسية التى يفرضها المنصب وما يقتضيه من التعامل بمنطق رجل الدولة وليس المقاتل معدوم الضمير.. ولكن الجديد هو ان وزير الخارجية الجديد لم يتخل لحظة عن احقاده وعدائه واحتقاره للعرب.

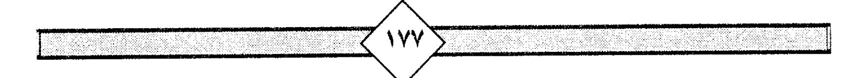
وهذا معناه بكل بساطة ان عملية السلام ستمر بأصعب اوقاتها على عكس كل الجهود التى بذلت فى الفترة الماضية وان الفلسطينيين والعرب سوف يواجهون أسوأ الفترات فى التعامل مع الحكومة الاسرائيلية التى يقودها رئيس وزراء جلف متطرف ويتولى وزارة الخارجية فيها جزار ارهابى محترف.. وعلى العرب ان يستعدوا لمواجهة ذلك بأقوى موقف يمكن اتخاذه وإلا فإن العاقبة ستكون وخيمة.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾** سورة آل عمران الآيتان ١٣٩ . ١٤٠*.

● ١٣ أكتوبر ١٩٩٨



رغم الاتفاق الموقع بين الفلسطينيين والاسرائيليين برعاية امريكية ومباركة عربية شبه عامة بل ربما بسبب هذا الاتفاق تمر عملية السلام فى الشرق الأوسط بمرحلة بالغة الخطورة بسبب الشروط المجحفة التى وضعتها الحكومة الاسرائيلية واضطرت القيادة الفلسطينية للمغامرة بقبولها تطبيقا للمبدأ الذى سارت عليه الحركة الصهيونية منذ بدايتها وهو مبدأ: خذ وطالب. فالمعارضون للاتفاق الاخير يرون أن ما وافقت عليه القيادة الفلسطينية يحقق للإسرائيليين ما ينشدونه من أمن ويفرغ المقاومة الفلسطينية من طاقتها الحيوية التى كانت تمثل عنصر قوة فى أيديهم وعنصر ضغط على الاسرائيليين ويطلق يد الاسرائيليين فى عملية الاستيطان التى تستهدف تهويد غالبية الأراضى الفلسطينية ويقضى فى النهاية على حلم الدولة الفلسطينية بينما المؤيدون يرون أن مجرد الحصول على موطن قدم هو مكسب للقضية الفلسطينية.. وأن ما حصل عليه الفلسطينيون منذ اتفاق أوسلو حتى الآن. رغم محدوديته. أكبر من مجرد موطن قدم.. فقد حصلوا على الاعتراف الدولى والاسرائيلى أيضا. الاعتراف بهم كشعب.. والاعتراف بحقوقهم فى وطن قومى.. وحصلوا على حق الحكم. ولو كان محدودا. فى أرض تخصهم، وحصلوا على حق التعامل مع العالم الخارجى ككيان له تميزه وله قدر من الاستقلال.

وسيظل هذا الاتفاق محل جدال شديد.. كما أن قيمته ليست فيما يحويه من بنود ولكن فى مقدار التزام الحكومة الاسرائيلية بواجباتها وهو ما اكدته القيادة المصرية انطلاقا من حرصها على مسيرة السلام وكذلك حرصها على حقوق الشعب الفلسطينى..وانطلاقا من ذات الحرص وفى اطار التنسيق المستمر مع القادة العرب وخاصة القيادة السورية كانت القمة التى جمعت بين الرئيسين حسنى مبارك وحافظ الأسد.. فلا يمكن أبدا الفصل بين عملية السلام على المسار الفلسطينى والمسارين السورى واللبنانى.. ولا يمكن تجاهل الاتفاقات التركية الاسرائيلية.. ولا يمكن الاستهانة بالازمة التركية السورية التى استطاعت حكمة القيادة المصرية أن تنزع فتيل التفجير منها.. ولا يمكن عزل ذلك كله عن مجمل الأوضاع فى المنطقة.. ولا شك أن التنسيق المصرى السورى يمثل ركيزة أساسية فى أى جهد عربى مشترك تجاه كل هذه القضايا.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾** سورة الحجرات آية ١٠.

• ٢ نوفمبر ١٩٩٨

عندما يصل هذا العدد من عقيدتى إلى أيدى القراء ربما تكون ملامح الصورة فى الانتخابات الاسرائيلية قد اتضحت.. وقد كانت كل التقارير والتخمينات والترشيحات (والأمنيات أيضا) خلال الاسابيع الماضية تشير إلى تقدم إيهود باراك زعيم حزب العمل وتراجع بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء وزعيم حزب الليكود.. وأشارت بعض التقارير إلى احتمال أن يفوز باراك من الجولة الأولى خصوصا بعد إنسحاب المرشح العربى عزمى بشارة لحساب باراك وكذلك انسحاب مردخاى وزير الدفاع السابق فى حكومة نتنياهو ودعوته الناخبين للتصويت لحساب باراك!

ولا يمكن القول بأن هناك فروقاً جوهرية بين باراك ونتنياهو. ولا بين أهداف حزب العمل وحزب الليكود..وإنما الخلاف فى السياسات والتكتيكات التى يتبعها كل من الرجلين والحزبين وإن كانت تصريحات باراك وبرنامجه الانتخابى تعطى فى مجملها الأمل فى انفراج الأزمة وانقاذ عملية السلام واخراجها من النفق المظلم الذى ادخلتها فيه سياسات نتنياهو التى قامت على العنف فى مواجهة الفلسطينيين والتحلل من كل تعهد والتزام.. والتنكر لكل اتفاق.. والمماطلة والتسويف لكسب الوقت وفرض واقع التهويد على الأراضى العربية المحتلة وعلى رأسها القدس وتحويل الأراضى التى تعود إلى السلطة الوطنية الفلسطينية إلى أشلاء متناثرة لا يربط بينها شيء مما يعنى فى نهاية الأمر نسف حلم الدولة الفلسطينية وفرض واقع التوسع الاستيطانى الاسرائيلى لاعلى الأرض الفلسطينية وحدها ولكن على كل أرض دنستها القوات الاسرائيلية ونعنى بذلك الجولان والجنوب اللبنانى واستبعاد فكرة الأرض مقابل السلام واحلال فكرة الأمن مقابل السلام محلها وهى الفكرة التى تضع أمن اسرائيل فوق رءوس الجميع دون تفكير فى اعادة الحقوق لأصحابها كضمان أكيد لأى سلام حقيقى يشمل بمظلته الجميع.

والمشكلة ليست فى فوز باراك أو فوز نتنياهو ولكن المشكلةالحقيقية أن العرب وهم يرددون أن الانتخابات شأن داخلى اسرائيلى إنما هم فى الواقع يعلقون آمالهم فى السلام على التغيير الحلم فى اسرائيل وكأن اختفاء نتنياهو من فوق كرسى الحكم يعنى هزيمة مطلقة للتيارات المتطرفة التى جاءت به من قبل وساندته وضغطت عليه ليتجه إلى مزيد من التشدد ونسف الحكومة الفلسطينية.. أو كأن باراك سوف يعيد الحقوق العربية طواعية وسوف يضحى بالمكتسبات المادية التى حققتها سياسات نتنياهو.. والسبب فى ذلك أننا . نحن العرب . فقدنا القدرة على الفعل والتأثير.. ولم يحدث أن وضعت أى دراسة أو مناقشة حول البدائل المتوقعة فى الانتخابات الاسرائيلية وخطة التعامل المستقبلية فى ضوء ما تفرزه هذه

الانتخابات انطلاقا من المقولات العربية: لكل مقام مقال. ولكل حادث حديث. وبهذا المنطلق تدهمنا الأحداث وتفاجئنا التغيرات فمتى نفيق؟! ومتى نستعيد زمام المبادرة والفعل؟!

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾** سورة المائدة آية ٤٨●.

● ١٨ مايو ١٩٩٩

في الأسبوع الماضى حذرنا من الافراط فى التفاؤل بفوز ايهود باراك زعيم حزب العمل فى الانتخابات الاسرائيلية.. وقلنا انه ليست هناك فروق جوهرية بين فكر العمل والليكود ولا بين توجيهاتهما الاستراتيجية وانما الخلاف فى السياسات التنفيذية والخطوات التكتيكية الموصلة للأهداف العليا للدولة.

ولم تكد تمضى ساعات حتى جاء ما يؤكد تحذيرنا.. ففى أول تصريحات لباراك فور ظهور بوادر الفوز فى الانتخابات أطلق لاءاته المدوية التى لاتختلف كثيرا عن لاءات سلفه المتطرف بنيامين نتنياهو.. فقد أعلن باراك أنه لن يقدم أى تنازلات للفلسطينين وأنه متمسك بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لاسرائيل ولن يسمح بتفكيك المستوطنات أو بوجود جيش أجنبى (أى فلسطينى) غرب نهر الأردن.. أو بالعودة إلى حدود عام ١٩٦٧ وهى نفس اللاءات التى تمسك بها من قبل بنيامين نتنياهو وأدى تمسكه بها بكل صلف وتعنت إلى تجميد عملية السلام وإشاعة جو من الكراهية والعداء والعودة بالمنطقة إلى أجواء الصراع بعد أن راودتها أحلام السلام وانعكست اثارها السلبية على علاقة اسرائيل بكل الدول بما فيها الدولة الحامية والراعية والمساندة لاسرائيل على طول الخط ونعنى الولايات المتحدة بعد أن أدى تطرف نتنياهو إلى إحراج الساسة الأمريكيين وفى مقدمتهم الرئيس الأمريكى بيل كلينتون ـ كما انعكست آثار هذه السياسة العدوانية الغبية على الداخل الاسرائيلى مما أدى إلى تكوين رأى عام مضاد قاد فى النهاية إلى خروج نتنياهو مهزوما وغير مأسوف عليه.

وقد تكون التصريحات التى أدلى بها باراك مقصودة لجس النبض وكسب الشارع الاسرائيلى ومناورة سابقة لتشكيل الوزارة وورقة يلعب بها مع الأحزاب المتشددة خاصة الأحزاب الدينية والقومية.. ولكننا مع ذلك لابد من أن نأخذها بكل جدية لأنه لا نتنياهو ولا باراك ولا أى سياسى اسرائيلى يستطيع أن يتنازل عما يعتبرونه من أولويات الأمن القومى الاسرائيلى.. ولذلك فإن حديث باراك عن السلام والأمن معا هو فى الواقع شعار مخادع لأنه يعبر عن هاجس الأمن وهو الهاجس الذى يحرك السياسة الاسرائيلية بصرف النظر عما يعتلى سدة الحكم فى اسرائيل.

نقول: إنه يجب أن نأخذ تصريحات باراك بكل جدية ولا ننساق وراء التحليلات المغرقة فى التفاؤل التى تعتمد على الفروق الفردية بين شخصية كل من نتنياهو وباراك وتجربة كل منهما فى العمل العسكرى والسياسى وقدرة كل منهما على مخاطبة الشارع السياسى الاسرائيلى والمؤسسة العسكرية وكذلك مخاطبة الخارج سواء أكان هذا الخارج عربيا أم كانت الدول الكبرى المعنية بعملية السلام.. ويجب ألا نبنى حساباتنا للمستقبل على ما يمكن أن

يبديه باراك من مرونة أو يقدمه من مبادرات.. بل ينبغى أن يكون للعرب موقف موحد ومحدد وعزيمة على استخلاص حقوقهم حتى لاتظل قضاياهم مرهونة بتغييرات عند الطرف الاخر لاتضع حقوق العرب فى حساباتها على أى حال.

●●●

مسك الختام

من أشعار أحمد شوقى

ومانيل المطالب بالتمنى　　　ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

● ٢٥ مايو ١٩٩٩

يترقب العالم أن يبدأ بين يوم وآخر تنفيذ خطة لإحلال السلام فى منطقة البلقان وفقا لما كانت قد اقترحته مجموعة الدول الثمانى المكلفة بدراسة واقتراح هذه الخطة من أجل تسوية سلمية للنزاع فى كوسوفا وهو ما أطلق عليه اتفاق ـ امبوبيه نسبة للمكان الذى وقع فيه الاتفاق الخاص بهذه الخطة فى فرنسا والذى تنكر له وتنصل منه سفاح الصرب سلوبودان ميلوسيفيتش.

وبالطبع فإن إعلان الصرب الاستجابة لهذه الخطة بعد أكثر من شهرين من الحملة العسكرية التى شنها الناتو على يوغوسلافيا لايعنى نهاية للصراع فى كوسوفا ومنطقة البلقان بأسرها ولكنه دليل على أن الضربات الجوية التى شنتها قوات الناتو على يوغوسلافيا قد أنهكتها عسكريا واقتصاديا وعزلتها سياسيا ولم تفلح محاولات روسيا أو اعتراضات الصين فى وقف حملة الناتو بل أن التصعيد كان دائما وابدا وكانت بدات الاستعدادات للتدخل البرى لاستكمال تحقيق أهداف القصف الجوى.

وعلى افتراض قبول الصرب الكامل بكل نقاط خطة إحلال السلام فى كوسوفا فإن الأمر المؤكد أن الأمور لن تعود فى هذا الاقليم إلى ما كانت عليه. فإن عودتها إلى ما كانت عليه تعنى استمرار وجود عوامل الصراع وعناصر الانفجار.. ومن ثم فلابد أنه ستكون هناك حلول وسط والمؤكد أن عملية إحلال السلام سوف تستغرق زمنا طويلا مابين انسحاب قوات الصرب ودخول قوات دولية لحفظ السلام وضمان تنفيذ خطة السلام ومابين البدء فى عودة اللاجئين والمهجرين والمشردين فى غابات كوسوفا وفى الدول المجاورة وفى مقدمتها ألبانيا ومقدونيا.. والمؤكد أنه لن يكون ممكنا عودة كل هؤلاء المشردين وأن أعدادا كبيرة منهم تصل إلى مئات الألوف سوف تبقى فى حالة شتات بحكم الظروف أو خوفا من تجدد الصراعات والعنف.

وحسب التجارب السابقة فى كمبوديا والبوسنة وغيرها فإن مئات الألوف الذين هربوا أو هجروا تهجيرا قصريا خلال شهور قليلة هربا من الموت والقتل الجماعى سوف يحتاجون إلى سنوات طويلة ـ تصل إلى عشرات السنين ـ كى يعودوا إلى بيوتهم التى سوف يجدون أن معظمها قد دمر.

وقد عجزت الأمة الإسلامية دولا وشعوبا ومنظمات عن أن تفعل أى شىء مؤثر من شأنه وقف المذابح الصربية سواء على المستوى العسكرى أو على المستوى السياسى أو الاقتصادى.. بل تفاوتت ردود الفعل بين تأييد مطلق لضربات الناتو بافتراض أن هدفها انقاذ مسلمى كوسوفا وبين الرفض والادانة لهذه الضربات!! باعتبار أنها عدوان على دولة مستقلة ذات سيادة واستلاب لصلاحيات الشرعية الدولية ممثلة فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن.. وفى المرحلة الجديدة يتعين على الأمة الإسلامية أن تثبت أنها قادرة على اتخاذ قرار ما ـ

مهما كان متواضعا - لإعانة شعب مسلم على إعادة تعمير بلاده التى خربتها الحرب فهل نحلم بصندوق إعمار يتولى دعم المحافظة على عروبة القدس ويساعد على استكمال إعمار البوسنة وبدء إعمار كوسوفا؟! أليس مثل هذا الصندوق أولى من بناء القصور وشراء الطائرات الفخمة ودفع الملايين - أحيانا - فى منتديات اللهو؟!

●●●

مسك الختام

عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: ﴿إن رجلا كان قبلكم أورثه الله مالا فقال لبنيه لما حضر: أى أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب قال: فإنى لم أعمل خيرا قط فإذا مت فأحرقونى ثم اسحقونى ثم ذرونى فى يوم عاصف ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟؟ قال: مخافتك. فتلقاه الله برحمته﴾. رواه البخارى

استطاعت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة - وليست حكومة الليكود السابقة وحدها - توظيف عامل الوقت لصالحها.. وبينما ظل العرب يراهنون رهانا سلبيا على أن الوقت فى صالحهم.. كان الاسرائيليون يراهنون رهانا إيجابيا ولايضيعون دقيقة دون أن يحققوا هدفا أو يخطوا خطوة فى طريق تحقيق طموحاتهم أو أطماعهم.. فضموا المزيد والمزيد من الأرض. وأقاموا المزيد والمزيد من المستعمرات.. واستقبلوا أعدادا متزايدة من المهاجرين من شتى بلاد العالم.. وتلقوا عشرات المليارات من الدولارات والماركات والفرنكات سواء فى صورة منح أو مساعدات أو قروض أو اتاوات وابتزاز.. وأقاموا جيشا قويا منظما استطاع بقوته الذاتية وبالتواطؤ والدعم البريطانى والفرنسى مرة والأمريكى أكثر من مرة أن يهزم العرب فى حروب ٤٨ و ٥٦ و٦٧ ولم ينصلح الحال إلا فى حرب ١٩٧٣ التى حقق فيها العرب أول انتصار عسكرى حقيقى على الدولة العبرية.. وأقاموا - أى الاسرائيليين - قاعدة علمية وتكنولوجية وصناعية واقتصادية قوية سواء بجهودهم أو بدعم غربى أو بسرقة الأسرار الصناعية وخاصة الحربية بدءا من الرسوم والتصاميم إلى المواد النووية بل المواد تامة الصنع مثل الأوراق الحربية.. وبنى الاسرائيليون مشروعهم النووى الذى أصبح عامل رعب فى جانب وعامل استبداد وسيطرة وعجرفة فى جانب آخر.

ولأن الحكومات المتعاقبة نجحت فى ذلك كله من خلال عسكرة المجتمع الاسرائيلى وابقائه دائما فى حالة شعور بالخطر وزرع الكراهية والاحتقار داخل أفراده تجاه العرب فإن ما توصلت إليه الحكومات والقوى المختلفة من توجه للسلام من خلال اتفاقات مدريد لم يعش طويلا.. لما كادت الأمور تتخذ اتجاها ايجابيا محدودا على المسار الفلسطينى والمسار الأردنى وبدا أن ثمة أملا فى ان تتحرك على المسارين السورى واللبنانى حتى أصيب ذلك كله بانتكاسة كبرى بحكومة بنيامين نتنياهو الذى أعاد عملية السلام لا إلى نقطة الصفر فقط بل إلى حافة الانفجار. وبدا أن تغيير نتنياهو وحكومته أمر لابد منه.. بل أصبح ذلك أمرا مجمعا عليه بعد أن نجح نتنياهو فى إحراج الولايات المتحدة وتأزيم العلاقات مع العديد من القوى الداعمة لاسرائيل ووقف كل مشروعات أو أحلام التعاون الاقليمى وإحراج كل الأصوات العربية المبشرة بإمكان إحلال السلام فى المنطقة..

وهكذا مضى نتنياهو غير مأسوف عليه.. وجاء إيهودا باراك بلاءاته الأربع.. ومع كل حديثه عن السلام وعن الرغبة فى تحريك الأمور ووعوده بالانتهاء من كل ذلك قبل نهاية عام ٢٠٠٠ - وما أسرع مرور الأيام - فإنه لم يتردد فى أن يعلن أنه سوف يظل مقاتلا من أجل أمن اسرائيل... وهو فى ذلك صادق مع نفسه تماما وأمين تجاه من انتخبوه ومن تحالفوا معه فى الحكم كما أنه واع ومتجاوب مع الخريطة السياسية للشارع الإسرائيلى.. ومعنى هذا أن الرغبة فى السلام ليست سببا فى أى تنازل حقيقى عما يظنه ضروريا لاسرائيل.

لذلك.. والعرب يعربون عن آمالهم وتفاؤلهم بالتغيير الذى حدث والدعوى التى أطلقت يتوجب عليهم التزام جانب الحذر وتنسيق المواقف حتى لايفاجأوا فى نهاية الفترة التى حددها باراك لانجاز عملية السلام بأنهم كانوا يعيشون فى حلم جميل ويجرون وراء سراب ملون..

بعد سنوات من التوقف والجمود والمماطلة والمماحكة والتسويف وبعد شهور من المفاوضات الصعبة والضغوط والمحايلات والنصائح شهدت مدينة شرم الشيخ توقيع مذكرة التفاهم بين السلطة الفلسطينية والحكومة الاسرائيلية لتنفيذ اتفاق واى ريفر الذى كان قد تم التوصل إليه بين السلطة الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية برعاية أمريكية لتنفيذ بنود اتفاق أوسلو والاتفاقات اللاحقة له والمترتبة عليه من قبل فى واشنطن والقاهرة وشرم الشيخ.

وكما احتاجت الاتفاقات السابقة مفاوضات شاقة وشهدت محاولات متكررة من جانب اسرائيل للتنصل من التزاماتها والحصول من الجانب الفلسطينى على كل مايمكن من التنازلات فقد احتاج الاتفاق الجديد إلى نفس الجهود.. وإذا كانت أطراف عديدة قد بذلت جهودا مباشرة أو غير مباشرة فقد كان الدور المصرى بارزا وظاهرا ومؤثرا للدرجة التى جعلت كل الأطراف تقرر ذلك وتذكره وتشيد به. فعل ذلك الرئيس الأمريكى بيل كلينتون ووزيرة خارجيته مادلين أولبرايت ورئيس وزراء اسرائيل إيهود باراك والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات. واعتبر الجميع أن الوصول إلى هذا الاتفاق يعد نجاحا وبداية لمرحلة جديدة وطريقا جديدا لإنهاء الصراع العربى الاسرائيلى فإن الرئيس حسنى مبارك الذى رعى هذا الاتفاق كان له ومساعديه الدور الأكبر فى الوصول إليه كان حريصا على ألا يغرق فى التفاؤل رغم أن التفاؤل سمة أساسية من سماته. ونبه إلى أن الصعوبات مازالت كثيرة والمخاطر جمة وأكد أهمية الالتزام بتنفيذ الاتفاق.. ذلك أنه ما أكثر الاتفاقات التى وقعت مع إسرائيل وظلت مجرد حبر على ورق بسبب المماطلة والتسويف وتضييع الوقت فى تفصيلات جزئية وتجميد عملية السلام كلها بسبب الاختلاف على تفسير كلمة أو تفصيلات برنامج زمنى مع العمل فى نفس الوقت على توظيف عامل الأمن لتكريس أوضاع سكانية يصعب ان لم يستحل تغييرها وبث اليأس والاحباط فى نفوس الفلسطينين.

وقد لاتكون الاتفاقات الفلسطينية الاسرائيلية فى مجملها وما تحقق من خلالها من نتائج ملبية لكل الحقوق والأحلام المشروعة للشعب الفلسطينى.. ولكن أى دراسة تحليلية لابد أن تصل بنا إلى أن ثمة مبادىء تحكم قرار القيادة الفلسطينية فى مفاوضاتها:

الأول: أن الرهان على عامل الزمن وأنه فى صالح العرب ثبت أنه رهان خاسر على الأقل حتى الآن. فقد تكرست أوضاع يستحيل وفقا للموازين الحالية تغييرها ويخشى مع استمرار الحال على ماهو عليه أن تأتى أجيال من السياسيين فى العالم تكون القضية بالنسبة لها مجرد أوراق وجدل تاريخى.

الثانى: أن التعاطف العالمى والرغبة فى استقرار الأوضاع فى المنطقة ليسا بديلا عن القدرة الفلسطينية والعربية الغائبة.

الثالث: أن أول واجبات الفلسطينيين فى هذه المرحلة وإزاء هذا الواقع وبالنظر إلى

موازين القوى يجب أن يكون هو انقاذ ما يمكن إنقاذه.

الرابع: يرتبط بالمبدأ السابق مبدأ آخر هو التخلى عن فكرة كل شىء أو لا شىء والآن أو أبدا والتصرف بواقعية من خلال مبدأ: خذ وطالب وقد يبدو تنفيذ هذا المبدأ مستحيلا.. ولكن علينا أن نتذكر أنه قبل جيلين لم يكن الساسة الاسرائيليون يعترفون بوجود شعب اسمه الشعب الفلسطينى انطلاقا من مقولة أن فلسطين - أرض الميعاد - هى أرض بلا شعب وأن اليهود شعب بلا وطن. وأنه حتى سنوات قليلة كانت منظمة التحرير الفلسطينية معتبرة منظمة إرهابية غير معترف بها.. ولكن هذه المنظمة الارهابية - سابقا - هى الآن التى تمثل الشعب الفلسطينى وهى التى توقع اتفاقات السلام باسمه.

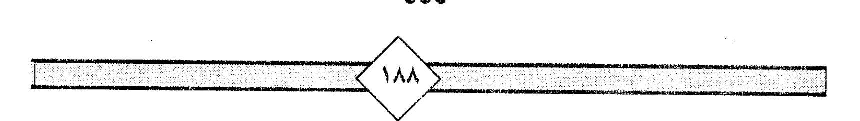
ويبقى أن يظل الدعم العربى قائما والموقف العربى متماسكا لأن المرحلة القادمة هى الاخطر ففيها تتقرر الأوضاع النهائية فى أخطر القضايا على المسار الفلسطينى: اللاجئون.. القدس - المياه - الحدود - وفيها أيضا ستكون الحركة على المسارين السورى واللبنانى وهما لا يقلان خطورة وتأثيرا عن المسار الفلسطينى.

المواطن العربى وسط همومه المعيشية التى تطحنه لا يستطيع أن يتخلى عن حلم السلام الذى جرى تسويقه منذ تحرير الكويت وعقد مؤتمر. مدريد فى أكتوبر عام ١٩٩١ باعتباره مفتاح الاستقرار والرخاء والذى تصور المواطن العربى الطيب أنه سوف يتحقق خلال سنوات قليلة وأن نهاية القرن العشرين سوف تكون نهاية الصراع وبدء الحياة الآمنة لكل شعوب المنطقة بما فيها الشعب الاسرائيلى.

هذا المواطن العربى يردد الآن المثل الشعبى ويطبقه على الواقع قائلا: من نتنياهو لباراك ياقلبى... فعندما كان الليكود بزعامة بنيامين نتنياهو فى الحكم تأزمت الأمور وتجمدت المفاوضات على المسارين السورى والفلسطينى ودخلت عملية السلام فى نفق مظلم وعادت أجواء التوتر ونذر الاضطراب الى منطقة الشرق الاوسط بعد الدفعة التى كانت تلقتها فى أعقاب حرب عاصفة الصحراء وما أحيته من آمال السلام. واتبع نتنياهو سياسة حافة الهاوية مما دفع كثيرا من الزعماء والحكام فى البلاد العربية والدول المعنية بقضية السلام وصاحبة المصالح فى المنطقة بل وداخل اسرائيل ذاتها للبحث عن مخرج من هذا الموقف وخلاص من هذا المأزق. ولم يجدوا حلا سوى غياب نتنياهو عن السلطة فراهن الجميع على ايهود باراك زعيم حزب العمل وهو عسكرى سابق ومخابراتى محترف شارك فى الحروب ضد العرب وقتل الأسرى العرب واغتيال عدد من القيادات الفلسطينية فى عمليات مخابراتية قذرة.. ورأى هؤلاء أن وصول حزب العمل بزعامة باراك هو الحل وهو الأمل المنشود.. ولكن تصريحات باراك خلال حملته الانتخابية ثم عقب انتخابه مباشرة ولاءاته الأربع كلها جاءت مخيبة للآمال.. ولكن الفكر السياسى العربى العاجز عن الفعل ظل محافظا على لهجته المتفائلة وطالب باعطاء الرجل فرصة.. وأخذ باراك فرصة واسعة وعريضة.. وبدا أن عملية السلام سوف تكتسب دفعة جديدة بعدأن أعلنت الادارة الأمريكية عزمها على احياء وانعاش عملية السلام على المسار الفلسطينى وبعثها من مرقدها على المسار السورى.

وبعد شهور من الاتصالات العلنية والسرية فى كل الاتجاهات ماذا كانت الحصيلة تجمدت الحركة على المسار الفلسطينى وتهديدات فلسطينية لا قيمة لها بالانسحاب من العملية التفاوضية. وتوقف السير على المسار السورى الى أجل غير مسمى.. ومحاولات لاعتصار لبنان وتهديد بحرقه بسبب عمليات المقاومة اللبنانية التى مهما اختلفت الآراء فى تقييم أسبابها ودوافعها ونتائجها فإنها الدليل الوحيد على وجود قدر من المقاومة والرفض فى الجسد العربى وهما مقاومة ورفض شعبيان تلقائيان - وان كان متواضعين - بعد ان هبط مستوى المقاومة والرفض الحكوميين الرسميين الى ماتحت الصفر.

***



● فى الوقت الذى تخوض فيه اسرائيل مع العرب ابادة - ان استطاعت - أو تركيع وهو الحد الأدنى الذى تسعى اليه فى هذه المرحلة على الأقل تمارس الصهيونية العالمية حملتها المستمرة لابتزاز الدول الغربية باستغلال تهمة معاداة السامية ورفع هذه التهمة فى وجه كل من يعارض مشروعاتها للسيطرة على المؤسسات المالية والعسكرية والاعلامية وتوظيفها لصالح مطامع اسرائيل. وفى الوقت الذى يؤكد فيه أبرز الباحثين والمؤرخين فى الغرب ان محارق هتلر ضد اليهود كان أكذوبة وان ضحاياها من اليهود كانوا لايشكلون أى نسبة تذكر بالمقارنة مع عدد من تم اعدامهم فى معسكرات الاعتقال النازية من شعوب أوربا يصر بعض كتابنا على تأكيد المزاعم الصهيونية بشأن حرق اليهود فى أفران الغاز. وهكذا رأينا كاتبا كبيرا مثل أنيس منصور يكتب فى عموده «مواقف» المنشور فى الأهرام يوم السبت ١٢ فبراير الحالى قائلا: «وقف باراك رئيس وزراء اسرائيل ينشد أبياتا من الشعر العبرى فى استوكهولم يقول: أقسمت ألا أنسى.. أن أذكر دائما ألا أكون مطرودا مرة أخرى. وباراك من أصل ليتوانى مثل شمعون بيريز وقد أحرق النازيون أجداده. الخ. وهكذا فى سطرين اثنين يؤكد الكاتب المصرى العربى أكاذيب اسرائيل والصهيونية العالمية.. فهل هى زلة قلم أم هو السم فى العسل؟؟

● توقفت أمام خبر عن الأزمة التى آثارتها أسرة الفايد فى لجنة الصحة بالمجلس المحلى بالاسكندرية عندما طالبت بشطب اسم الملكة السابقة نازلى مؤسسة مستشفى الأطفال بالأنفوشى من لوحة الشرف بالمستشفى ووضع اسم عماد (دودى) الفايد صديق الأميرة الراحلة ديانا بدلا منه وهددت - أى أسرة الفايد - بسحب تبرعها لتطوير المستشفى مالم يتم تنفيذ طلبها.

وقال الخبر الذى نشرتة مجلة أكتوبر فى عددها الصادر يوم السبت الماضى أن أعضاء اللجنة استفزهم الطلب ورفضوا شطب اسم الملكة نازلى حتى لا يزوروا التاريخ أو يتهموا بعدم الوفاء. فهل قدمت أسرة الفايد تبرعها لوجه الله وخدمة لأطفال الاسكندرية المرضى أم من أجل الوجاهة والشهرة؟! مجرد سؤال.

●● لا أجد كلمات أنعى بها الزميل الكريم الراحل جلال عيسى الذى كان نموذجا للالتزام الصحفى والجدية فى العمل والاخلاص فى الصداقة وسمو الأخلاق فى معاملة كل الناس.. ولا أجد كلمات أصف بها بعض الذين هبوا كالجراد للقفز على بعض ماكان يشغله جلال عيسى من مواقع.

رحمه الله جلال عيسى وعلى الأخلاق.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾** سورة البقرة آية ٢٧١.

عندما وقعت حرب ١٩٦٧ وأصبنا بالنكسة الشهيرة ارتفع شعاران فى مصر ترددت أصداؤهما فى المنطقة العربية كلها. وكان الشعار الأول هو أن ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة. وكان الشعار الثانى هو ألا صوت يعلو على صوت المعركة. وتحت هذين الشعارين تمت إعادة بناء القوات المسلحة وإعادة بناء العقيدة القتالية وكذلك إعادة بناء التضامن العربى وتراجع التصنيف الذى ظل سائدا من الخمسينات حتى منتصف الستينات وهو تصنيف الأنظمة العربية إلى تقدمية ثورية ومحافظة رجعية. وتكاتف القوى العربية سواء فى مرحلة إعادة البناء للقوات المسلحة فى مصر وسوريا أو فى مرحلة التحضير للحرب أو فى مرحلة الحرب الفعلية التى تحملت فيها القوات المصرية والسورية أعباء القتال الفعلى وتحملت الدول العربية أعباء الدعم والمساندة والتأييد والمشاركة.

ولكن القوى العربية التى جمعتها الأزمة ووحدتها الحرب مزقها السلام. فافترق المساران المصرى والسورى. وحدثت زيارة السادات للقدس ووقعت القطيعة بآثارها السلبية السيئة على مصر وعلى الدول العربية وعلى قضية السلام برمتها وكانت نقطة الضوء الوحيدة فى هذا الظلام الدامس هى استعادة مصر لسيناء وبدء التغييرات الاقتصادية والسياسية بهدف إعادة البناء بعد التخفف من أجواء وأعباء الحرب.

وبدأت مصر والدول العربية فى الثمانينات محاولات جادة لاستعادة التضامن العربى وتوصل العرب لاختيار السلام. وبدأ البحث عن طريق ولكن هذا التضامن أصيب فى مقتل بسبب الغزو العراقى للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ وما ترتب عليه من انقسام فى الشارع السياسى العربى مازالت آثاره وأصداؤه قائمة حتى الآن. ولأن الغزو العراقى ثم تحرير الكويت أحدثا الآثار المطلوبة فقد طرحت عملية السلام وكأن طرحها كان مقصودا على أنه مكافأة للدول العربية على وقوفها فى وجه الغزو العراقى وتمهيدها الأرض للتحالف الدولى الذى قام بتحرير الكويت. ومن ثم انطلق مؤتمر مدريد فى أكتوبر ١٩٩١ - عام تحرير الكويت - وفى سياق العملية السلمية أكد العرب بكل السبل القولية والفعلية قبولهم لخيار السلام. ورغم أن إسرائيل من جانبها أعلنت قبولها خيار السلام فإنها وضعت مطالبها الأمنية غير المحدودة فى المقدمة.

وهكذا.. فى الوقت الذى تسابق فيه العرب فى الهرولة نحو إسرائيل وإقامة العلاقات معها وافتتاح سفارات أو مكاتب تمثيل أو عقد لقاءات علنية أو سرية - حسب مقتضى الحال والظروف والضغوط - لم تقدم اسرائيل بادرة واحدة حقيقية تعبر عن رغبتها فى السلام تساندها فى ذلك الولايات المتحدة مساندة مطلقة غير محدودة وغير مشروطة.

ماهى الأسباب الحقيقية لما وصلنا اليه؟؟ الأسباب عديدة لكن أهما مايلى:

- إن اسرائيل لديها عقيدة - حتى لو كانت مبنية على أساطير وأكاذيب - وهذه العقيدة هى

التزام لكل فرد ولكل جماعة دينية أو سياسية أو حزبية وهى - أى هذه العقيدة - مترجمة إلى استراتيجية بعيدة المدى. ولها أهداف مرحلية وخطط تنفيذية وبدائل مرنة تستجيب لكل الظروف والتداعيات والموازين الدولية. ولا فرق بين حزب العمل والليكود أو أى أحزاب أخرى فى العمل من أجل تحقيق الأهداف المرحلية أو النهائية.

• إن هناك التقاء مصلحة وتطابق منفعة بين إسرائيل والغرب بصفة عامة والولايات المتحدة بصفة خاصة. فأمريكا تحمى اسرائيل حماية مطلقة.. وإسرائيل تخدم المصالح الأمريكية فى المنطقة بكل إخلاص. وإذا كانت الولايات المتحدة هى الراعى الذى لابديل له - الآن - لإسرائيل فإن اسرائيل هى العميل أو الأداة التى لابديل عنها لأمريكا فى المنطقة.

• إن الأمة العربية بالمقابل ليس لديها الحس التاريخى ولا العقيدة - ولا نقصد الدين - ولا الرؤية الاستراتيجية البعيدة ولا الأهداف المرحلية أو الخطط التنفيذية.

وهكذا نعلق آمالنا بانتقال السلطة فى اسرائيل من حزب لحزب أو من شخص لشخص فنصاب دائما بخيبة الأمل ويستشرى الداء الاسرائيلى عدوانا وتطبيعا وثقافة سلام وافتراقا للنخب الحاكمة فى الوطن العربى وللمؤسسات الثقافية.

وهكذا فعلت اسرائيل ما تفعل فى لبنان دون تردد ودون خشية من أى رد فعل عربى يتجاوز العبارات الانشائية الجوفاء. وإذا كان الرئيس حسنى مبارك قد اتخذ الموقف العملى العربى الوحيد بزيارته للبنان وإعلان رفضه للعدوان ومساندته. ومساندة مصر - للشعب اللبنانى فإن المطلوب أن يقول العرب جميعا لا لإسرائيل ونعم لدعم الصمود اللبنانى الذى يستحق منا كل تحية.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** سورة آل عمران آية ٢٠٠.

كانت زيارة البابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكان لمصر زيارة تاريخية بكل المعانى. فهو القيادة الروحية والمرجع الدينى للكنيسة الكاثوليكية التى تتبعها غالبية المسيحيين فى العالم. وعلى خلاف الكثيرين من الباباوات الذين سبقوه كانت له كلمته وآراؤه فى العديد من القضايا السياسية والاجتماعية. وفى كثير من الحالات كانت هذه الكلمة والآراء مؤثرة فى مسار الأحداث.. واذا كانت الاحداث السياسية والأزمات والحروب أكثر من أن تحصى وبالتالى يتعذر التوقف أمام الكثير من المحطات التى كان للبابا يوحنا بولس الثانى رأيه فيها فإن أحدا لا ينسى موقف الكنيسة التى يرأسها من مشروع بيان مؤتمر السكان بالقاهرة عام ١٩٩٤ إذ وقف الى جانب الأخلاق وبناء الأسرة وحماية حقوق الجنين. وعندما تلاقى موقف الفاتيكان وموقف الكنيسة الأرثوذكسية المصرية وموقف الأزهر أدخلت تعديلات عديدة على البيان لصالح الأخلاق والقيم التى يحميها الإسلام وتحظى برعاية كل الأديان.

هذا عن البابا يوحنا بولس الثانى.. أما عن مصر فيطول الحديث. وأوجز ما يقال ان مصر فضلا عن مكانها ومكانتها الدوليين هى فى الأساس حاضنة الأديان.. وفيها ارتفعت راية التوحيد منذ الماضى السحيق.. وفيها وجد ابراهيم أبو الأنبياء ﷺ الملجأ والملاذ.. ومنها تزوج هاجر أم اسماعيل جد العرب.. وإليها أوى حفيده يوسف عليه السلام الذى صار وزيرا مهابا فدعا اخوته وأبويه الى مصر قائلا بتعبير القرآن الكريم: «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين». وفى كنفها عاش نبيا الله موسى وهارون.. وعند طور سيناء كلم الله موسى تكليما.. وبهذا الجبل أقسم الله. وبشجر سيناء تحدث القرآن الكريم.. والى مصر كانت رحلة العائلة المقدسة التى لجأت إليها هربا من بطش الرومان.. وهى التى فتحت قلبها وصدرها للإسلام لينطلق الى أفريقيا وأوروبا عبر جبل طارق.

مصر هى بؤرة الأحداث ومركز القلب ورمانة الميزان فى المنطقة. وهى قوة لأمتها العربية والإسلامية. وهى دور فعال ومؤثر فى السياسة العالمية. لذلك كان من الطبيعى ان تكون زيارة البابا يوحنا بولس الثانى لمصر مهمة وحيوية بقدر ما يمثله الرجل من وزن عالمى معاصر وتاريخى وبقدر ما تمثله مصر من دور بارز فى تاريخ الأديان وما تضطلع به فى العالم المعاصر.. وقد يكون من قبيل الصدف التى تدعو للتأمل أن تأتى هذه الزيارة فى مطلع قرن جديد وألف ميلادى جديد وان يتزامن ذلك مع مرور أربعة عشر قرنا على دخول الإسلام مصر أو دخول مصر فى الإسلام.

واذا كان البابا يوحنا بولس الثانى قد وجه من مصر رسالة سلام للعالم كله فإن المنطقة العربية أحوج للسلام من أى مكان آخر بعد أن اكتوت بنار الاطماع الصهيونية منذ مطلع القرن العشرين وقد ظلت اسرائيل وليد غير شرعى رغم الاعتراف الدولى بها حتى حظيت من

الفاتيكان على ما اكسبها الشرعية الدينية وذلك عندما برأت الكنيسة اليهود من دم المسيح.. وعندما نالت الاعتراف القانونى والدبلوماسى من الفاتيكان وتبادلت معها التمثيل الدبلوماسى. وعندما ذهب وفد مسيحى كبير فى العالم الماضى ليعتذر للمسلمين عن الحروب الصليبية وكان الاعتذار فى اسرائيل التى استغلته سياسيا وسياحيا. وغير هذا وذاك من المكاسب الكبرى التى حصلت عليها اسرائيل وهى تمضى فى تنفيذ مخططها لتهويد القدس بالكامل.

وقد أن الآوان لأن نسمع من الفاتيكان صوتا أعلى لصالح حقوق الشعب الفلسطينى بمسلميه ومسيحييه ويهوده «أيضا».. ولصالح وضع القدس كعاصمة لدولة فلسطين التى يجب أن يكون لها وجود فعلى.. ولصالح سلام عادل وشامل ودائم لكل دول وشعوب المنطقة.. وهذا دور تاريخى ننتظر ان تقوم الفاتيكان بتبنيه والعمل على تحقيقه.. وهذا بالطبع لاينفى ولا يلغى مسئولية العرب عن العمل بكل مالديهم من عناصر قوة لتحقيق هذا الهدف.

● **٢٩ فبراير ٢٠٠٠**

يواجه المؤرخ البريطانى ديفيد إيرفنج مأزقا لا أحد يستطيع أن يتنبأ بنتائجه أو خسائره.. والسبب ببساطة أنه انكر - بالادلة والوثائق والحقائق التاريخية - الأكذوبة التى اخترعتها الحركة الصهيونية العالمية وظلت ترددها وتنفخ فيها وتحولها الى سوط ارهاب وأداة ابتزاز كبرى للحكومات والأفراد وهى اكذوبة المحارق النازية التى يزعمون ان الزعيم الالمانى النازى أدولف هتلر قد اقامها وأباد من خلالها ستة ملايين يهودى.

وايرفنج ليس اول ضحية من ضحايا العنصرية الصهيونية وسيطرتها على الاعلام الغربى بل وعلى الانظمة السياسية والقضائية ايضا.. فمنذ اعوام قليلة واجه المفكر الاسلامى الفرنسى رجاء جارودى نفس المأزق عندما اثبت - بالوثائق والمستندات ايضا - زيف اكذوبة المحرقة النازية ضد اليهود.. وكانت الصهيونية قد نجحت فى حمل الحكومة الفرنسية على اصدار قانون يجرم من ينكر وجود هذه المحرقة.. ومن ثم تعرض جارودى للملاحقة القضائية بعد ان كان علما من اعلام الفكر والثقافة فى فرنسا قبل إسلامه وقبل دفاعه عن القضايا العربية والاسلامية.

وأكذوبة المحرقة النازية ضد اليهود استخدمت بنجاح لاثارة الشعور بالذنب عند الشعب الالمانى.. وبسبب عقدة الذنب حصلت اسرائيل على عشرات المليارات من الماركات الالمانية استعانت بها فى اقامة قاعدتها الصناعية وزيادة قدراتها العسكرية وتنفيذ مشروعات البنية التحتية.

وشهرت اسرائيل والحركة الصهيونية سلاح الاتهام بمعاداة السامية وتعذيب اليهود فى وجه الكثير من القادة الاوروبيين وحاولت منع بعضهم من الوصول الى الحكم فى بلادهم او ابتزازهم وهم فى الحكم.. وقائمة الابتزاز طويلة لعل من ابرز عناصرها خلال السنوات القليلة الماضية: محاولة ابتزاز البنوك السويسرية من خلال الادعاء بأنه ثمة مخزون لديها من ذهب اليهود تقدر قيمته بعشرات المليارات من الدولارات والمطالبة باستعادة هذه الارصدة الذهبية.. ومنها الحصول من بابا الفاتيكان على اعتذار لليهود عما لحق بهم من أذى!!! ومنها محاصرة النمسا سياسيا من خلال الاتحاد الاوروبى بسبب فوز حزب الحرية بزعامة يورج هايدر فى الانتخابات وهو المنسوب اليه تهمة العنصرية ثم محاولة ابتزاز النمسا والمطالبة بتعويضات تصل الى نحو ٢٠ مليار دولار عما لقيه الهيود اثناء الحرب العالمية الثانية.. ويأتى فى نفس السياق الابتزازى مايجرى الآن تجاه المؤرخ البريطانى ديفيد ايرفنج.

ان الحركة الصهيونية تزكى فى اليهود روح العداء تجاه «الغير» وتشعل فيهم الرغبة فى الثأر.. وحتى تجد هذه الرغبة ماتتغذى عليه تخترع الصهيونية أكاذيب مثل اكذوبة المحارق النازية.. ومثل دعوى معاداة السامية.. وتقذف بهذه او تلك فى وجه كل من يعارض الاكاذيب

والادعاءات والاباطيل والمطامع الصهيونية وبسبب الخوف من الارهاب الاعلامى والسياسى يخضع كثير من السياسيين والمفكرين للابتزاز الصهيونى.. ومن هنا تضيع الحقوق وتتبدل الحقائق وينقلب الحق باطلا والباطل حقا.

وفى ذات الوقت فإن العرب وهم اصحاب حق واصحاب قضية واصحاب رسالة لا يستطيعون الدفاع عن الحق ولا عرض القضية ولا توصيل الرسالة.. وما لم يتدارك العرب الموقف ويتعلموا كيف يدافعون عن حقوقهم بالكلمة الصادقة والمواقف السياسية القوية واستجماع عناصر القوة فإن المخاطر جمة والمستقبل محفوف بالشكوك.. فإن كل ما اشرنا اليه هو مجرد طرف من اطراف السياسة الصهيونية.. اما فيما يخص العمل الصهيونى المباشر تجاه العرب فإنه يقوم فى المرحلة الحالية على ثلاثة امور: كسب عامل الزمن لصالح التوسع والهيمنة الاسرائيلية.. الاختراق من الداخل.. والحصار من الاطراف.. وهذا حديث يطول.

● **١٨ إبريل ٢٠٠٠**

لاتعرف إسرائيل سوى لغة القوة والعنف والارهاب.. بهذه اللغة بدأت الحركة الصهيونية توجد مكانا لليهود على أرض فلسطين منذ بداية القرن العشرين واستخدمت أسلوب الاغراء والابتزاز لشراء الأراضى الفلسطينية وفى مواقع حيوية فإذا عجز الشراء عن تحقيق الهدف المراد كانت أساليب القتل والحرق والتشريد تمهيداً لقيام الدولة. وهكذا ففى الفترة منذ بداية القرن وحتى عام ١٩٤٧ كانت المعادلة السكانية قد اختلت وأصبح لليهود وجود مؤثر يبرر المطالبة بتحقيق وعد بلفور بوجود وطن قومى لليهود فى فلسطين.. والقصة بعد ذلك معروفة ولا داعى لاجترار ذكرياتها المرة والمؤلمة.

ولكن المهم أنه بجانب كون القوة والعنف والارهاب فلسفة للصهيونية فإن الضعف العربى والتشرذم واختلاف المواقف بل والخيانة فى بعض الحالات مكنت اسرائيل من أن تقوم كدولة وأن تتمدد هذه الدولة على حساب الدول العربية بسلاسل متتابعة من العمليات الارهابية المنظمة والاعتداءات المتكررة مرة تحت مظلة إنجلترا وفرنسا ومرات تحت الحماية الأمريكية وثالثة من خلال حروب شبه شاملة نالت فيها التأييد المطلق من السيد الأمريكى.

وفى كل التجارب التى حدثت على مدى نصف قرن تأكدت إسرائيل من صحة نظريتها وصواب فلسفتها ونجاح سياستها.. ففى كل المرات كانت المقاومة العربية محدودة وكان حجم الضجيج والانفعال أضعاف حجم الفعل المؤثر.. وللحقيقة فقد كان هناك على امتداد هذا التاريخ استثناءان هما وقوف العرب إلى جانب مصر إبان العدوان الثلاثى عليها عام ١٩٥٦ بفضل الحشد السياسى الذى قامت به مصر وبسبب وجود الاتحاد السوفيتى فى الصورة كقوة بازغة مؤيدة لحركات التحرر الوطنى.. وكذلك تماسك الموقف العربى إلى جانب مصر وسوريا فى أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧ مما قاد إلى النجاح المعجز الذى تحقق فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ وهو نجاح لم يستثمر إلا جزئياً وإلا مابقيت الجولان والضفة الغربية والأردن تحت نير الاحتلال الإسرائيلى ولما وصلت القوات الاسرائيلية إلى مشارف بيروت ووضعت يدها على الجنوب اللبنانى والبقاع.

وقد تعلمت اسرائيل من تجاربها مع العرب أنه فى ظل تردى الأوضاع العربية فإن ردود الفعل لما تقوم به من اعتداءات لايتجاوز البيانات الإنشائية التى تندد وتدين وتشجب.. يعنى فى مواجهة فلسفة القوة والعنف والارهاب الاسرائيلية كانت فلسفة الرفض والتنديد والشجب والادانة من الجانب العربى.. وهى بالقطع صيغة مريحة مكنت اسرائيل ليس فقط من فرض ارادتها وتنفيذ سياستها العدوانية دون خوف من عقاب او حساب أو عتاب فى أدنى وأرق صوره. وما دام الأمر كذلك فلم يشغل الآخرون أنفسهم بنا وبقضايانا.. ولماذا يدخلون فى صدام مع اسرائيل وراعيها الولايات المتحدة.. وقديماً قال أحد القادة السوفييت لأحد القادة العرب: ساعدونا على ان نساعدكم.. يعنى ببساطة اختاروا موقفاً واضحاً للرفض والمقاومة حتى نستطيع أن نقف بجانبكم.

والذى تفعله اسرائيل فى لبنان الآن هو تطبيق جديد للعبة القديمة التى مارستها اسرائيل مع العرب طوال الفترة الماضية.. ولكن التصعيد الأخير لعدوانها على لبنان فاق كل حد وتجاوز كل قدرة للعرب على الصبر والصمت واطلاق الشعارات.. وهذه فرصة قد تكون أخيرة لكى يثبت العرب أنهم ليسوا كما يشاع عنهم مجرد ظاهرة صوتية.. فهيا يا عرب.. قولوا بالفعل والعمل أنكم قادرون على فعل شىء.. وإلا.. انسحبوا من التاريخ.

●●●

●● فى لقاء عن الدعوة عقده المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وتزامن بالصدفة مع الجزء الثانى من برنامج «ماسبيرو» الذى كان أسوأ من الجزء الأول تحدث عدد من علماء الأزهر والإعلاميين وكان كاتب هذه السطور واحدا منهم، فى هذا اللقاء تحدث أحد المنسوبين إلى علماء الأزهر وانحرف بالحديث إلى هجوم حاقد على «عقيدتى» أسفر عن ضيق صدر وضيق أفق وقلة فهم فأساء لنفسه قبل أن يسىء إلينا.. وكان عزائى انى رددت له الصاع صاعين وأن كل من حضروا اللقاء أبدوا استياءهم من حماقته وسوء تصرفه فبدا معزولا حتى فى اللقاء الضيق الذى عقده وزير الأوقاف فى أعقاب الندوة.

●●●

أقصر طريق لخسارة أى قضية ولو كانت صحيحة وسليمة ومنطقية هو المعالجة الخاطئة والطرح الفج الذى يستفز المشاعر ويخفى الحقائق.. وهذا هو ما وقع فيه برنامج ماسبيرو فى جزئه الأول فى جزئه الثانى.. فمقاومة الأفكار المنحرفة ومدعى العلم والفتوى لا يكون ببرنامج بهذا الشكل ولكن يكون باشاعة الفكر المعتدل سواء على المنابر. أو فى قاعات المحاضرات أو صالات الأندية أو على شاشات التليفزيون.. ويكون باكتشاف المواهب الجديدة بين الدعاة والأئمة وتغيير الوجوه والأصوات التى اصابت الناس بالملل وصرفتهم عن المساجد وعن شاشات التليفزيون.. والحديث طويل لمن يريد أن يسمع ويعى ويعمل بما يعرف.

●●●

●● الوطنية ليست احتكاراً.. وحب الدين والوطن ليس تجارة يتكسب من ورائها البعض على حساب الآخرين بل وعلى حساب الحقيقية.. بل وعلى حساب الوطن ذاته.. ومصر كانت دائماً أكبر من أى شخص ومن أى فئة ومن أى تيار سياسى أو دينى محلى أو وافد.. لكننا أحياناً ننسى.

●●●

مسك الختام

إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل

فى الله يجعلنى فى خير معتصم

مر الصراع العربى الإسرائيلى بمراحل وحالات متعددة ومتباينة.. فى بعض الحالات كانت اللغة المعتمدة من جانب إسرائيل هى لغة حرب العصابات والاستيلاء بالقوة والخداع على الأراضى الفلسطينية وإجلاء أهلها منها.. وفى حالات أخرى كانت اللغة المعتمدة هى لغة الاعتداءات الإرهابية المسلحة المتقطعة على مناطق محددة.. وفى حالات أخرى وعندما قويت شوكة إسرائيل الدولة تطور مفهوم العنف من الإرهاب الفردى وعمل العصابات إلى عمل الجيش المنظم مرة فى حماية القوات الانجليزية والفرنسية فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ والثانية منفردة ولكن بالحماية والدعم الأمريكيين عام ١٩٦٧ وعندما كاد العرب «أن يفعلوها» ويحققوا نصراً عسكرياً وفاصلا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ (رمضان ١٣٩٣ هـ) تدخلت الولايات المتحدة لتنقذ إسرائيل من الانهيار.

وقبل هذه الحروب وبعدها وفيما بينها لم تتوقف أعمال التجسس والتخريب والاغتيالات التى قامت بها المخابرات الإسرائيلية (الموساد) من بداية الخمسينات وحتى الآن سواء منفردة أو بالتعاون مع مخابرات أخرى فى مقدمتها المخابرات المركزية الأمريكية.. وجهاز المخابرات الإسرائيلى نجح ربما فى ألوف العمليات الفاشلة ما اشتهر فى وسط الخمسينات بفضيحة لافون وكان الفضل فى افشالها والكشف عنها للمخابرات والشرطة المصرية.. وليس اخرها بالطبع محاولة اغتيال خالد مشعل فى قلب العاصمة الأردنية عمان مما أغضب عاهلها الراحل الملك حسين.

وإيهود باراك رئيس وزراء إسرائيل الحالى هو خريج المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ورجل من رجال المخابرات الذين قاموا بدور بارز فى الصراع العربى الإسرائيلى.. ومن أشهر عملياته الناجحة قيادته لعملية اغتيال القيادات الفلسطينية فى بيروت.. أى أنه من أصحاب فكر العنف والخداع فى التعامل مع العرب.. ولم يكن ممكنا ولا منطقيا لأن يغير باراك فكره وعقيدته وأسلوب عمله لإرضاء العرب.. فتجربته الشخصية ودروس الصراع العربى الإسرائيلى من قبل انشاء دولة إسرائيل كفيلة بإقناعه بأن الأسلوب الأمثل للتعامل مع العرب هو مزيج من العنف والخداع وهو نفس الأسلوب الذى اتبع طوال العقود الماضية ولم يتغير إلا تغييرات طفيفة ولفترات محدودة.

لذلك كان من الأمور المدهشة أن يراهن العرب على فوز باراك وأن يتعلقوا «بالخيوط الذائبة» ويتخيلوا أن باراك سيكون أفضل من سابقه نتنياهو.. وأن عملية السلام سوف تنطلق فى عهده وتستأنف المفاوضات مع سوريا من حيث انتهت وتتواصل الانسحابات الإسرائيلية من الأراضى الفلسطينية وفقاً للجداول والخرائط التى سبق الاتفاق عليها. ولكن تبين أن العرب كانوا يجرون وراء أوهام.

والآن والإعتداءات الإسرائيلية على لبنان مستمرة، وفى تصاعد مستمر.. والمفاوضات مع سوريا مجمدة إلى أجل مسمى.. والمصادمات بين القوات الإسرائيلية والفلسطينيين مستمرة ويروح ضحايا لها بالعشرات من الفلسطينيين كل يوم لانجد على الجانب العربى سوى الاستنكارات والاتصالات والزيارات لبحث قضايا السلام وسبل دفع مسيرة السلام.. والسؤال: ألم يحن الوقت بعد لأن يجلس القادة العرب معا فى قمة يتقرر فيها ماذا يجب على العرب أن يفعلوه فى ظل عجز أمريكى - أو عدم رغبة - عن القيام بأى دور حقيقى فى هذه الأشهر الحرجة السابقة لانتخابات الرئاسة الأمريكية؟؟ وفى ظل تصعيد إسرائيلى لايبالى بالعرب ولا يبالى بأى قوة أخرى؟! أليست الحاجة ملحة لمثل هذه القمة؟؟

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾** سورة فصلت آية ٣٣.

استطاع الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات ان يقول لا .. أى انه استطاع ان يصمد امام الضغط الرهيب والاغراء ومحاولات الاغواء التى بذلها الامريكان والاسرائيليون فى كامب ديفيد الثانية ليقدم تنازلات فى القضايا المهمة والحاسمة التى يفترض ان تشتمل عليها التسوية النهائية بين الفلسطينيين والاسرائيليين وفى قلبها ومقدمتها قضية القدس.. ومهما قيل أو سيق من دعاوى أو حجج تاريخية أو دينية حقيقية أو مزيفة ومزورة من قبل اسرائيل فان حقائق التاريخ السحيق والوسيط حتى المعاصر تؤكد عروبة القدس وتوكد ان حرية ممارسة الشعائر الدينية لاتباع الاديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام لم تتحقق عمليا فى المدينة المقدسة الا فى ظل الاسلام وتحت مظلة الحكم الاسلامى الذى احترم حقوق اصحاب العقائد الاخرى وحافظ على معابدهم وكنائسهم.. وكانت القدس دائما رمزا من رموز الاسلام ومحط رحال للمسلمين مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة.. وربما لهذا السبب يحرص الاسرائيليون على مصادرة هذا الرمز وتهويده.. ولهذا السبب ايضا ضمن اسباب اخرى كان يتعين على الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات ورفاقه ان يحاربوا معركة القدس فى المفاوضات كما لو كانت معركة عسكرية وقضية حياة أو موت.. ومن هنا كان الدعم غير المحدود الذى قدمته مصر والسعودية لعرفات حتى يقاوم الضغوط والاغراء والاغواء وليس مهما ردود الفعل الامريكية العصبية والمنحازة بل والمبتذلة من البعض تجاه مصر.

والذى يدرس الفكر الصهيونى والتخطيط الصهيونى للمدى الطويل سوف يكتشف دون صعوبة ان القدس ليست مطلوبة لذاتها ولا لانها ذات أى أهمية دينية أو اقتصادية أو سياسية أو عسكرية لاسرائيل رغم ان كل هذه الاعتبارات يمكن ان تكون موجودة بدرجة أو بأخرى..ولكن قراءة الفكر الصهيونى تقول ان القدس هى خطوة فى الطريق الى مكة.. فان الهدف النهائى للصهيونية هو السيطرة على العالم.. والعقبة الوحيدة فى سبيل تحقيق هذا الهدف هى الاسلام والعائق هم المسلمون.. ولذلك لابد للصهيونية من السيطرة على رموز الاسلام ومحط رحال المسلمين ومهوى أفئدتهم بدءا بالقدس وصولا الى مكة وقد صدر منذ سنوات كتاب لمؤلف اسمه كمال صليبى عنوانه: التوراة جاءت من جزيرة العرب يدعى فيه ان المسجد الاقصى ليس فى فلسطين ولكن فى منطقة عسير جنوبى المملكة العربية السعودية.. وساق فى كتابه العديد من الشواهد المزورة التى تصدى عدد من علماء التاريخ القديم للرد عليها وبيان تزويرها.. وهذا الكتاب وغيره ليست الا بذور شر تغرسها الصهيونية وتغذيها حتى نظل فى حالة شك ثم تستخدم هذا الشك فى التمهيد لمزيد من العدوان على المقدسات الاسلامية..

لذلك فان مهمة الحفاظ على القدس ليست مهمة عرفات وحده ولا الفلسطينيين فقط لكنها مهمة كل العرب والمسلمين بل والمسيحيين ايضا الذين تعانى مقدساتهم فى القدس

نفس ماتعانيه المقدسات الاسلامية وان كان اليهود يحاولون صهينة المسيحية فى الغرب.. واذا كان عرفات قد نجح فى الصمود وعدم الاستسلام والتسليم لاسرائيل بما تريده فانه قد فشل . للاسف . فى الحصول على التأييد الكافى لاعلان الدولة الفلسطينية فى ١٢ سبتمبر القادم كما كان مقررا مما يعد انتصارا للسياسة الاسرائيلية التى تسعى لمحاصرة القيادة الفلسطينية ومطاردتها داخليا ودوليا.. وهنا ايضا تبرز مسئولية الدول الاسلامية التى يتعين عليها ان توفر الغطاء الدولى الشرعى لاعلان الدولة الفلسطينية حتى لايحارب الفلسطينيون وظهرهم للحائط.

●●●

● اصدر ياسين سراج الدين نائب رئيس حزب الوفد ورئيس الهيئة البرلمانية الوفدية بيانا تمنى فيه ان تسفر الانتخابات القادمة لاختيار رئيس للحزب خلفا لفؤاد باشا سراج الدين والتى لابد ان تجرى فى جو من الديمقراطية المثالية عن ظهور قيادة شابة جديدة مؤمنة قادرة على ان تحقق للوفد والوفديين ولشعب مصر مطالب الامة الى اخر ماورد فى البيان.. هذا البيان درس لقيادات الاحزاب المعارضة الاخرى فى التعالى على المشاعر والرغبات الشخصية أو العائلية والنظر الى مصلحة الحزب أو الجماعة التى ينتمى اليها الانسان.. ودرس فى الاختيار الصحيح لتوقيت دخول المعارك وتوقيت الدفع أو اتاحة الفرصة امام الاجيال الجديدة لارتقاء مواقع القيادة.. ودرس فى الممارسة الديمقراطية المحترمة التى تطلق الطاقات وتحافظ على وحدة العمل.. وياسين سراج الدين وان لم يقرر الانسحاب من الحياة السياسية الا انه جنب الوفد صراعا كان من الممكن ان ينال من قوته.. وليت الآخرين يتعلمون منه.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾** صدق الله العظيم . سورة آل عمران آية ٨٤.

تبنت جامعة الدول العربية فى دورتها رقم ١١٤ التى انتهت أول أمس موقف مصر من قضية القدس باعتبارها القضية الاهم فى القضايا المختلف عليها بين الفلسطينيين والاسرائيليين.. والموقف المصرى من هذه القضية موقف واضح وصريح وحازم.. وهو مبنى على عدة اعتبارات حيوية لعل أهمها مايلى:

●● ان القدس كانت على امتداد التاريخ عاصمة فلسطين.. ولايتخيل قيام دولة فلسطينية بعاصمة غير القدس.. وليس ثمة مجال للتحايل أو الحلول المضللة التى تستهدف الدوران حول هذا المعنى..

●● ان القدس وان كانت رمزا للدولة الفلسطينية فهى فى ذات الوقت بما تضمه من مقدسات اسلامية ومسيحية قضية تهم العرب والمسلمين والمسيحيين كذلك.. ومن ثم فلا سبيل لقبول سيطرة اسرائيل عليها مهما كانت الوعود البراقة بشأن حرية العبادة لغير اليهود تحت السيادة اليهودية.

●● انه فى رحلة الحلول النهائية والترتيبات الشاملة لامجال للمساومة أو التسويف فى قضية حيوية بحجم القدس بكل ابعادها ودلالاتها.. بل ان التأجيل مرفوض لان تجربة التعامل مع اسرائيل تفيد بان الهدف منه هو كسب الوقت لمزيد من تهويد المدينة باقامة الوحدات السكنية وضخ المزيد من المستوطنين ومنح الجنسية الاسرائيلية لمزيد من فلسطينى القدس ودفع اخرين لبيع ممتلكاتهم أو مغادرة المدينة وممارسة المزيد من اعمال القمع ضد الفلسطينيين والضغط على السلطة الفلسطينية لقبول الامر الواقع الجديد فى أى مفاوضات مقبلة.

ولم يتوقف التحرك المصرى عند حد التمسك بهذه الثوابت بل اتخذ خطوة ايجابية بدعم الموقف الفلسطينى وتأكيد ضرورة اتخاذ موقف عربى موحد يكون نواة لموقف اسلامى واتخذت مصر خطوة اخرى بتأكيد هذه الثوابت سواء فى مباحثات الرئيس حسنى مبارك مع الرئيس الامريكى بيل كلينتون خلال زيارته الاخيرة القصيرة لمصر أو زيارة الرئيس مبارك لفرنسا ولقائه مع الرئيس الفرنسى جاك شيراك والمسئولين الفرنسيين.

من هنا كان موقف الجامعة العربية واضحا وصريحا فى رفض السيادة الاسرائيلية على القدس وتأييد حق الشعب الفلسطينى فى ممارسة سيادته الكاملة على جميع الاراضى الفلسطينية التى احتلت فى يونيو ١٩٦٧ ودعم ومساندة موقف دولة فلسطين الذى يستند الى التمسك بالسيادة على القدس الشريف بما فيها جميع الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية التى تشكل جزءا لايتجزأ من الاراضى الفلسطينية المحتلة فهل تدرك الولايات المتحدة واسرائيل ان الفلسطينيين لايقفون وحدهم وان ثمة اجماعا عربيا تتقدمه وتقوده مصر؟؟



وهل يؤكد للعرب ان لديهم مايملكونه للحفاظ على الحقوق العربية المشروعة فى فلسطين أكثر من مجرد البيانات؟؟ نرجو..

●●●

●● كل عام وأنتم بخير.. بدأ العام الدراسى.. وحتى لايكون ثمة مجال للدهشة نقول ان الدراسة رسميا سوف تبدأ بعد أسبوعين أو أكثر أو أقل ولكن الدروس الخصوصية للثانوية العامة قد بدأت.. وخلال الاسابيع الماضية فان ثمة سباقا محموما بين الطلبة وأولياء الامور للحجز لدى المدرسين أو المراكز أو المجموعات ذات السمعة الطيبة.. ولا أحد يسأل عن التكاليف ومرة أخرى.. كل عام.. وأنتم بخير..

●●●

●● فى اطار مؤتمر السلام والاديان الذى عقد تحت اشراف الامم المتحدة تردد صوت الأذان لأول مرة فى أروقة المنظمة الدولية..مرة أخرى.. نقول ان الاسلام يتقدم وينتشر ويعلو بقوته الذاتية وليس بقوة المسلمين.. ولذلك يخاف منه الراغبون فى فرض سيطرتهم على العالم..

●●●

●● انتخابات حزب الوفد لاختيار رئيس جديد خلفا لفؤاد باشا سراج الدين أسفرت عن انتخاب الدكتور نعمان جمعة بأغلبية ساحقة.. وفى فوز الدكتور نعمان جمعة.. وهو من خارج أسرة سراج الدين وفى تقبل فؤادبدراوى حفيد سراج الدين والمنافس الرئيسى فى الانتخابات للنتيجة دروس كثيرة بحاجة للتأمل.

●●●

خبراء وشركات أجنبية للادارة فى شركات الغزل والنسيج أقدم الصناعات فى مصر.. وشركة نظافة أجنبية للاسكندرية.. وعمال اجانب فى شركات المقاولات.. وخادمات أجنبيات لايعرفن الاسلام ولايتحدثن العربية فى البيوت المصرية.. ومنتجات أجنبية تكاد تسيطر على السوق المصرية وتطرد منها الانتاج المحلى.. وصفوف من القيادات تنتظر فرصة لاتأتى.. وملايين الشباب فى انتظار فرصة عمل سواء فى مجال التخصص أو أى مجال آخر.. أين التخطيط العلمى؟؟

●●●

نايل سات ١٠١ ثم نايل سات ١٠٢ طاقات تكنولوجية هائلة وقنوات للاتصالات والبث الاذاعى والتليفزيونى بالعشرات امكانات ضخمة توضع فى خدمة القيادة الاعلامية والريادة الاعلامية.. متى يواكب ذلك تطوير حقيقى لنشرات الاخبار والبرامج؟؟ مجرد سؤال؟؟

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾** صدق الله العظيم. سورة البقرة آية ١٣٢.

فى خطوة مفاجئة ودرامية أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية يوم السبت الماضى وقف مارتن انديك سفير الولايات المتحدة لدى اسرائيل عن العمل منذ يوم الخميس الأسبق عن مهامه بصفة مؤقتة والتحقيق معه بتهمة انتهاك المعايير الأمنية للوزارة.. وقال بيان الوزارة إن التحقيقات سوف تجرى حول سوء استخدام انديك للكمبيوتر المحمول وأنه منع من الاطلاع على أية وثائق سرية أو دخول مقر الوزارة فى واشنطن دون حراسة.. وأشار مسئولون فى الوزارة إلى أن التحقيق مع انديك لا يشمل أية اتهامات بالتجسس- على الأقل حتى الان- ومن المقرر أن تستمع لجنة العلاقات الخارجية الأمريكية حول الاجراءات المتخذة مع انديك.

ولعل المفاجأة فى هذا الحدث وتداعياته ترجع إلى أن هذه أول سابقة فى تاريخ الدبلوماسية الأمريكية.. وإلى أن انديك ليس موظفا صغيرا فى احدى الإدارات بهذه الوزارة المهمة ولكنه سفير له وزنه وفى دولة لها أهميتها القصوى كالولايات المتحدة.. وإلى أنه يعد من أهم خبراء الخارجية الأمريكية فى شئون الشرق الأوسط.. وأنه قام بدور مهم فى مراحل التفاوض المختلفة- وخاصة المرحلة الأخيرة- بين الفلسطينيين والإسرائيليين برعاية الرئيس بيل كلينتون ومشاركته شخصيا.. وأن هذه المفاوضات مرت بفترة حرجة بعد فشل مفاوضات كامب ديفيد الثانية.

ورغم أن الحكومة الإسرائيلية رفضت التعليق على المسألة ووصفتها بأنها مسألة داخلية أمريكية فإن مسئولين اسرائيليين أعربوا عن امكان استمرار انديك فى لعب دور فى الاتصالات الجارية حاليا رغم قرار وقفه.. ولكن زعماء اليهود فى العالم والمسئولين الاسرائيليين بدأوا حملة منظمة واسعة النطاق للدفاع عن انديك ليس بصفته سفيرا أمريكيا فى اسرائيل بل بصفته فى الأصل يهوديا، وأثار أبى فوكسمان مدير عام رابطة مناهضة التشهير الامريكية شكوكا حول احتمال وجود عداء للسامية وراء وقف انديك عن مهامه، وقال فوكسمان فى تصريح لإذاعة الجيش الاسرائيلى إن ما يدفعه للقول بذلك أن انديك يهودى وأن جميع المسئولين الأمريكيين الذين يجتهدون فى عملهم يستخدمون أجهزة كمبيوتر محمولة حكومية للعمل سواء بالمكتب أو المنزل.. بينما أشاد متحدث باسم ايهود باراك بمارتن انديك ودوره فى عملية السلام وأنشطته لتقوية العلاقات الاسرائيلية الأمريكية.

والاسئلة الحائرة التى تبحث عن أجوبة بعيدا عن التحقيقات ونتائجها هى هل يدفع انديك ثمن أخطاء أو انحرافات ارتكبها غيره من موظفى الخارجية الأمريكية؟؟ وهل صحيح أنه يمكن أن يكون قد وقع فى غفلة منه فى حبائل الاجراءات الأمنية المشددة التى فرضتها الخارجية الأمريكية مؤخرا بعد عدة انتهاكات ارتكبها العاملون فى الوزارة؟؟ أم أن انديك اليهودى الذى لم يحصل على الجنسية الأمريكية إلا فى عام ١٩٩٣ والذى يحتفظ بعلاقات قوية مع قوى الضغط اليهودية فى أمريكا والذى هو عضو فى أكبر منظمة موالية لاسرائيل فى الولايات المتحدة (إيباك) يدفع ثمن محاولته الظهور فى ثوب من يحاول أن يقوم بدور

موضوعى ومحايد بين الفلسطينيين والاسرائيليين؟؟ فى هذا الصدد تشير بعض المصادر إلى أن انديك كان قد أدلى منذ أيام بتصريح حول القدس قال فيه إن القدس مدينة مقدسة للغاية لدى اليهود لكنها على نفس القدر من القدسية للمسلمين والمسيحيين وأنه لا يوجد حل سوى اقتسام المدينة المقدسة بين الاطراف الثلاثة، وقد أغضب هذا التصريح اسرائيل بشدة مما دعا الخارجية الأمريكية إلى اعلان أن ما صرح به انديك يعبر عن رأيه الشخصى وليس له علاقة بالموقف الرسمى للإدارة الأمريكية، فهل قامت مادلين أولبرايت- اليهودية- وزيرة الخارجية الأميريكية بمعاقبة مارتن انديك. اليهودى. السفير الأمريكي فى اسرائيل على مجرد ادلائه بتصريح لا يتوافق مع مطالب اسرائيل؟! وهل هى رسالة مؤداها أنه لا يحق لأحد أن يقول إلا ما تقوله الحكومة الاسرائيلية حتى ولو كان مسئولا أمريكيا يهوديا؟؟ ربما.

●●●

●● رغم ايمانى بأن صدام حسين ونظامه القائم فى بغداد هو السبب الرئيسى والأساسى لكل الكوارث التى انهالت على رؤوس الشعب العراقى وأحد الأسباب الرئيسية للمصائب التى تعيش فيها الأمة العربية منذ غزو العراق للكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠ فاننى أحيى أى خطوة تتخذها روسيا وفرنسا وأى دولة أخرى عربية أو غير عربية لكسر الطوق المفروض على العراق ونسف العقوبات المطبقة بكل شدة لسبب بسيط جدا هو أن أى نجاح فى هذا التحدى يمثل فشلا للسياسة الأمريكية واثباتا لكون أمريكا ليست صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة فى العالم.. وكما كتبت من قبل مزيدا من الفشل للسياسة الأمريكية.. يارب..

●● اتابع مباريات ومسابقات دورة سيدنى الأوليمبية بمزيج من الاعجاب والسعادة والحسرة.. أما الاعجاب والسعادة فمردهما إلى حسن التنظيم وسلاسة الحركة فى كل الميادين سواء ما تظهره لنا كاميرا التليفزيون أو يرد فى الاخبار والتقارير الصحفية.. وكذلك روح التنافس القتالية التى تحافظ فى نفس الوقت على احترام المنافس والالتزام بالقواعد وروح الوطنية التى تدعو كل رياضى إلى بذل أقصى ما عنده لكى يرتفع علم بلاده بين أعلام الدول.. وأما الحسرة فلأننا مع تاريخنا الطويل فى الرياضات المختلفة لم نصل إلى أى دور نهائى فى أى لعبة ولم نحصل على أى ميدالية ولا حتى خشبية مما يجعل الانسان يتساءل فى حسرة ما جدوى الاتحادات الرياضية التى عندنا؟؟ وماذا تفعل هذه الاتحادات؟؟ وما هى ثمرة الملايين التى تنفق هباء فى كل مجال؟؟ وأسئلة أخرى كثيرة لا يتسع المجال لها.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾** سورة المائدة آية ٤٨.

أكدت الاحداث الدامية التى تشهدها القدس والأراضى العربية الفلسطينية المحتلة عدة حقائق ظاهرة ومؤلمة حاولنا دائما تجاهلها والتغافل عنها:

●● الحقيقة الأولى أن اسرائيل هى عصابة بحجم دولة.. وأن حكامها مجرمون فى ثياب زعماء سياسيين.. وأنها نموذج للعنصرية ورمز للارهاب الرسمى.. وأن حكومتها المتعاقبة لم تسع الى السلام قط بل كان كل سعيها بهدف الاستيلاء على مزيد من الارض وامتلاك مزيد من عناصرالقوة لفرض الهيمنة والسيطرة على المنطقة.. وأن ما أبدته هذه الحكومات من مرونة ظاهرية من بعد مؤتمر السلام فى مدريد عام ١٩٩١ كان الهدف منه الوصول بالسلام الى الاهداف التى لم يتمكنوا من الوصول اليها كاملة بالحرب.. وخداع الفلسطينيين والعرب بإنشاء كيان فلسطينى شكلى كسيح خاضع تماما للسيطرة الإسرائيلية.. والوصول من خلال ذلك الى السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية على المنطقة.

●● الحقيقة الثانية هى أن الشريك الأمريكى الذى ألقى العرب بكل أوراق الحل بين يديه ليس فى الحقيقة شريكا نزيها أو موضوعيا أو محايدا بل هو شريك منحاز.. ورغم أن هذه الحقيقة ظاهرة منذ قيام اسرائيل فانها تنامت وتضاعفت آثارها فى الحقبة الأخيرة.. وفى الوقت نفسه فإن العرب تغافلوا عنها وتعاملوا مع هذا الشريك على أنه الأمل الوحيد فى الحل وأنه القوة التى لا بديل لها فى محاولات الحل.. ولو أن ما يجرى الآن فى الأرض المحتلة من استخدام للأسلحة المحرمة دوليا فى مواجهة شعب أعزل لا يملك فى كفاحه إلا أحجار الأرض قد وقع فى مكان آخر لهاجت الولايات المتحدة زعيمة العالم الحر وحامية حمى الحريات والمدافعة عن حقوق الانسان وهددت بالتدخل العسكرى بل لتدخلت عسكريا لأسباب أقل أهمية من محاولات قمع شعب وإبادته اذا أمكن كما يجرى الآن.. ولم يزد رد الفعل الأمريكى عن صدور تعليق هزيل وهزلى من فيليب ريكر المتحدث باسم الخارجية الأمريكية ليس له أى قيمة ولا تأثير.

●● الحقيقة الثالثة أن الشعوب دائما أكبر من القادة.. وأن الشعب الفلسطينى هو الأهم وهو الأبقى وهو الأكبر من عرفات ومن كل أجهزة السلطة الفلسطينية.. وقد صبر هذا الشعب طويلا على أمل أن تتحقق له أحلامه أو بعض أحلامه فى الدولة المستقلة وفى تقرير المصير.. وتحمل الكثير من القمع والخسف والجور والاذلال سواء من سلطات الاحتلال الاسرائيلى أو من السلطة الفلسطينية التى عملت طوال الوقت على عدم اثارة المشكلات أو وضع العراقيل أمام أحلام أو أوهام السلام.. حتى اذا وصل الأمر إلى حد تدنيس الحرمات والمقدسات بأقدام مجرم مثل اريل شارون صاحب التاريخ الاجرامى الطويل الذى حاول دخول المسجد الأقصى فى حماية ثلاثة آلاف جندى مدججين بالسلاح لم يجد الشعب الفلسطينى

الأعـزل أمـامــه سـوى أن يسـد بـأجـسـاد أبنـائه الطرق أمـام هذه الحـفنة من المـجـرمـين المحـتـرفين.. ولم يبـال بأن يدفع ثمنا لذلك أرواح العشـرات من الشهداء واصابة المئات من الشبـاب والشيوخ والاطفـال ومن الرجـال والنسـاء على حد سواء.. وسيبقى يوم الخميس ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠ يومـا من الأيام المجيدة التى تسجل فى تاريخ نضال الشعب الفلسطينى ضد العنصرية الصهيونية والارهاب الرسمى.. واذا كان الشعب الفلسطينى قد تمسك حتى الآن بأن تكون انتفاضته انتفاضة حجارة تذكر بالانتفاضة الأولى التى كانت سببا رئيسيا من أسباب التعجيل بمفاوضات السلام فما الذى يمنع من تصعيد هذه الانتفاضة؟؟ وما الذى يمنع مستقبلا من لجوء الشعب الفلسطينى من استخدام السلاح فى مواجهة القتل العمد الذى تمارسه السلطات الاسرائيلية.

●● الحقيقة الرابعة أن ردود الفعل العربية ما زالت- كما هى العادة- دون مستوى التحدى.. فقد اثبتت الاحداث طوال السنوات الماضيـة أن اسـرائيل تبنى كل تصـرفاتها وترتكب كل جرائمها مستندة الى الدعم الامريكى المطلق والى سلبية رد الفعل العربى الذى لم يتجاوز الاستنكار والشجب والبيانات الانشائية التى لم تصل فى أى وقت الى حد وقف خطوات التطبيع أو التوقف عن الهرولة فى اتجاه اسرائيل أو تعليق الاتصالات العلنية أو السرية التى تستهدف استرضاء الدولة العبرية سبيلا الى كسب ود السيد الأمريكى المطاع، وما يسرى على الموقف العربى يسر بالتالى على مواقف الدولة الاسلامية.

●● الحقيقة الخامسة أن أى حديث عن الشرعية الدولية والمنظمات العالمية والأمم المتحدة ومجلس الأمن هو نوع من العبث وتضييع الوقت.. فإن الشرعية الدولية هى شرعية عرجاء وحولاء.. والموازين والمكاييل ليست فقط مزدوجة بل مختلة ويتم تفصيلها لكل حالة حسب ارادة القوة العظمى الوحيدة فى العالم.. وقرارات الامم المتحدة ومجلس الأمن فيما يخص الصراع العربى الاسرائيلى لاتساوى الأوراق المطبوعة عليه ولا الحبر الذى كتبت به..

وفى ضوء هذه الحقائق كلها تبقى بقعة الضوء الوحيدة هى كفاح الشعب الفلسطينى وهبة الشعوب العربية. ولو بالكلمة. ليعرف العالم ان الامة العربية ليست جثة هامدة لا حياة فيها.. ولتعرف اسرائيل ان حمامات الدم المتدفقة فى الارض الفلسطينية يمكن ان يكون أحد روافدها من دماء الاسرائيليين أنفسهم.. ولعل وعسى..

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: ﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيدكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين**﴾ صدق الله العظيم. سورة التوبة آية ١٤.

أكتب هذه الكلمات قبل ساعات قليلة من موعد بدء أعمال قمة شرم الشيخ التى قبلت مصر استضافتها انطلاقا من مسئولياتها القومية.

ويمكن وصف قمة شرم الشيخ بأنها قمة منع الانفجار.. لأنها تعقد والأوضاع فى المنطقة مهيأة للانفجار ما لم يحدث تحرك حقيقى وفعال لنزع فتيل الانفجار يليه تحرك لإعادة الحياة إلى عملية السلام.. فالظروف التى استجدت خلال الاسبوعين الماضيين والعدوان الإرهابى الهمجى الذى قامت به القوات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى أصاب عملية السلام فى مقتل ونسف جسور الثقة التى بذلت جهود مضنية لبنائها بين الإسرائيليين والفلسطينيين منذ مؤتمر مدريد فى أكتوبر عام ١٩٩١، وأزال أوراق التوت فقد ظهرت إسرائيل على حقيقتها كدولة لا ترغب فى سلام حقيقى ولكن سلام يحقق المطامع الإسرائيلية فقط دون النظر إلى حقوق الآخرين، وظهرت بشكل سافر حقيقة الانحياز الأمريكى المطلق والحماية الأمريكية الكاملة المسبغة على إسرائيل بصرف النظر عن الحق والعدل والشرعية الدولية، وبالمقابل فإن هذا العدوان الإرهابى المخطط كشف حقيقة أن الأماكن المقدسة فى القدس ليست قابلة للتنازل.. وكشف حقيقة أن الشعب الفلسطينى المجرد من السلاح على غير إرادته ما زالت لديه جذوة المقاومة وأنه مستعد لأن يقف بأجساد أبنائه مقابل الدبابات والمدرعات والمروحيات والصواريخ الإسرائيلية، وكشف أيضا أن الشعوب العربية ليست جثثا هامدة وأن الرغبة فى المقاومة والاستشهاد موجودة بل ومستعرة ولو فتحت الحكومات العربية الباب لهذه الرغبة فإن ملايين من الشباب- شبانا وشابات- سوف يتدفقون فى اتجاه بيت المقدس بسلاح أو بلا سلاح، أيضا فقد كشفت الأحداث أن للتداعيات الخطيرة لما يحدث على أرض فلسطين لا تقتصر على فلسطين وحدها ولا على المنطقة وحدها بل إن آثارها السلبية من النواحى السياسية والاقتصادية تمتد لتشمل العالم كله.

وإذا عدنا أسابيع قليلة إلى الوراء وذهبنا بذاكرتنا إلى مؤتمر كامب ديفيد الثانى فإننا سوف نكتشف أن «حبس» ياسر عرفات وأعضاء الوفد الفلسطينى لمدة أسبوعين تحت ضغوط اسرائيلية وأمريكية هائلة لم يدفع الرجل للتنازل فيما يخص القدس.. وبالطبع فقد كان لموقف مصر والسعودية الداعم لعرفات أثره فى شد أزره وتعزيز موقفه الرافض للاستسلام رغم كل ما ينسب للقيادة الفلسطينية من أخطاء فى معالجة القضية منذ البداية.

ومن ثم فإن هذا الرفض الفلسطينى هو السبب الحقيقى فى الزيارة المشئومة التى قام بها الإرهابى اريل شارون للحرم القدسى وما أعقبها من عدوان إسرائيلى شامل على الشعب الفلسطينى.. فقد أرادت الحكومة الإسرائيلية أن تكسر شوكة مقاومة الشعب الفلسطينى وأن تلغى السلطة الفلسطينية بضرب مواقعها دون أى رد فعل مؤثر من جانبها وأن تعيد الأمور إلى نقطة الصفر وأن توجه رسالة واضحة للشعوب والحكومات العربية بل وكل دول العالم بأنها وقد تحولت اسرائيل إلى ترسانة حربية وتحول الشعب الإسرائيلى إلى شعب «معسكر»

يعيش على التوتر والاستنفار.. وما دام ذلك كله مدعوما بلا حدود من ا لأم أمريكا فإنها- أى الحكومة الإسرائيلية- ماضية فى عدوانها وتنفيذ سياسات الاستعمار الاستيطانى التى تنتهجها دون اعتبار لأحد.

ولكن.. من الواضح أن عوامل المقاومة واحتمالات الانفجار صارت واضحة بحيث يمكن أن تطول إسرائيل نفسها وتطول مصالح الولايات المتحدة فى المنطقة وفى أنحاء أخرى من العالم.. بل إن العالم كله يمكن أن يدفع بشكل أو آخر ثمن المغامرات الإسرائيلية الحمقاء.. ومن ثم كان لابد من اجتماع ينزع فتيل الانفجار ويهيىء الأجواء لمحاولة بناء الثقة من جديد بحيث يتم وضع عملية السلام على الطريق مرة أخرى وفق رؤى ومفاهيم مختلفة.. واذا كان قد جرى خلال الفترة الماضية انفراد الولايات المتحدة بالأمور انفرادا كاملا رغم تحيزها السافر وتواطؤها السخيف فإن الجديد أن أوروبا تحركت لأول مرة.. والأمم المتحدة أدركت المخاطر.. ومن ثم يحضر المؤتمر أمين عام الأمم المتحدة كوفى عنان وممثل الاتحاد الأوروبى خافيير سولانا.. واذا كان الاثنان غير مؤثرين فى اتخاذ قرارات مهمة فعلى الأقل هما شاهدان دوليان محايدان يفترض أنهما غير صاحبى مصلحة فى الانحياز لإسرائيل.

وبعد.. اذا كان الانسان يتمنى أن تنجح قمة شرم الشيخ فى نزع فتيل الانفجار ووقف العدوان على الشعب الفلسطينى وتشكيل لجنة دولية تحقق فى الأحداث وتهدد وتدين المعتندين فإن الآمال المعقودة على القمة العربية المنتظرة يوم السبت القادم أكبر وأشمل.. وكما ذكرنا فى مقالات سابقة فإن المطلوب من هذه القمة ألا تحصر همها فى اللحظة القائمة بكل مرارتها وأن تكون رؤية مستقبلية سواء فيما يتعلق بعملية السلام مع اسرائيل أو فيما يتعلق بالواقع والمستقبل العربى سياسيا واقتصاديا وعسكريا.. ولقد كان يقال دائما إن العرب تجمعهم المأساة ويفرقهم الفرح.. ونحن نتمنى أن تجمعنا المأساة الحالية التى تمثل تحديا لإرادة الحياة عند العرب وألا تفرقنا الأفراح اذا كان هناك مجال لأى أفراح فى الحياة العربية المليئة بعوامل الاحباط.

●●●

●● تفجير المدمرة الأمريكية فى ميناء عدن.. انفجار السفارة البريطانية فى صنعاء.. أسر ضابط إسرائيلى فى لوزان بسويسرا.. مهاجمة الطلبة لإحدى الشركات التجارية فى المعادى.. المظاهرات الساخطة فى كل مدن العالم بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية.. كلها مؤشرات للمخاطر الجمة القادمة اذا لم يتحقق سلام حقيقى عادل ويتوقف العدوان الإسرائيلى الأمريكى.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾** صدق الله العظيم. سور المائدة آية ٦٦.

حارب وتحدث عن السلام..

أقتل وسارع بالشكوى واتهام الآخرين.. هذا هو أحد وجوه الفكر والسلوك الإسرائيلى.. ووضع هذا الفكر من هذا الجانب موضع التنفيذ فى مجال العلاقات الدولية يتطلب قدرا هائلا من المقدرة على الكذب والخداع والتلفيق وتزييف الحقائق والابتزاز والتآمر.

ونظرة على ما يجرى فى الأراضى الفلسطينية المحتلة يؤكد هذه الحقيقة.. فالجريمة الإسرائيلية المستمرة منذ أكثر من شهرين كانت مقصودة ومخططة ومدبرة ولم تكن تحتاج إلا لحدث يشعل الفتيل.. وكان هذا الحدث ذاته المتمثل فى الزيارة الدنيئة التى قام بها السفاح أرييل شارون ليدنس بها المسجد الأقصى مقصودا ومحسوبا ومعروفا رد فعله مسبقا.. كان معروفا أن وجود شارون فى ساحة الحرم القدسى سوف يستفز مشاعر الفلسطينيين وأنهم سيتظاهرون ضده.. ولذلك تمت الزيارة فى حراسة ثلاثة آلاف جندى مدججين بالسلاح وبمجرد تظاهر الفلسطينيين تظاهرا سلميا انطلقت آلة القتل الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى الأعزل تحصد الأرواح ولا تفرق بين شاب فى سن الجهاد أو شيخ كبير لا يستطيع حمل حتى حجر أو طفلة رضيع على كتف أمها.

وفى الوقت الذى ارتفع فيه عدد الشهداء ليزيد على ثلاثمائة من الرجال والنساء والاطفال ويتجاوز عدد الجرحى سبعة آلاف.. وفى الوقت الذى فرضت فيه إسرائيل على الشعب الفلسطينى حصارا مميتا.. وفى الوقت الذى تعمل فيه آلة الحرب الإسرائيلية على تدمير البنية التحتية للسلطة الفلسطينية تحاول آلة السياسة الإسرائيلية أن تضلل العالم باختراع قصص وحكايات عن العنف الفلسطينى وتحاول أن تقنع العالم رغبتها فى السلام ومسئولية الجانب الفلسطينى عن استمرار العنف وتوقف عملية السلام وذلك من خلال طرح أفكار تبدو ظاهريا معبرة عن رغبة فى تحريك عملية السلام لكنها فى حقيقة الأمر تسويف ومماطلة وتصفية للقضية الفلسطينية وتراجع عن كل الالتزام.

❁❁❁

❁❁ ولماذا نذهب بعيدا؟؟ أليست مصر فى حالة سلام مع إسرائيل؟! أو ليست هناك علاقات دبلوماسية وتجارية ومحاولات مستمرة من الجانب الإسرائيلى لإقامة علاقات ثنائية واستعجال لتطبيع العلاقات بين البلدين؟! أليست هناك اتفاقيات ملزمة لكلا البلدين كل منهما تجاه الآخر؟! أليست ثمة محاولات مستمرة لإشاعة ثقافة السلام؟! اذا كانت الإجابة بأن ذلك كله موجود وحقيقى.. واذا كان ألوف من الإسرائيليين يدخلون مصر تحت ستار السياحة ويجمعون المعلومات ويصورون ويحللون ويحاولون اقامة علاقات مع أبناء الشعب المصرى فما هى حاجة اسرائيل لتجنيد الجواسيس وجمع المعلومات عن الجيش المصرى



وعن المشروعات الاقتصادية الكبرى؟! إن ثمة حقيقة تقول إن عمل المخابرات ونشاط التجسس لا يتوقف فى السلام ولا يقتصر على أوقات الحرب بل هو عمل مستمر وإنما تتغير اتجاهاته ومجالاته بين أوقات الحرب والسلام.. وهذه الحقيقة أظهر ما تكون من جانب إسرائيل.. فهى لا تفرق بين أوقات الحرب والسلام.. ونشاط مخابراتها وعملياتها القذرة لا تتوقف.. والجاسوس شريف الفيلالى هو مجرد حلقة فى سلسلة طويلة من أعمال التجسس ضدنا والتى تشير إلى أن حديث اسرائيل عن السلام لا يصدر عن قناعة حقيقية.

***

•• بالشرع هذا حرام يستحق العقاب فى الدنيا والآخرة.. وبالقانون هذه جريمة تقتضى المحاكمة والعقوبة.. منذ أيام قامت الشركة المكلفة بتنفيذ خطوط للتليفون بالحفر فى ميدان حلمية الزيتون والشوارع المحيطة به (سليم الأول- عين شمس- ابن الحكم).. وقامت عربة رمال بتفريغ حمولتها لاستخدامها فى عمليات الردم.. وجاء «لودر» فى الليل وحمل كمية من الرمال فقتل شابا مشردا كان ينام داخل كيس.. بقيت الجثة فى مكان الحادث يوما أو بعض يوم إلى أن جاءت الشرطة وعاينت مكان الحادث وتم نقل الجثة التى لم يتعرف عليها أحد.. أهال عمال الشركة الرمال مكان الحفريات وانصرفوا بعد أن تركوا ميدان حلمية الزيتون والشوارع المحيطة به وقد تحولت إلى مصائد للناس والسيارات فمن الذى يحاسب؟!.

اختتمت فى طابا يوم السبت الماضى جولة المفاوضات الأخيرة بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى.. فى ختام المفاوضات صدر بيان مشترك كما عقد مؤتمر صحفى مشترك لأحمد قريع رئيس فريق التفاوض الفلسطينى وشلومو بن عامى رئيس الفريق الإسرائيلى وحرص الاثنان على تأكيد أهمية هذه المفاوضات وعلى أنها كانت ايجابية وبناءة وعميقة وأنها تناولت القضايا الأربع الرئيسية المعلقة القدس.. اللاجئون.. الحدود.. الأمن.. وهى القضايا التى يتوقف على حسمها مصير عملية السلام برمتها.. كما أعلن الجانبان استئناف المفاوضات بعد الانتخابات السرائيلية المبكرة المقدر لها أن تجرى يوم ٦ فبراير القادم.

ودون محاولة للتشكيك فى قيمة وجدوى هذه المفاوضات والنتائج المتوقعة منها فإنه لا يمكن التعامل معها إلا فى سياق وفى اطار الظروف الموضوعية المحيطة بعملية التفاوض.

فمن ناحية فإن استمرار التفاوض أمر مهم حتى وان لم تصل المفاوضات الى النتائج المرجوة منها لأن بدائل التفاوض هى اما الانفجار الذى لا يمكن لأحد أن يتكهن بنتائجه وإما الجمود الذى يؤجل القضية الفلسطينية إلى أجل غير مسمى.

ومن ناحية أخرى تأتى هذه المفاوضات والانتفاضة الفلسطينية مستمرة وقابلة للتصعيد رغم القمع الإسرائيلى.. واستمرار الانتفاضة بكل ما يعنيه من تضحيات جسيمة يدفعها الشعب الفلسطينى تمثل عامل استنزاف وقلق وتوتر لإسرائيل حيث تبقى القوات الإسرائيلية فى حالة استنفار مما يعنى تحميل الخزانة الإسرائيلية مليارات الدولارات ويعطل آلة الانتاج الإسرائيلية إلى حد كبير.

ومن ناحية ثالثة فإن هذه المفاوضات تأتى والطرف الفلسطينى وكذلك الطرف الاسرائيلى بل وكل الاطراف المعنية بعملية السلام تعرف أن ثمة ثوابت لا يمكن للمفاوض الفلسطينى أن يتنازل عنها وخطوطا حمراء لا يمكن تخطيها.. ويعرف الجميع أيضا أن الطرف الفلسطينى يستطيع أن يقول لا.. وأن يتمسك بهذا الموقف مهما كانت الضغوط أو الاغراءات وهو الموقف الذى ظهر واضحا منذ كامب ديفيد الثانية حتى الآن.

ومن ناحية رابعة فإن استجابة الطرف الإسرائيلى لهذه المفاوضات وحرصه على التأكيد على ايجابياتها وعمقها ونية استئنافها بعد الانتخابات الإسرائيليلة تعنى بكل وضوح أن عملية السلام هى جزء أساسى- بل قد تكون الأساسى- فى لعبة الانتخابات الإسرائيلية القادمة التى يتصارع فيها بكل قوة حزب العمل بزعامة رئيس الوزراء- المستقيل- ايهودا باراك وتكتل الليكود بزعامة السفاح أرييل شارون.. ففى الوقت الذى جرت فيه هذه المفاوضات وفى الوقت الذى أطلق فيه شارون ومساعدوه سيلا من التصريحات النارية التى تنبىء عن نوايا اجرامية ارهابية تجاه الفلسطينيين بل وكل العرب وتجاه عملية السلام برمتها كشفت الأنباء عن اتصالات سرية تجرى بين شارون وبين الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات.. أى أن

الفلسطينيين هم عنصر فعال فى المعادلة السياسية الإسرائيلية.. وان أى سياسى إسرائيلى مسئول سواء أكان باراك أم شارون لا يستطيع أت يعيد عجلة التاريخ إلى الوراء وأن يلقى بعملية السلام فى أتون العنف الذى لابد أن تدفع إسرائيل ضريبته مهما بدا أنها تمتلك عناصر القوة والتدمير والضغط، واذا كان الأمر كذلك فإن على الفلسطينيين أن يغتنموا الفرصة.

وأن يتمسكوا بثوابتهم مهما بلغت التهديدات.. وعلى العرب أن يوحدوا كلمتهم فى هذه المرحلة أخذا فى الاعتبار أن الإدارة الأمريكية الجديدة قد تكون أفضل- ولو قليلا من الإدارة السابقة فيما يخص التعامل مع قضية السلام فى الشرق الأوسط.

●● قبل حرب أكتوب ١٩٧٣ كانت امكانات دول الخليج متواضعة.. وبعد الحرب حدثت الطفرة البترولية التى ضاعفت دخل هذه البلاد عشرات المرات.. وتفتحت أسواق هذه البلاد لانتاج كل دول العالم.. وكانت أمامنا فرصة تاريخية لامتلاك أسواق هذه البلاد بالانتاج الجيد والاسعار المعتدلة والتعبئة المتميزة وتقارب الأذواق والالتزام بالمواصفات والمواعيد.. وكانت الفرصة سانحة لحصد عشرات المليارات من الدولارات من التصدير لهذه الدول.. ولكن ذلك لم يحدث.. وحدث أن دول آسيا بدءا من كوريا الجنوبية- الرأسمالية- إلى الصين- الشيوعية- غزت هذه الاسواق وأقفلت أسواقها- تقريبا- فى وجه المنتجات المصرية خاصة الصناعية.. أكثر من ذلك فإن منتجات الصين قد غزت الاسواق المصرية بما يشبه الوباء ونافست صناعتنا فى عقر دارها.. كل هذا والمجالس واللجان تجتمع وتنقض ثم تجتمع لتناقش مشكلات التصدير وزيادة الصادرات وحوافز المصدرين..!!

●●●

●● شدت الحكومة حيلها وشنت حملة على شركات الصرافة وفرضت عليها عقوبات تتراوح بين الغلق لفترات متفاوتة وبين سحب التراخيص حسب حجم المخالفة والاصرار عليها ووضعت سقفا لسعر الدولار مع هامش مرن للزيادة لا يجوز تخطيه.. هذا مع العلم بأن شركات الصرافة لا تتحكم إلا فى ١٥ بالمائة فقط من حجم التعامل فى العملات الحرة ومن ثم فالمفترض ألا يكون لها التأثير الجسيم الذى حدث فى أسعار صرف الدولار.. والسؤال البسيط الذى يطرحه الشارع هو: هل هذه الاجراءات تضمن عدم عودة الالتهاب الى سعر الدولار بعد بضعة أشهر؟! وهل شركات الصرافة هى المسئولة أم ان هناك أسبابا أخرى أهم وهى الخلل فى ميزان المدفوعات وأزمة السيولة والركود الاقتصادى التى فى مجملها تجعل الحاجة متزايدة للدولار مما يرفع سعره مهما كانت الاجراءات الحكومية العقابية؟!

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾** صدق الله العظيم. سورة القصص آية ٦٠.



استهلت الإدارة الأمريكية الجديدة برئاسة جورج بوش عهدها مع العرب أسوأ استهلال.. وبعثت برسالة شديدة الاحباط لكل من راهنوا على موقف أمريكى منصف تجاه القضايا العربية وفى مقدمتها قضيتان لهما الأولوية الأولى وهما: قضية السلام فى الشرق الأوسط.. وقضية رفع الحصار عن الشعب العراقى.. ففى الوقت الذى دارت فيه الاحاديث همسا وجهرا عن مرحلة ما بعد رفع الحصار وامكانات هذا الرفع والجهود التى تبذل لاجراء مصالحة عربية شاملة تقوم على التزام العراق بالقرارات الدولية واحترامها لسيادة دولة الكويت.. وفى الوقت الذى توقع الكثيرون موقفا أمريكيا أكثر فاعلية تجاه السياسة الإسرائيلية الغاشمة ضد الشعب الفلسطينى الأعزل إلا من الطوب والحجارة فى مواجهة الدبابات والطائرات والصواريخ.. فى نفس هذا الوقت جاءت الرسالة الأمريكية لتقتل الأمل فى النفوس وتغذى العنف والتعنت من جانب إسرائيل.. الرسالة الأمريكية كانت من شقين:

●● **الشق الأول** الذى يخص قضية السلام بدءا من العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية يساوى فى العنف بين فتى فلسطينى لا يملك إلا صدرا عاريا وقطعة حجر فى يده وبين جندى اسرائيلى مدجج بأحدث ما فى ترسانة اسرائيل وأمريكا من الأسلحة التقليدية وغير التقليدية.. ويساوى فى المسئولية بين شعب محاصر مسالم يبحث عن حق العيش والعمل والانتقال وبين مستوطنين مسعورين مدعومين بحكومات متعاقبة تغذيهم وتيسر لهم كل سبل الاستيلاء على الأرض والمبانى وطرد الفلسطينيين منها بالبطش والقهر والقتل اذا احتاج الأمر وتفعل ذلك لا خوفا من هؤلاء المستوطنين ولكن لأنهم الأدوات التى تنفذ سياسات هذه الحكومات للتوسع فى تهويد الأراضى الفلسطينية حتى تنسف حلم الدولة الفلسطينية المستقلة بجعل الأراضى الفلسطينية المستعادة- اذا جرت استعادتها وتحريرها- مجرد أشلاء لا رابط بينها.. وفى هذا الموقف الأمريكى تشجيع لسياسات العنف والتشدد والبطش التى انتهجتها الحكومات الاسرائيلية والتى يمثلها بقوة أرييل شارون رئيس الوزراء الاسرائيلى المنتخب الذى يمثل فوزه فى الانتخابات فوزا وانتصارا لتيار التشدد فى الشارع الاسرائيلى والذى يعد لتشكيل وزارة وحدة وطنية تضم كافة التيارات بما فيها حزب العمل المنافس التقليدى لحزب الليكود الذى يتزعمه شارون.. وفى مثل هذه الظروف فإن الحديث عن سلام عادل وشامل ومن ثم دائم هو حديث مؤجل إلى أجل غير مسمى.

●● **الشق الثانى** الذى يخص قضية العراق.. ففى الوقت الذى كان الجميع يراهنون على قرب رفع الحصار عن العراق اذا بالطائرات الأمريكية والبريطانية تنطلق من قواعد فى دول الخليج لتضرب العراق فتقتل وتصيب المدنيين.. وذلك فى الوقت الذى تستعد فيه دول المنطقة لاستقبال وزير الخارجية الأمريكى الجديد كولن باول الذى نذكر القارىء بأنه كان رئيس الاركان فى الجيش الأمريكى إبان عاصفة الصحراء فى حرب الخليج الثانية والذى قاد عملية تدمير القوة العسكرية للعراق.

والرسالة هنا واضحة تماما.. فالمقصود هو ألا تتم المصالحة العربية.. وألا يتم رفع الحصار عن العراق.. وأن يظل الصف العربى ممزقا حتى لا يحدث أى نوع من الضغط على اسرائيل.. وان يدخل العرب قمة عمان فى مارس القادم وهم منشقون على بعضهم البعض ومتنافرون.. وان يتم تفريغ هذه القمة مقدما من أى قوة دافعة فى اتجاه توحيد الصف العربى تجاه القضايا المصيرية.

وهذه الرسالة من الولايات المتحدة ليست مفاجأة وليست صدمة بالنسبة للذين يدركون التلازم بين الولايات المتحدة واسرائيل.. ولكنها بلا شك صدمة على المستوى العام.. وذلك لأننا نربط أى تقدم فى مسار الاحداث بانتقال الحكم فى الولايات المتحدة أو اسرائيل من حزب الى حزب ومن شخص إلى آخر.. وهذا فى الواقع ليس عيبا فى الولايات المتحدة ولا فى اسرائيل.. ولكن العيب فينا.. فليست لدينا استراتيجية واضحة وأهداف بعيدة المدى وأخرى مرحلية نصر عليها وندافع عنها.

والسؤال الذى يتعين علينا نحن العرب والمسلمين هو: هل وصلتنا الرسالة؟! وهل فهمناها واستوعبناها؟ وماذا نحن فاعلون إزاءها؟!

●●●

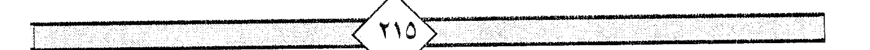
●● أعلن ياسر عرفات ان أريل شارون رئيس الوزراء الاسرائيلى المنتخب خطط لاغتياله ١٣ مرة.. وإيهود باراك رئيس الوزراء الحالى شارك فى اغتيال الكثير من قادة النضال الفلسطينى.. وآخر خبر.. قدم بوب بار عضو مجلس النواب الأمريكى مشروع قرار يقضى بإلغاء قرارات ثلاثة من الرؤساء الأمريكيين للحد من سلطات الرئيس الأمريكى فى مجال اصدار تعليمات باغتيال الرؤساء الاجانب الذين يعملون ضد المصالح الأمريكية.. يعنى ببساطة تقنين فكر الاغتيال من خلال الكونجرس الأمريكى.. أرأيتم التشابه المطلق؟!!

●●●

●● فى ندوة عقدتها صحيفة «العالم اليوم» قال محمود عبد العزيز رئيس البنك التجارى الدولى حاليا ورئيس البنك الأهلى السابق ورئيس اتحاد البنوك أنه فى عام ٢٠٠٠ هربت من مصر ما بين ستة وثمانية مليارات دولار بسبب أزمة الدولار وعدم التعامل معها بمصداقية وشفافية ومعالجتها كما ينبغى.. هذه المعلومة بحاجة إلى تدقيق ورد إما بالتأكيد على ذكر الاجراءات التى تضمن عدم تكرار ذلك وإما بالنفى مع ذكر الحقائق بكل مصداقية وشفافية.

●●●

●● ما يجرى فى شأن الصيدلانية داليا مجدى منير المتهمة بقتل الاطفال الستة فى عيد الفطر يثير الكثير من البلبلة والأسئلة القلقة- ولا نقول الشكوك- والأمل فى قضاء مصر العادل النزيه الذى يزيل الشكوك ويضىء وجه الحقيقة ويضع الأمور فى نصابها.



عندما أسفرت «تصفيات» انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة عن فوز ال جور نائب الرئيس السابق بترشيح الحزب الديمقراطى وفوز السناتور جورج بوش الابن بترشيح الحزب الجمهورى تسابق السياسيون والمراقبون والمحللون العرب فى المقارنة بين الحزبين والرجلين وسياسة كل منهما ومايمكن ان يتوقع من الفائز منهما بالرئاسة تجاه منطقة الشرق الأوسط وعملية السلام المهددة لا بالتوقف ولكن بالانهيار الكامل بعد فوز جنرال التطرف الإسرائيلى أرييل شارون برئاسة الوزراء فى إسرائيل وهو المعروف بتطرفه وإرهابه وكراهيته للعرب واحتقاره للفلسطينيين وحقده الشخصى على ياسر عرفات باعتباره قائدا ورمزا للثورة الفلسطينية ورئيسا شرعيا للسلطة الفلسطينية معترفا به من العالم بل من الحكومات الإسرائيلية السابقة ذاتها.

ورغم ما تحقق من تحرك على المسار الإسرائيلى الفلسطينى خلال فترتى حكم الحزب الديمقراطى ممثلا فى الرئيس السابق بيل كلينتون فإن غالبية المحللين قد عابوا على السياسة الأمريكية الارتماء الكامل فى أحضان إسرائيل واضفاء الحصانة الكاملة على سياساتها الارهابية وتفضيل مطالب الأمن الإسرائيلية على مقتضيات السلام وواجبات الحفاظ على الشرعية الدولية ومتطلبات احترام المصالح الأمريكية فى الدول العربية.. ومن ثم فقد راهن الكثيرون على أن ادارة الرئيس الجديد جورج بوش الابن ربما تكون أفضل فى موقفها من الادارة السابقة.. ولكن الأسابيع التى مرت منذ اعتلى الرئيس بوش الابن سدة الحكم فى الدولة العظمى فى العالم أكدت صدق المثل العربى القائل: «رب يوم بكيت منه بالأمس فصرت اليوم أبكى عليه» فقد أثبتت أحداث هذه الأسابيع مايلى:

أولا- إن إدارة الرئيس بوش ونائبه ديك تشينى ووزير خارجيته كولن باول أقل اهتماما بمجمل أوضاع المنطقة وبعملية السلام.. وقد ظهر هذا بوضوح فى عدم طرح أى مبادرات أمريكية أو تبنى أى سياسات لدفع عملية السلام.

ثانيا- إن حماية إسرائيل وصيانة أمنها وضمان تفوقها على البلاد العربية مجتمعة من ثوابت السياسة الأمريكية.. وهى أمور لايختلف عليها الحزبان الديمقراطى أو الجمهورى.. واذا حدث خلاف فإن هذا الخلاف يأتى فى اطار الفروق الفردية البسيطة وفى اطار التكتيكات وليس الاستراتيجيات.

ثالثا- إن قبضة إسرائيل واللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة أقوى من أن يفلت منها رئيس أو سيناتور أمريكى.. فهذه القبضة لاتعتمد على عبارات إنشائية أو مخاوف وهمية ولكنها تنطلق من مصالح حقيقية وفعلية موجودة داخل كل المؤسسات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاعلامية فى المجتمع الأمريكى.. ولايقابل ذلك أى تأثير عربى فعال على مراكز صنع القرار فى الولايات المتحدة.. ويستخدم اللوبى الصهيونى مع السياسيين الأمريكيين أسلوب العصا والجزرة.

وأقرب مثال لهذا قصة كلينتون/ مونيكا التى استخدمت بفاعلية هائلة للضغط على الرئيس السابق بيل كلينتون ومنعه بالمقابل من ممارسة أى ضغط على الحكومة الاسرائيلية المتعنتة بشأن الحقوق الفلسطينية المشروعة والمتفق عليها حتى من قبل حكومات اسرائيلية سابقة.. وحتى بعد انتهاء فترة حكم الرئيس كلينتون فإن اللوبى الصهيونى مارس عملية الابتزاز بفتح ملفات فساد سياسى ضد الرئيس كلينتون ثم فتح ملف فضيحة مونيكا من جديد مع مافى ذلك من رسالة واضحة للادارة الأمريكية الجديدة بأن تنتبه ولا تحاول الضغط على إسرائيل والا استخدم معها أسلوب الفضائح سواء وهى فى الحكم ام بعد ترك الحكم.

رابعا- إنه رغم ان ثمة شبه إجماع عالمى على إدانة الارهاب والاجرام الذى تمارسه السلطات الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى بدءا من تدنيس الحرم القدسى إلى فرض الحصار على الأراضى الفلسطينية الى قصف المدنيين إلى السماح لليهود بدخول المسجد الأقصى ومنع المسلمين والمسيحيين من أداء شعائرهم فإن الولايات المتحدة ساوت فى تعاملها بين القاتل والقتيل والمعتدى والمعتدى عليه بل حمت المعتدى وهو الطرف الإسرائيلى ودعت المعتدى عليه وهو السلطة الفلسطينية لوقف العنف.. واستخدمت الفيتو فى مجلس الأمن للحيلولة دون إتخاذ قرار بتوافر الحماية للشعب الفلسطينى.

باختصار فإن أمريكا بوش أسوأ من أمريكا كلينتون.. ومع الاقرار بثوابت السياسة الأمريكية تجاه المنطقة فإن تعبير ادارة بوش عن هذه الثوابت أكثر حدة وفجاجة من ادارة كلينتون.. فلعل كلينتون وقد نجح فى تحقيق تقدم اقتصادى كبير فى فترتى حكمه اراد أن يضيف الى ذلك انجازا خارجيا كبيرا من خلال النجاح فى تحقيق السلام فى منطقة الشرق الأوسط الحيوية لأمريكا.. بينما ادارة بوش لم تكون بعد سجلا من الانجازات لا الداخلية ولا الخارجية فلم تجد ما تبدأ به عهدها على مستوى منطقة الشرق الأوسط سوى ما رأيناه جميعا مما يحبط أى آمال ويبدد كل الرهانات السابقة.

ويبقى أن نقول إن هذا كان متوقعا وأن الرهانات التى توقعت سياسة أكثر اتزانا وعدلا تجاه الشرق الأوسط من جانب الحكومة الأمريكية الجديدة لم تكن دقيقة ولا واقعية.. ولكن الأهم من ذلك ليس ماتفعله إسرائيل ولا ماتفعله الإدارة الأمريكية بنا ولكن الأهم هو ماذا نحن فاعلون.. والأمر المؤكد أن ردود الفعل العربية ستظل مخيبة للآمال طالما أنها ردود فعل وطالما أنه ليست لدينا الشجاعة لتبنى موقفا استراتيجيا يجمع الصف العربى جمعا حقيقيا ويجند طاقات الأمة فى الاتجاه الصحيح.

●●●

●● تريدون القضاء على ظاهرة الدروس الخصوصية؟ فتشوا عن نظام بديل للمجموع فى القبول بالجامعات.

●●●

●● هل من المعقول أن تتحكم فى إيقاع المرور بميدان رمسيس أهم ميادين القاهرة عربة كارو يجرها حصان أو حمار تتجه من الفجالة إلى شبرا أو السبتية دون أن يستوقفها أحد؟!

●●●

●● هل فكر السيد أحمد العماوى وزير القوى العاملة فى القيام بزيارة مفاجئة لأحد مكاتب العمل؟؟ أشك بشدة.. وإلا فليقم بزيارة لمجمع مكاتب العمل بمساكن الشيخ غراب بالقبة بلوك ٦ مدخل ٣.

●●●

●● الخبر المنشور يقول ان عاطلا من الدقهلية ذهب يبحث عن العمل فى الإسكندرية وبينما هو يتمشى على سور الكورنيش سقطت فردة حذائه فى البحر فألقى بنفسه خلفها فلقى مصرعه.. حقا.. ما أغلى الحذاء.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾** سورة النحل آية ١١٤.

● **١٧ أبريل ٢٠٠١**

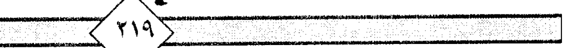
اثبتت الأحداث المتعاقبة على ساحة الصراع فى الشرق الأوسط خلال الأعوام القليلة الماضية كذب مقولة أن فى السياسة الإسرائيلية صقوراً وحمائم.. وأن الجميع يرتدون لباس الصقور.. وأنه لا فرق بين الليكود والعمل ولا بين شيمون بيريز وبنيامين نتنياهو وايهودا باراك وأخيرا السفاح أرييل شارون إلا فى بعض التفاصيل وبعض التكتيكات..

وأثبتت احداث هذه السنوات بل والأسابيع الأخيرة أنه داخل كل صقر إسرائيلى لا حمامة بل دجاجة ترتعد رعبا.. وأن الشراسة التى لا نظير لها والتى يبذلها الساسة الإسرائيليون والجنود الإسرائيليون فى مواجهة الشعب الاسرائيلى لا تنطلق من قوة ذاتية حقيقية وإنما هى انعكاس لحالة الخوف والفزع الداخلى التى هى نفسها ترجمة لإحساس حقيقى بأنهم- أى هؤلاء الساسة والجنود- مغتصبون للحقوق مقيمون على أرض ليست لهم فى الحقيقة وموجودون على حساب شعب عاش على هذه الأرض- فى سلام- آلاف السنين.. وأنهم- أى هؤلاء الساسة والجنود- مرفوضون من كل المحيط الذى يعيشون فيه.. ولأنه لا سبيل لبقائهم إلا بإبادة الآخرين أو إضعافه وإذلاله لأبعد حد ممكن فإنهم تفننوا فى التعلق بالقوى الكبرى وفى إمتلاك عناصر القوة الخارجية.. لعلها تعوض الضعف الداخلى وفى العمل على إضعاف العرب إلى أدنى حد ممكن.. وهكذا فإن ما ينقله لنا التليفزيون وكل وسائل الإعلام الأخرى يقدم لنا الجنود الإسرائيليين وهم لا يتحركون فرادى ولكن فى جماعات.. ويمشى الواحد منهم وهو مدجج بكل وأحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا السلاح فى أمريكا وإسرائيل وأحدث سبل الوقاية.. وبينما مدى السلاح الإسرائيلى يصل مئات.. وربما ألوف الأمتار- وعشرات الأمتار فى أحسن الحالات- ومع ذلك فإن الجنود الإسرائيليين يخشون من الالتحام بالفلسطينيين الذين لا يملكون إلا صدورهم المعرضة لكل أنواع الأسلحة المباحة والمحرمة وسواعدهم المزودة بالأحجار التى ينتقونها من ركامات بيوتهم المنهارة..

وما يصدق على الجنود الإسرائيليين يصدق على الدولة الإسرائيلية ذاتها.. فلأنها قد تدججت بكل أنواع الأسلحة التقليدية وتملكت، أسلحة الدمار الشامل من نووية وكيميائية وبيولوجية.. والتصقت بالقوى الكبرى تستمد منها الحماية والدعم وتقوم لها بدور العميل أو الأداة أو القبضة الحديدية فى مواجهة حكومات وشعوب المنطقة.

أثبتت الأحداث هذه الحقائق لكن العرب لا يستطيعون وربما لا يريدون قراءتها قراءة صحيحة.. وهذه بعض النماذج والأمثلة:

●● لن نتحدث عن حرب أكتوبر باعتبارها كبرى المعارك العربية التى تحقق فيها أول نصر عربى حقيقى غير الموازين وأدى إلى تغيير مسار التاريخ فى المنطقة.. بل نتحدث عن



الانسحاب المهين للقوات الاسرائيلية فى جنوب لبنان بفضل المقاومة الباسلة لحزب الله الذى لا يملك واحدا فى الألف مما تملكه إسرائيل من أسلحة.

●● ستذكر تهديدات مدير مكتب اريل شارون بضرب السد العالى والتراجع المهين فى التصريحات عندما أعلن الرئيس حسنى مبارك موقف مصر بكل صراحة وصرامة.

●● ستذكر ماتم تسريبه من أنباء عن طلب اريل شارون من الرئيس الأمريكى جورج بوش وقف المعونة الأمريكية لمصر والتراجع السريع والجبان عن ذلك عندما أعلن الرئيس حسنى مبارك أنه يعتبر مثل هذا الأمر موقفا عدائياً.

●● ستذكر ما صرح به عوفاديا يوسف زعيم حزب شاس الدينى المتطرف من ضرورة إبادة العرب وتراجعه المهين والجبان عندما تطوع أحد رجال الأعمال الأردنيين وأهدر دم هذا الإرهابى ورصد مبلغا لمن يقتله.

هذه المواقف البسيطة فى وقائعها كبيرة فى دلالاتها.. وهى تؤكد ما ذكرناه فى البداية من أن داخل الصقر الإسرائيلى دجاجة خائفة.. ولكننا نحن الذين نعطى هذه الدجاجة الفرصة لكى تكون صقراً وأن تستبد بنا.. ولكى نعطى هذا العدو حجمه الحقيقى ونكسب معركتنا معه فنحن بحاجة للقراءة الرشيدة للواقع والتعامل بقوة مع هذا الواقع.. وقوة العرب هى فى وحدتهم.. هذه الوحدة هى السبيل الوحيد لإقناع الكبار وردع الصغار.

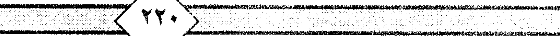
●● هل هناك حد أدنى للتنسيق بين قنوات التليفزيون المصرى الأرضية منها والفضائية؟؟ أشك فى ذلك.. وإلا فما معنى أن تتبارى هذه القنوات لإذاعة حلقات من البرامج الحوارية المختلفة حول قضية «تأجير الأرحام» يستضاف فيها نفس المتحدثين ليقولوا نفس الكلام ويسوقوا نفس الحجج فى الوقت الذى حسم فيه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف هذه القضية مقررا بكل وضوح أن استخدام الرحم البديل أو أم البديلة حرام وقد اتخذ هذا القرار بإجماع أعضاء المجلس إلا واحدا- فقط؟؟

●●●

●● بعض برامج التليفزيون الحوارية تحولت إلى برامج اجترارية مهمتها النبش فى الماضى وطرح قضايا قتلت بحثا دون التوصل إلى رأى حاسم فيها سواء فى الماضى أو من خلال هذه البرامج.. فهل المسألة مجرد مجاراة الفضائيات العربية؟؟ أم هى شغل أوقات على الشاشة؟؟

●●●

●● لأن الولايات المتحدة أرادت فقد نجحت الشرعية الدولية فى إلقاء القبض على السفاح الصربى الرئيس السابق سلوبودان ميلوسيفتش لتقديمه للمحكمة على جرائم الحرب التى ارتكبها.. ترى متى تستيقظ روح العدالة والنزاهة والموضوعية والحق لدى الإدارة



الأمريكية لكى تتحرك الشرعية الدولية وتمسك بتلابيب مجرمى الحرب الإسرائيليين وفى مقدمتهم اريل شارون رئيس وزراء اسرائيل؟؟

●●●

●● منذ أيام أكمل الرئيس صدام حسين أربعة وستين عاما.. وفى الاحتفال بعيد ميلاده- الميمون- اطلقت عليه أجهزة الإعلام العراقية لقب «عملاق الرافدين» الذى حرر الشعب العراقى من التخلف والجوع والتبعية الاستعمارية وهو الذى أنقذ هذا الشعب وأخرجه للنور..

صحيح: ألذين استحوا.. ماتوا!!

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير﴾** صدق الله العظيم.

سورة لقمان آية ٣٤●.

● **أول مايو ٢٠٠١**

معذرة أيها الدم الفلسطيني العربي الزكي المهراق غدرا على أرض النبوات بايدي أولاد الافاعي والخنازير قتلة الانبياء ومحرفي كتب الله.

●●●

معذرة ايتها الأرض الفلسطينية التي تضم المقدسات ويستلبها اللصوص ونبكي عليها اليوم كالنساء لأننا لم نحافظ عليها كالرجال.

●●●

معذرة ايها الاطفال الفلسطينيون الابرياء الذين لم يجدوا درعا عربية ولا دولية تحميهم من نيران الغدر والحقد.

●●●

معذرة ايتها الاجيال الجديدة التي ستأتي يوما لتجد ان الصفحة التي نسطرها من تاريخنا الآن هي صفحة مجللة بعار الخزي والانهزام الداخلي قبل الهزيمة الخارجية.

●●●

معذرة لكل قيمة نبيلة وردت في تعاليم أي دين أو أي ميثاق أو معاهدة ثم ديست بالاقدام الصهيونية القذرة المؤيدة والمدعومة من احقر وأغبى استعمار في تاريخ الانسانية.

●●●

ولعنة على كل معتد اثيم، وعلى كل قادر على دفع العدوان ورفع الظلم ثم يمتنع عن ذلك بدافع المصلحة او النفاق أو الخوف والتخاذل.

ولعنة على يوم تخاذلت فيه الأمة، وتراجع فيه الاحساس بالكرامة الانسانية، وتوارت فيه النخوة.

●●●

ولعنة على أمة هانت على نفسها فكانت على غيرها أهون.

●●●

ان ما جرى على أرض فلسطين كان حتى اسابيع قليلة. قبل قفز السفاح شارون الى سدة الحكم. محاولة لاستلاب الحق وتمزيق الأرض ونسف حلم الوطن والدولة. ولكن ما يجري الآن على الأرض الفلسطينية هو محاولة لابادة شعب وتصفية قضية واذلال أمة وتغيير واقع منطقة كاملة بالبلطجة وسفك الدماء والإرهاب الفعلي والمحتمل من خلال التهديد باشعال المنطقة ووضعها في اتون حرب شاملة في الوقت الذي اعلن فيه العرب مراراً وتكراراً أن السلام خيار استراتيجي لا عدول عنه. فماذا يفعل الشعب الفلسطيني؟؟ هل يستمر في مقاومة يائسة وفي معركة غير متكافئة بأي مقياس عسكري؟ ويستسلم لقاتله ويلقي سلاح الطوب والحجارة التي تواجه طائرات الاباتشي والإف ١٦ وغيرها من اسلحة الدمار التي تتدفق من ترسانة الاسلحة الاسرائيلية والامريكية لمواجهة الشعب الفلسطيني الاعزل؟ وهل اذا استسلم سيقبل القاتل اعتذار القتيل ؟ هل سيهدأ الحقد المستعر في قلوب الاسرائيليين

وتتوقف المحرقة النازية الصهيونية؟ هل ستبدأ مرحلة جديدة من محاولة بناء الثقة بين الشعب الفلسطينى الذى ذاق ويلات القتل والتشويه والتجويع والابعاد وبين الشارع الاسرئيلى الحاقد الذى غذت آلة الحرب والدعاية الصهيونية عقده وكراهيته للعرب بصفة عامة والفلسطينيين بصفة خاصة واطلقت العنان لاحساسه القديم بالخوف وعدم الأمن ونمت فيه الاحساس بانه لا سلام بغير أمن ولا أمن بغير اخضاع العرب او ابادتهم إن أمكن؟؟

●●●

فى ظنى . وقد اكون مخطئا . أنه لا سبيل امام الشعب الفلسطينى سوى الاستمرار فى المقاومة والاصرار على الانتفاضة بل وتصعيد الانتفاضة واستخدام ما هو أبعد وأقوى من الحجارة.

صحيح ان استمرار الانتفاضة يكلف الميزانية الاسرائيلية الكثير ويبقى الشارع الاسرائيلى فى حالة قلق وفقدان للاحساس بالأمن.. ولكن المطلوب اكثر من ذلك.. المطلوب هو ايلام الاسرائيليين.. ولا يؤلمهم اكثر من العنصر البشرى.. فهاجس القلة العددية يطاردهم فى صحوهم ونومهم.. وكل محاولات التوسع جغرافيا والتفوق عسكريا والتقدم اقتصاديا انما هدفه الاساسى استيعاب المزيد من اليهود ليكونوا كثرة عددية.. وكل انسان يقتل منهم أو يصاب يحدث ألما حقيقيا اكثر باضعاف مضاعفة من الخسائر الاقتصادية أو خسائر المعدات العسكرية فالخزائن والترسانة الامريكية مفتوحة على مصاريعها لتنهل او تنهب منها اسرائيل بغير حساب.

●●●

فإذا قال قائل ان الشعب الفلسطينى يتعرض للتجويع وتدمير بنيته الاساسية نقول ان ثمة ضريبة لابد ان تدفع من اجل الوطن والقضية.. وقد دفع الشعب الفلسطينى طوال العقود الماضية ضريبة مزدوجة: ضريبة الدم وضريبة الأرض.. ولم ينل شيئا فى مقابل دفع هذه الضريبة.. فليدفع الآن ضريبة جديدة ولكن هذه المرة من أجل حسم القضية.. ولا يمكن تصور عودة إلى مائدة المفاوضات أو قبول الطرف الاسرائيلى باى حق للفلسطينيين بغير ان يدفع الشعب الاسرائيلى من جانبه ثمن الدم الفلسطينى المراق.. دما بدم، ونفسا بنفس.. ورجلا برجل.. وامرأة بامرأة.. وطفلا بطفل.

أما الأمة العربية فليس لدى ما اقوله سوى: يا أمة تعبت من عجزها الأمم.

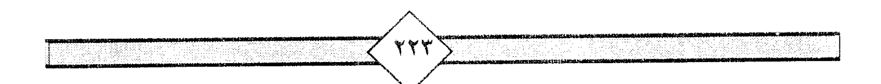
●●●

●● بعض المثقفين يهاجمون شعبان عبد الرحيم.. لماذا؟.. لأنه أعلن صراحة أنه يكره اسرائيل؟ طيب.. وهل هناك عربى عنده ذرة من الكرامة وبقية من النخوة ولا يكره اسرائيل؟؟

●●●

●● نعم يا فاروق جويدة: إن هان الوطن يهون العمر.

●●●



●● أوصت لجنة المتابعة العربية بوقف جميع الاتصالات السياسية مع اسرائيل.. إذن ماذا؟؟

●●●

●● فى استصلاع الرأى ظهر ان ثمة تراجعا فى شعبية رئيس الوزراء الاسرائيلى السفاح أرييل شارون.. وان ٣٤ بالمائة ممن جرى استصلاع آرائهم أبدوا عدم رضاهم عن أدائه.. طيب.. من الذى اوصل شارون لموقع السلطة؟؟

●●●

●● اكثر الاجزة الفلسطينية والعربية فعالية فى مواجهة الاجرام الاسرائيلى.. سيارات الاسعاف الفلسطينية!!●

● ٢٢ مايو ٢٠٠١

فى الاسبوع قبل الماضى اشرنا فى عجالة سريعة إلى قرار لجنة المتابعة العربية . أو اذا شئنا الدقة توصيتها . بوقف اى اتصالات سياسية مع حكومة اسرائيل.. فى اليوم التالى لصدور التوصية كان وزير خارجية موريتانيا يزور اسرائيل.. بعد ذلك بايام طالب وزراء خارجية الدول الاسلامية المجتمعون فى العاصمة القطرية (الدوحة) بوقف الاتصالات السياسية مع اسرائيل.. أى ايدوا توصية لجنة المتابعة العربية.

هذه القرارات أو التوصيات فى ظاهرها قوية بدليل ان حكومة اسرائيل أعلنت اسفها لصدورها.. ولكنها فى الواقع لا تكفى.. فقد توقفت الدول العربية عقودا متعددة عن الاعتراف باسرائيل واقامة أى علاقات معها.. وهذا لم يمنع اسرائيل من أن تستمر فى تنفيذ استراتيجيتها ووضع خططها الطويلة والقصيرة موضع التنفيذ.. وكانت كل خطواتها للامام.. وإذا خطت خطوة للخلف فلكى تستعد للانقضاض من جديد.. ذلك أن علاقة العرب باسرائيل كانت علاقة الفعل والمبادأة والعدوان من جانب اسرائيل ورد الفعل والدفاع من جانب العرب.. وكان اسلوب اسرائيل الذى تكرر تنفيذه بنجاح كثيرا هو الاختراق من الداخل والحصار من الخارج.. وهكذا اقامت اسرائيل علاقات قوية مع دول كانت الصداقة للعرب والدفاع عن قضاياهم بنداً ثابتا فى سياستها الخارجية مثل الهند والصين وغيرهما.. هذا فضلا عن السيطرة التامة للصهيونية على مراكز صنع القرار وصياغة الرأى العام فى الولايات المتحدة ومعظم دول اوروبا وإلى حد كبير فى روسيا فضلا عن سيطرتها على مؤسسات المال وتغلغلها فى المؤسسات العسكرية فى هذه الدول جميعا.. فى الوقت الذى عجز فيه العرب عن المحافظة على الارض التى كانوا يقفون عليها.

الذى نريد أن ننبه إليه أن وقف الاتصالات السياسية لا يكفى فهو وإن كان فى ظاهره احتجاجا قوياً على المذابح الاسرائيلية الموجهة للشعب الفلسطينى الاعزل فإنه ليس بذى تاثير كبير بدليل أن الاجرام الاسرائيلى لم يتوقف ولم تخف حدته بل ازداد ضرواة ووحشية بعد ان تيقنت حكومة اسرائيل ومعها الشعب الاسرائيلى من فشلها فى وقف الانتفاضة.. ويبدو أن الارهابى ارييل شارون مصمم على المضى فى سياسة القمع ووقف الانتفاضة حتى ولو خاض فى نهر من دماء الشعبين الفلسطينى والاسرائيلى.. فعلى مدار الاسابيع الماضية حدثت تطورات مهمة كنا نتوقعها وعبرنا عن توقعنا لها وهى:

● تحول الانتفاضة من مجرد دفاع او احتجاج صامت أو مصحوب فى افضل الحالات بالحجارة التى لا تمثل سلاحاً ماديا ولا تصل إلى دروع الجنود الاسرائيليين المدججين بالسلاح ولا تصل إلى المدنيين الاسرائليين لأنها ليست موجهة اليهم بالاساس إلى عمليات فدائية (وانا افضل استخدام هذا الوصف اكثر من غيره ولا اجد مبررا للعدول عنه إلى سواه)،

تستهدف الجنوب أو العسكريين الاسرائيليين فى المقام الأول وقد تنال فى طريقها بعض المدنيين.. وبهذه المناسبة لا اجد مبررا للجدل العقيم حول توجه العمليات الفدائية للمدنيين الاسرائيليين.. فالجنود الاسرائيليون يقتلون الشعب الفلسطينى دون تمييز وبدم بارد ومحمد الدرة وايمان حجو ومئات غيرهما من الاطفال الفلسطينيين شواهد على ذلك.

● تحول الفلسطينيين من الجرى امام المستوطنين الاسرائيليين او الاحتجاج الصامت او الضجيج إلى الاحتجاج المسلح.. وإن قتل بعض المستوطنين خلال الايام الماضية ليس إلا بداية يجب أن تستمر حتى يشعر الاسرائيليون ان امانهم لن يتحقق إلا بالتوقف عن قتل الشعب الفلسطينى أولا .. ثم بالعودة إلى طريق السلام ثانيا وفورا.

● صمود الشعب الفلسطينى الذى تعود الجوع والقمع وتلقى المهانة طويلا .. ولم يعد امامه اختيار إلا المقاومة.. فإما السلام المشرف وإما الاستشهاد..

فى مثل هذه الظروف لا يكفى مجرد وقف الاتصالات السياسية مع اسرائيل.. بل فى مثل هذه الظروف يجب الضغط بكل السبل والوسائل الممكنة ليس على اسرائيل فقط ولكن فى الأساس على الولايات المتحدة الراعى الرئيسى ليس لعملية السلام ولكن للعدوان الاسرائيلى.. ولا يتصور أحد أن العرب والمسلمين مجردون من الاسلحة.. بل ان لديهم من وسائل الضغط الكثير لكن المشكلة هى ان ارادة المقاومة التى تفجرت لدى الشعب الفلسطينى لم تستيقظ بعد لدى العرب والمسلمين.

و.. تأتى كتابة هذه السطور فى الوقت الذى تجرى فيه اتصالات محمومة لتفادى تصعيد اسرائيل لارهابها ضد الشعب الفلسطينى اثر العملية الفدائية الناجحة فى تل ابيب.. وايا كان ما تسفر عنه هذه الاتصالات فإنها لا تغير من واقع الصراع شيئا.

●●●

●● ابطال حادثة اركاديا وامثالهم ليسوا زبدة المجتمع المصرى.. إنهم «جلخ المجتمع».

●●●

●● مجرد سؤال: لماذا لم ينجح التليفزيون على مدى اكثر من ربع قرن فى تقديم مذيعين بطول قامة وعمق ثقافة وحسن حضور وقوة تاثير أحمد فراج وحمدى قنديل ومن قبلهما حسنى الحديدى وصلاح زكى وسعد لبيب وجلال معوض وطاهر ابو زيد وهمت مصطفى وسامية صادق وثريا عد المجيد..و.. والقائمة طويلة!!.

●●●

●● الامتناع عن مناصرة الشعب الفلسطينى جريمة.. بمفهوم الوطن والشرع.

●●●

●● اتباع تنظيم «وكالة الله فى الارض» ضحايا.. ابحثوا عمن اغراهم وخطط لهم وأغرقهم فى وحل الشذوذ.

●●●

●● استوعب الحزب الوطنى درس انتخابات مجلس الشعب فخطط واستعد لانتخابات مجلس الشورى ليحقق اكتساحاً للمقاعد فى مواجهة المستقلين الذين هم فى الاساس من اعضاء الحزب الوطنى.. كنت اتمنى ان تشارك الاحزاب الاخرى فى الانتخابات حتى يكون الاكتساح ترجمة حقيقية لنبض الشارع.

●●●

مسك الختام

يقول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾**. صدق الله العظيم. آل عمران آية ٢٠٠●.

● **١٢ يونيو ٢٠٠١**

هذه فرصة جاءت للعرب على طبق من الذهب.. وعلى العرب أن ينتهزوها ويعضوا عليها بالنواجذ ولا يدعوها تفلت من بين أيديهم وإلا أضيفت الى رصيد العرب الهائل من الفرص الضائعة والخسائر المتكررة التى لا ترجع الى قوة وذكاء ومبادرة العدو الصهيونى بقدر ما ترجع الى تخاذل وسلبية وبطء رد فعل العرب.

لقد حملت إلينا وكالات الأنباء من العاصمة البلجيكية بروكسيل أن النيابة العامة فى بروكسيل قد وافقت على محاكمة مجرم الحرب ورئيس الوزراء الإسرائيلى أرييل شارون كمجرم حرب بناء على الشكاوى التى تقدمت بها مؤخرا مجموعة من الفلسطينيين الناجين من مذبحة صابرا وشاتيلا فى لبنان عام ١٩٨٢ وهى المذبحة التى راح ضحيتها مئات من القتلى والجرحى والابرياء وأكد تقرير للجنة تحقيق إسرائيلية مسئولية شارون غير المباشرة عنها بصفته وزيرا للدفاع وقت ارتكاب المذبحة. وقد أصدر أحد القضاة فى بروكسيل حكما يقضى باختصاص المحاكم البلجيكية فى نظر الدعوى المرفوعة ضد شارون لارتكابه جرائم حرب خلال الغزو الإسرائيلى للبنان. وقال التليفزيون البلجيكى إن قبول الادعاء لهذه القضية يعتبر نهاية لأول خطوة تمهيدا لفتح ملف التحقيق بتهمة ارتكاب جرائم ضد الانسانية.. وأن قاضى التحقيق المعنى بهذه القضية سيركز تحقيقاته على مجزرة صابرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ والتى اسفرت عن مقتل عدد كبير يتراوح بين ٧٠٠ و٣٥٠٠ فلسطينى.

ويرتكز قرار النيابة العامة فى بروكسيل باختصاصها فى التحقيق تمهيدا لتقديم القضية الى المحكمة طبقا لقانون ١٩٩٣ الذى يعطى المحاكم الوطنية البلجيكية صلاحيات عالمية تتيح لها محاكمة الاشخاص الذين ارتكبوا جرائم ضد الانسانية فى أى مكان فى العالم دون اعتبار لهويتهم.

ومؤدى هذا الكلام أن شارون أصبح مطلوبا للعدالة.. وواجب العرب أن يغتنموا هذه الفرصة التى فاتتهم منذ البداية أن يسعوا إليها.. فلا بد أولا من توسيع قاعدة الملاحقة القضائية لشارون ليصبح مطلوبا فى كل مكان من العالم.. وعلينا أن نتذكر أنه بمجرد الإعلان عن مسئولية شارون عن مذبحة صابرا وشاتيلا كاد أنطونى بلير رئيس وزراء بريطانيا يمتنع عن لقاء شارون وهو فى طريقه الى الولايات المتحدة تحسبا لأى إشكال قانونى.

ولا بد ثانيا من دعم الموقف البلجيكى والوقوف فى وجه أى محاولة قد تسعى إليها الصهيونية لتعديل القانون البلجيكى حتى لا يتم نظر هذه القضية أمام المحاكم البلجيكية وهو ما يتردد حاليا ولا نستبعده على القوى الصهيونية التى تستخدم كل وسائل الضغط والتى نجحت فى تعديل قوانين واصدار قوانين تخدم أهداف الصهيونية ومنها القانون الذى صدر فى فرنسا يحرم ويجرم كل من ينكر وقوع المحرقة النازية ضد اليهود وهو القانون الذى حوكم بمقتضاه الفيلسوف الفرنسى المسلم رجاء جارودى.

ولابد ثالثا من فتح ملفات جرائم الحرب الإسرائيلية البشعة التى ارتكبت سواء ضد المدنيين أو ضد أسرى الحرب المصريين وغيرهم.. وهى تلك التى اعترف الإسرائيليون أنفسهم بارتكابها.. لتتخذ اعترافاتهم أدلة وقرائن عليهم.. وإذا كانت السياسات الإسرائيلية الإجرامية تجد تأييدا وتبريرا لتمريرها فى المنظمات الدولية فإن اختراقها للعهود والمواثيق والاتفاقات الدولية الخاصة بالمدنيين والأسرى يجب ألا يمر دون حساب.

لقد آن الأوان لأن تتحرك الدول العربية ومنظماتها الرسمية والأهلية ونقاباتها الحقوقية حركة منسقة لإثارة هذه القضايا ضد شارون وضد غيره من مجرمى الحرب الإسرائيليين فى كل المحافل الدولية.. والآن أمامنا سوابق عديدة أقربها تسليم مجرم الحرب الصربى سلوبودان ميلوسوفيتش.. صحيح أن ثمة فارقا كبيرا بين حالة يوغسلافيا وحالة إسرائيل وبين حالة ميلوسوفيتش وحالة شارون وغيره من مجرمى الحرب الإسرائيليين من حيث انحياز أمريكا الأعمى لإسرائيل وقادتها الدمويين وحمايتها المطلقة لها وتبنيها لسياساتها الإجرامية واجراءاتها القمعية ضد العرب.. ولكن القاعدة الذهبية تقول انه ما ضاع حق وراءه مطالب.

وعلينا أن نتعلم من إسرائيل والصهيونية.. فاليهود لا ينسون ثأرهم.. بل إنهم يصطنعون لأنفسهم ثأرا ويسعون وراءه وإن طال الزمن.. والقصص لا تحصى ولكننا نذكر الجميع بقصة تعقبهم للمستشار النمساوى وأمين عام الأمم المتحدة الأسبق كورت فالدهايم بدعوى أنه تعاون مع النازى أثناء الحرب.. ونذكرهم بمطاردة الصهيونية لكل قيادة سياسية أوروبية تبدى معارضتها للسياسات الإسرائيلية وتلاحقهم بدعاوى معاداة السامية. فهل نتعلم؟؟

●●●

●● انفضت دورة مجلس الشورى وتوشك دورة مجلس الشعب أن تنتهى ولم يتم أى إجراء لتنفيذ توجيهات الرئيس حسنى مبارك بضرورة احترام احكام القضاء الصادرة بشأن عدد من أعضاء المجلسين.. نلتقى بعد فاصل.. اقصد بعد العطلة البرلمانية.

●●●

●● الرائد ماجد زيدان رئيس مباحث طوخ ليس أول شهداء الواجب ولن يكون آخرهم.. والتكريم الحقيقى له هو المحاكمة العاجلة لتحقيق العدالة السريعة وتوقيع القصاص العادل على المجرمين.

●●●

●● طلبة المرحلة الأولى من الثانوية العامة ليسوا مشغولين الآن بمعرفة نتائجهم.. إنهم مشغولون بالحجز ووضع جداول الدروس الخصوصية.

●●●

مسك الختام

●● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم» صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم●.

● ٢ يوليو ٢٠٠١

فشلت جولة رئيس الوزراء الإسرائيلى السفاح أرييل شارون الأوروبية فشلا ظاهرا.. ولم يستطع أن يحقق من خلالها النتائج المضمونة سلفا التى حققها من زيارته للولايات المتحدة.. ومن أبرز مظاهر الفشل أنه لم يستطع أن يكمل هذه الجولة بزيارة بلجيكا رغم أنها ترأس الدورة الحالية للاتحاد الأوروبى وأن زيارته لها كانت ضمن برنامج الجولة.. والسبب فى ذلك ما هو معروف ومعلن من أنه مطلوب لمحاكمته أمام محكمة جنائية بلجيكية بسبب مسئوليته عن مذبحة صابرا وشاتيلا التى راح ضحيتها المئات من الفلسطينيين الأبرياء.

ومن مظاهر الفشل أن شارون قاتل الأطفال وعدو السلام لم يستطع أن يقنع المستشار الألمانى جيرهارد شرودر ولا الرئيس الفرنسى جاك شيراك بالضغط على الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات.. بل إن الزعيمين الأوروبيين أكدا ضرورة وقف العنف وتوافر الحماية للفلسطينيين ودفع عملية السلام.

ومن مظاهر الفشل المظاهرات المعادية التى استقبلت شارون حيث ذهب والتى طالبت بتوافر الحماية للفلسطينيين. وإذا كان قد قوبل بهذه المظاهرات فى ألمانيا وفرنسا فقد سبق أن قوبل بها عندما توقف فى لندن قبل زيارته للولايات المتحدة فى نهاية الشهر الماضى.

ويتعين علينا أن نضع هذا الفشل فى اطاره وحجمه الصحيحين.. فإن فشل شارون فى تحقيق الأهداف المخطط لها وعجزه عن «تسويق» سياسته العدوانية والقمعية والمعادية للسلام أوروبيا لا يعنى بالضرورة أن البلاد الأوروبية سوف تتخذ إجراءات عقابية ضد إسرائيل.. ولا يعنى بحال أن شارون سوف يعدل عن هذه السياسات العدوانية ويتجه فورا نحو السلام ويفتح صفحة جديدة مع عرفات والفلسطينيين.. فالطبيعة الشريرة لشارون والتيار العدوانى الإسرائيلى الذى أوصله الى مقعد الحكم لا يوحيان بإمكان حدوث هذا التغير.. كما أن شارون ومن سبقوه حريصون على إبقاء كل أوراق مشكلة الشرق الأوسط فى يدى الولايات المتحدة وتوظيف الدور الأوروبى إذا أمكن أو تحييده على الأقل لخدمة الأهداف العدوانية الإسرائيلية.

ومع كل ذلك فإن هذا الفشل الشارونى إذا وضع على خلفية سيطرة وسطوة الصهيونية وتأثيرها على الإعلام وعلى المؤسسات العسكرية والمالية والاقتصادية ومراكز صنع واتخاذ القرار سواء فى الولايات المتحدة أو الدول الغربية الى حد إصدار قوانين وتغيير قوانين واختيار كبار المسئولين سواء الظاهرين أو فى كواليس السياسة فإننا نخرج بنتيجة هى أن شارون قد نجح من حيث لا يقصد فى اثارة الغضب والرفض على المستويين الشعبى والرسمى فى دول أوروبا وهذا هو ما أظهرته جولته الأخيرة التى لم تكتمل ولم تحقق أهدافها.

ومعنى هذا إن العدوان لا يمكن أن يستمر فى تحقيق أهدافه على طول الخط.. وأن الصهيونية لا يمكن أن تستمر إلى مالا نهاية فى بسط نفوذها وفرض سطوتها على مراكز صنع القرار فى كل البلاد بلا استثناء.. وأن صوت الزيف لا يمكن ولا ينبغى أن يظل هو الصوت الأعلى طول الوقت.

وهناك عامل آخر لا يمكن إغفاله بل لابد من النظر إليه على أنه العامل الأساسى فى التغيير الطفيف الذى حدث فى المواقف الرسمية والشعبية فى أوروبا.. ففى مقابل السياسات الإجرامية الإسرائيلية كان هناك الكفاح البطولى والصمود الرائع للشعب الفلسطينى الأعزل الذى واجه بالحجارة أحدث ما فى الترسانتين الأمريكية والإسرائيلية من أسلحة فتاكة وواجه بالصبر كل محاولات التدمير والتجويع التى تمارسها إسرائيل والتى وصلت حد منع الطعام عن الأطفال ومنع الأدوية عن الجرحى.. وكان للإعلام فضل نقل صورة لما يجرى فى الأراضى المحتلة من ممارسات إسرائيلية بشعة وما يقابلها من صمود فلسطينى رائع.. وكذلك فإن استجابة الجانب الفلسطينى الفورية لخطة مدير المخابرات الأمريكية تينيت لوقف العنف واستمرار الإسرائيليين فى خرق الهدنة واستمرار سقوط الضحايا الفلسطينيين.. كل ذلك كشف من جديد بشاعة السياسة الإسرائيلية وإجرام القادة الإسرائيليين وزيف الدعاوى الإسرائيلية.

وكما أشرنا فى مقال سابق فإن هذه فرص يسوقها القدر الى العرب على طبق من ذهب للقيام بدور فعال فى استثمار أى تغير ولو طفيف فى المواقف الأوروبية وفى الضغط على الزلايات المتحدة وفى ملاحقة مجرمى الحرب الإسرائيليين وإذا كان التغيير الذى حدث قد حدث لدواع إنسانية فيجب على العرب أن يستثمروا هذا الجانب ويجب عليهم أكثر مخاطبة العالم لا بلغة العواطف وإنما بلغة المصالح فهى الأقرب للفهم والأكثر فى الفاعلية والتأثير.

اتحفتنا القناة الثانية فى التليفزيون المصرى مساء الخميس الماضى بحلقة من برنامج «أوسكار» قدمت لنا فيها فيلما قديما -من أفلام السبعينيات- بطولة برت لانكاستر وعددا من نجوم هوليوود واسم الفيلم «المطار» وكان هدف الفيلم وغايته ومحوره الدعاية لطائرات البوينج (طراز ٧٠٧ الذى كان جديدا فى ذلك الوقت بعده ظهرت أفلام أخرى عن طراز ٧٤٧) ولست أدرى ما هى الحكمة فى عرض هذا الفيلم الذى يقول بكل وضوح إن طائرات البوينج لا يعلى عليها فى الوقت الذى مازالت دماء ضحايا البوينج وأرواحهم معلقة فى رقبة شركة مصر للطيران بسبب إصرار الجانب الأمريكى فى تحقيقات الكارثة على نفى أى مسئولية عن شركة بوينج وإثبات أن الطيار البطوطى قد انتحر وبالتالى قتل ركاب الطائرة، ماهو سر عرض هذا الفيلم فى هذا الوقت بالذات؟؟ هل هى قلة معلومات؟؟ أم قلة إدارك؟؟ أم قلة عقل؟؟ أم قلة ذوق؟؟

سؤال: ماهو الفرق بين منتخب كرة القدم العسكرى الفائز ببطولة العالم للمرة الثالثة - وللمرة الثانية على التوالى- وبين منتخب كرة القدم الوطنى الذى عجز عن حسم السباق نحو التأهل لنهائيات كأس العالم وما زال مصيره معلقا بحسابات أشبه بحسبة برما؟؟

الإجابة: الإدارة.. والانضباط.. الضبط والربط.. الولاء.. عدم الخضوع لمراكز القوى الكروية.

●●●

من كلمات الشاعر محمود توفيق:

يا أمــة قتلــت أحبـــابها كمـــدا
مــاذا أقـــول وفى آذاننـــا صــــمم

المخلصون طريق الشوك موطنهم
والمفسدون بلين العيش قد نعموا

والمبدعون وهم أغلى الكنوز غدوا
إرثا يبعثـــره الاتبــاع والخـــدم

فكيف نأمل خيـرا والخطـوب بنا
محيطـة ولهيـب الشـر يحتـــدم

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾** صدق الله العظيم. سورة المائدة الآيتان ٧٨-٧٩•

• ١٠ يوليو ٢٠٠١

على الرغم من أن المؤتمر الدولى الثالث لمناهضة العنصرية والتمييز المنعقد فى ديربان بجنوب أفريقيا لا يملك سوى إصدار توصيات ونداءات غير ملزمة ويعبر عن آراء وأمنيات قد يضرب بها عرض الحائط.. ورغم أنه انعقد تحت مظلة لجنة حقوق الانسان المنبثقة عن الأمم المتحدة وأن مثل هذه المنظمة الفرعية لا تملك سلطة اصدار قرارات واجبة النفاذ.. ورغم أن الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى وهما أوسع وأقوى تكوين فى بناء المنظمة الدولية قد اصدرا عشرات القرارات التى ظلت حبرا على ورق.. رغم ذلك كله فإن الاتجاه إلى ادانة اسرائيل واعتبار الحركة الصهيونية حركة عنصرية بسبب الاجراءات القمعية التى تمارسها اسرائيل ضد الشعب الفلسطينى واجه حربا شعواء لأمن اسرائيل وحدها ولكن فى الدرجة الأساسية من الولايات المتحدة ولى أمر اسرائيل والراعى الاساسى لها.

وقد مارست الولايات المتحدة ضغوطا فى كل الاتجاهات.. ولم تكن مارى روبنسون الأمريكية ومفوضة الأمم المتحدة بحاجة إلى ضغوط كى تعمل على عدم ادراج بند ادانة اسرائيل والحركة الصهيونية.. ولكن الأمر احتاج الى ضغوط أمريكية على حكومة جنوب افريقيا وعلى الدول العربية وبالذات وعلى وجه الخصوص على السلطة الفلسطينية ممثلة فى الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات.. وقبل أن ينعقد المؤتمر هددت الولايات المتحدة بعدم المشاركة فيه.. وبعد أن شاركت فيه هددت بالانسحاب منه على افتراض أن الغياب الأمريكى منذ البداية أو قبل وصول المؤتمر إلى غايته سوف يشل فاعليته ويحول دون وصوله الى نتائج قابلة لأن تتبنى من جانبها باعتبارها الدولة الأعظم فى العالم ومن جانب الدول الحليفة لها وخاصة الدول الأوروبية.. وهكذا كما نقلت الأنباء فقد أبدت الوفود العربية مرونة كبيرة.. وكان أقصى ما تطالب به هذه الوفود هو عدم الكيل بمكيالين بمعنى أن الدول العربية تؤيد اعتبار المحرقة النازية أسوأ الأعمال العنصرية فى القرن العشرين وتطلب فى الوقت نفسه إدانة الممارسات الإسرائيلية من قتل وتشريد وتجويع واغتيال واستبعاد وتمييز عنصرى ضد الشعب الفلسطينى.

ولكن هذا المطلب المتواضع الذى يمثل الحد الأدنى ويعبر عن ضعف الفعل العربى لم يجد قبولا أمريكيا.. فأمريكا الحامية لإسرائيل والداعمة لسياساتها الاجرامية وارهاب الدولة الذى تمارسه تعزز وتكرس أكذوبة حرق اليهود فى محرقة النازى بينما ترفض أى محاولة لإدانة العنصرية الصهيونية رغم أن جرائم اسرائيل قائمة ومستمرة تتحدى الشرعية وتتحدى كل المبادىء والمعاهدات والمواثيق الدولية.. وبسبب هذه الجرائم تسيل دماء الفلسطينيين وتهدم بيوتهم ولا يوفر القتل الاسرائيلى المخطط والعشوائى على حد سواء أى فلسطينى رجلا كان أو امرأة أو طفلا وناشطا أو أعزل من أى سلاح ورغم أن هذه الجرائم تجرى جهارا

نهارا تحت سمع وبصر وأمام عدسات الاعلام العالمى بصفة عامة والأمريكى بصفة خاصة.

وبلغت الضغوط الأمريكية حدا بعيدا بتوظيف القس الأمريكى جيسى جاكسون الداعى للحقوق المدنية والمناهض للتفرقة العنصرية فى الضغط على الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات والحصول منه على موافقة على عدم الربط بين الصهيونية والعنصرية فى البيان الختامى وفى ذات الوقت موافقة عرفات على الاعتراف بأن المحرقة النازية كانت أشنع جريمة شهدها القرن العشرون.. ولأن جاكسون اعلن الوصول إلى هذا الاتفاق فيبدو أن عرفات لم يقدم ايضاحا عندما قال فى ندوة عقدت فى وقت لاحق- على هامش المؤتمر- إن اسرائيل اقترفت ضد الشعب الفلسطينى «مؤامرة كولونيالية عنصرية اشتملت على العدوان ونهب الأرض.

●●●

ورغم أن قضية اعتبار الصهيونية حركة عنصرية استعمارية ليست هى القضية الخلافية الوحيدة فى المؤتمر بل إن ثمة قضية المطالبة بتعويضات من الدول الغربية عن عهود العبودية التى استرق فيها الغربيون ملايين الافارقة بصفة خاصة فإن مسألة الاعتذار عن الرق والتعويض عنه تتصل بممارسات خاطئة وسياسات استعمارية أصبحت ماضيا بعد أن حصلت دول آسيا وأفريقيا على استقلالها ونالت شعوبها حريتها.. ولكن قضية العنصرية الصهيونية ترتبط بحركة قائمة ونشطة ومتنامية ولا حد لممارساتها وأطماعها وليس هناك من يوقفها بسبب التحالف بينها وبين الامبريالية الأمريكية الوريث النشط للامبراطوريات الاستعمارية التى غربت عنها الشمس.

والناظر فى هذه القضية سوف يكتشف من خلال التاريخ والوثائق الدولية أن اعتبار الصهيونية حركة عنصرية ليس أمرا جديدا ولا مستحدثا.. بل هو أمر مقرر ومعترف به من الأمم المتحدة وقد تم تغييره بضغوط من الولايات المتحدة الأمريكية.. فقد قامت الحركة الصهيونية منذ قيام المنظمة الصهيونية العالمية فى أعقاب مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ بدور بارز فى انشاء دولة اسرائيل واستقطاب يهود العالم للقدوم الى «أرض الميعاد» وتحولت الأسطورة الدينية إلى حركة سياسية استيطانية اقصائية.. ومنذ قيام اسرائيل وهى تخالف كل الاتفاقات بدءا من اتفاقات الهدنة مع العرب إلى قرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة إلى قرار قبولها عضوا فى الأمم المتحدة بالشروط التى تم الاتفاق عليها الى شنها الحروب المتتالية على العرب مما دعا الأمم المتحدة فى عام ١٩٦٣ الى تضمين اعلانها الخاص بالقضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى بموجب القرار الصادر من الجمعية العامة برقم ١٩٠٤ (د.-١٨) فى ١٩٦٣/١١/٢٠ إلى فضح اسرائيل والنظام العنصرى الذى كان قائما فى جنوب افريقيا وقت صدور القرار.. ومع استمرار اسرائيل فى سياساتها العدوانية وممارساتها العنصرية ضد الشعب الفلسطينى صدر العديد من القرارات التى تدين اسرائيل.. غير أن أهم هذه القرارات كان قرار الجمعية العامة الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٠ برقم ٣٣٧٩ (د.-٣٠) تحت

عنوان «القضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى» والذى نص صراحة على تقرير أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى.. وقد صدر هذا القرار بأغلبية ٧٢ صوتا ضد ٣٥ صوتا وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت.

وقد ظل هذا القرار مصدر قلق للدولة الإسرائيلية وللحركة الصهيونية التى تريد أن تنفذ كل سياساتها العنصرية دون أدنى معارضة حتى ولو كانت شكلية وغير مؤثرة.. ومن ثم فما أن انتهت حرب الخليج وعقد مؤتمر مدريد للسلام فى ١٩٩١/١٠/٣٠ حتى طالبت الحكومة الاسرائيلية برئاسة اسحاق شامير بإلغاء القرار ٣٣٧٩ لسنة ١٩٧٥ كثمن لاستمرارها فى عملية السلام»، ولقى هذا الطلب حماسا وتأييدا أمريكيا أسفر عن اصدار توصية من الجمعية العام للأمم المتحدة برقم ٤٦/٨٦ بتاريخ ١٩٩١/١٢/١٦ تحت عنوان «القضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى» بالغاء القرار رقم ٣٣٧٩ لسنة ١٩٧٥.. وهكذا قبضت اسرائيل بغير حق ثمن سلام لم يتم وحصلت على براءة لا تستحقها ولذلك فان ربط مؤتمر ديربان بين الصهيونية والعنصرية ليس أمرا جديدا ولا هو افتئات على دولة مسالمة بل هو اقرار لواقع فالصهيونية حركة عنصرية ارهابية واسرائيل دولة مغتصبة معادية للحق والحقيقة.. والارتباط بينها وبين الولايات المتحدة ليس ارتباط عواطف ولا ارتباط مبادىء.. بل هو ارتباط مصالح وهو ما يعترف به المسئولون الأمريكيون دون حرج.. وما ذكرته مجلة تايم فى عدد أخير وتشرته صحيفة الشرق الأوسط مترجما للعربية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠١/٨/٣١ بقلم تونى كاروف.. ونقتطف منه هاتين العبارتين.. والمعنى الذى ستستخلصه معظم دول العالم العربى من مقاطعة الولايات المتحدة لمؤتمر العنصرية هو أن مصالح واشنطن لا يمكن فصلها عن مصالح اسرائيل وتلك رسالة من الخطورة بمكان ارسالها فى اللحظة الراهنة».. و«صحيح أن اسرائيل تحتاج إلى الولايات المتحدة ولكنها تحتاج اليها كوسيط يتمتع بالمصداقية فى أى عملية سلام مستقبلا ولا يبدو أن ادارة بوش فى الوقت الراهن تطرح صورة عن نفسها كوسيط نزيه بل إنها فى الوقت الذى تتجنب فيه دور الحكم الذى قام به الرئيس السابق (بيل كلينتون) فقد انزلقت إلى ممارسة دور الداعم المطلق لاسرائيل والمعادى للفلسطينيين وهذا سيىء لإسرائيل وللولايات المتحدة معا».

●●●

على أية حال.. وسط هذا الغلو الذى تبديه الولايات المتحدة فى الدفاع عن اسرائيل والصهيونية ورغم هذا الضعف العربى فإن نقطة ضوء قد ظهرت فى مؤتمر ديربان إذ ان ثلاثة آلاف منظمة غير حكومية مشاركة فى المؤتمر وتنتمى الى ١٥٣ دولة أصدرت بيانا أكدت فيه أن اسرائيل دولة عنصرية تمارس التمييز العنصرى ضد الفلسطينيين بطريقة منهجية وترتكب جرائم الحرب والتطهير العرقى فى حقهم.. وطالبت بفرض عقوبات صارمة على اسرائيل مثل التى طبقت على النظام العنصرى فى جنوب افريقيا وتشكيل محكمة خاصة لمحاكمة قادتها كمجرمى حرب.

والسؤال هو: هل لدى العرب الاستعداد والمقدرة والرغبة فى استثمار هذا الموقف وتوظيفه لصالح القضية الفلسطينية والحقوق العربية مستقبلا ؟ أشك بشدة

●●●

مسك الختام

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله (الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه).

أشاعت تصريحات الرئيس الأمريكى جورج بوش بشأن الدولة الفلسطينية جوا من ا لتفاؤل الحذر وأضاءت بصيصا من الأمل المحفوف بالضباب واحدثت ردود فعل متباينة بين الترحيب- من الجانب العربى بالطبع- وبين النقد- من الجانب الإسرائيلى بالطبع أيضا- ففى يوم الثلاثاء الثانى من شهر أكتوبر الحالى قال الرئيس الأمريكى إن قيام الدولة الفلسطينية كان على الدوام جزءا من رؤية الولايات المتحدة للشرق الأوسط مؤكدا ضرورة احترام حق اسرائيل فى الوجود وضرورة وقف العنف فى المنطقة.. وأكد أن بلاده تدعم توصيات لجنة ميتشيل باعتبارها السبيل لتمهيد العودة الى مفاوضات السلام.. وقال فى تصريحات للصحفيين إن فكرة اقامة الدولة الفلسطينية كانت دائما جزءا من الرؤية ما دام حق اسرائيل فى الوجود محترما.

وفى أعقاب ذلك التصريح الهام عقب متحدث فى البيت الابيض الامريكى بان الولايات المتحدة ترى أهمية وضرورة ان يعيش الشعب الفلسطينى امنا فى دولته الفلسطينية تماما كما ان من حق اسرائيل العيش فى سلام وأمن فى الدولة الاسرائيلية.. اضافة الى ذلك قالت مصادر امريكية بان الولايات المتحدة كانت بصدد طرح مشروع أو أفكار متكاملة بشأن هذه القضية ولكن جاءت التفجيرات الارهابية فى نيويورك وواشنطن فى ١١ سبتمبر الماضى لتقطع ذلك السياق..

●●●

ورغم غموض التصريحات وعدم احتوائها على أى أفكار محددة تتعلق بشكل الدولة ولا امكاناتها ولا حدودها ولا وضعها الدولى ولاترتيباتها الامنية ولا علاقاتها بالدول المحيطة بها ولا الجدول الزمنى للوصول الى هذا الامل فان مجرد طرح الفكرة قوبل فورا بالترحيب من الجانب العربى باعتبار هذا الطرح هو أول بادرة ايجابية تقدمها ادارة الرئيس بوش التى بدت منذ ارتقائها الى سدة الحكم فى الدولة العظمى الوحيدة للعالم انها أطلقت العنان للارهابى ارييل شارون رئيس وزراء اسرائيل لكى يبطش بالشعب الفلسطينى ويعمل على ابادته بالقتل والتجويع والسجن واقتحام البيوت وتعطيل المدارس وانتهاك المقدسات وارتكاب الجرائم التى لو كانت ثمة عدالة فى العالم لقدم لمحاكمة جنائية باعتباره مجرم حرب.

ورغم غموض هذه التصريحات أيضا وعدم اشتمالها على أى وعد أو تعهد أمريكى أو برنامج زمنى.. وكذلك رغم تأكيدها على حق اسرائيل فى الوجود وفى الامن وهما من ثوابت الادارات الامريكية المتعاقبة.. ورغم انها قفزت فوق الواقع الحالى ولم تتضمن أى ضغط على اسرائيل وانما تضمنت كلاما عاما مرسلا حول ضرورة وقف العنف فى المنطقة فإن الحكومة الإسرائيلية التى اعتادت على التشجيع والتدليل الأمريكى المطلق لم يعجبها الحال فبادر أرييل شارون يقول فى وقاحة محذرا أمريكا إن الولايات المتحدة تخاطر بعلاقتها مع اسرائيل

من أجل الحصول على دعم وتأييد الدول العربية فى تحالفها ضد الارهاب.. وكان رد فعل البيت الأبيض على هذه الكلمات الصفيقة القول بأنها غير مقبولة فى نظر الرئيس الأمريكى الذى طلب من أرى فليشر المتحدث باسم البيت الأبيض الادلاء بهذا التصريح كما تم ابلاغ مضمونه لإسرائيل.. وهنا أصدر شارون بيانا تضمن اعتذارا ضمنيا عن تحذيراته السابقة وأكد أنه يكن تقديرا عميقا لعلاقات الصداقة العميقة الخاصة القائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة مشيدا بالطريقة التى يعامل بها الرئيس الأمريكى جورج بوش اسرائيل.. وهكذا اغلق هذا الملف من جانب الحبيبين أمريكا واسرائيل.

●●●

ويبقى أن تصريحات الرئيس بوش بقدر ما تثير من الآمال فإنها تطرح أضعافها من التساؤلات لأكثر من سبب:

●● **السبب الأول:** هو الغموض الشديد الذى صيغت به الفكرة التى قصد توصيلها للعرب والتى لا تحمل أى وعد أو تعهد أو التزام ولو كان التزاما أدبيا.

●● **السبب الثانى:** ان هذه التصريحات لم تعترف بمحاولة جادة لاجبار اسرائيل بالكف عن قمعها للشعب الفلسطينى.. بل قفزت فوق الواقع وتعاملت مع ما يجرى بطريقة غامضة ومتساهلة تماما.

●● **السبب الثالث:** ان توقيت اطلاق هذه التصريحات محوط بالشبهات.. فلم يعرف عن إدارة الرئيس بوش اهتمامه بقضية الشرق الأوسط عكس ما كان عليه الحال فى عهد الإدارة السابقة للرئيس بيل كلينتون الذى كان منغمسا بقدر كبير فى قضية الشرق الأوسط.. كما ان صدور هذه التصريحات فى وقت تستعد فيه الولايات المتحدة لضرب أفغانستان وتسعى لجذب الدول العربية والإسلامية يجعلها تبدو وكأنها صفقة سياسية هدفها شراء تأييد الدول العربية حتى اذا تحقق للتحالف الدولى- ضد الارهاب- ما يريد من تأييد عربى واسلامى كان من السهل بعد ذلك التنصل من أى التزام أو تعهد.

●●●

لذلك فإن هذه التصريحات الغامضة الضبابية لا تكفى.. وإنما المطلوب دفع اسرائيل لوقف جرائمها ضد الشعب الفلسطينى.. ودعوة الطرفين الإسرائيلى و الفلسطينى للعودة إلى مائدة المفاوضات.. ورعاية عملية السلام رعاية حقيقية تضمن للشعب الفلسطينى دولة يعيش فيها بسلام وأمان كما يعيش الإسرائيليون فى دولتهم بسلام وأمان.. وهذا وحده هو معيار مصداقية التصريحات.

●●●

●.. وبدأت الحملة العسكرية الأمريكية البريطانية على أفغانستان، وكما أعلن الرئيس

الأمريكى جورج بوش، فإن هذه مجرد بداية وأن دولا أخرى سوف تدفع ثمن احتضانها للإرهاب.. والسؤال هو: ترى على من سيأتى الدور؟.

● سبحان مغير الأحوال.. أسامة بن لادن كان فتى المخابرات المركزية الأمريكية المدلل والآن صار عدوها رقم واحد.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** سورة آل عمران آية ١٦٠●.

● **٩ أكتوبر ٢٠٠١**

عندما أصدر أرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا عام ١٩١٧ وعده المشئوم بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين دون مساس بحقوق سكانها العرب لم يكن ينشىء وضعا جديدا.. وإنما كان فى الواقع يضفى شرعية على نشاط استيطانى يهودى مكثف بدأ فى منتصف القرن التاسع عشر وتسارع ايقاعه بعد مؤتمر بال فى سويسرا عام ١٨٩٧ وما تمخض عنه من قرارات كان من أهمها انشاء الوكالة اليهودية التى قامت بدور رئيسى وحيوى فى دعوة اليهود وتجنيدهم وتسفيرهم إلى أرض الميعاد والتمكين لهم للإقامة فى هذه الأرض بشراء الأراضى من سكانها الفلسطينيين وإجلاء الفلسطينيين بالقوة إذا لزم الأمر.. ولأن ذلك كان لازما لتمسك الفلسطينيين بأرضهم وأرض آبائهم فقد استلزم الأمر تكوين عصابات ارهابية مثل شتيرن والأرجون وزفاى لنومى التى تكون منها فيما بعد الجيش الإسرائيلى مما يفسر أن هذا الجيش لم يتمتع فى أى وقت بأخلاق الجيوش النظامية التى تحكمها فى حروبها قيم واخلاق و مواثيق لكنه تصرف فى كل حروبه ومواجهاته بأخلاق العصابات التى لا أخلاق لها ولا ذمة بدءا من دير ياسين إلى بحر البقر إلى صابرا وشاتيلا إلى قانا مرورا بعشرات المذابح التى ارتكبها فى حق الجنود والمدنيين العزل فى لبنان ومصر وفلسطين.

وعندما صدر وعد بلفور المشئوم كان كما وصفه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فيما بعد وعدا ممن لا يملك لمن لا يستحق.. فلا فلسطين كانت ملكا لبريطانيا ولا اليهود كانوا أصحاب حق فى احتلالها والاستيطان فيها.. بل إن فلسطين لم تكن البلد الوحيد الذى اقترح لكى يكون وطنا لليهود بل كانت هناك أوطان عدة مقترحة منها أوغندا ومنها الأرجنتين ومنها سيناء.. ولكن الفكر اليهودى الانتهازى التقى مع الفكر الاستعمارى النفعى ليجعلا من فلسطين الوطن المنشود باعتبارها أرض الميعاد وموطن الآباء الذين نفوا منها منذ ثلاثة آلاف عام.. وبمزاعم دينية لا أساس لها واستراتيجية سياسية انتهازية بدأ الزحف اليهودى على أرض فلسطين.

ولأن العرب كانوا خاضعين إما للوصاية الفرنسية أو الانتداب الانجليزى فى كثير من البلاد أو خارج التاريخ فى بلاد أخرى فإن الهموم الداخلية شغلت الجميع عن الانتباه للخطر الهائل الذى مثله هذا الوعد والآثار الفورية المدمرة التى ترتبت عليه.. وهكذا وجد الشعب الفلسطينى نفسه وحيدا فى مواجهة مخطط صهيونى ينفذ بكل قوة وعنف وبشاعة فى حماية الاحتلال الانجليزى الذى انسحب فى عام ١٩٤٧ ليخلى الساحة للقوى الصهيونية البازغة لتسيطر على الموقف وتكسب من الأمم المتحدة قرارا بالتقسيم عام ١٩٤٧ ثم قرارا بالاعتراف بدولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ليستمر مسلسل الصراع العربى الإسرائيلى حتى الآن.

وإذ زالت أو تقلصت الامبراطورية البريطانية التى كانت لا تغرب عنها الشمس حلت محلها الامبراطورية الجديدة البازغة نعنى الولايات المتحدة الأمريكية التى بادرت الدولة

الصهيونية بالالتصاق بها.. ووجدت فيها الولايات المتحدة ركيزة محلية أو إقليمية تحقق من خلالها مطامعها فى المنطقة العربية بأقل التكاليف.. فوفرت لها الحماية والدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى والتكنولوجى وتدخلت فى حروبها ضد العرب بشكل مباشر وفعال. مثلما حدث فى حرب ١٩٧٣ عندما كانت حاملات الدبابات تنقلها مباشرة إلى أرض القتال و عندما شارك طيارون أمريكيون وبطائرات أمريكية مطلية بلون الطائرات الاسرائيلية فى القتال وعندما تركت قطع الاسطول الأمريكى الى المنطقة لتقدم العون اذا لزم.. ولتشارك فى كل مباحثات السلام تشد من أزر المفاوض الإسرائيلى.

من هنا فإننا عندما نتلقى تصريح الرئيس الأمريكى جورج بوش بقبوله بفكرة انشاء دولة فلسطينية لها حدودها على أن تعترف بحق دولة اسرائيل فى الوجود وعندما يتابعه أو يتبعه فى ذلك رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير يجب ألا نفرح كثيرا.. من الممكن أن يرحب العرب بذلك.. لكن الترحيب يجب أن يكون مشروطا بترجمة هذا التصريح إلى رؤية متكاملة وإلى خطة عمل وإلى ضغط على حكومة اسرائيل كى توقف مذابحها ضد الشعب الفلسطينى وأن تعمل على وقف العنف وأن تعود الى طاولة المفاوضات مع الجانب الفلسطينى لإنهاء الأوضاع الظالمة القائمة وترطيب الأجواء والعودة إلى طاولة المفاوضات وتنفيذ توصيات لجنة ميتشيل- وهو أمريكى- ومقترحات تينيت- وهو أمريكى أيضا.

واذا كان العرب قد غفلوا طوال القرن الماضى مما مكن من تحويل وعد بلفور الى دولة وتحويل اسرائيل من دولة مزعومة إلى دولة حقيقية قوية تهدد كل ما ومن حولها فيجب أن ينتبهوا الآن ويحاولوا أن يستثمروا هذا الوعد الأمريكى المؤيد من بريطانيا ونعمل بكل قوة على تحويله من مجرد كلام قد يكون المقصود به تهدئة المشاعر العربية و استقطابها الى واقع معاش له ترجمته فى واقع حياة المنطقة حتى لا يستمر الصراع والاضطراب والارهاب وهو ما حذر منه مرارا وتكرارا الرئيس حسنى مبارك.

●●●

●● نشأت دولة اسرائيل بوعد بلفور.. فهل تنشأ فلسطين بوعد بوشفور؟!

●●●

●● قال الرئيس حسنى مبارك للتليفزيون الإسرائيلى دا انتم اللى علمتموهم الارهاب.. نعم يا ريس.. الإسرائيليون هم أصل الارهاب.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** سورة البقرة آية ٢٦٢●.

● ١٦ أكتوبر ٢٠٠١

لم يستطع رئيس وزراء إسرائيل الحالى والإرهابى السابق والحالى أيضا . أرييل شارون أن يحقق ما وعد شارون الشعب الاسرائيلى بتحقيق الأمن أولا وأخيراً وعلى حساب أى اعتبار ودون النظر لأى حقوق للشعب الفلسطينى فى الدولة والأمن ليعيش الجميع فى سلام.. وكان لابد من أن يمر تحقيق هذا الوعد بكسر شوكة الشعب الفلسطينى بتدمير قدراته الاقتصادية وتبديد أرضه المستعادة بالمستوطنات وتجويع افراده وشل حركة انتقاله داخل أرضه ووقف الانتفاضة بكل السبل الممكنة من قتل الأبرياء إلى سد منافذ الرزق إلى إغتيال القيادات إلى الحصار السياسى والملاحقة المستمرة للقيادات الفلسطينية ووضع القيادة السياسية ممثلة فى ياسر عرفات والفريق العامل معه فى ركن ضيق مما يدفع الشعب الفلسطينى لليأس والإحباط والاستسلام فى النهاية.. فهل تحقق هذا الهدف رغم مرور خمسة عشر شهراً على بدء الانتفاضة الفلسطينية ومرور عشرة أشهر على انتخاب شارون رئيساً للوزراء وتعهده بقمع الانتفاضة والقضاء على مقاومة الشعب الفلسطينى وتحقيق الأمن للشعب الإسرائيلى؟؟

الإجابة الواضحة وضوح الشمس أن هذا الوعد لم يتحقق.. بل ولن يتحقق.. فعلى عكس ما تعهد شارون فإن إرهاب الدولة الذى تمارسه إسرائيل وإحساس الشعب الفلسطينى بتعنت الولايات المتحدة تجاه قضيته وتبنيها الأعمى للسياسات الإسرائيلية وحمايتها لإسرائيل بالباطل وعلى حساب كل القيم والمبادىء بل يمكن أن يكون على حساب مصالحها فى المنطقة إن لم يكن الآن ففى المستقبل.. كل ذلك مع ضعف التأثير العربى يدفع الشعب الفلسطينى لا للاستسلام ولكن للانفجار.. فإذا اجتمعت عوامل اليأس والاحباط مع نمو روح الاستشهاد ووجود قدوة ونموذج فيما حدث فى جنوب لبنان فإن عمليات القتل والتدمير والتجويع الاسرائيلية والدعم الأمريكى المطلق لا يمكن أن تحقق أهدافها.. بل إن عملية الانتفاضة قد حقت تطورات مهمة.

●● **التطور الأول** أنه رغم الاختلال الجسيم فى عناصر القوى وعوامل المواجهة فإن الانتفاضة مستمرة وأطفال فلسطين قبل شبابها مازالوا يواجهون ببسالة جنوداً مدججين بالسلاح ودبابات ومدرعات هى أحدث ما أنتجته آلة القتل الأمريكية والإسرائيلية.. ولا يكادون يوارون جثث شهدائهم التراب حتى يعودوا لإلقاء الحجارة على الجنود الإرهابيين.

●● **التطور الثانى** أنه صار هناك إطلاق نار من جانب الشباب الفلسطينى على الجنود والمستوطنين . أو المستعمرين . الإسرائيليين..وهذا تطور مهم وله دلالته.

●● **التطور الثالث** هو بروز وصعود نجم العمليات الاستشهادية التى يقوم بها شباب فلسطينيون موجهون من منظمات مقاومة أو من تلقاء أنفسهم ويخترقون حواجز الأمن وعناصر الردع وعوامل الخوف والرهبة قبل كل شىء وهذه العمليات تستهدف مدنيين كما

تستهدف عسكريين..وتصيب حافلات مدنية كما تصيب حافلات جنود.. وتقتل أبرياء كما تقتل إرهابيين فى لباس عسكرى..

إزاء هذه التطورات يمكن القول إن إرادة الشعب الفلسطينى لم تنكسر ووعود الإرهابى أرييل شارون لم تتحقق ولن تتحقق.. وسوف تظل شلالات الدم تتدفق من الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى سواء بسواء رأسا برأس ودما بدم. كما قال من قبل ديفيد ليفى وزير خارجية اسرائيل السابق. ولن يفيد فى وقف هذه الشلالات إلقاء اللوم على ياسر عرفات وتحميله المسئولية ومطالبته بوقف الإرهاب.. وإذا كنا نأسف على قتل المدنيين الأبرياء فى أى مكان وكأن مطلوبا منا أن نأسف على قتل المدنيين الإسرائيليين فإن الأولى بأن يشعروا بالأسف والندم هم قادة إسرائيل الإرهابيون والإدارة الأمريكية التى تقدم لإسرائيل دعماً مطلقاً بلا حدود وتقدم للعرب وعوداً كلامية سرعان ما تبدلها أو تنكرها وتتراجع عنها عند أول بادرة غضب أو عتاب من الحكومة الإسرائيلية. كلمة أخيرة لا نقولها لقادة إسرائيل الذين يعادون العرب ويعادون الحق ويعادون حتى أنفسهم ولكن نقولها للإدارة الأمريكية: تحقيق السلام العادل فى المنطقة ليس فقط لصالح العرب ولكنه فى المقام الأول لصالح اسرائيل ولصالح المصالح الأمريكية فى المنطقة.. فهل تفهم الإدارة الأمريكية وهل تستجيب؟! لا أظن.

●●●

●● مبدأ.. الأرض مقابل السلام.. مات ولم يمش أحد فى جنازته.. ولا يصلح الآن إلا مبدأ جديد هو: الأرض والسلام للشعب الفلسطينى مقابل الأمن والسلام للشعب الإسرائيلى.. وإلا.

●● زمان كان تعيين الخريجين يتم بشكل دورى وبهدوء شديد. الآن تعيين الخريجين يتم فى زفة..مجرد ملاحظة..

●●●

لو فكر الذين ارتكبوا حوادث ١١ سبتمبر الماضى فيما يجرى الآن لافغانستان من تمزيق للأرض وتشريد للشعب وتنازع على السلطة هل كانوا سينفذونها؟؟ مجرد سؤال.

القمم العربية -١

قمة عربية أم لا قمة عربية؟؟

هذا هو السؤال الذى يتردد الآن فى الأوساط السياسية العربية . وربما غير العربية أيضا . فى سياق الجهود والاتصالات التى تجرى فى كافة الاتجاهات وعلى مختلف المستويات لتحقيق هدف واحد قد يكون مرحليا لكنه حيوى وهو انقاذ عملية السلام واخراجها من النفق المظلم الذى دفعتها اليه قصرا حكومة الليكود الاسرائيلية بزعامة أكثر الزعماء الاسرائيليين تطرفا وصلفا وحماقة بنيامين نتنياهو بتراجعها عن كل الالتزامات وتنكرها لكل الاتفاقات سواء التى التزمت بها حكومة العمل السابقة بزعامة اسحاق رابين ومن بعده شيمون بيريز أو حتى التى وقعتها حكومة الليكود ذاتها.

وقد لا يكون مجديا تكرار ما فعلته وما تفعله وما تنوى أن تفعله حكومة الليكود . بالدعم الأمريكى المطلق . لتصفية القضية الفلسطينية بأكبر حجم من المكاسب للدولة العبرية وشغل الشعب الفلسطينى بالفتات من الأرض والنثار من السيادة والحجم الهائل من المشكلات والمتاعب والصراعات الداخلية..وكذلك لبسط السيادة وفرض الهيمنة الإسرائيلية على مقدرات المنطقة دون نظر للحقوق الطبيعية والمشروعة للشعوب العربية.

قد لا يكون مجديا ذكر ذلك كله لأنه معروف للخاصة والعامة على حد سواء..وإن شئنا الأمانة والموضوعية فإنه بصرف النظر عن موقفنا ورأينا وعن مدى المشروعية والمنطق فيما يجرى فإن القادة الاسرائيليين يفعلون ما يرون انه يحقق حلمهم التاريخى حتى لو كان هذا الحلم مجافيا للشرعية ومفتقرا للمنطق ومصادما لحقائق التاريخ.

والسؤال هو: ماذا لدينا بالمقابل؟ ما هى رؤيتنا التاريخية؟! ما هى عناصر قوة العرب؟! وماذا هم فاعلون لاستثمار هذه العناصر فى تشكيل موقف فاعل قادر على تغيير الموازين لصالح العرب؟! هذه هى الاسئلة التى يجب أن يتوصل العرب إلى اجابات لها سواء عقدت القمة العربية المنشودة أم لم تعقد.

●○●

مسك الختام

عن ابن عباس رض الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا». رواه أحمد وابن حبان والحاكم.

ما الذى يطلبه أى عربى مخلص من القمة العربية القادمة؟؟

وما الذى يتوقعه نفس هذا العربى المخلص من نفس القمة العربية القادمة؟!

لابد أن نتفق ابتداء بأن ثمة فارقا بين ما يطلبه الإنسان أو يتمناه أو يرغب فيه وبين ما يتوقعه.ذلك أن الإنسان يتمنى دائما الحدود القصوى من الاشياء.. وقد يصل هذا التمنى إلى نوع من الوهم أو احلام اليقظة إذا لم يكن مستندا إلى الواقع والامكانات المتاحة والظروف الموضوعية المحيطة بالانسان والمؤثرة إيجابا أو سلبا فى تحقيق ما يتمناه.

أما التوقع فإنه يرتبط برؤية ووعى الظروف الموضوعية المحيطة وما تسمح به هذه الظروف.. كما يرتبط بالقدرة الذاتية على الحركة والفعل والتأثير وقدرة الطرف أو الاطراف الأخرى على الفعل أو رد الفعل..

وفى القضية التى نحن بشأنها وهى انعقاد القمة العربية فإن المسافة بين الأمانى والتوقع هى التى جعلت انعقاد القمة طوال السنوات الماضية أمرا غير متفق عليه.ذلك أن الواقع العربى حافل بالخلافات والحساسيات والشكوك والمخاوف.. فمن خلافات حدودية مشتعلة أو مستكنة تحت الرماد إلى حملات إعلامية تتأجج أحيانا وتخفت أحيانا أخرى.. إلى عجز عن الاتفاق مثلا بشأن حضور دولة مثل العراق للقمة المراد عقدها.. إلى عجز عن اتخاذ قرار فى قضايا بعيدة عن الخلافات السياسية الحادة مثل قضية السوق العربية المشتركة التى تمثل أملا وضرورة والتى بدأت المناداة بها مع بداية الحديث عن السوق الأوروبية المشتركة.. وبينما وصلت دول أوروبا التى اشتعلت فيما بينها حربان عالميتان وعشرات الحروب الصغيرة إلى برلمان أوروبى وبيت أوروبى كبير وعملة أوروبية موحدة مازال أمل السوق العربية المشتركة حبيسا فى الصدور أو مسجلا فى الأوراق دون عمل حقيقى.. ومازالت الحقيقة القائلة بأن التجارة البينية للدول العربية تمثل فقط ثمانية بالمائة من تجارتها الخارجية بينما ٩٢ بالمائة من هذه التجارة يجرى مع دول أوروبا وأمريكا والشرق الأقصى.وهذه قضية تستحق لا أن تعقد من أجلها قمة عربة واحدة بل تستحق أن تكون بندا رئيسيا فى جدول أعمال قمة عربية تعقد بشكل دورى ليس فقط كما هو الحال فى قمة منظمة الوحدة الافريقية بل فى قمة دول الاتحاد الاوروبى وقمة السبع دول الكبرى + روسيا وقمة دول شرق آسيا وقمة دول النافتا «شمال أمريكا» أى الولايات المتحدة وكندا والمكسيك.

وإذا استبعدنا من الأمنيات والتوقعات ما هو مستحيل فى ظل علاقات القوى ومعطيات الواقع وهو العمل العسكرى النظامى أو الشعبى فإنه يبقى الكثير مما يتوقعه المواطن العربى من القمة العربية المقبلة.. ولابد من أن تكون التوقعات ابعد من أزمة اللحظة الحالية وتمتد إلى المستقبل.. فإن الذى يجرى من قمع وإسالة دماء فى الشارع الفلسطينى ومن تهديدات على الجانبين اللبنانى والسورى ليس هو النهاية ولا هو مقصودا لذاته..ولكنه وسيلة

لفرض الواقع الذى تستخدمه اسرائيل والذى يتعارض مع الحق والعدل والمنطق.. ومن ثم فإن الذى يتوقعه المواطن العربى أو تتخذ القمة العربية خطوات لوقف ما يجرى الآن وضمان عدم تكراره.. وللتأكد من أن التسوية النهائية التى يسعى الجميع إليها لن تكون على حساب الحقوق الطبيعية المشروعة للشعوب العربية وفى مقدمتها الشعب الفلسطينى.

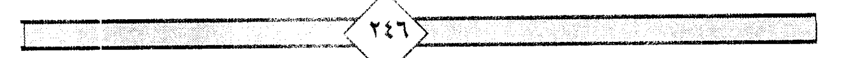
ومرة اخرى إذا استبعدنا المستحيل فإن أمام الدول العربية الكثير مما يجب عمله للتأكد لاسرائيل والولايات المتحدة بأنه لا أمل ولا مجال لاندماج اسرائيل فى المنطقة فى ظل مسلك عدوانى ارهابى وأن هناك فارقا كبيرا بين التسليم بواقع جيوبوليتكى قانونى فرضته القوة والموازين الدولية وبين استعداد الشعوب العربية لقبول الدولة العبرية واقامة جسور من التفاهم الانسانى مع الشعب الاسرائيلى الذى لم يثبت حتى الآن رغبته فى تحقيق سلام عادل يقوم على احترام حقوق الاخرين.. وأمام الدول العربية أن تدعم الشعب الفلسطينى بأكثر من البيانات الانشائية التى لا تساوى الحبر الذى تكتب به ولا الورق الذى تطبع عليه.. وأمام الدول العربية أن تساعد المواطن الفلسطينى فى أى موقع من الأراضى الفلسطينية المحتلة على ألا يخضع لأى إغراء بأن يبيع بيته ليهودى أو يترك عمله وأرضه ويتجه إلى أى مكان آخر بحثا عن المال أو الامان.. وألا يلهث وراء الجنسية الاسرائيلية توهما بأنها تحميه وتزيد من قدره، وأمام الدول العربية كما قلنا فى البداية أن تضع خططا ورؤى للتعاون بينها بما يؤكد أنها قابلة لأن تكون قوة فى المستقبل دون التخلى عن معالجة الأوضاع الطارئة غير الانسانية التى فرضها الارهاب الاسرائيلى المنظم والتواطؤ الأمريكية القبيح.

•••

•• ويمضى الاصحاب واحدا فى إثر واحد..وهكذا اقتضت مشيئة الله عز وجل أن نكون مساء الجمعة الماضى فى وداع الزميل صلاح درويش نائب رئيس تحرير الجمهورية ورئيس الاقسام الفنية وفى مساء السبت نكون فى وداع الزميل الكبير محمد الحيوان مساعد رئيس تحرير الجمهورية والكاتب الصحفى بها وبالزميلة الوفد وفى مساء السبت نكون فى وداع عبدالحميد حمروش العضو المنتدب السابق لدار التحرير ونائب رئيس مجلس ادارة دار الهلال ومستشار مؤسستى دار الشعب ودار التعاون.. وبينما كان القراء يتلون آيات من كتاب الله تعالى كنت أستعيد ذكريات نحو أربعين عاما من العمل الصحفى بكل ما فيها من نجاحات واخفاقات شخصية أو قومية.. وكنت أردد فى داخلى قول المولى سبحانه «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا».

•••

•• قال لى صديق: أتمنى أن تكون انتخابات مجلس الشعب كل عامين.. سألته: لماذا؟ قال: لأنها فرصة للمزايدة بين الحكومة وأحزاب المعارضة فى تقديم الخدمات والوعود



بالخدمات للمواطنين مما يساعد على حل أزمة الركود ونقص السيولة!!!

●●●

مسك الختام

قال الشاعر:

لعمـرك ما أدرى وإنى لأوجـل

علـى أينـا تأتـى المنيــة أول



قبل الحديث عن القمة العربية الطارئة التى عقدت بالقاهرة يومى السبت والأحد الماضيين ثمة حقيقة مهمة تكاد تغيب عن أذهاننا ويجب علينا استحضارها وإبقاؤها بتداعياتها ماثلة فى الأذهان.. وبغير ذلك لا نستطيع أن نقرأ الحاضر قراءة صحيحة ولا نستطيع بالتالى أن نخطط للمستقبل.

هذه الحقيقة هى أن الواقع الفلسطينى الأليم وواقع الصراع العربى الاسرائيلى الذى لا يقل إيلاما هو محصلة أجيال وليس أمرا طارئا.. واذا تجاهلنا أو جنبنا محاولات الاستيطان اليهودية فى فلسطين وفى طرق الحج قبل مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ وأرخنا للوجود اليهودى المنظم بذلك المؤتمر المشؤوم ومن بعده وعد بلفور الأكثر شؤما الذى صدر عام ١٩١٧ فإننا نتحدث عن صراع دموى عمره قرن من الزمان أو أكثر قليلا.. فى خلال هذا القرن كان اليهود لديهم هدف استراتيجى محدد وواضح ومجمع عليه ويتم التجنيد وجمع المال والضغط والتآمر من أجله.. وهكذا ما بين عام ١٨٩٧ وعام ١٩١٧ أى خلال عشرين سنة فقط صار لليهود وجود فى فلسطين وصارت لهم قضية تبرر صدور وعد بوطن قومى لهم.. وفيما بين عامى ١٩١٧ و١٩٤٧ كانت نواة الدولة قد وضعت ثم صارت دولة بقرار أممى صادر من الأمم المتحدة التى لم يكن مضى على انشائها سوى عامين وشاركت فى تأسيسها دول عربية منها مصر وقبل نهاية القرن كانت اسرائيل- التى ظللنا طويلا نسميها اسرائيل المزعومة so called israel تضع يدها على كل فلسطين وعلى هضبة الجولان السورية وعلى الجنوب اللبنانى بعد أن استطاعت مصر بحرب أكتوبر ١٩٧٣ وبمفاوضات سلام مضنية ان تجلى الإسرائيليين من سيناء.

الجزء الثانى من هذه الحقيقة أو الوجه الآخر لها هو ان العرب لم يكونوا فى أى وقت من أوقات الصراع يملكون رؤية استراتيجية وخططا لتحقيق أهداف مرحلية.. وبالتالى لم يكونوا قادرين على الافعال.. كما لم تكن ردود أفعالهم بحجم وقوة الافعال الاسرائيلية.. واذا كان هذا العجز العربى راجعا فى النصف الأول من القرن الى الوجود الاستعمارى المباشر والصريح فى العديد من الدول العربية فإنه يرجع فى النصف الثانى إلى ما خلفه الاستعمار من عوامل الفرقة بين العرب والى التصنيفات المختلفة: الاغنياء والفقراء.. التقدمية والرجعية.. وبسبب هذه التصنيفات والخلافات التى أثارتها دون مبرر حقيقى عميق ثم تفريغ العمل العربى من طاقاته فتأخرت قرارات كان لابد من اتخاذها وخطوات مهمة كان لابد من الاقدام عليها بكل قوة مثل التنسيق السياسى والتكامل الاقتصادى والتعاون العسكرى الفعلى وهو ما وصلت اليه دول أوروبا رغم الحروب المدمرة التى استغرقت منها قرونا واستنزفت دماء عشرات الملايين من مواطنيها وبسبب غياب الرؤية الاستراتيجية والعمل العربى المتكامل- ولا نقول الموحد- استطاعت اسرائيل ومعها الولايات المتحدة الأمريكية ان تفرض رؤيتها وايقاعها

ومطامعها على العرب وأن تضعهم دائما فى موقف الدفاع لا عن حقوقهم ولكن عن صورتهم أمام العالم باعتبارها الدولة التقدمية فى بحر من التخلف.. الغنية وسط فقراء.. الديمقراطية وسط مجتمعات تهدر حقوق الانسان.. ممثل للعالم الغربى الحر وسط منطقة لا تؤمن بالحرية.. الدولة الصغيرة المهددة بالفناء والالقاء فى البحر.. واستطاعت الآلة الإعلامية الصهيونية المسيطرة على وسائل الإعلام فى الغرب أن تسوق هذه الأخطار وترسخها بحيث إن صورة العربى والمسلم ارتبطت بالتخلف والثروة الجاهلة وجنون الجنس والتطرف والارهاب.

حقيقة أخرى مهمة هى أن الصراع العربى الاسرائيلى ليس خلاف حدود.. ولا نزاعا على مساحة من الأرض أو كميات من المياه.. ولا هو صراع على الزعامة والقيادة.. بل هو فى الحقيقة صراع وجود وحضارة.. والسياسة الإسرائيلية تنطلق من هذه الأسس.. وهناك ثوابت للمجتمع الإسرائيلى لا يستطيع أحد أن يتهاون فيها.. ولا فرق حقيقيا بين باراك وشارون ولا بين بيريز ونتنياهو ولا بين عمل وليكود.. قد يكون ثمة فارق بسيط فى الاسلوب والدرجة.. ولكن حتى فى هذا فإن الاحداث الأخيرة فى الأراضى الفلسطينية أثبتت أنه ليس فى السيىء أحسن وان الجميع من عجينة واحدة.. فلقد راهن العرب على حزب العمل وعلى فوز باراك وتعاملوا معه على أنه صانع السلام القادم.. واعتقد ان بعضهم الآن يتحسر على أيام نتنياهو فقد أثبت باراك أنه أسوأ.

اذا وضعنا كل هذه الحقائق فى أذهاننا فلابد أن ننظر إلى القمة العربية الأخيرة ليس باعتبارها نهاية المطاف ولا هى الحل السحرى للصراع العربى الاسرائيلى لكنها خطوة أولى يجب أن تتبعها خطوات أهم.. هذه الخطوات هى البدء فعلا بمطاردة مجرمى الحرب الاسرائيليين دوليا والعمل على ادانتهم من خلال محكمة دولية.. وتنفيذ كل ما يتعلق بدعم نضال الشعب الفلسطينى ماديا وعسكريا ومعنويا وسياسيا على أرض الصراع وفى كل المحافل الدولية والتمسك بكل الثوابت المتعلقة بالحقوق العربية.

ويجب ألا ننسى أنه فى الوقت الذى اجتمع فيه القادة العرب فإن عمليات القتل والقمع التى تقوم بها اسرائيل ضد الشعب الفلسطينى كانت تجرى بكل ضراوة.. وفى الوقت الذى كان القادة العرب يستعدون لاصدار البيان الختامى للقمة كان باراك- بتنسيق مع الارهابى أرييل شارون- بعلن تجميد عملية السلام وهذا تحد جديد يجب أن يكون حافزا لتنفيذ مقررات القمة بحذافيرها.. ويجب أن يكون هذا التنفيذ خطوة على طريق تحجيم أطماع اسرائيل التى تتجاوز حدود الأرض الفلسطينية.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذى آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾** صدق الله العظيم. سورة الأنفال آية ٧٤.

شهدت العاصمة البحرينية «المنامة» يومى السبت والأحد الماضيين انعقاد قمة مجلس التعاون الخليجى رقم ٢١.. وقد صدرت عن القمة عدة قرارات وتوصيات تصب فى تيار دعم علاقات دول المجلس الست وهى: المملكة العربية السعودية والكويت والامارات والبحرين وقطر وعمان.. وتنسيق المواقف بين هذه الدول فيما يتعلق بالقضايا الملحة التى تواجهها مجتمعة أو تواجه بعضها مثل الموقف من العراق والنزاع الايرانى الاماراتى والنزاع البحرينى القطرى واقامة سوق خليجية مشتركة ودعم الانتفاضة الفلسطينية.

وبصرف النظر عن قوة القرارات الصادرة عن القمة الخليجية وتأثيرها فى مسار الاحداث على مستوى الخليج أو مستوى منطقة الشرق الأوسط أو السياسات العالمية فان ثمة ملاحظات مهمة جديرة بالتسجيل.

●● ان مجلس التعاون الخليجى يمثل تجربة وحدوية ناجحة بالمفهوم العام للوحدة وليس بمفهوم الوحدة السياسية الاندماجية التى تذيب كيانات الدول وتلغى خصوصياتها وتقفز على تمايزها مما يجعلها وجعلها بالفعل- أى الوحدة الكاملة الاندماجية- عرضة للانهيار والفشل بسبب عدم قدرتها على الاستجابة للطموحات العامة مع مراعاة الخصوصيات والتمايزات.

●● إن مجلس التعاون نجح فيما لم يتحقق النجاح فيه على مستوى القمم العربية إلا هذا العام وبمبادرة وعزيمة مصرية.. نعنى دورية الانعقاد بما يحقق التواصل لمعالجات القضايا ويقرب المسافات بين الزعماء والقادة ويمكن من و ضع جداول أعمال وحسن التحضير للقضايا المطروحة.

●● إن الحرص على دورية الانعقاد مهما كانت الخلافات والتحفظات مكن من معالجة الكثير من القضايا ومنها قضايا خلافية ونزاعات.. ساعد على ذلك حكمة عدد من قيادات دول المجلس وخاصة الملك فهد بن عبد العزيز والشيخ زايد بن سلطان والسلطان قابوس بن سعيد.

●● استطاع المجلس من خلال ذلك انجاز الكثير من المشروعات واتخاذ الكثير من القرارات التى تصب فى خدمة مجتمعات دول الخليج العربية خاصة فيما يتعلق بانتقال الافراد ورؤوس الأموال والتعاون الأمنى والتنسيق فى مجال المناهج الدراسية والانتاج الإعلامى وغيرها من المجالات.

●● تحقق النجاح والاستمرار للمجلس لأسباب عديدة فضلا عن حكمة القيادات.. فالدول الاعضاء فى المجلس متشابهة أو متقاربة فى الظروف والامكانات ونظم الحكم ومستويات المعيشة.. ولا توجد ثمة تفاوتات حادة تحول دون الانسجام داخل اطار المجلس.

كل هذه الاسباب ساعدت على نجاح تجربة مجلس التعاون الخليجى واستمرارها بحيث تخطت كونها تجربة وصارت حقيقة مؤثرة ولها ثمارها فى مجتمعات الدول الأعضاء فى

المجلس.. وهذا هو ما يميز هذه التجربة عن غيرها من تجارب الوحدة أو الاتحاد التى شهدتها المنطقة العربية سواء أكانت ثنائية (مصر- سوريا) أو ثلاثية (مصر- سوريا- ليبيا) أو رباعية (مصر- العراق- الأردن- اليمن) أو أكثر من ذلك (الاتحاد المغاربى + مصر) والتى أسبق من الواقع.. أو لأنه كانت ثمة محاولات لتوظيف الوحدة لمصالح شخصية أو قطرية. وفى جميع الحالات لغياب الإرادة الشعبية الضاغطة التى تضمن لهذه التجارب الاستمرار.. ولعل المسئولين عن الدول الاعضاء فى الاتحاد المغاربى يعيدون النظر فى فكرة الاتحاد فى ضوء تجربة مجلس التعاون الخليجى حتى تتحقق تجربة جديدة ناجحة.. ولعل المستقبل القريب أو البعيد- اذا تحقق هذا- يشهد تفاعلا خلاقا بين هذه التجارب لإثراء جامعة الدول العربية وليس خصما منها.

●●●

●● من أفضل وأهم الأعمال التى أنجزتها هيئة الكتاب الموسوعة التاريخية المهمة والقيمة «مصر القديمة» للأثرى المؤرخ المصرى البارز سليم حسن.. فهى عمل يعتز أى مثقف مصرى بأن يكون فى مكتبته يرجع اليه لا ليتعرف فقط على تاريخ بلاده القديم كوقائع وأحداث فقط ولكن كرؤية اجتماعية دينية فكرية علمية.. باختصار.. حضارية.. والسؤال: هل يكمل الدكتور سمير سرحان هذه الخطوة بخطوة مماثلة يقوم من خلالها باصدار «أطلس الاسلام» للدكتور حسين مؤنس الذى يعد أهم وأشمل مرجع عن الأمة الإسلامية صدر فى القرن العشرين.. هذه الموسوعة التى احتاجت نحو عشرين عاما من التفكير والدراسة والتحضير والاعداد واحتاجت لجهد العديد من الرجال ليست مجرد أطلس جغرافى دقيق مصور ملون عن العالم الإسلامى لكنها أيضا أطلس تاريخى لا يستغنى عنه دارس وباحث أو مهتم بالاسلام وتاريخه.. غير أن ثمنها لا يمكن من اقتنائها إلا القادرين ماديا.. ولو صدرت هذه الموسوعة من خلال هيئة الكتاب فسوف تحسب للهيئة ولرئيسها بدلا من عشرات الكتب التى تدعو للشك أو على الأقل للتساؤل عن أسباب نشرها.

●●●

●● فى خبر نقلته وكالات الأنباء من العاصمة الايطالية روما أن دراسة ايطالية أجريت مؤخرا عن المرأة الأوروبية أكدت أن العنف بصوره المتعددة أصبح ملازما لخمس وعشرين بالمائة من النساء الأوروبيات.. وأن صور ذلك العنف تتراوح ما بين الاغتصاب والعنف العائلى والمطاردات والانتهاكات الجنسية المختلفة وأن هذا العنف صار وباء اجتماعيا حقيقيا فى أوروبا الآن.. بدون تعليق.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾** صدق الله العظيم . سورة فصلت آية ٣٠.

تبدأ اليوم أعمال القمة العربية فى العاصمة الأردنية عمان وسط أجواء تتراوح بين الترقب والأمل وبين التربص والتحفز.. وهذا أمر طبيعى ومفترض ومتوقع بالنظر للظروف الموضوعية المحيطة بانعقاد هذه القمة بالآمال المعقودة عليها باعتبارها منطلقا للعمل العربى المشترك أو النظام العربى الجديد.. وكذلك بالمخاوف- عند الآخرين- من اتخاذ القمة قرارات تدعم العمل العربى المشترك وتساند الحق العربى وتقف مع نضال الشعب الفلسطينى فى مواجهة قوى العدوان والبغى الاسرائيلية المدعومة بتأييد أمريكى سافر وفاجر.

أما من حيث الظروف الموضوعية المحيطة بانعقاد القمة فتأتى حسب ما يلى دون النظر لأهمية الترتيب:

أولا: قمة عمان هى أول قمة تعقد تنفيذا لقرار القمة العربية الاستثنائية بالقاهرة فى أكتوبر عام ٢٠٠٠ بدورية انعقاد القمة لايجاد التواصل والتفاعل بين القادة العرب وحل المشكلات فى بداياتها قبل أن تتراكم تداعياتها وتستعصى على الحل.. وليس أمام العرب خيار آخر غير نجاح هذه القمة حتى يثبت العرب جديتهم وجدارتهم وقدرتهم على اتخاذ قرارات مصيرية والدفاع عنها دون النظر أو الوقوع فى فخ المصالح المحلية الضيقة لأى بلد عربى.

ثانيا: ان انعقاد القمة يأتى بعد أسابيع من نجاح الارهابى أرييل شارون زعيم التيار السياسى المتطرف فى اسرائيل فى القفز الى رئاسةالوزراء وتشكيل حكومة وحدة وطنية ضمت الى جانب وزراء تكتل الليكود والاحزاب الدينية والعلمانية المتطرفة وزراء من حزب العمل المنافس اللدود لليكود بعد أن فشل ايهود باراك زعيم حزب العمل فى الوصول الى أسس سلام حقيقى مع الفلسطينيين كما فشل فى تقديم نفسه للشارع السياسى الاسرائيلى فى صورة القائد القادر على اتخاذ القرارات الصعبة من أجل سلام عام يشمل الشعب الاسرائيلى ويسمح لاسرائيل بالاندماج فى المنطقة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.. ونظرا لما هو معروف عن شارون من دموية و عنف وكراهية للعرب واحتقار لهم فإن من الحتمى وجود موقف عربى فاعل يحول دون اندفاع هذا السفاح فى طريق القضاء على آمال السلام.

ثالثا: ويأتى انعقاد القمة أيضا بعد أسابيع من تسلم الإدارة الأمريكية الجديدة بزعامة الرئيس جورج بوش الابن السلطة فى الولايات المتحدة.. ولاشك أن القرارات والاجراءات والتصريحات التى صدرت عن الإدارة الأمريكية خلال هذه الاسابيع القليلة كانت مخيبة لكل الآمال التى عقدت عليها والتى توقع أصحابها أن تكون هذه الإدارة أقل انحيازا لاسرائيل أو أقل غلوا فى حرصها ليس فقط على حماية أمن اسرائيل بل على ضمان تفوقها والاستمرار فى نيل رضاها.

واذا كان العرب غير قادرين على معاداة أمريكا أو غير أصحاب مصلحة فى ذلك باعتبار أن

الولايات المتحدة هى الأقرب لاسرائيل وهى الوحيدة المؤهلة للتأثير عليها وهى الحاكمة بأمرها فى العالم فإن أقل ما يجب أن يحرص عليه العرب هو ألا يكون الانحياز الأمريكى سببا فى ضياع حقوق العرب.. وقديما قالوا: ما ضاع حق وراءه مطالب.. وقالوا: ما حك جلدك مثل ظفرك.

وقال الشاعر: وما نيل المطالب بالتمنى.. إلى آخر البيت.

رابعا: تنعقد القمة العربية- الدورية- وقد دخلت الانتفاضة الفلسطينية شهرها السابع والشعب الفلسطينى يتعرض للتجويع والقتل المباشر والقتل بمنع فرص العلاج وتدمير البنية الأساسية.. ومازال هذا الشعب الاعزل صامدا يناضل وفى مقدمة صفوفه الشباب والاطفال أبطال الحجارة.. واذا كان مطلوبا استمرار هذه الانتفاضة فان المطلوب من الدول العربية المعاونة الجادة والحقيقية فى تمكين الشعب الفلسطينى من مواصلة الحياة فى ظل ظروف القهر والبطش والحرمان المفروضة عليه من اسرائيل.. وقد نجحت هذه الانتفاضة ان تحصل من دول الاتحاد الأوروبى على اعتراف بجريمة اسرائيل حيث طالبت هذه الدول فى قمتها الأخيرة بضرورة فك الحصار وانهاء الاجراءات العقابية المفروضة على الشعب الفلسطينى.. والمطلوب اجراء عربى وموقف موحد وجاد يدفع بالدماء فى شرايين المقاومة الفلسطينية دون غرق فى تفاصيل الخلافات والتصنيفات التى تنال من وحدة النضال الفلسطينى ووحدة الموقف العربى تجاه هذا الشعب.

خامسا: تنعقد القمة ومازالت الشرعية الوهمية الدولية تفرض حصارها على الشعبين الليبى والعراقى ومازالت العقوبات الدولية مفروضة على السودان.. ومن حق شعوب هذه الدول أن تعيش فى سلام مثل غيرها وألا تعاقب باخطاء حقيقية أو مزورة هى بريئة منها.

سادسا: يأتى انعقاد هذه القمة وقد أضيئت شموع قليلة لعلها تبدد بعض الظلام.. ومن ذلك صدور حكم محكمة العدل الدولية فى الخلاف الحدودى بين البحرين وقطر وترحيب قيادتى البلدين بالحكم واحتفالهما به معا مما يشكل نقلة حضارية مهمة.. كذلك الاتفاق السعودى القطرى على ترسيم الحدود بين البلدين بما يزيل أى لبس وخلاف وهو اضافة حضارية جديدة.. وليت هذين النموذجين يكونان قاعدة عملية تضاف الى القواعد القانونية فى حل النزاعات الحدودية بين الدول وليت الدول العربية الأخرى تقتدى بهذين النموذجين- الحديثين- وغيرهما من النماذج التاريخية السابقة التى كان لمصر فضل ارسائها أمثلة تتبع لحل هذه المشكلات وادخار جهود الشعب العربى للنهوض بامكاناته وتوحيد صفوفه لمواجهة قضاياه الكبرى وتحدياته المصيرية.

اذا وضعنا هذه الضروف الموضوعية فى الاعتبار نظرنا الى المحاور الرئيسية لعمل المؤتمر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا يمكن ان ندرك حجم الآمال العربية المعقودة على القمة العربية والتى جعلت الرئيس حسنى مبارك يكثف اتصالاته لضمان نجاح هذه القمة وترطيب الأجواء العربية وأخيرا دعته الى ان يقترح عقد قمة اقتصادية عربية فى نوفمبر

القادم واستجابة الدول العربية لهذا الاقتراح.. وجدول الاعمال الحافل الذى أمضى وزراء الخرجية أياما طوالا لمناقشته والحوار- وربما الجدل حوله- هو تعبير عن الرغبة فى اتخاذ قرارات تلبى طموحات الأمة العربية فى هذه الظروف الحرجة خاصة وأن الرئيس حسنى مبارك مقبل على زيارة مهمة للولايات المتحدة وهى أول لقاء عربى مباشر مع الإدارة الأمريكية على أعلى مستوى.. ومن المهم فى هذه الظروف أن يحمل الرئيس معه اجماعا عربيا على أهم القضايا.

وفى مقابل الآمال والطموحات العربية الملقاة على عاتق القمة فإن ثمة تربصا على الجانب الاسرائيلى وأيضا على الجانب الأمريكى لتفريغ القمة من فاعليتها أو التخفيف من مواقفها وقراراتها المعبرة عن هذه المواقف خاصة فيما يتعلق بالسلام ودعم الشعب الفلسطينى والسعى لرفع العقوبات عن الشعوب العربية فى ليبيا والعراق والسودان.

باختصار.. فإن القيادات العربية المجتمعة اليوم أمام اختبار تاريخى نرجو لهم اجتيازه بنجاح.

●●●

●●لجنة التحقيق الأمريكية التى جاءت الى مصر للتحقق من الحرية الدينية.. أولى بها أن تتجه بجهودها الى داخل الولايات المتحدة وتجيب على هذه الأسئلة: هل حصلت الأقلية السوداء- أو السمراء تأدبا- على كافة حقوقها الطبيعية؟؟ و.. هل تخلص المجتمع الأمريكى من «المحميات» المقامة لبقايا الهنود الحمر الذين يعاملون ككائنات غريبة؟؟.

●●●

●● هل يتطوع أحد بأن يشرح لى ماذا حدث وماذا يمكن أن يحدث فى قضية «نواب القروض» وتداعيات هذه القضية على الشارع المصرى وعلى عمل البنوك وحركة الاقتراض وعلاقات النواب المحترمين؟؟●.

● ٢٧ مارس ٢٠٠١

بدأ التعد التنازلى للقمة العربية- الدورية- التى سوف تنعقد فى بيروت.. والذى يرجع الى قرار دورية القمة الصادر عن قمة القاهرة منذ عامين سوف يكتشف أن هذه الدورية لم تكن هدفا فى ذاتها ولكنها كانت وسيلة لاستمرار التواصل بين القادة العرب واتصال التشاور بشأن القضايا المختلفة والتمكين من ملاحقة التغيرات التى تطرأ عليها ومتابعة ما يصدر عن الملوك والرؤساء والأمراء من قرارات.

وفى القمة السابقة التى عقدت فى العاصمة الأردنية عمان فى مارس من العام الماضى تقرر عقد القمة القادمة فى العاصمة اللبنانية بيروت تقديرا لكفاح الشعب اللبنانى الذى ظل صامدا فى وجه الاحتلال الاسرائيلى القذر للجنوب والبقاع والمقاومة اللبنانية الباسلة التى أجبرت القوات الاسرائيلية على الانسحاب المخجل والمهين رغم الفارق بين عناصر المقاومة التى قادها حزب الله بدعم من الشعب والحكومة وبين قوات البغى والعدوان سواء فى العدد أو العدة أو العتاد.

ولكن انعقاد القمة الذى كان مقررا ومتفقا عليه ولا يحتمل أى مناقشات أو مناكفات تعرض فى الاسابيع الأخيرة لأزمات وبدا وكأنه يمر بطريق حافل بالألغام.. وكان أبرز هذه الألغام- من حيث الشكل- حضور أو عدم حضور العراق.. وفى الأساس دعوة أم عدم دعوة العراق للحضور.. وبعد مشاورات واتصالات بين كل الاطراف تقرر دعوة الرئيس العراقى لحضور القمة.. ولا أحد يدرى كيف سيكون الحال والعلاقات بين العراق وكل من الكويت والمملكة العربية السعودية على ما هى عليه من تدهور منذ غزو العراق الكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠ وما تبعها وترتب عليها من عاصفة الصحراء الى الحصار المفروض على العراق منذ أحد عشر عاما ودفع الشعب العراقى فاتورته ومازال يدفعها حتى الان ولم تسلم دول الخليج الأخرى الثرية بما فيها الكويت والسعودية من آثارها السلبية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا واجتماعيا.

ومن هذه الألغام أيضا الأزمة التى تفجرت فجأة بسبب ليبيا وقضية الإمام موسى الصدر التى مايزال ملفها مفتوحا منذ أكثر من عشرين عاما حين قام الرمز الشيعى اللبنانى الكبير بزيارة لليبيا ثم اختفى ولم يظهر له أثر ووجهت أصابع الاتهام إلى أجهزة معينة فى ليبيا بأنها وراء اختفائه المفاجىء والغريب.. وبسبب هذه الأزمة طالبت ليبيا بنقل القمة من بيروت إلى عاصمة عربية أخرى واقترح الجانب الليبى أن تعقد القمة فى القاهرة باعتبارها المقر الدائم لجامعة الدول العربية.. غير أن الاتصالات المكثفة التى جرت على مختلف المستويات استطاعت أن تنزع فتيل الأزمة وأن توافق كل من لبنان وليبيا على تسوية الأمر بعقد القمة فى بيروت وبحضور ليبيا للقمة.

بيد أنه مازال أمام القمة العديد من الألغام التى يتعين على القادة العرب أن يجدوا لها

حلا وإلا أصبحت القمة عديمة القيمة وتأكد أننا نعيش فى عصر الهوان العربى.

●● أما اللغم الأول فهو حضور الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات المحاصر فى رام الله والذى قرر رئيس الوزراء الارهابى الاسرائيلى أرييل شارون حبسه فيها وشل قدرته ليس على الانتقال فقط بل على الحركة واتخاذ القرار الى حد منعه من حضور احتفالات أعياد الميلاد فى بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح عليه السلام ولم تنفع أو تجد أى رجاءات أو توسلات فى ثنيه عما قرره.. ويمضى شارون فى تنفيذ خطته لتدمير السلطة الفلسطينية والقضاء على مقاومة الشعب الفلسطينى بل القضاء على الشعب الفلسطينى ذاته إن استطاع إلى ذلك سبيلا.. وهو فى ذلك يعتمد على تأييد مطلق فاجر ومفضوح من الإدارة الأمريكية التى أعطته ضوءا أخضر ليفعل ما يشاء بينما كبلت السلطة الفلسطينية بالقيود والاعتراضات والاتهامات وتجاوزت مرحلة التسوية بين القاتل والقتيل بل هى تشجع القاتل وتمتدحه وتثنى عليه وتدوس على رقبة القتيل وكأنها تؤدى واجبا مقدسا بينما هى فى الواقع ترتكب جريمة أبشع مما ترتكبه الحكومة الاسرائيلية.. والسؤال الذى يمثل اللغم هو: هل سينجح القادة العرب فى ممارسة ضغوط تنتهى بالسماح لعرفات بحضور القمة أم سيبتلع هؤلاء القادة والزعماء الإهانة ويتقبلون المذلة ويعقدون قمتهم دون حضور عرفات ليسجلوا لشارون انتصارا جديدا عليهم مجتمعين يقنع به الإدارة الأمريكية بصواب رؤيته وسلامة سياسته التى تقوم على أن العرب عاجزون عن الفعل أو حتى القول؟! أم أن هؤلاء القادة سوف يعلقون القمة ولا يعقدونها احتجاجا على منع عرفات- الرئيس العربى السجين- من الحضور وبذلك يكونون قد أكدوا قدرة اسرائيل على التحكم فى القرار العربى؟؟ وهل يقرر عرفات أن يتحدى السجن الاسرائيلى ويحاول التوجه الى بيروت حتى وإن استشهد وانضم الى قائمة شهداء فلسطين وضحايا العجز العربى أم أنه سيظل فى محبسه يناشد الرئيس الأمريكى جورج بوش- الصغير- الذى أصم أذنيه نهائيا عن الاستماع للصوت العربى؟؟

●● وأما اللغم الثانى فهو يتمثل فى سؤال: ماذا اذا انعقدت القمة العربية سواء بحضور عرفات أم فى غيابه؟؟ اذا عقدت دون حضور عرفات فما الذى سوف يفعله القادة والزعماء العرب لفك سجن الرجل ورفع الحصار العسكرى والاقتصادى والنفسى عن الشعب الفلسطينى- وهو الأهم والأبقى من كل زعامة؟؟ هل سيكتفون بالبيانات الانشائية التى تتضمن عبارات الرفض والنقد والإدانة والاستنكار والشجب والمناشدة والتوسل والتسول التى لن تجد لها مكانا إلا فى مزابل التاريخ؟؟ اما ان ثمة أملا فى تحرك عربى جماعى فى اتجاه الإدارة الأمريكية يقنعها بأن لها مصالح جمة فى المنطقة وأن هذه المصالح يمكن أن تكون عرضة للضرر البالغ اذا استمرت فى تأييدها المطلق للعدوان الاسرائيلى القذر على الشعب الفلسطينى وعلى الكرامة العربية؟؟ واذا عقدت القمة بحضور ياسر عرفات فما الذى سيفعله القادة العرب لضمان عودة الرجل الى وطنه ليقود شعبه ويحول دون انقسام بجعل قوى

النضال الفلسطينى تنقلب على بعضها وهو ما يريده ويخطط له شارون؟؟

هذه أسئلة حائرة لا نملك اجابة لها.. ولا يدرى المرء هل يملك القادة والزعماء العرب اجابات لها أم ان مقادير هذه الأمة تتحدد حسبما تأتى بها الرياح وهى فى زمن الهوان العربى رياح سموم.

●●●

●● يا ويلنا من بوشارون.

●●●

●● أنا عربى.. أنا آسف.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾** صدق الله العظيم. سورة آل عمرا آية ١٠٣.

● **٢٩ يناير ٢٠٠٢**

الموقف الذى اتخذته مصر من قضية العراق والضربة الجوية المتوقعة ضدها لتأديب النظام العراقى والذى عبر عنه الرئيس حسنى مبارك بقوله ان الوقت غير مناسب لتوجيه مثل هذه الضربة يترجم احساس مصر بالمسئولية تجاه كل دولة وكل بلد.

ففى الوقت الذى أعلنت فيه مصر رفضها لمثل هذه الضربة أيا كان حجمها لم تقف مصر عند حدود موقف الرفض السلبى وانما توجه الرئيس حسنى مبارك بالخطاب الى الحاكم العراقى صدام حسين فى صورة رسالة خاصة يدعوه فيها الى تحكيم العقل ومراعاة مصالح الشعب العراقى واتاحة الفرصة للجهود السياسية والدبلوماسية التى تستهدف تجنب المواجهة العسكرية التى هى فى حقيقة الأمر مزيد من ا لتدمير للمرافق الحيوية والقدرات العسكرية للعراق.. واتاحة الفرصة لتطبيق قرارات مجلس الأمن.

تدرك مصر وتعى القيادة السياسية وهى تفعل ذلك انها تنطلق فى هذا الجهد من واقع مكان مصر ومكانتها ودورها ومسئوليتها التاريخية ومن واقع ان العراق بصرف النظر عن سوء وغباء النظام الحاكم فيها.. هى جزء من ا لأمتين العربية والاسلامية وان وحدة العراق وقوته هى اضافة للقوة العربية وان تماسك العراق هو سند للأمة العربية وان معاناة الشعب العراقى تسبب الألم لكل مواطن عربى فى أى وطن عربى وأن رفع هذه المعاناة هو مسئولية كل العرب.. ولذلك تتحرك القيادة المصرية وتعمل الدبلوماسية المصرية بشكل متوازن فى كل الاتجاهات فهى تسعى كى تحمى شعب العراق وتحافظ على سلامة ووحدة الأراضى العراقية.. وتسعى فى ذات الوقت لاحترام الشرعية الدولية وتطبيق قرارات المنظمة الدولية الكبرى.. وتتحمل فى سبيل ذلك أى تضحيات أو مواجهات يقتضيها وقوفها الى جانب الحق والعدل.

ان هذا الموقف يجب أن يكون هو موقف كل الدول العربية و الاسلامية فهذا هو السند الوحيد لشعب العراق سواء تحققت النتائج المطلوبة وتم تجاوز الأزمة وتفويت الفرصة على عملية هدم القوة العسكرية العراقية لحساب اسرائيل أم نجح النظام العراقى بغبائه فى اتاحة الفرصة الذهبية لتنفيذ هذه الضربة التى لن يستفيد منها أحد سوى أعداء الأمة.●

● ٣ فبراير ١٩٩٨

أثبتت تطورات الأزمة العراقية الأمريكية عددا من الحقائق المهمة.. يأتى فى مقدمة هذه الحقائق أن الضربة الجوية التى تعد الولايات المتحدة وبريطانيا لتوجيهها إلى العراق مرفوضة عربيا ودوليا.. ومن هذه الحقائق أن الضربة الجوية التى يتوقع الجميع أن تكون مدمرة وقاصمة لن تتم باسم الشرعية الدولية.

ولكنها فى حقيقة الأمر لحماية اسرائيل من أى خطر أو شبهة خطر والاحتفاظ لها- أى لاسرائيل- بالتفرد والتفوق وامتلاك كل عناصر القوة والدمار من أسلحة تقليدية وأسلحة الدمار الشامل.. وكذلك من أجل الحفاظ على المصالح الأمريكية فى المنطقة بقوة السلاح لا بقوة الصداقة والتعاون وكذلك من أجل تحقيق أمن زائف لبعض الدول العربية التى تظن أن الحماية الأمريكية هى التى ستوفر لها الأمن.

ومن هذه الحقائق أن الجميع- عدا الولايات المتحدة- يفرقون بين نظام صدام حسين بكل فساده ومساوئه التى جرت الوبال على الشعب العراقى والبلاد العربية جميعا وبين الشعب العراقى المغلوب على أمره والذى يدفع ثمن نزوات وحماقات حاكم أعمته مطامعه ومطامحه الشخصية عن رؤية الحق والحقيقة.

ومن هذه الحقائق أن كل الشعوب والحكومات تدرك مدى المخاطر الجسيمة التى تهدد المنطقة بل تهدد المصالح الأمريكية اذا تمت هذه الضربة وسقط نظام صدام حسين وتعرضت العراق للتقسيم إلى ثلاث دويلات: كردية فى الشمال وشيعية فى الجنوب وسنيه فى الوسط مما يترتب عليه تغيرات حادة فى موازين وعلاقات القوى.. واذا كانت الشعوب العربية قد قبلت طوال السنوات الماضية مايراد لها أن تصدقه من أكاذيب وافدة عليها تارة باسم السلام وأخرى باسم الشرعية وثالثة باسم التعاون الاقتصادى الاقليمى فإنها لن تستطيع أن تبتلع الكذبة الجديدة التى تريد الولايات المتحدة أن تسوقها سواء بالاتصالات أو بالمبعوث الأمريكى الذى تسعى الولايات المتحدة من وراء إيفاده لاسباغ نوع من الشرعية أو القبول العربى.. ونحن نقول حتى لو قبلت بعض الأنظمة العربية بهذه الضربة نتيجة ضغوط أو مصالح أو مطامع خاصة فإن من يقبل بها يضع مصالح وطنه الحقيقية فى مهب الريح مهما كانت المكافأة من العم الأمريكى أو الجار الاسرائيلى الطامع.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾** سورة الحج الآيتان ٣٨-٣٩*.

● **١٧ فبراير ١٩٩٨**

ضحكت- ولكنه ضحك كالبكا- عندما قرأت تصريحات الرئيس الأمريكى بيل كلينتون التى قال فيها إن الضربات الأمريكية والبريطانية- المخالفة لكل المبادىء والقيم والمواثيق والأعراف الدولية- هى لصالح الشعب العراقى والدول العربية.. وهذا استخفاف ما بعده استخفاف بعقول وقيمة الدول العربية شعوبا وحكومات.. فلا يمكن لأى عقل أن يتصور أن تدمير البنية الأساسية للعراق -وليس صدام- وكذلك المنشآت الاقتصادية والاعلامية والصحية والمناطق السكنية وقتل وجرح المئات من أفراد الشعب العراقى الأعزل يمكن أن تكون فى صالح الشعب العراقى الذى يدفع منذ ما يقرب من عشرين عاما ثمن نزوات حكامه فى حرب غبية مع ايران أولا ثم فى حصار دولى وتحطيم مستمر لقدراته منذ الغزو العراقى للكويت فى أغسطس من عام ١٩٩٠.

ولا يمكن لأى عاقل أن يتصور للحظة أن تحويل العراق من دولة قوية -وإن كانت صغيرة- الى أرض مستباحة لكل جيرانها الطامعين فيها يمكن أن يكون فى صالح الدول العربية خاصة فى هذه المرحلة التى نالت فيها إسرائيل -العدو الأول للعرب والمسلمين- من الدعم الاقتصادى والسياسى والعسكرى والعلمى والتقنى ما لم تنله طوال تاريخها ويجرى التمكين لها تحت شعارات براقة لكى تكون القوة الأكبر والأوحد فى المنطقة حتى تفرض هيمنتها وتبسط نفوذها على كل المنطقة لكى تستغلها ولكى تكون فى ذات الوقت فى خدمة قوى الامبريالية التى اقامتها وغذتها وقوتها على حساب العرب والمسلمين لخدمة أهدافهم الاستعمارية ومصالحهم الاقتصادية.

وإذا كان صدام حسين مسئولا بدرجة عن ما يجرى فإن الدولة الأكبر والأعظم فى العالم لا تختلف إدارتها كثيرا فى اسلوب التفكير سواء من حيث الخروج على الشرعية وتجاهل الحق ووطء الحقائق تحت الأقدام وتجاوز المجتمع الدولى والانفراد بالقرار.

وعلى العرب -حتى الذين أضيروا من صدام حسين والذين يخافون منه ويتمنون زواله- أن ينتبهوا الى التصريحات التى تقول إن الاطاحة بصدام حسين لسيت هدف الضربات.. هما هو الهدف إذن؟ مجرد تقليم اظافره أم تدمير العراق؟؟ وعلى العرب أن ينتبهوا للتزامن المريب بين ضرب العراق وتدمير قدراته وبين انهيار اسعار البترول ذلك الانهيار الذى يمثل كارثة كانت دول الخليج فى مقدمة ضحاياها فسوف يتعين على هذه الدول أن تدفع فاتورة حملة «ثعلب الصحراء» كما سبق أن دفعت فاتورة «عاصفة الصحراء» مع فارق أنها الآن تعانى ولا تملك الفوائض الهائلة التى كانت لديها فى بداية التسعينات.

الهدف الظاهر هو تقليم اظافر العراق أو صدام حسين.. ولكن الهدف الحقيقى هو تركيع



العرب وتمكين اسرائيل نتنياهو من السيطرة على المنطقة حتى إذا حدث وكان سلام فيكون سلاما أمريكيا اسرائيليا وليس عربيا بأى حال.. فهل يدرك العرب والمسلمون ذلك؟؟

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما﴾** سورة طه آية ١١٢•

• ٢٢ ديسمبر ١٩٩٨

مرت الصورة دون أن تثير انتباه أحد ودون أن تضغط على أوجاع إنسان عربى أو مسلم.. فهى مجرد نقطة ضالة وسط صخب مئات الصواريخ بعيدة المدى والطائرات الحديثة التى انهالت قذائفها المدمرة لتخرب أى قدرة عسكرية وقتصادية للعراق ولتنال بالموت والعجز مئات المدنيين العراقيين قبل العسكريين وترجع بالعراق عشرات السنين الى الوراء. وتكنس خزائن دول الخليج مما تبقى فيها من فتات عائدات النفط ولتصيب المنطقة كلها بالعجز والمهانة لحساب الدولة العنصرية المزروعة إسرائيل.

اللقطة أو الصورة التى أعنيها هى صورة صاروخ أمريكى كان بسبيله لأن يلقى على أحد الأهداف العراقية وقد كتب عليه جندى أمريكى «هدية رمضان» أى أن هدية الأمريكيين ومنهم هذا الجندى هى الخراب والدمار والموت للعرب المسلمين. وقد يقول أحدهم أن تصرف فردى أو حماقة من هذا الجندى الأمريكى الذى لا يدرك قيمة شهر رمضان بالنسبة للمسلمين ولا يعرف واجبه الإنسانى نحو احترام هذا الشهر.. ولكن ذلك مردود عليه بأن الحماقة الأكبر بل والجريمة الاقصى والاقسى هى جريمة السياسة الأمريكية والإدارة الأمريكية التى افتعلت الاسباب ووضعت الخطط وفرضت التوقيت والأسلوب لضرب العراق والعالم الإسلامى كله يستعد لاستقبال شهر الصوم.

ألم يكن هناك سبل أخرى لمعاقبة صدام حسين؟! بالتأكيد كانت هناك عشرات السبل.. ألم يكن هناك توقيت آخر لتوقيع مزيد من العقوبات على العراق؟! من المؤكد أنه كانت هناك توقيتات واختيارات عديدة.. فمنذ نحو تسع سنوات ولجان التفتيش تنتهك حرمة العراق وسيادته وتجوب معسكراته وقصوره وبيوته وتكاد تفتش داخل غرف النوم بحثا عن قطعة ملابس داخلية قد تحتوى مادة تصلح لانتاج سلاح كيماوى أو بيولوجى وأمام الولايات المتحدة وذيلها بريطانيا متسع كبير من الوقت لمزيد من العقوبات لاتشمل تدمير وتخريب العراق وقتل شعبه ولاتشمل احتقار العرب والمسلمين وتوجيه هذه الضربات المدمرة فى بداية شهر الصوم.

سيطول الحديث بنا الى ما لا نهاية.. ولكن عيشنا فى بكائيات ومرثيات طويلة لا يغير من الأمر شيئا.. وإذا كان هذا ما نملكه وإذا كان ما تملكه الشعوب هو التعبير عن غضبها فالمطلوب أن يتحول ذلك كله الى تحرك ايجابى من الحكام العرب والمسلمين لوقف هذه المهزلة الدولية بالعمل على انهاء العقوبات المفروضة على العراق وتقديم الدعم المادى والأدبى لشعبه.

●●●

مسك الختام

عن النبى صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»●

● ٢٩ ديسمبر ١٩٩٨

الرحلة بين القاهرة والعاصمة الليبية طرابلس تستغرق أقل من ثلاث ساعات بالطائرة.. لكنها الآن وفى ظل الحصار الدولى الجائر المفروض عليها بسبب الاستبداد الأمريكى تستغرق يومين.. فإما أن يذهب المسافر برا ليقطع نحو ٢٧٠٠ كيلو ويضطر للمبيت ليلة وربما ليلتين فى كل من طبرق وبنغازى أو طبرق وسرت.. وإما أن يسافر بالطائرة الى تونس العاصمة ثم من تونس الى جرية (فى تونس أيضا) بطائرة أخرى ثم من جرية الى طرابلس بالبر.. وهذه الرحلة تستغرق أيضا نحو يومين.. وإما أن يسافر بالطائرة الى مالطة ثم من مالطة الى طرابلس بالبحر.. وهذه الرحلة أيضا تحتاج الى يومين.. يعنى فى كل الحالات عطل وملل.

وهذا مجرد نموذج فقط لما يمكن أن يعانيه المسافر الى ليبيا بسبب منع الرحلات الجوية.. وهذا مجرد جزء من العقوبات المفروضة على الشعب الليبى والتى طالت كل أوجه الحياة فى ليبيا رغم كل محاولات الحكومة الليبية للتخفيف من معاناة الشعب ومن تحدى الحصار.. وكل هذا بسبب اتهام.. وبالدقة اشتباه لم يثبت فى حق مواطنين ليبيين تدعى كل من بريطانيا والولايات المتحدة تورطهما فى حادثة اسقاط طائرة أمريكية فوق قرية لوكيربى باسكتلندا.

وبعد جهاد استمر سبع سنوات نجحت ليبيا فى استصدار قرار من محكمة العدل الدولية باختصاصها فى نظر النزاع الليبى الأمريكى البريطانى مما يسقط مجددا شرعية القرار الصادر فى مجلس الأمن بفرض العقوبات على ليبيا وهو مجرد اصلا من أى شرعية وكل قرارات تجديد ومد العقوبات.. كما نجحت فى أن تفرض عدالة قضيتها على مناقشات مجلس الأمن التى دارت مؤخرا والتى اثبتت أن العالم كله فى كفة والتعنت الأمريكى والتبعية البريطانية فى كفة أخرى.

وإن الذى يستمع الى العرض الموضوعى الذى يقدمه المحامى الليبى الدكتور ابراهيم الغويل الذى تولى الدفاع عن الحق الليبى ليدهش لما فى هذا العرض من بيان وحجج ولكن الدهشة تزول عندما يستحضر الانسان سجل التحيز ضد المسلمين دولا وافرادا.. ويصل الانسان الى نتيجة وحيدة مؤداها أننا لن نستطيع أن ندفع هذا التحيز ونرفع الظلم عن الشعب الليبى أو الشعب العراقى أو الشعب السودانى إلا بأن نوظف عناصر القوة التى نملكها بحيث نفرض قضايانا العادلة.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾** سورة آل عمران آية ١٣٨•

• **٢١ مارس ١٩٩٨**

اليوم وبينما يكون هذا العدد من عقديتى بين أيدى القراء يفترض أن يكون قد تم تسليم المواطنين الليبيين المشتبه فى تورطهما فى حادث تفجير الطائرة الأمريكية فوق قرية لوكربى باستكلندا لتتم محاكمتهما فى هولندا وفقا لقانون اسكتلندا.. والمفترض أن يتم فورا وتلقائيا تعليق العقوبات التى فرضها مجلس الأمن الدولى -بضغط أمريكى وبريطانى- على ليبيا وأن ينظر مجلس الأمن فى إلغاء هذه العقوبات نهائيا خلال ٩٠ يوما من تسليم المواطنين الليبيين.

وكانت الحكومة الليبية قد عاشت معركة متصلة عمرها أحد عشر عاما وتعرضت لعقوبات جائرة ولعدوان عسكرى أمريكى راح ضحيته عشرات من أبناء الشعب الليبى لمجرد الاشتباه فى تورط مواطنين ليبيين فى حادث انفجار الطائرة الأمريكية.. كما دفع الشعب الليبى الكثير من التضحيات الاقتصادية الناجمة عن العقوبات الدولية.. وذلك من أجل الحفاظ على السيادة وحقوق المواطنين الليبيين.

وضربت ليبيا مثلا فى الصمود أمام الضغط العقوبات الجائرة وفى التعامل مع المقاييس المعوجة ومع غطرسة القوة.. وشجع صمودها العديد من الدول الأفريقية والعربية وغيرها على الرغبة فى تحدى هذا الظلم.. ومن ثم فقد بدأ طوق العقوبات يصاب بشروخ وتشققات تهدد بانهياره ويحدث أزمات وانقسامات لم يكن من علاج لها سوى بالوصول الى حل توفيقى يجمع بين تحقيق رغبة الولايات المتحدة وبريطانيا فى محاكمة المواطنين الليبيين وبين سيادة ليبيا وتوافر الضمانات الكافية لإجراء محاكمة عادلة وضمان مستقبل هذين المواطنين فى ضوء نتائج المحاكمة.

ولا نريد أن نقارن بين السرعة والتعجل فى فرض العقوبات وتنفيذها على ليبيا والعراق.. رغم اختلاف الاسباب والظروف.. وبين البطء والتراخى والتردد فى فرض العقوبات على يوغوسلافيا رغم المذابح والفظائع وجرائم التطهير العرقى التى ارتكبها الصرب فى البوسنة والهرسك.. ثم الآن فى كوسوفا وتهديدها لمنطقة البلقان بأكملها بل.. ربما لمجل الأوضاع فى أوروبا مما استدعى فى النهاية تكوين تحالف غربى ضد حكومتها بقيادة السفاح سلوبودان ميلوسيفتش.. فالمقارنة هنا موجعة ومؤلمة لأسباب متعددة.. فهى وإن كانت فى جانب منها تعبر عن النفاق الدولى وتعدد المقاييس والكيل بمكيالين والتربص بالأنظمة العربية أو الإسلامية عند أول خطأ إلا أنها تعبر فى وجهها الآخر عن الأحوال المتردية للأمة العربية والإسلامية التى أدت خلافاتها الى عجزها عن أن تقدم يد العون وأن تقوم بأى مبادرة فعالة لمنع أو وقف العدوان سواء فيما بين الدول العربية والإسلامية ذاتها أو عندما يقع العدوان من الآخرين على هذه الدول العربية أو الاسلامية أو المسلمين فى أى دولة سواء أكان هذا العدوان من دولة أم من مجموعات عرقية أو دينية.

فى النهاية ونحن نحيى صمود الشعب الليبى فى وجه الظلم والعدوان نرجو له أن ينطلق بقوة على طريق التنمية كجزء فاعل وحيوى من الأمة العربية.

●●●

مسك الختام

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «كرم المؤمن تقواه ودينه حسبه ومروءته خلقه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء فالجبان يفر عن أبيه وأمه، والجرئ يقاتل عما لا يؤوب به الى رحله والقتل حتف من الحتوف والشهيد من احتسب نفسه على الله»●.

● ١٦ أبريل ١٩٩٩

لبنان يرفع راية الكرامة ـ ١

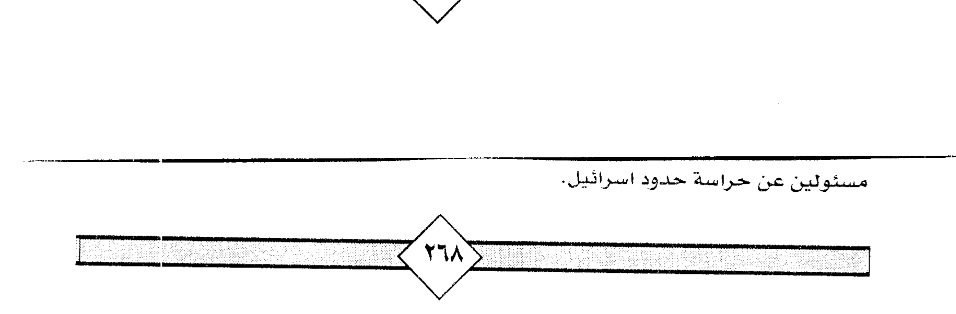
لبنان بلد صغير فى مساحته وعدد سكانه وامكاناته وموارده الاقتصادية.. بلد ضعيف عسكريا إذا قورن بأى بلد مجاور وخاصة الدولة العبرية العدوانية إسرائيل.. بلد خليط من الأديان والمذاهب والفرق.. لكنه قوى بإرادة شعبه التى استطاعت أن تتجاوز كل هذه الحقائق أو تتعامل معها بتوليفة حافظت على تماسك لبنان واستقلاله وسيادته.. ولم تكن الحرب الأهلية التى شهدها وعانى منها لبنان فى منتصف السبعينات وحتى قرب نهاية الثمانينات إلا نتاج مؤامرة خارجية حاولت استغلال العوامل الداخلية.. وخرج لبنان من هذه الحرب أقوى مما كان رغم أنه كان مثخنا بالجراح.

واجتاحت القوات الإسرائيلية لبنان ووصلت الى مشارف بيروت واحتلت الجنوب اللبنانى والبقاع وكونت جيشا عميلا يحكم الجنوب اللبنانى بدعوى حماية أمن شمال إسرائيل.. وتحول الاحتلال الإسرائيلى لجنوب لبنان الى خنجر فى جنب إسرائيل -وليته يكون فى قلبها- وامتنعت إسرائيل عن تنفيذ القرار ٤٢٥ الصادر من مجلس الأمن والذى يقضى بانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان.. وارتكبت العديد من المجازر الدموية ضد الفلسطينيين فى لبنان وضد اللبنانيين واشهرها مذبحة قانا التى ارتكبت منذ عامين وبضعة أشهر.

ولكن الشعب اللبنانى صمد صمودا بطوليا وتاريخيا.. فحكوماته المتعاقبة أصرت على تنفيذ قرار مجلس الأمن كاملا وبلا شروط.. وصممت على الربط بين عملية السلام على المسارين السورى واللبنانى.. ورفضت المناورات الإسرائيلية المخادعة التى دعت الى الانسحاب من جنوب لبنان وتحت شعار «لبنان أولا» ووضعت لهذا الانسحاب شروطا واخضعته للمفاوضات.. ولم يكن موقف الحكومة اللبنانية منعزلا عن صمود ونضال الشعب اللبنانى.. وإذا كان حزب الله يمثل الواجهة الظاهرة فى التصدى للعدوان الإسرائيلى فإن البطل الحقيقى هو الشعب اللبنانى كله.

ومنذ أيام قدم شباب لبنان الصغار نموذجا جديدا فى الفداء وفى تحدى الباطل الإسرائيلى عندما استعادوا قرية ارنون من القوات الإسرائيلية المدججة بالسلاح من اخمص القدم الى قمة الرأس.. وفى اعقاب هذه العملية الباهرة تمت عملية فدائية أخرى قتل فيها أربعة عسكريين إسرائيليين أحدهم برتبة جنرال ومنصبه حيوى فهو قائد القوات الإسرائيلية فى جنوب لبنان.. وفى اعقاب ذلك قامت إسرائيل بعمليات عسكرية شاملة لتدمير البنية الأساسية للبنان.

ومن المؤكد أن خسائر لبنان ستكون جسيمة فى الأرواح والممتلكات.. ومن المؤكد أيضا أن الشرعية الدولية تظل فى غفلة مقصودة ومتعمدة.. ومن المؤكد أن الشعب اللبنانى لن يستسلم فهو يعرف من البداية أنه يتعامل مع عصابة فى ثوب دولة.. ومع بلطجى وارهابى



مسئولين عن حراسة حدود اسرائيل.

بدرجة رئيس وزراء ومع قوة عظمى منحازة انحيازا أعمى الى العصابة العبرية وزعيمها البلطجى.. ويبقى أن واجب العرب -وكم كررنا ذلك- أن يدعموا لبنان سياسيا واقتصاديا مادام دعمها عسكريا غير موجود فى قاموس السياسة العربية.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾** سورة البقرة الآيتان ١٩٠، ١٩١●.

● **٢ مارس ١٩٩٩**

التهنئة كل التهنئة للشعب اللبنانى البطل الذى اثبت قدرته على مواجهة التحديات وتحدى المؤامرات الداخلية والخارجية والصمود فى مواجهة العدوان الغاشم وأكد بالفعل أن لبنان ليست هى الحلقة الضعيفة فى السلسلة العربية كما كان يشاع لفترة طويلة.. فهذا الشعب لم تنل من عزيمته الحرب الداخلية الطائفية التى فرضت عليه ولن تحطم مقاومته الاجتياحات الإسرائيلية التى وصلت الى مشارف بيروت وعمليات الاختراق التى قامت بها المخابرات الإسرائيلية حتى داخل بيوت بيروت نفسها.. وتمسك حكومة وشعبا بحقوق السيادة ووحدة التراب وجلاء الغاصب الصهيونى بلا قيد ولا شرط وبالتنفيذ الكامل وغير المشروط لقرارى مجلس الأمن ٤٢٥، ٤٢٦ ولم يقبل أى تعديل فيهما ولم يستدرج لفخ خيار لبنان أولا.

والمجد والعزة -بعد الله سبحانه وتعالى- والفخار للمقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله - وحزب الله هم الغالبون- هذه المقاومة التى حولت بقاء القوات الصهيونية فى الجنوب اللبنانى والبقاع مأساة إسرائيلية داخلية بفضل صواريخ الكاتيوشا واشاعة الذعر بين جنود الاحتلال المحتمين باقوى واكثر التحصينات والمزودين باحدث اسلحة القتل والابادة. تلك المقاومة التى حولت حياة سكان مستعمرات شمال اسرائيل الى عذاب يومى عندما تنطلق صفارات الانذار بشكل يكاد يكون يوميا فيجرون كالفئران المذعورة الى المخابىء ويذهبون الى اعمالهم وهم مدججون بالسلاح.. تلك المقاومة التى جعلت ضغط الزوجات الأرامل والأمهات الثكالى للجنود الاسرائيليين القتلى والجرحى تمثل عنصر ضغط سياسى داخلى أقوى وأكثر فاعلية وتأثيرا من البيانات الانشائية العربية الجوفاء ومن الدور الأمريكى الموصوم بل المتواطىء ومن الشرعية الدولية الكسيحة.. تلك المقاومة التى أكدت صواب مقولة إن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة.. وأن المفاوض المستند الى قوة المقاومة أفضل الف مرة من المفاوض الذى حذف من قاموسه كلمة المقاومة وفكرة السلاح.

والعار والذل والخزى للحكومة الإسرائيلية التى اضطرت تحت ضغط ضربات المقاومة ونداءات الأمهات الثكالى فى الداخل أن تعجل بسحب آخر جندى من جنودها من الشريط الجنوبى اللبنانى الذى حولته الى شريط أمنى تحتمى به وتضع فيه ميليشيا جيش لبنان الجنوبى ومن خلفهم جنودها لتجعل خطوط الدفاع واحدا وراء الآخر.. العار والذل والخزى لمؤسسة سياسية عسكرية لم تفهم فى أى وقت من تاريخها غير المشرف وغير الانسانى إلا لغة القوة.. ولكن لاقدراتها النووية ولا اسلحة الدمار الشامل التى تمتلكها ولا التفوق العسكرى الكاسح استطاع ان يضمن لها البقاء فى المستنقع اللبنانى بعد أن تحول الى مصيدة لجنودها ومصدر رعب لسكان مستوطناتها الشمالية فانسحبت بلا قيد ولا شرط وبلا مفاوضات أو تعهدات أو وعود.. وحسنا أعلن القادة اللبنانيون الرسميون وقادة المقاومة لسنا مسئولين عن حراسة حدود اسرائيل.

والدروس التى يمكن أن تخرج بها من هذا الانسحاب الإسرائيلى كثيرة ولكننا نلخصها فيما يلى:

●● إنه ليس انسحابا طوعيا ولا هو استجابة لدواعى الشرعية الدولية ولا احتراما لحق الجوار.. ولكنه انسحاب اجبارى اضطرت اليه إسرائيل لتوقف نزيف الدماء المستمر بين جنودها وتحد من حالة الرعب بين سكان المستوطنات الشمالية.

●● إنه لا يضيع حق وراءه مطالب.. فكما حاربت مصر وسوريا فى عام ١٩٧٣ وحققتا انتصارا وواصلت مصر بالمفاوضات حتى استكملت تحرير ترابها واستعادت سيادتها على سيناء كاملة فإن المقاومة اللبنانية كانت السبب الرئيسى فى انسحاب إسرائيل.. ومرة أخرى دون قيد أو شرط.

●● إنه ليس من حق أحد أن يلغى خيار المقاومة.. وليس من حق أحد أن يعتبر المقاتلين من أجل تحرير ارضهم ارهابيين «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا».

●● إنه ليس ثمة مبرر لأن تندفع الدول العربية وتتدافع فى اتجاه اسرائيل فهى ليست تلك القوة المخيفة التى تستحيل هزيمتها وليست تلك القوة الاقتصادية التى يرجى خيرها.. ولو اتخذت الدول العربية موقفا موحدا فلن تستطيع أى قوة -حتى لو كانت قوة الولايات المتحدة- أن تتجاهل كل هذه الدول بامكاناتها وبمصالحها -أى الولايات المتحدة- فيها.

●● إن على القيادة الإسرائيلية أن تعلم أن الأمة العربية ليست جثة هامدة لا حراك فيها وأن المقاومة -ولو كانت جيوبا متفرقة- كفيلة بأن تحيل حياة إسرائيل الى جحيم.

ولعل هذه الدروس تكفى..

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذى كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون. لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون. لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾** سورة الحشر الآيتان ١١ ـ ١٤*.

● ٣٠ مايو ٢٠٠٠



بسبب موقع مصر ومكانتها ودورها كانت مصر بالنسبة للأمة العربية والإسلامية هى الأمل، وهى الحصن الحصين للإسلام وهى قوة الدفاع الأولى فى مواجهة الغزو العسكرى أو الغزو الفكرى الذى يستهدف الأرض أو العرض أو المقدسات وهى الكتيبة الأولى فى جيش الدعوة الإسلامية ينتشر جنودها من علماء الأزهر فى كل مكان فى العالم يحملون مشاعل الدعوة فى اخلص واصدق صورها التى أرسى القرآن الكريم قواعدها وقاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كتائبها وحمل لواءها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

وبسبب موقع مصر ومكانتها ودورها كانت مصر هى العقبة فى وجه كل محاولات الغزو والعدوان.. وكانت هى الهدف لكل قوى الاستبداد والاستعمار والتآمر الصريح أو الخفى للنيل منها واضعاف قواها ودفعها دفعا للانعزال عن قضايا أمتها والانكفاء على نفسها.. وفى كل المرات نجحت فيها هذه المؤامرات ضعفت مصر وضعفت الأمة العربية والإسلامية.. وفى المرات التى تعالت مصر على جراحها وسدت الثغرات فى صفوفها ولبت نداء الجهاد قويت وقوى بها الاسلام ونهضت خلفها الأمة الإسلامية لترد هجوم التتار والصليبيين ولتعلو فى العصر الحديث نداءات التحرر والتنمية و التضامن العربى والإسلامى والبحث عن صيغ عادلة فى العلاقات بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب وبين الدول القوية والمتقدمة والدول النامية التى استنزفت ثرواتها والشواهد فى التاريخ بلاحصر والشواهد الحاضرة الناضرة أمام أعيننا سواء فى موقف مصر من قضايا ليبيا والعراق أو السودان أو السلام أو مؤتمر الدوحة.. هذه الشواهد التى تؤكد أن مصر هى خط الدفاع الأول -بل خط الهجوم الأول- فى مواجهة محاولات اذلال الأمة العربية واستغلالها وابتزازها والهيمنة عليها.. وهذا كله يمثل مفتاحا لفهم لماذا يراد اضعاف مصر اقتصاديا وسياسيا؟ ولماذا يصب الزيت على نار الارهاب كلما خبت ولماذا تتم حماية عناصر الارهاب وايواؤها واضفاء الشرعية عليها.. وهذا بالطبع لا ينبغى أن يلهينا عن وجود أوجه للخلل والقصور ينبغى التنبه اليها ومعالجتها حتى نقطع الطريق على عناصر المؤامرة الداخلية والخارجية●.

● ٢ ديسمبر ١٩٩٧

كانت مصر الاسلامية وستبقى دائما حصنا للإسلام ومنارة للمسلمين ومركز اشعاع حضارى للعالم كله.. لا نقول هذا تباهيا ولكننا فقط نذكر بأن القرآن الكريم ذكر مصر بالاسم أكثر مما ذكر أى مكان آخر ومن عليها بنعمة الأمن والأمان.. انظروا الى قوله تعالى فى سورة يوسف: «فلما دخلوا على يوسف أوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين».

وأوصى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بأهل مصر خيرا.. ووصف أهلها بأنهم خير أجناد الأرض وأنهم فى رباط الى يوم القيامة.

ونقول هذا لا لكى نمن على الإسلام أو على الأمة الإسلامية بل الله سبحانه وتعالى يمن علينا أن هدانا.. وإنما نذكر لأننا ننسى.. ولأننا أحيانا فى غمرة المشكلات أو الهموم نتجاهل لا حقائق التاريخ فقط بل حقائق القرآن الكريم وهى الحقائق الايمانية الباقية أبدا والتى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

نقول: إن الرباط الذى يربط مصر بمحيطها العربى والإسلامى هو رباط وثيق لا ينقطع ولا يبلى لأنه رباط الرسالة والدور.. رباط التاريخ والمستقبل.. رباط المبادئ الباقية وليست المصالح الزائلة.. وإذا كانت غيوم قد ظللت سماء العلاقات بين مصر واخواتها أو بعض اخواتها من الدول العربية والإسلامية فإن السياسة الحكيمة التى تتبعها مصر بقيادة الرئيس حسنى مبارك قد قشعت هذه الغيوم المتراكمة واتاحت لضوء الشمس أن يخترق الحجب وأن يسمح لزهور المحبة بأن تنمو ولعلاقات الأخوة بأن تنمو فى جو صحى وصحيح.

وهكذا فإن من حقنا أن نتفاءل خيرا بتحسن العلاقات بين مصر وايران.. وان نتفاءل خيرا بعودة العلاقات الأخوية مع السودان. مع ملاحظة أن علاقات الشعبين المصرى والسودانى لم تهتز أو تتأثر بأى خلاف سياسى- ولنا أن نتفاءل خيرا بأن تتكلل مساعى مصر بالنجاح وهى تسعى لاستعادة التضامن العربى الذى هو السلاح الوحيد فى معركة استعادة الحقوق العربية.. واقامة جسور التواصل بين الدول الإسلامية بعد مشاركتها الجادة والحيوية فى قمتى دول الـ١٥ والدول الإسلامية.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز، الذى إن مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾ سورة الحج الآيتان ٤٠ . ٤١*.

● **١٦ ديسمبر ١٩٩٧**

سيظل العرب والمسلمون ـ حتى اشعار آخر ـ الحائط الواطىء لكل من واجه ازمة داخلية فى بلاده.. فقد راهن بنيامين نتنياهو عندما رشح نفسه لرئاسة الوزارة فى اسرائيل على اقصى درجات التطرف.. وهو يهرب من الخلافات التى تهدد حكومته إلى مزيد من التطرف تجاه السلطة الوطنية الفلسطينية بل تجاه الفلسطينيين ككل بل تجاه العرب والمسلمين.. وصحيح ان اعمال العنف والاضطهاد والاستفزاز قد مورست ضد العرب والمسلمين من اليهود فى كل مراحل الصراع العربى والاسرائيلى ولكن تيار الاجرام والارهاب اليهودى لم يلق تاييدا رسميا فجا وفاجرا مثلما يلقاه هذه الايام.. وهكذا يهرب نتنياهو من خلافاته وازماته الداخلية ويفرغها فى العرب والمسلمين بمزيد من التطرف والارهاب الفردى او الجماعى اى الذى يقوم به يهود افراد او تقوم به منظمات واحزاب او تقوم به الدولة التى كانت لفترة زمنية طويلة مجرد مجموعة من العصابات الاجرامية.

وها هو الرئيس الامريكى بيل كلينتون وقد حاصرته فضائحه الجنسية ـ بطريقة مشبوهة من حيث التخطيط والتوقيت ـ يحاول أن يهرب من هذه الفضائح التى تهدد وضعه كرئيس للدولة العظمى الوحيدة فى العالم الآن بتصعيد النزاع مع النظام العراقى والتمهيد لضربة عسكرية ـ يتوقع المراقبون أن توجهها الولايات المتحدة للعراق بعد عيد الفطر المبارك.. صحيح ان النظام العراقى قد يستسلم ويتراجع فى آخر لحظة.. ولكن من الممكن ايضا أن يستمر السيناريو كما خطط له بحيث يتم توجيه الضربة وبذلك تتحقق عدة اهداف فى وقت واحد:

●● **الهدف الاول:** الهروب من المأزق الداخلى بشغل اجهزة الاعلام والهاء الرأى العام بقضية خارجية.

●● **الهدف الثانى:** توافر مزيد من التامين للربيبة المدللة اسرائيل ومزيد من التطمين للبلطجى الاسرائيلى نتنياهو بمزيد من التدمير للبنية الصناعية للعراق.

●● **الهدف الثالث:** اكتساب شعبية ـ زائفة ـ لدى بعض دول الخليج التى مازالت تخاف من نظام صدام حسين.

●● **الهدف الرابع:** التأكيد من جديد ان امريكا لا تزال هى صاحبة قرار الحل والربط والحرب والسلام.

وهكذا وحتى اشعار اخر يظل العرب والمسلمون «السنيد» بتشديد النون الذى مهمته أن يضرب لحساب الابطال حتى ولو كانوا بلطجية ومجرمين وشواذ.. ولا حول ولا قوة الا بالله.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم﴾** سورة الرعد آية ١١●.

● **٢٧ يناير ١٩٩٨**

اغرب ما سمعته من اصوات اعلامية فى الفترة الاخيرة.. اصوات تنبئ بالشماتة للانباء التى ترددت عن احتمالات المواجهة العسكرية بين ايران وافغانستان.. اسباب الشماتة التى عبرت عنها هذه الاصوات ان ايران ـ فى نظر اصحاب هذه الاصوات ـ دولة اصولية لا تكف عن محاولة تصدير الثورة رغم استنارة الرئيس الحالى محمد خاتمى فهم يرون ان خاتمى هو الحلقة الاضعف فى سلسلة الحكم فى ايران وإن آراءه العاقلة تواجه برفض شديد من الاصوليين الذين يقودهم على خامئنى المرشد العام للثورة الايرانية.

ويرى اصحاب هذه الاصوات ايضا ان حركة طالبان هى حركة اصولية رجعية وانها من صناعة المخابرات الامريكية وقد تم الدفاع بها فى ساحة الصراع فى افغانستان والوصول بها الى الحكم لضرب كل الفرق المتصارعة داخل افغانستان من ناحية ولإشاعة جو من عدم الاستقرار فى منطقة واسعة تشمل وسط اسيا بالكامل وتهدد روسيا الاتحادية والدول الاسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتى ـ السابق ـ وان الضربة التى وجهتها امريكا لافغانستان عقب تفجير السفارتين الامريكيتين فى كينيا وتنزانيا ما هى إلا جزء من سيناريو الهدف منه التعمية على حقيقة العلاقة بين حركة طالبان المسيطرة على مقاليد الامور فى افغانستان وبين المخابرات الامريكية بدليل ان الحوار ـ او الغزل ـ لم يتوقف بين الجانبين رغم هذه الضربة.

يرى اصحاب هذه الاصوات ان قيام حرب او اشتعال معارك او على الاقل ازدياد المتاعب للآخرين كما حدث ابان الحرب العراقية الايرانية.

واذا كان هذا هو المنطق الذى يحكم نظرة الدول الغربية لهذا الصراع فيجب ان يكون للدول الاسلامية نظرة مختلفة وموقف مختلف لان اشتعال الصراع فى هذه المنطقة الحيوية فى العالم واستقطاب المزيد من الدول الاسلامية مثل باكستان ودول وسط اسيا إلى اتون هذا الصراع هو خصم من قدرات الامة الاسلامية وله تاثيرات سيئة هائلة على قضاياها المختلفة ومنها قضية فلسطين والسلام فى الشرق الاوسط.

ولذلك فلابد من مبادرة عربية اسلامية لمحاولة نزع فتيل الانفجار بصرف النظر عمن اطلق الشرارة الاولى.. ولكن يبدو ان المسافة شاسعة بين الحلم والحقيقة.. حلمنا للامة الاسلامية وواقعها المر.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى امر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾** سورة الحجرات آية ٩.•

• ١٥ سبتمبر ١٩٩٨

وسط كل المؤشرات والاتجاهات وأيضا التصرفات السلبية فى الغرب تجاه الاسلام والمسلمين تبدو بين الحين والآخر اشارات ومظاهر تدل على أن الصورة وإن كانت شديدة القتامة فهى ليست مرشحة ولا قابلة لأن تستمر الى مالا نهاية..

والمؤشرات والاتجاهات والتصرفات السلبية التى اشرنا اليها ليست نابعة من فراغ وليست بلا هدف.. ولكنها ثمرات لمزيج من الحساسيات التاريخية والخلافات الدينية وسوء الفهم المقصود وغير المقصود والمصالح الاقتصادية والتحالفات الدولية.وأخيرا المؤامرة.. والقاسم المشترك الأكبر فى الحملة الحالية على الاسلام والمسلمين هو الصهيونية العالمية التى تتحكم فى منظومة متكاملة من المؤسسات الكبرى: مالية واعلامية وسياسية فى أهم وأكبر دول العالم على رأسها الولايات المتحدة.

ولا تكتفى الصهيونية بالسيطرة على كل هذه المؤسسات والتحكم -من خلالها- فى قرارات الحكومات والمجالس النيابية.. ولكنها تدرك مدى عمق تأثير الدين فى نفوس الشعوب على الرغم من أن المجتمعات الأوروبية والغربية عمرما قد هجرت الدين قرونا لاسباب تاريخية.. وبسبب هذا الهجر فإنها رغم امتلاكها لناصية التقدم العلمى فى مختلف المجالات فقد اصيبت بالخواء الروحى وتجردت من المضمون الاخلاقى الحقيقى الذى يكفله الدين.. ومن هنا بدأت موجة جديدة فى كل هذه المجتعات للعودة الى الدين.. وركبت الصهيونية هذه الموجة وسعت لاستثمارها بالسيطرة على المسيحية وإقامة حلف يهودى مسيحى لمواجهة الاسلام حتى إذا أمكن السيطرة على الاسلام كما يتوهم الصهاينة انقلبت الصهيونية على المسيحية.

وأهم ماتحاول الصهيونية استخدامه من أسلحة لضرب الاسلام -فضلا عن محاولات اختراقه- اتهام المسلمين بالارهاب ونسبة ذلك الارهاب الى الدين الاسلامى الحنيف.. والصاق التخلف بالمسلمين وارجاعه الى الدين أيضا.. ورغم أن الدول الإسلامية فى عمومها قد بدأت تأخذ باسباب العلم والتقدم وحققت نتائج ملموسة وأيضا رغم أنها فى مجملها ترفض الارهاب وتدينه وتحاربه فإن الحملة الضارية لا تتوقف.

ولكن.. وسط هذه الصورة القاتمة تبدو اشارات مضيئة.. فإن رد فعل محاولات الهيمنة والسيطرة الصهيونية على الفكر الغربى لابد من أن تواجه يوما بالرفض.. ورغم ضلوع كثير من الساسة والقادة العسكريين والاقتصاديين فى مخططات الصهيونية فإن الأمر لايخلو من وجود آراء موضوعية وأصوات عاقلة تضع مصالح اوطانها وشعوبها فى مقدمة اهتماماتها وترى الجوانب الايجابية فى الاسلام -وهى بلا حصر- وفى المسلمين . وهى كثيرة.

وعلينا نحن المسلمين ونحن نواجه مخططات الصهيونية أن نستثمر هذه الاصوات ونعمل على تنميتها لتغيير المواقف والسياسات ولو بعد حين.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم. خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم**﴾ سورة لقمان الآيتان ٨-٩*.

• **٢٧ أكتوبر ١٩٩٨**

أما المؤامرة فهى تحالف الصهيونية مع الكثير من المنظمات والمؤسسات والهيئات والحكومات فى الغرب ضد الاسلام والمسلمين.. وأما نظرية المؤامرة فهى تفسير الكثير من القرارات المتضاربة وسياسة الاحتواء والكيل وبمكيالين وربط التخلف والارهاب بالاسلام والتهاون عندما يكون الأمر متعلقا بحقوق المسلمين والتشدد لدرجة الحصار والحرب عندما تتورط إحدى الحكومات الاسلامية فى خطأ قد تكون استدرجت إليه بفعل المؤامرة.

ولكن.. لا المؤامرة ولا نظريةالمؤامرة تصلان لأن تكونا شماعة تعلق عليها الأمة الاسلامية ضعفها وتشرذمها وتمذهبها واقتتالها كدول وفرق وجماعات.. ولا تصلح أى منهما لتفسير تخلف الشعوب الاسلامية وعمالة بعض حكومات الدول الاسلامية أو ضلوعها فى تنفيذ مخططات اعداء الاسلام والمسلمين سواء بشكل مباشر أو غيرمباشر وبصراحة أو بشكل سرى وملتو.

ومن ثم فواجب الأمة المسلمة ممثلة فى حكامها المخلصين وعلمائها المهمومين بشئونها وشجونها أن تعمل فى اتجاهين.

●● الاتجاه الخارجى وهو مواجهة المؤامرة التى تستهدف إضعاف الاسلام ونهب ثروات البلاد الاسلامية والحيلولة دون ظهور هذا الدين على ماعداه ومنع الأمة الاسلامية من امتلاك عناصر التقدم والقوة مما يحرم اطراف المؤامرة من خيرات البلاد الاسلامية سواء فى صورة مواد خام رخيصة أو اسواق مفتوحة أو مجال لتجربة الاسلحة الحديثة واتخاذها ميادين للصراع والتحالفات والمناورات من منطلق الأمن الاستراتيجى لهذه القوى.

●● والاتجاه الداخلى سواء داخل الدولة الواحدة أو داخل مجموعة الدول الاسلامية بمعالجة الأمراض والعلل الداخلية وإنشاء آليات داخلية للنمو وآليات للتعاون الاقتصادى والتنسيق السياسى والعسكرى وحل الخلافات الحدودية بين الدول الاسلامية بحيث يمكن أن تكون قوة يعمل لها حساب فى المنظمات الدولية وفى أى حسابات تتعلق باعادة ترتيب الاوضاع فى العالم أيا كانت الاسماء المستخدمة أو الشعارات المرفوعة من نظام عالمى جديد أو عولمة أو غيرها من الشعارات صادقة كانت أم كاذبة●.

● ١٠ نوفمبر ١٩٩٨

ماذا لو أن الدول الإسلامية اتخذت قرارا جماعيا أو اتفقت اغلبيتها على قرار بقطع العلاقات الدبلوماسية أو حتى بخفض مستوى التمثيل الدبلوماسى بينها وبين يوغوسلافيا تعبيرا عن الرفض والاحتجاج على سياسة الابادة التى تطبقها ضد مسلمى كوسوفا؟؟

ماذا لو قامت الدول الاسلامية بتحجيم مبادرتها التجارية مع يوغوسلافيا حتى لاتعطى لنظامها العنصرى سندا اقتصاديا يواصل به سياسة التطهير العرقى والدينى- فى منطقة البلقان؟؟

ماذا لو قامت القيادات الدينية الكبرى وفى مقدمتهم فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الازهر بزيارة لألبانيا يلتقون خلالها بلاجئى كوسوفا ويقدمون لهم تعبيرا «ميدانيا»عن التعاطف معهم والرفض للسياسات العنصرية الصربية؟؟

ماذا لو قام اعلام الدول الاسلامية الرسمى وغير الرسمى بتقديم صورة موضوعية لتاريخ منطقة البلقان وتاريخ الاسلام والمسلمين فيها حتى يكون المواطنون على بينة بحقائق التاريخ والجغرافيا وحتى تكون تصرفاتهم وقراراتهم مبنية على وعى ومعرفة؟؟

ماذا لو رفعنا الحظر المفروض على جمع التبرعات وسمحنا للمنظمات الأهلية غير الحكومية بجمع التبرعات على أن يتم تجميعها كلها فى اطار واحد ومن خلال هيئة واحدة هى حاليا جمعية الهلال الأحمر على أن تقدم المساعدات الطبية والغذائية وغيرها باسم مصر والشعب المصرى وليس باسم هذه النقابة أو تلك الجمعية؟؟

ماذا لو أقيم مهرجان رياضى وفنى كبير -وما أكثر ما نقيم من مهرجانات واحتفالات بمناسبة ودون مناسبة- ويخصص دخله لمساعدة منكوبى كوسوفا؟؟

ماذا لو استخدمنا بعض هذه الأدوات البسيطة للتعبير عن رفضنا للعدوان والعنصرية وسياسة الابادة غير المسبوقة التى يتبعها متطرفوا الصرب ضد اخواننا المسلمين فى منطقة البلقان لحساب سياسات توسعية وصراعات اقليمية ومطامع عرقية؟!

قد تكون الظروف الدولية وحالة ضعف الأمة الإسلامية قد عطلت أو الغت خيار الجهاد بالسلاح.. فليس أقل من الجهاد بالمال والمساندة والتعاطف مع مسلمين يتعرضون للذبح والطرد والتنكيل والاغتصاب لا لشئ إلا لحرصهم على الحفاظ على هويتهم والدفاع عن استقلالهم فى مواجهة التعصب والعنصرية والهيمنة.. وذلك هو اضعف الايمان.

شكرا لحلف الاطلنطى الذى ينوب عن الأمة الاسلامية فى محاولة تأديب الصرب رغم أن المسلمين هم الذين مازالوا يدفعون الثمن من دمائهم وارضهم وأعراض نسائهم.

وشكرا للرئيس الأمريكى كلينتون صلاح الدين العصر الحديث.. ولا عزاء للمسلمين.

•••

مسك الختام

من يهن يسهل الهوان عليه
مالجـــرح بميـــت إيـــــلام

• ١٣ أبريل ١٩٩٩

بعيدا عن التفسير التآمرى للتاريخ.. هل يمكن أن يكون من باب الصدفة البحتة ما يجرى لأهم الدول الإسلامية فى آسيا ونعنى على وجه الخصوص كلا من أندونيسيا وباكستان وافغانستان التى تشكل من حيث المساحة وعدد السكان والامكانات الاقتصادية ما يزيد على ربع الأمة الاسلامية.

فأندونيسيا تضم ١٧,٠٠٠ جزيرة وعدد السكان فيها ما بين ١٨٠ و١٩٠ مليون نسمة ونسبة المسلمين فيها مابين ٨٥ و٩٠ بالمائة وكان النشاط التبشيرى فيها على أشده حتى شعر وأدرك المسلمون الخطر فاجتمعت إرادة المنظمات الاسلامية على أن مواجهة هذا المد لا تكون إلا بمحاربة الفقر وانتهاض الهمة لإصلاح الاحوال المعيشية والعناية بالتعليم ونشر الثقافة الاسلامية المستنيرة دون أن يكون فى ذلك أى مساس باتباع الاديان الأخرى.. ورغم كل تهم الفساد الموجهة الى النظام الحاكم وبصفة خاصة الى الرئيس السابق سوهارتو وأسرته فقد قطعت أندونيسيا شوطا كبيرا فى مجال التنمية الاقتصادية المستقلة عن الحماية والتدخلات الأجنبية وأصبح لأندونيسيا برنامج نووى متقدم ولديها صناعة طائرات مدنية وحربية متقدمة أيضا وبتكنولوجيا بدأت مستوردة وصارت محلية.. وكان التغيير الذى بدأ بوصول بحر الدين يوسف حبيبى الى الحكم وهو مهندس للتنمية الصناعية والتكنولوجية ثم اجراء انتخابات شفافة مؤشرا لمزيد من الاستقرار وتعويض خسائر الانهيار الاقتصادى الذى وقع منذ عامين ليصيب الاقتصاد الاندونيسى فى مقتل بعد أن كانت أندونيسيا مرشحة بقوة لاحتلال مكان بارز فى منظومة النمور الآسيوية.. فكان تحريك قضية تيمور الشرقية لتتحول الى جرح نازف وسبب لحصار أندونيسيا وتوقيع العقوبات عليها.

أما باكستان فرغم كل ظروفها الاقتصادية ورغم أن انفصالها عن الهند منذ الاستقلال عن الاستعمار البريطانى منذ نصف قرن كان مقرونا بوضع تركيبة غير مستقرة انتهت بانفصال اقليم البنغال وتكوين دولة بنجلاديش واستمرار مشكلة اقليم جامو وكشمير والعلاقات مع الهند سببا اساسيا لعدم الاستقرار السياسى والعجز الاقتصادى.. رغم ذلك استطاعت باكستان أن تدخل بقوة نادى ابحاث وتكنولوجيا الفضاء وأن يكون لها صواريخها الخاصة.. وأن يكون لها مشروعها النووى الناجح الذى أدخلها النادى النووى حتى ولو كان من الباب الخلفى أو النافذة وبصرف النظر عن تقييم هذا البرنامج وأثره فى الاقتصاد فإن امتلاك التكنولوجيا النووية والقاعدة التكنولوجية والانتاجية التى تمكن من الوصول الى امتلاك وتجربة اسلحة نووية حقيقية هو شهادة مقدرة.. لذلك ليس صدفة أن يحدث انقلاب عسكرى وأن تتعطل الحياة النيابية وتدخل الديمقراطية نفقا مظلما.. وأن يصبح النظام الحاكم العسكرى -ومن ثم باكستان- لعقوبات دولية وتضيف الى متاعب باكستان الاقتصادية والسياسية العسكرية متاعب جديدة.

وأما افغانستان فقد تحولت من حلم جميل بفضل جهاد شعبها ضد الطغيان وضد التدخل الشيوعى السوفييتى فيها الى كابوس مقيم بسبب التشتت والتشرذم والاقتتال بين الطوائف والفئات العرقية والمذهبية التى مزقت هذا البلد الاسلامى المحورى وهوت به الى حضيض التخلف وعادت به ماديا الى أوائل القرن الحالى وفكريا الى ما قبل الاسلام.. وصار النظام الحاكم فى افغانستان وما يعلنه من مواقف وسياسات صورة بائسة وكئيبة لأى نظام حكم سواء أكان إسلاميا أم غير إسلامى.

أما مايحدث تجاه العراق والسودان وحدث لليبيا على مدى عشر سنوات وما جرى فى الجزائر وما وقع فى الخليج من حربين غبيتين مدمرتين فى فترة زمنية لا تتجاوز خمس عشرة سنة فلا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة ظلال المؤامرة واضحة إذا فى كل ما حدث لهذه البلاد وكما حدث تجاه المسلمين فى البوسنة والهرسك وكوسوفا وفى العديد من المواقع الأخرى.. ومع ذلك فليس لنا أن نعلق كل خطايانا وأخطائنا على شماعة المؤامرات الدولية وننسى أننا الذين اسلمنا انفسنا ومقدرات أوطاننا ومستقبل شعوبنا للقوى المعادية التى لا تريد لنا نهضة ولا قوة ولا ازدهارا.. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ومن ثم فانه ما لم تتوافر لدينا العزيمة وإرادة التغيير فلا سبيل لانقاذ الأمة الاسلامية من المستنقع الذى تخوض فيه.

●●●

مسك الختام

عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه « فلا يستجاب لكم» رواه الترمذى وحسنه●.

● ١٩ أكتوبر ١٩٩٩

الارهاب

يصدرونه لنا.. ويتهموننا به -١

تعرض بعض دور السينما فى القاهرة فيلما أميريكيا اسمه «ابن أوى» أو «الضبع» وهو الترجمة الدقيقة لكلمة Jackal الانجليزية.. وقصة الفيلم باختصار شديد تحكى عن معركة بين المافيا الروسية والمباحث الفيدرالية الأميريكية بالتنسيق مع مباحث أمن الدولة الروسية.. والنهاية المتوقعة والطبيعية هى أن تنتصر المباحث الفيدرالية الاتحادية الأمريكية على عميل المافيا الذى كان يخطط لاغتيال نائب مدير المباحث الفيدرالية ثم عدل الخطة لاغتيال سيدة أمريكا الأولى أثناء القاء خطاب عام وذلك انتقاما لمقتل شقيق زعيم المافيا الروسية فى «كبسة» على أحد البارات فى موسكو اثناء محاولة للقبض عليه.

ودون الدخول فى تفصيلات كثيرة ومن اللحظة الأولى يقول الفيلم أن المافيا الروسية وثيقة الصلة بالاسلام والمسلمين.. فشقيق زعيم المافيا الذى قتل أثناء القبض عليه بتهمة الاغتيال اسمه «غازى مالك» ولايغير من ايحاء اسمه الاسلامى أن يكون اسم شقيقه الأكبر هو «تيرى».. ولا يغير من هذا الايحاء -وإن كان يريحنا نفسيا قليلا- أن «الضبع» وهو قاتل محترف بلا قلب يغلب عليه أن يكون أمريكيا.. وفى ثنايا الفيلم يرد اسم «ليبيا» أكثر من مرة كعميل للمافيا وحاضنة للارهاب ومستوردة للاسلحة بطريقة غير مشروعة.. وفى ختام الفيلم تكون النهاية المريحة بقتل الضبع ونجاة السيدة الأمريكية الأولى بفضل سجين ايرلندى صاحب قضية وعضو فى الجيش الجمهورى الايرلندى.. وحبيبته عضو منظمة الباسك المعتزلة التى تعمل على أن تعيش حياتها مع زوجها الأمريكى وابنائها منه بعيدا عن القتل والدماء.

هذا عمل فنى توافرت له كل عناصر الابهار والتشويق والاقناع.. ومن السذاجة النظر اليه بشكل محايد أو مجرد أو مستقل.. فإن الصورة التى يسعى الاعلام الأمريكى والغربى رسمها للعرب وللمسلمين هى صورة مشوهة تنسب للاسلام والمسلمين كل التهم والنقائض.. وبقدر ما نلوم ونطلب الانصاف فإن علينا أن نبذل جهدنا لتصحيح الصورة بالفعل الايجابى بمجرد ردود الافعال الناقصة.

●●●

مسك الختام

عن أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم والترمذى وابن ماجة●.

● ٢١ يوليو ١٩٩٨



الحادث الاجرامى الذى شهده الكونجرس الأمريكى منذ أيام قليلة يحمل معانى ومدلولات عديدة يجب أن نتوقف عندها:

●● فهو وقع فى الولايات المتحدة أكبر وأقوى دولة فى العالم.. بل فى قلب عاصمتها.. بل فى قلب مبنى من أهم مبانى الحكم.. ووسط أكثر الأجهزة والاجراءات الأمنية فى العالم انضباطا وتشددا.

●● وهو ليس الحادث الأول فمن قبله وقعت حوادث اضخم وأكثر ضحايا فى أماكن متعددة أشهرها حادث مركز التجارة العالمى وحوادث الاغتيال والانتحار الجماعى التى ارتكبتها جماعات اصولية مسيحية متطرفة.

●● وهو بالتأكيد لن يكون الحادث الأخير. فليس هناك أى مجتمع على وجه الأرض يخلو من التناقضات والصراعات الطبقية والعقائدية أو الامراض الاجتماعية والنفسية التى تدفع فردا أو بضعة أفراد الى ارتكاب حوادث العنف والجريمة بكافة أشكالها واسبابها ونتائجها.

●● إن المباحث الاتحادية الأمريكية والمخابرات المركزية الأمريكية ذات السمعة المرعبة فى تجنيد العملاء ومطاردة الجريمة وتدبير الانقلابات واختراق غرف النوم لم تستطع أن تحول دون وقوع الجرائم الارهابية التى اشرنا اليها أو نتنبأ بها.. ولن تستطيع أن تحول دوت تكرار وقوع امثال هذه الجرائم مستقبلا.. فسوف تظل دوافع الجريمة موجودة وسوف تظل هناك ثغرات فى نظم الأمن والمعلومات تسمح بوقوع هذه الجرائم.

●● إن التناول الاعلامى لهذه الجريمة لم يبادر بربطها بدين معين ولا بتوجه سياسى معين على عكس مايحدث عندما يقع مثل هذا الحادث فى بلد اسلامى أو فى بلد غير اسلامى ويكون مرتكبوه من المسلمين إذ فى مثل هذه الحالات سرعان ما تنهال الاتهامات على الاسلام والمسلمين وتربط بين الاسلام والعنف والارهاب ظلما وعدوانا.

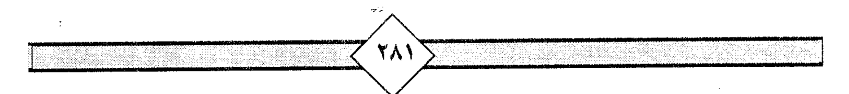
ونحن لانشمت فى الموت ولا نتمنى لأى مجتمع أن يعانى من العنف أو يقاسى من أحداث الارهاب.. ولكننا نتمنى أن يكون تكرار هذه الحوادث فى المجتمع الأمريكى على وجه الخصوص درسا للمسئولين فيه ولاجهزة الاعلام حتى تخفف من غلوانها وتوقف حملاتها المستعرة ضد الاسلام والمسلمين.

●●●

مسك الختام

عن أبى إمامة قال: قيل: يارسول الله أى الدعاء اسمع؟ قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات». رواه الترمذى●

● ٢٨ يوليو ١٩٩٨



فى تزامن مدهش قامت الولايات المتحدة بضرب السودان وافغانستان.. وقام مجلس الأمن الذى تسيطر عليه الولايات المتحدة بتجديد العقوبات على العراق.. والدول الثلاث دول اسلامية.. وهى متهمة اما بالعدوان الذى يقتضى التاديب والاذلال والاضعاف واما بالارهاب الذى يقتضى ايضا التاديب والاذلال والاضعاف.

وتتباين الاسباب والافعال والنتائج الفرعية.. ولكن المحصلة النهائية هى ضرب الدول الاسلامية.. وقد تكون الانظمة فى الدول الثلاث مسئولة بالغباء او بالعمالة عما جرى.. ولكن الشعوب هى التى تدفع الثمن. فالحكام فى البلاد الثلاثة اما فى مكاتبهم او فى قصورهم او فى مخابئهم قد يهتمون وقد لا يكترثون بما يجرى.. بينما الشعوب تعيش تحت خط الفقر ولا تجد الحماية ولا الحد الادنى من الحياة الكريمة..

والولايات المتحدة . والغرب عموما . يستخدم مع هذه الحكومات . الغبية أو العميلة . سياسة العصا والجزرة.. ففى الوقت الذى يتم فيه الغزو الجوى ويتم تشديد العقوبات يجرى تحرك خفى مباشر وغير مباشر.. والهدف النهائى هو تأمين المصالح الغربية . وخاصة الامريكية . دون نظر لمصالح الدول العربية او الاسلامية.. فبينما تتلقى اسرائيل مثلا كل انواع الدعم المالى والعسكرى والسياسى والمعنوى لا يجد العرب والمسلمون سوى كلمات مراوغة لا تؤدى الا إلى مزيد من ضياع الوقت وضياع الحقوق وتثبيت الاوضاع الخاطئة التى تتنافى مع كافة العهود والاتفاقات والمواثيق الدولية..

ورغم أن ملامح المؤامرة على الاسلام والمسلمين واضحة وضوح الشمس فاننا لا نستطيع أن نعفى انفسنا . نحن العرب والمسلمين . من المسئولية.. فنحن الذين سلمنا رقابنا ومصائرنا لغيرنا ثم جلسنا ننعى همومنا ونبكى أحوالنا.. والبكاء والعويل لا يعيدان الحقوق بل يعيدها العمل المنظم المنتج الموحد الفاعل . وهو ما تفتقده الأمة العربية والاسلامية حتى الآن●.

● ٢٥ أغسطس ١٩٩٨

امـريكا هى ارض الاحـلام.. بل هى جنة الله فى ارضـه.. فـهى الاعظم والاقـوى والاغنى والاكثر تقدما فى كل مجالات العلم والتكنولوجيا.. وهى ملتقى الآمال لكل من يريد فرصة افضل للعلم والعمل والتمتع بمزايا الحرية الاقتصادية والسياسية وحقوق الانسان.. اليها يلجأ الافراد بحثا عن الأمان والاستقرار والترقى.. ولها تلجأ الدول بحثا عن المعونات الاقتصادية والفنية والعسكرية والدعم السياسى.. والمواطن الامريكى فى اى دولة هو انسان سوبر له الافضلية والحماية سواء اكان سياسيا أم مغامرا أم جاسوسا أم بلطجيا.

هذه هى الصورة التى يرسمها الاعلام الامريكى وتساعد فى تكريسها اجهزة الاعلام فى مختلف الدول. ومنها الدول العربية بالطبع. بسبب الهيمنة الاعلامية الامريكية.. ورغم العشرات من الاقلام والتقارير والدراسات والمقالات التى تتناول الاوجه القبيحة او الشريرة فى المجتمع الامريكى فان الصورة البراقة لامريكا لم تتأثر او تهتز طالما ان التفوق الاقتصادى والعلمى والتكنولوجى والعسكرى الامريكى قائم ومستمر بل ومتزايد.

ولكن هذه الصورة البراقة لم تفلح فى ازالة القلق الذى يشعر به الكثير من المفكرين والسياسيين الامريكيين الذين يرون ان المجتمع الامريكى قد وصل إلى حافة الخطر الى الحد الذى جعل البعض يراهنون على ان الولايات المتحدة سوف تواجه نفس مصير الاتحاد السوفييتى ولو بعد حين، والسبب بسيط وهو انتشار العنف والصراعات العرقية والطائفية بسبب البعد عن الدين.

وفى الفترة الاخيرة تحول هذا الهاجس او القلق إلى خوف حقيقى.. ومن ثم فقد جرت محاولة فى مجلس النواب الامريكى لاقرار مذكرة تطالب باقامة يوم وطنى للصلاة والصوم والتوبة من اجل مواجهة العنف والانقسامات فى المجتمع الامريكى.. وكان رأى النواب الجمهوريين الذين تبنوا المذكرة فى امريكا قد ادارت ظهرها لله وان هذا هو السبب فيما يعانى منه المجتمع الامريكى .. وقال معارضو المشروع انهم يرفضون خلط الدين بالسياسة.. المهم ان المداولات حول هذا المشروع استمرت عشرة ايام.. وقد وافق على المذكرة ٢٧٥ نائبا واعترض عليها ١٤٠ نائبا فقط.. ورغم هذه الاغلبية الواضحة لم يمكن تمرير المشروع لانه لم يحظ باغلبية الثلثين وهى اغلبية كان من الممكن ان تتحقق لو ان بضعة اعضاء رافضين غيروا رايهم وايدوا المشروع.

على أية حال هذه ليست نهاية المطاف.. ويمكن ان يقدم المشروع مرة اخرى فى صورة او اخرى.. والذى يهمنا هنا ان نوكد ان التقدم العلمى والتفوق العسكرى والرقى الاقتصادى كلها لا تغنى عن الايمان.. كذلك الايمان وحده لا يبنى المجتمعات الا اذا اتخذ اساسا لاستنهاض الهمم وحفز الافكار للتطوير والابتكار والاخذ باسباب القوة.. من هنا فنحن لا نذكر هذه الحقائق من باب الشماتة فى المجتمع الامريكى ولكن من باب الاعتبار.

فنحن مطالبون بان نتمسك بالايمان تمسكا واعيا يجعله وسيلة بناء ويضع الدين فى مكانه الصحيح حافزا للتقدم دون ان ندخل فى الجدل العقيم حول علاقة الدين بالسياسة.

●●●

مسك الختام

قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ سورة النحل آية ٣٦●.

● ٦ يوليو ١٩٩٩

اجمع العالم كله على ادانة العمليات الارهابية الانتحارية التى تعرضت لها الولايات المتحدة يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر الحالى والتى اصابت ودمرت مركز التجارة العالمى فى نيويورك وجزءاً كبيراً من مقر وزارة الدفاع الامريكية فى واشنطن واسفرت عن الوف القتلى وعشرات الالوف من الجرحى والمفقودين وخسائر مادية بعشرات المليارات من الدولارات وأصابت مع ذلك كله وفوقه هيبة الولايات المتحدة التى انطلقت من تقدمها العلمى والتكنولوجى غير المسبوق وقدراتها الاقتصادية الهائلة وتفوقها العسكرى الذى يجعل العالم كله فى متناول آلتها العسكرية الاسطورية.

تسابقت دول العالم المتقدمة والنامية والغنية والفقيرة والحليفة للولايات المتحدة والمعادية لها على حد سواء لادانة العمليات الارهابية الاخيرة والارهاب بصفة عامة.. وتسابقت فى اعلان استعدادها للمعاونة فى تقديم اى معلومات تفيد فى الوصول إلى منفذى هذه العمليات الانتحارية.. كما تسابقت فى عرض مساعداتها المادية من تبرع بالدم إلى غير هذا وذاك من انواع المساعدة.

وكان نصيب الدول الاسلامية من هذا السباق كبيراً.. ولم تقتصر الادانة على كبار المسئولين من رؤساء وملوك وامراء ووزراء بل إن رموز الدين وعلماءه تسابقوا ايضا فى ادانة ما حدث وفى تاكيد سماحة الاسلام واعتداله ونبذه للتطرف والعنف والارهاب واعتداله ونبذه للتطرف والعنف والارهاب وتشديده فى النهى عن قتل الابرياء وتغليظ العقاب فى الدنيا والآخرة على من يقتلون الآمنين الابرياء او يروعونهم.. وينفون ما يوجه للاسلام والمسلمين من تطرف وعنف.. وهكذا رأينا شيخ الأزهر ومفتى مصر وكذلك البابا شنودة بطريرك الأسكندرية يعلنون بكل وضوح رفض الارهاب والادانة الكاملة للاحداث الارهابية، ورأينا مفتى السعودية يعتبر اى هذه الحوادث هى من هذه الحوادث انطلاقا من ولأتهم للاوطان التى ينتمون اليها وينعمون بخيراتها ويستظلون بظلها ويشاركون فى صنع نهضتها وتقدمها.. من هنا كان لابد من نداءات جديدة تبرىء هؤلاء المسلمين وتخفف من غلواء ردود الفعل السلبية والعدوانية تجاههم.

ولكن بقيت المشكلة والقضية التى تتجاوز اتهام هؤلاء المسلمين سواء أكونوا أمريكيين أم كنديين أم أوروبيين أم كانوا مسلمين اجانب يقيمون فى هذه البلاد أم تبرئتهم.. انها قضية الانتقام لما حدث واستعادة هيبة امريكا القوة الاعظم فى العالم واستعادة مصداقية ادارتها وآلتها العسكرية واجهزة مخابراتها وتحقيقاتها الفيدرالية وغيرها من الاجهزة التى تلقت ضربة فى القلب.. وقضية تاديب ومعاقبة من تجرأوا على تنفيذ هذه العمليات الارهابية الانتحارية، وفى محاولة لاستعادة هذه الهيبة باسرع ما يمكن وامتصاص شعور الصدمة وغضب الشارع الامريكى كان لابدمن متهم توجه له اصابع الاتهام ومن عدو تتوجه له عمليات

الانتقام.. ورغم ان للولايات المتحدة عداوات وثارات فى العالم تمتد من اليابان حيث ضحايا قنبلتى نجازاكى وهيروشيما مازالوا يتساقطون رغم مروا ٥٦ عاما على القائهما على كبائر الذنوب.. ورأينا طالبات وطلبة المدارس فى الدول الاسلامية يفتتحون عامهم الدراسى الجديد بالوقوف حداداً على ضحايا احداث الثلاثاء الاسود.. ورأينا ياسر عرفات يتبرع بالدم للضحايا رغم ما يعانيه شعبه من قتل وترويع وتدمير وتجويع بالايدى الاسرائيلية الآثمة وبالسلاح الامريكى المتقدم الذى يتدفق على الدولة الصهيونية العنصرية بغير حساب.

●●●

واذا كان العالم وفى مقدمته الدول الكبرى قد بادر وأجمع على ادانة الاحداث الارهابية وعلى ضرورة مواجهة الارهاب وحتمية مرتكبى هذه الحوادث فان الجميع لم يتفقوا على خطة وترتيبات وخطوات المواجهة.. ذلك لأنه فى الولايات المتحدة وبعد الافاقة من ذهول الصدمة وبدء تجميع المعلومات اتجهت اصابع الاتهام إلى التطرف الاسلامى بصفة عامة.. وترتب على توجيه هذا الاتهام المطلق ردود فعل سلبية وخطوات انتقامية من المسلمين الموجودين فى الولايات المتحدة وكندا وبعض الدول الاسلامية رغم ان هؤلاء المسلمين هم مواطنون صالحون وجزء اساسى من نسيج هذه المجتمعات وانهم بادروا سواء بشكل جماعى او فردى بادانة المدينتين المنكوبتين مروراً بفيتنام وكوريا وايران ومنطقة الشرق الاوسط وافريقيا والبلقان وصولاً إلى دول امريكا اللاتينية حيث جمهوريات الموز وامبراطوريات المخدرات ومافيا الاسلحة والتجارات المحرمة فقد كان من الاسهل اصطياد العدو الظاهر الجاهز وهو اسامة بن لادن والدولة التى تؤويه وهى افغانستان.. ورغم التأنى المؤقت الذى اظهره الرئيس الامريكى بوش فى البداية فيما يتعلق باتهام بن لادن فإن ضغوط الرأى العام الدخلى وضرورة استعادة الهيبة عالمياً دفعت عجلة الانتقام بقوة فاعلنت حالة الطوارئ فى الولايات المتحدة وتم استدعاء قوات من الاحتياطى وتم توجيه حاملات الطائرات وغيرها من قطع الاسطول الامريكى وتجهيز عدد من القواعد الجوية انتظاراً للرد الكاسح.

●●●

واذا يتوقع العالم ان تتوجه اداة الانتقام الكاسح والممتد والفعال إلى افغانستان فان الاجماع العالمى الذى تكون بشكل تلقائى فى مواجهة صدمة وقوع هذه العلميات الارهابية لم يستمر على حاله.. ولم يكن ممكناً ان يستمر.. وهكذا فقد طالبت مصر على لسان الرئيس حسنى مبارك بعدم التعجل فى توجيه الاتهامات وخطوات الانتقام.. ودعت على لسان الرئيس إلى انتظار نتائج التحقيقات وعدم الجرى وراء الشائعات والتكهنات. واعلنت باكستان . الداعم الرئيسى لحركة طالبان الحاكمة فى افغانستان . موافقتها على كل المطالب الامريكية مع اصرارها فى ذات الوقت على ان يكون التدخل العسكرى فى اطار دولى.. والمطالبة بان يكون رد الفعل فى اطار دولى هو اطار الامم المتحدة مطلب واقعى وعادل.. ذلك ان انفراد الولايات

المتحدة بالتصرف او نجاحها فى اقامة تحالف من بعض الدول يمثل ضربة للامم المتحدة وقضاء على الشرعية الدولية ولا يدع مجالاً إلا للقوة وحدها تحكم العالم وتقرر مصيره.. ودون وجود ضوابط متفق عليها لرد الفعل فان هذا الرد قد يتجاوز حدوده.. وقد يؤدى هذا التجاوز إلى اضرار تفوق بكثير ما كان مستهدفاً تحقيقه وقد يجر اطرافاً اخرى الى مواجهات لا يستطيع احد ان يتنبأ بنهايتها مما قد يهدد سلام العالم.

ومن هنا تاتى اهمية الاحتكام إلى الشرعية خاصة من جانب قوة عظمى حتى لو كان مرتكبو احداث الارهاب ضدها لم يحترموا او يراعوا هذه الشرعية.. وأن يكون رد الفعل فى اطار وحدود حجم الفعل ذاته فلا يكون الامر كمن يصطاد طائراً بصاروخ وامام الولايات المتحدة الفرصة الآن وفيما بعد لأن تنتقم.. ولكن انتقامها يجب ان يكون من عدو حقيقى ومن مرتكب فعلى للاحداث وليس من مجرد «مشتبه فيه اول» والاهم من ذلك ان تتجاوز عمليات التحقيق والتحليل واستخلاص النتائج مجرد القبض على مرتكبى الحوادث وتقديمهم للعدالة والانتقام منهم الى الاجابة على العديد من الاسئلة التى فى مقدمتها لماذا يكره الناس الولايات المتحدة؟ ولماذا يرغبون فى الانتقام منها؟ وهل العدالة التى تدعيها الولايات المتحدة عدالة حقيقة؟ وهل تكيل بميكال واحد؟ وهل سياستها الخارجية تحكمها المبادئ ام المصالح؟ وهل هذه المصالح تتفق دائماً مع مصالح الشعوب الاخرى؟ وهل الولايات المتحدة تقم حقا بدورها الذى تنتظره منها الشعوب التى ظلت طويلاً تحلم بالحرية والمساواة وحقوق الانسان؟ إن الاجابة الامينة الصادقة على هذه الاسئلة وغيرها وما يترتب على هذه الاجابة من قرارات وسياسات تجعل العدالة واقعاً فى العلاقات الدولية هى الضمان الحقيقى الوحيد لمواجهة الارهاب الدولى.. وللاسف فان كل ما يجرى الآن يدل على ان الادارة الامريكية لن تقرأ احداث نيويورك وواشنطن القراءة الصحيحة. وهذا هو مكمن الخطر.. الآن وفى المستقبل.



●●●

مسك الختام

«عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من احب لقاء الله، احب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت : يا نبى الله، اكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، قال ليس كذلك «ولكن المؤمن اذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، احب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر اذا بشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه» رواه مسلم●.

● ١٨ سبتمبر ٢٠٠١

دون الدخول فى متاهات .. وبعيدا عن مشروعية أو عدم مشروعية ما تعتزم الولايات المتحدة القيام به من حملة عسكرية ضد افغانستان ودول أخرى لم يعلن عنها حتى الآن لكنها بالقطع عربية واسلامية .. وبعيدا عن حديث الضغوط الخيالية التى تمارسها الولايات المتحدة فى كل اتجاه وخاصة فى اتجاه الدول الاسلامية والعربية وبعيدا عن منطق الابتزاز الذى وضع الدول - خاصة العربية والاسلامية فى مازق الاختيار بين أن تشارك فى ضرب دول اسلامية وتعريض شعب اسلامى . أو شعوب اسلامية للابادة أو على الاقل لاضرار جسيمة بسبب تهمة موجهة الى فرد أو الى نظام دون تقديم أى دليل وبين ان تصنف على انها تقف مع الارهاب وتكون مستهدفة بالعقاب .. بعيدا عن ذلك كله لايملك الانسان الا أن يتساءل :

هل الولايات المتحدة بحاجة الى كل هذا الحشد الدولى غير المسبوق حتى فى حالة حرب الخليج الثانية والذى يشعر الانسان بانها مقبلة على حرب ضد قوة عظمى تعادلها أو تتفوق عليها - هل افغانستان بهذه الدرجة من القوة الهائلة التى تتطلب مواجهتها تحالفا دوليا شاملا وتسهيلات فى البر والبحر والجو ؟. وهل لدى طالبان من الافراد والاسلحة والعتاد مايواجه صواريخ الكروز والتوماهوك وحاملات الطائرات والغواصات وطائرات الاف ١٦ والبى ٥٢ والقوات الخاصة ومشاة البحرية والحرس الوطنى ومع ذلك والى جانب ذلك الالوف من المدرعات والدبابات ؟

- الم يكن يكفى ان تأمر الولايات المتحدة باكستان بان توقف أى دعم عن طالبان وان تقوم بتسليح ودعم وتحريض قوى المعارضة فى افغانستان بحيث تسقط طالبان فى اسابيع او شهور وتتخلص من بن لادن دون حاجة الى كل هذا الضجيج الذى يشعر المرء وكأن العالم يتاهب لمواجهة غزو من الفضاء كالغزو الذى صوره لنا فيلم «يوم الاستقلال»؟

وهل القضاء على جماعة طالبان وقتل او اعتقال ومحاكمة بن لادن واعدامه سوف يقضى على الارهاب فى العالم ؟؟ هل سيعيد للشعوب المهضومة حقوقها هل سيلغى وجود الجماعات الارهابية المنتشرة من اليابان الى داخل الولايات المتحدة ذاتها مرورابالشرق الاوسط والبلقان وغيرها من المناطق الساخنة بل المتفجرة فى العالم وما مصير الجيش الاحمر اليابانى والالوية الحمراء الايطالية وجماعة بادر ماينهوف الالمانية والجماعات اليمينية المتطرفة فى داخل الولايات المتحدة بل هل يؤدى ذلك الى اختفاء النزعات العنصرية العرقية الموجودة فى داخل الولايات المتحدة ذاتها ؟

أغلب الظن ان ثمة اهدافا اكبر من مجرد ضرب افغانستان والتخلص من اسامة بن لادن وجماعة طالبان .. اهداف قديمة مطلوب تنفيذها وجاءت تفجيرات نيويورك وواشنطن وكانها الصينية الذهب التى توضع عليها هذه الاهداف وتقدم للإدارة الامريكية.

أغلب الظن ان ثمة رغبة فى إعادة ترتيب الاوضاع فى اكثر من منطقة فى العالم وفقا لحسابات الهيمنة على العالم من جانب الولايات المتحدة وجاءت العملية الارهابية الموجهة لمركز التجارة العالمى ووزارة الدفاع الامريكية لتمثل ... الفرصة السانحة.. لتحقيق ذلك وبمباركة وتاييد ومشاركة بدرجات متفاوتة من الحلفاء الغربيين وبرؤية انتهازية من بعض الدول العربية والاسلامية ودول اخرى مجاورة لافغانستان وبدافع الخوف من الانتقام الامريكى من دول اخرى.

وأغلب الظن أيضا أن المقصود أن يأخذ الانتقام شكل المظاهرة العسكرية التاريخية.. أولا تكون المظاهرة أمريكية فحسب وانما تكون عالمية بحيث تحقق عدة أهداف فى وقت واحد.

•• **الهدف الأول** استعادة ثقة الشارع الأمريكى الذى أصيب بصدمة عنيفة واكتشف ان أنظمة الأمن الداخلى هشة وأن أجهزة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الاتحادى ليس بالقدرات الخرافية التى يتخيلها البعض.. وأن من الممكن اختراق وخداع هذه الأجهزة وضرب استقرار المجتمع الأمريكى الذى بدا مجرد الاقتراب منه أمرا مستحيلا.

•• **الهدف الثانى** استعادة زمام المبادرة تجاه العالم الخارجى واثبات قدرة الولايات المتحدة على هزيمة أى عدو وقدرتها كذلك على تعبئة العالم كله معها وخلفها دون النظر الى أى معارضة مستخدمة فى ذلك اسلوب العصا والجزرة.. أسلوب الوعد والوعيد والترغيب والترهيب.

•• **الهدف الثالث** تجربة أسلحة جديدة وخطط عسكرية تكتيكات جديدة فى ميادين حرب حقيقية ومع أهداف صعبة وفى مواجهة مقاتلين شديدى الصلابة والمراس، والمؤكد حسب تطورات الاحداث أنه حتى لو أعلنت جماعة طالبان استعدادها لتسليم بن لادن إلى الولايات المتحدة دون قيد أو شرط وحتى لو أعلنت استعدادها لتفكيك معسكرات بن لادن لديها فإن ذلك لن يمنع الولايات المتحدة من المضى قدما فى تنفيذ خطتها للانتقام.. ولن يمنعها كذلك اعتراض أى دولة عن تنفيذ ما تريد لكى تثبت أنها مازالت الدولة العظمى الوحيدة.. ولا مانع من تجميل عملية الانتقام بتسميتها أولا باسم النسر النبيل ثم تغيير الاسم الى العدالة المطلقة وكأن القضية هى مجرد تسميات ولكن المؤكد فى ذات الوقت أنه حتى لو نجحت الولايات المتحدة فى تحقيق أهدافها العسكرية كاملة فإنها لن تستطيع أن تقضى على الارهاب فى العالم.. بل سوف تضيف أسبابا جديدة لكراهيتها لدى حكومات وشعوب عديدة وسوف تخلق ثارات وتخلف جراحا قد لا يداويها الزمن.

ويبقى سؤال حائر: هل ثمة أمل ولو حتى من باب الوهم أن تراجع الولايات المتحدة مواقفها وسياساتها وان تتخذ مواقف عادلة تجاه القضايا العالمية المختلفة؟ لا أظن.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

•••

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** سورة يوسف آية ٢١.

هناك مثل عربى يقول: ما يضمره القلب تكشف عنه زلات اللسان.. فالقلب يحمل الكثير من المشاعر والعواطف لايجابية والسلبية.. وهذه تتولد عن الصورة الذهنية التى تكون لدى الانسان من سلسلة طويلة من العمليات التربوية والتعليمية والاعلامية التى تبدأ منذ الطفولة وتستمر مع الانسان طوال حياته.. فاذا تكونت صورة ذهنية إيجابية أو سلبية نحو انسان ما أو شعب ما أو دين ما أو نظام سياسى ما فإنه من الصعب تغيير هذه الصورة ومن ثم تغيير العواطف والمشاعر وبالتالى المواقف المترتبة عليها.

لكن لأنه ليس هناك انسان يعيش بمعزل عن بقية الناس وليس ثمة شعب يعيش أو يستطيع أن يعيش منعزلا عن بقية الشعوب.. فإن ثمة محاولات مستمرة للسيطرة على العواطف والمشاعر السلبية وكبح جماحها التى لا تقود دائما الى مواقف وتصرفات عدوانية بل إلى حروب لا يكون مبعثها فقط تعارض المصالح وتضارب الارادات بقدر ما يكون مبعثها والمحرض عليها شعور الكراهية العميق الدفين ولكن ما يضمره القلب تكشف عنه زلات اللسان.. ففى حالات الغضب أو الخوف أو الانفعال أو عدم تركيز تفصح المشاعر والعواطف الكامنة عن نفسها وتنطلق من إسار العقل الباطنى وتفرض نفسها على وعى الانسان وتضع نفسها على لسانه بل تترجم نفسها فى قراراته.

●●●

اذا طبقنا هذا على ما حدث فى أعقاب العمليات الارهابية التى وقعت فى نيويورك وواشنطن يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر الماضى سوف تجد أنه فى سياق ردود الفعل الغاضبة المباشرة من المسئولين الأمريكيين ترددت تصريحات تنسب ما حدث لارهابيين اسلاميين وبدأ أسامة بن لادن باعتباره المشتبه فيه رقم واحد.. ولأنه يعيش فى أفغانستان وبتنسيق مع جماعة طالبان الحاكمة كان عليهم وعلى الشعب الافغانى أن يدفعوا ثمن الجريمة التى وقعت وراح ضحيتها الآلاف من القتلى والجرحى والمفودين الأبرياء من مختلف الجنسيات والتى ماتزال آثارها الاقتصادية السلبية تتداعى حتى الآن فضلا عن اشاعة الرعب والقلق وعدم الاستقرار ليس فقط لدى أسر الضحايا وليس فقط داخل الولايات المتحدة التى كانت مسرحا لهذه العمليات ولكن فى كل أنحاء العالم.. ووصل الأمر إلى حد استخدام الرئيس جورج بوش لتعبير «الكروساد» أى الحروب الصليبية فى وصف الحملة على الارهاب مما أعطى انطباعا مباشرا بأن هذه العمليات الارهابية كانت بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير والشرارة التى أصابت برميل الوقود لكى تفتح الباب أمام حملة صليبية جديدة ضد الاسلام كانت معدة سلفا ومخططا لها منذ زمن ليس فقط لضرب أفغانستان ولكن لضرب كل مواقع القوة الحقيقية والمفترضة فى الأمة الاسلامية حتى تتمكن اسرائيل من الاستفراد بمنطقة الشرق الأوسط وحتى تنجح الولايات المتحدة ومن خلفها دول الاتحاد الأوروبى فى تحجيم

الصين وفى محاصرة روسيا حتى تظل هى القوة العظمى الوحيدة فى العالم وحتى تجتث خطر الاسلام وهو ما اعتبره كثير من السياسين الغربين الخطر البديل بعد انهيار النظام الشيوعى وتفكك الاتحاد السوفيتى وتهاوى المنظمات الاقتصادية (الكوميكون) والعسكرية (حلفا وارسوا) والسياسة التى كانت تخدم هذا النظام.

●●●

أدت تصريحات المسئولين الأمريكيين وبعض المسئولين الأوربيين الى انفلات مشاعر الكراهية والحقد ضد الاسلام والمسلمين وهى مشاعر تغذيها وتنميها وتحث عليها بطريقة مخططة ومنظمة الصهيونية والصهيونية المسيحية التى تسعى للسيطرة على العالم من خلال السيطرة على المجتمعات المسيحية وتنصير المجتمعات غير المسيحية وضرب المجتمعات الاسلامية.. وهكذا تعرض المسلمون فى أماكن مختلفة الى اعتداءات استهدفت أشخاصهم ومساجدهم مما هدد بإثارة فتنة فى هذه البلاد التى يتنامى الوجود الاسلامى فيها بطريقة ايجابية وسليمة ويشارك المسلمون فيها فى نشاطات المجتمع المدنى ويسعون الى أن يكونوا اجزاء من نسيج هذه المجتمعات.. كما هدد باشعال مزيد من الكراهية لأمريكا فى الدول الاسلامية وهى كراهية يمكن أن تصل إلى حد تهديد المصالح الأمريكية اذا سمح باستشراء العنف ضد المسلمين فى الولايات المتحدة وأوروبا.

وفى مواجهة هذه المشاعر ولتلافى عدم الاستقرار سارع المسئولون الأمريكيون وعلى رأسهم الرئيس جورج بوش لاحتواء هذه المشاعر وزاروا مركز اسلامية والتقوا بزعماء المسلمين.. ووصل الأمر إلى حد صدور قرارات من الكونجرس بتجريم القيام بأى تحرشات ضد أى مواطنين أمريكيين بمن فيهم الأمريكيون من أصول عربية واسلامية.. ايضا.. تعالت الآن أصوات عاقلة داخل الولايات المتحدة من بعض السياسيين والمثقفين والصحفيين تدعوا الى اعادة النظر فى السياسات الامريكية ودراسة أسباب كراهيةا لشعوب لهذه السياسات كذلك انطلقت أصوات عاقلة من مسئولين أوروبيين تدعو الى حسن معاملة المسلمين وعدم التجنى على الاسلام وعدم توجيع الاتهامات الباطلة له وتنفى عنه تهمة الارهاب وتؤكد أن الحملة أو التحالف الدولى ضد الارهاب ليس موجها الى الاسلام أو المسلمين.. بل إن حمى الانتقام قد هدأت قليلا وأصبحت أصوات عديدة تدعو إلى التأنى فى اتخاذ الخطوات العقابية.. وبضرورة تحديد المجرمين.. وتحديد أهداف العمليات العسكرية.. وضرورة عدم التضحية بمدنيين.. وتحديد أهداف العمليات العسكرية.. وبضرورة توفير غطاء شرعى من الأمم المتحدة لهذا التحالف الدولى.. وبعدم إطالة أمد العمليات العسكرية.. وضرورة قيام جهود دولية منسقة طويلة المدى لمواجهة الارهاب تتجاوز مجرد العمليات العسكرية ويكون ضمن هذه الجهود عقد مؤتمر دولى لمواجهة الارهاب وتوقيع اتفاقية ملزمة وهو الأمر الذى دعا له مرارا الرئيس حسنى مبارك منطلقا من رؤية واقعية شاملة لابعاد قضية الارهاب

بجذورها وارتباطاتها الدولية وشبكات المصالح التى تمثلها وتخدمها فى أنحاء العالم وتداعياتها وآثارها الداخلية.

●●●

والغريب انه اذا كانت فلتات لسان المسئولين الأمريكيين قد جاءت كرد فعل عاطفى وإنفعالى لأحداث عانوا منها فإن الانسان لا يجد تبريرا لتصريحات سيلفيد برلسكونى رئيس وزراء ايطاليا التى أساء فيها للاسلام والمسلمين والحضارة الاسلامية وصب وقودا على نار يسعى الجميع لاخمادها.. وقد خالف برلسكونى كل حقائق التاريخ التى يشهد بها كل الباحثين والسياسيين الجادين والتى تؤكد عطاء الحضارة الاسلامية للحضارة الانسانية بصفة عامة والحضارة الأوروبية بصفة خاصة.. وخالف سياق العلاقات الطيبة التى تربط ايطاليا- وهى مقر الفاتيكان- بالدولا لعربية والاسلامية.. وطالت كل الجهود التى تبذل وتشارك فيها مؤسسات ايطالية علمية وبحثية وتعليمية عديدة للحوار بين الاسلام والمسيحية.. وخالف حتى التوجه العام السائد الآن فى الغرب بتهدئة المشاعر وعدم إثارة النعرات وعدم اشعال الفتنة بين الدول الغربية والدول الاسلامية فى وقت يحتاج فيه العالم الى تكاتف الجميع من أجل العدالة والسلام والتنمية ونبذ الارهاب والعنف والعدوان ومحاربة التخلف.

صحيح أن تصريحات برلسكونى قد وجهت بغضب شديد فى ايطاليا نفسها وفى دول أوروبا فضلا عن الدول الاسلامية التى احتجت ورفضت وأدانت هذه التصريحات.. وصحيح أنه اضطر للاعتذار وتوضيح المواقف أمام البرلمان الايطالى وأمام السفراء العرب والمسلمين.. غير أننا لا يمكن أن ننظر الى زلة لسانه على أنها نوع من الجهل أو السذاجة السياسية أو الافراط فى نفاق الأمريكان.. ولكن يجب أن نضعها فى سياق المشاعر والعواطف السلبية التى تفصح عن نفسها عندما تحين أول فرصة.

●●●

على أية حال.. فلعل ما حدث ومازال يحدث وما يتوقع حدوثه يمثل فرصة تاريخية للدول الاسلامية لكى تكتشف المواقف والمشاعر الحقيقية وتعرف نقاط القوة والضعف لديها ولدى الآخرين وتعمل على استثمارها لاقامة علاقات متوازنة تحقق العدالة والسلام فى العالم.. وظنى أنه اذا فاتت هذه الفرصة الآن فلن تتكرر مرة أخرى.

تعرض دور السينما فى مصر فيلما أمريكيا اسمه «سمكة أبو سيف» Sword Fish بطولة جون ترافولتا وقد ترجم اسم الفيلم إلى «كلمة السر» ويحكى الفيلم قصة عصابة من عصابات الجريمة المنظمة على صلة بأحد كبار أعضاء مجلس الشيوخ تخطط للاستيلاء على مبلغ ٩,٥ مليار دولار مودعة فى بعض البنوك باستخدام أحدث التقنيات لاقتحام شبكة معلومات وزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية الامريكية للوصول الى المبلغ الذى كان فى الأصل ٤٠٠ مليون دولار تم تخصيصها لتنفيذ عمليات ارهابية ضد من يحاولون ارهاب أمريكا أو تغيير نمط الحياة الأمريكى لأنه: من يضرب لنا كنيسة نضرب له عشر كنائس.. ومن يخطف طائرة ندك له مطارا ومن يقتل عشرة مدنيين نهدم له مدينة.. وبعد عملية اختطاف رهائن ومطاردات وتدمير أبراج أشبه ببرجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك يتم الاستيلاء على المبلغ وتوزيعه على عديد من البنوك فى العالم بحيث يستحيل الوصول اليه أو تعقبه.. وبينما تعلن شبكات التليفزيون القضاء على الارهابى وشبكته نراه هو وشريكته يستقلان قاربا يتوجهان به نحو احدى جزر الكاريبى ليستمتعا بحياتهما وبالاموال الحرام التى حصلا عليها،، وينتهى الفيلم بانفجار رهيب فوق سطح الماء لا ندرى أهو إشارة لاندحار الارهاب أم أن ظهورهما- أى زعيم الشبكة وشريكته- بعد بث خبر القضاء عليهما فى شبكات التليفزيون هو إشارة إلى أن الارهاب قائم ومستمر.

●●●

والذى يشاهد بعض وقائع الفيلم يكاد يتخيل أنه امتداد أو بروفة لأحداث الثلاثاء ١١ سبتمبر الماضى فى نيويورك وواشنطن.. ولكن هناك على أية حال الكثير مما يمكن الخروج به من الفيلم ما يشبه أحداث ١١ سبتمبر.

●● إن الارهاب ليس له وطن وليس له دين.. وكما أنه يمكن أن يأتى من الخارج فإنه يمكن أن يحدث من الداخل.. بل إن احتمالات حدوثه من الداخل أحيانا تكون أكبر.. وأنه لا أحد بمنأى من الارهاب حتى الولايات المتحدة بل إن الولايات المتحدة قد تكون مستهدفة أكثر من غيرها لأسباب خارجية فى مقدمتها السياسات الظالمة التى تتبعها أو تتبناها الإدارات الأمريكية المتعاقبة والتى ولدت سخطا وكراهية حادين فى مواقع مختلفة من العالم.. ولأسباب داخلية فى مقدمتها الصراعات العرقية والثقافية المختلفة والمختفية تحت ستار الديمقراطية والرفاهية وحقوق الانسان التى تجعل الولايات المتحدة تبدو فى نظر العالم باعتبارها أرض الاحلام.

●● الرؤية المتطرفة الحقيقية أو الزائفة التى تبرر تورط أجهزة حكومية أمريكية بشكل علنى أو سرى فى تخطيط وتدبير عمليات ارهابية لحماية نمط الحياة الأمريكى وتورط سياسيين أمريكيين فى مثل هذه العمليات.. وهو أمر لا ينفرد به هذا الفيلم ولكنه تكرر فى

أفلام أخرى مماثلة.. كما تكررت أيضا الاشارة الى وجود صراعات أحيانا بين أجهزة الأمن الأمريكية وفى مقدمتها وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الاتحادى.

●● إن هاجس الأمن واحتمالات التعرض للعدوان الخارجي تسيطر على الفكر السياسى والعسكرى الأمريكى وتجد لها ترجمة فى السينما.. ومع ذلك فإن كل اجراءات الأمن والسرية قابلة للخداع والاختراق من الداخل والخارج على حد سواء وهو ما أكدته بكل وضوح أحداث ١١ سبتمبر.

●● إن الأمور مختلطة والمفاهيم متشابكة فيما يخص الارهاب والارهاب المضاد.. وفيما يعد ارهابا وما يعد محاربة للارهاب وما يعد مقاومة مشروعة.

●●●

الذى لم يقله الفليلم أن المواجهة الأمنية أو العسكرية وحدها لا تكفى.. وأن الاسلوب الوحيد الصحيح لمحاربة الارهاب هو القضاء على أسبابه وفى مقدمتها الظلم والعدوان.. واذا كان الفيلم الأمريكى مجرد عمل فنى ونسيج خيال فإن أحداث ١١ سبتمبر هى واقع يفوق الخيال.. واذا كانت الآلة العسكرية الأمريكية الهائلة قد استنفرت لتقوم بأكبر عملية عسكرية تستخدم فيها أقوى وأحدث الأسلحة- عدا أسلحة الدمار الشامل- فإن المؤكد ان القضاء على أسامة بن لادن وجماعة طالبان وتنظيم القاعدة لن يقضى نهائيا على الارهاب ما لم يتم القضاء على أسبابه.. ولعل الإدارة الأمريكية تحاول أن تجيب السؤال الذى بدأ بعض الأمريكيين العقلاء يطرحونه: لماذا يكره الناس أمريكا؟! فقد تهتدى إلى الجواب الصحيح.. وقد تعدل سياساتها يوما ما.

●●●

ينفطر قلبى حزنا كلما رأيت دموع الامهات الفلسطينيات الثكالى يا إلهى.. متى يقفز قلبى فرحا عندما أرى دموع الندم فى عيون اليهود القتلة؟؟.

●●●

●● الهجمات الأمريكية على أفغانستان فيل هائج يحطم غابة ليقتل نملة قد تكون ساكنة وراء ذيله!!

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾** صدق الله العظيم - سورة فاطر آية ٥.

كان لقاء الرئيس حسنى مبارك بعلماء الاسلام فى مناسبة افتتاح مركز المؤتمرات الاسلامية بمدينة نصر مناسبة لها دلالاتها المتعددة.. بعض هذه الدلالات يأتى فى سياق حركة العمل الوطنى بصفة عامة.. والبعض الآخر يأتى فى سياق الظروف العامة والخاصة التى تمر بها المنطقة العربية ويمر بها العالم وفى مقدمتها ما يجرى فى أفغانستان وفى فلسطين.

أما الدلالات التى تأتى فى سياق العمل الوطنى بصفة عامة فمن أهمها ما يلى:

●● ان هذا المركز الدولى هو أحد المشرعات الكبرى التى نفذت وفى مقدمتها المبنى الجديد لمشيخة الأزهر ومبنى دار الافتاء وقاعة المؤتمرات الكبرى فى جامعة الأزهر وعشرات الكليات والمدن الجامعية والمبانى السكنية للطلبة المصريين والمبعوثين الذى يستقبلهم الأزهر من نحو مائة دولة، ومسجد النور وغيره من المنشآت الكبرى التى تخدم الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج.

●● إن لقاء الرئيس مبارك مع علماء الأزهر والأوقاف هو تعبير عن تقدير القيادة السياسية لدور الأزهر وعلمائه فى نشر الدعوة الاسلامية وإشاعة الثقافة الاسلامية المستنيرة التى تؤكد وتبرز سماحة الاسلام واعتداله وحرصه على الاسلام ووضعه لأسس التعايش السلمى واتساع مظلته لتشمل المسلمين وغير المسلمين سواء أكانوا ينتمون لعرق واحد أم تعددت أعراقهم وألوانهم وألسنتهم.. وتؤكد- أى هذه الثقافة المستنيرة- رفض الاسلام للعنف والارهاب.

أما الدلالات ذات الارتباط بما يجرى فى المنطقة والعالم فلعل أهمها ما يلى:

●● إن العمليات الارهابية التى وقعت فى نيويورك وواشنطن فى الحادى عشر من سبتمبر أحدثت ردود فعل عنيفة وحادة مازالت اثارها تتداعى ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بنهايتها مهما أوتى من علم ومن قدرة على التحليل.. فقد أشاعت هذه العمليات احساسا قويا بعدم الاستقرار.. وفتحت بقوة ملف الارهاب.. وبسببها تعرض الاسلام لضربة قوية عندما جرى الربط بين الاسلام والارهاب.. ووجدت الجهات المعادية للاسلام والمسلمين فيما حدث فرصة ذهبيه لتذكى روح العداوة والكراهية للاسلام بين الشعوب الغربية وصدرت أصوات كريهة تدعو لطرد المسلمين من هذه البلاد وأصوات أخرى تدعو لغلق الأبواب فى وجوه المهاجرين المسلمين كما صدرت أصوات تحقر من الحضارة الاسلامية وتقلل من شأنها.. وتعرض المسلمون فى الغرب لعداوة تراوحت ما بين الاهانة اللفظية والايذاء البدنى ووصلت الى القتل.. غير أن أهم وأخطر ما حدث هو قيام الولايات المتحدة بتشكيل ما سمى بالتحالف الدولى أو الائتلاف الدولى لمحاربة الارهاب وقيامها ومعها بريطانيا بحملة عسكرية كبرى على أفغانستان هدفها المعلن هو تدمير جماعة طالبان الحاكمة فى أفغانستان وتنظيم القاعدة الذى يقوده المنشق أسامة بن لادن والذى يرتبط عضويا بجامعة طالبان ويدعم كل منهما الآخر.

وإذ أعلن المسئولون الغربيون وخاصة الامريكيين والبريطانيين أن أفغانستان هى المحطة الأولى وأنه ستتلوها محطات أخرى لم يحددوها فإن البلاد الاسلامية تعيش حالة من التوجس والقلق إن لم نقل من الرعب إذ أن الدول المستهدفة بالعقاب فى اطار وتحت شعار محاربة الارهاب هى دول اسلامية وعربية.

●● ان الحكومة الاسرائيلية استغلت أحداث الارهاب وردود فعلها أبشع استغلال ليس فقط بوقف وتجميد عملية السلام بل بنسف هذه العملية تماما واستلاب النتائج الايجابية المحدودة التى كانت قد تحققت فى اطار عملية السلام بصفة عامة واتفاقات أوسلو وما تبعها من جهة أخرى.. وبينما أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش عن فكرة اقامة دولة فلسطينية وردد ذلك من بعده تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا وأيدته قمة دول الاتحاد الأوروبى فإن الحكومة الاسرائيلية أوغلت بقواتها فى الأراضى الفلسطينية وواصلت سياسة قتل وتجويع وتشريد الشعب الفلسطينى غير مبالية بمجلس الأمن ومطالبات الراعى الأمريكى بالانسحاب فى أسرع وقت من الأراضى والمدن والبلدان التى احتلتها.

فى ضوء كل هذه الظروف فإن لقاء الرئيس حسنى مبارك بعلماء الاسلام فى المركز الذى استقبل قبلها بيوم واحد ملتقى الحوار الاسلامى المسيحى يعنى أن ما صدر من حديث هو رسالة سلام للعالم يجب أن تجد صداها وتحدث أثرها إذ أنها استمرار لتأكيد مصر الدائم على لسان الرئيس حسنى مبارك على هذه الثوابت:

● إن الاسلام برىء من الارهاب والارهابيين.. وإن كل محاولة للربط بين الاسلام والارهاب هى محاولة مغرضة تسىء الى الاسلام وتسىء إلى الانسانية كلها من حيث إنها تغرس بذور العدواة والصدام بين الاديان والثقافات والحضارات.

● إن مصر ضد الارهاب انطلاقا من تراثها الدينى ومن طبيعة شعبها ومن مكانتها ودورها اللذين جعلاها مستهدفة لأعمال الارهاب فترة طويلة وقد دفعت الثمن غاليا.

● إن مصر كانت من أوائل البلاد التى استشعرت خطر الارهاب على العالم ونبهت إليه ودعت إلى مقاومته.

● إن مقاومة الارهاب لا يمكن أن تتحقق إلا بتحديد مفهومه وأسبابه والعمل الجماعى الدولى لإزالة هذه الاسباب.. من هنا كانت دعوة مصر لمؤتمر عالمى لمكافحة الارهاب.. وقد اكتسبت هذه الدعوة مزيدا من المصداقية والقوة بعد احداث سبتمبر الماضى وما ترتب عليها.

● إنه اذا كان العالم كله قد أعلن ادانته للارهاب فإن العقاب يجب أن يكون للطرف الثابت فى حقه ارتكاب الفعل الارهابى دون غيره أى عدم السماح للرغبة فى الانتقام بأن تتوسع لتشمل الابرياء أو تشمل اطرافا أخرى لمجرد الاشتباه أو تصفية لحسابات قديمة أو لتحقيق مصالح اقليمية.

● إن عدم حل المشكلة الفلسطينية حلا عادلا وشاملا سيبقى دائما سببا للكراهية والعنف والارهاب.. ومن ثم يجب أن يحدث تحرك حقيقى لحل هذه المشكلة.

إن مصر تقدم صوت العقل والحكمة فى هذه الظروف المدلهمة.. وليس مطلوبا من المعنيين بالسلام ومحاربة الارهاب والعدوان مجرد الاستماع.. بل المطلوب حركة فعلية لتحقيق السلام فى العالم.

●●●

مسك الختام

قال تعالى: **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** صدق الله العظيم. سورة النحل آية ٦١.

هذه شهادة شاهد من أهلها- وهى هنا الإدارة الأمريكية- أما الشاهد فهو روبرت مويلر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى.. وأما الشهادة فقد جاءت فى سياق التصريحات التى أدلى بها والتى ناشد فيها مويلر المواطنين الأمريكيين تقديم يد العون والمساعدة من أجل العثور على المسئولين عن الهجمات البيولوجية بفيروس الجمرة الخبيثة (الانثراكس) الذى استشرى فى ولايات متعددة ووصل الى مواقع حساسة فى الإدارة الأمريكية.. وكذلك مدبرو العمليات الارهابية فى نيويورك وواشنطن فى ١١ سبتمبر.

فى هذه التصريحات اعترف مويلر بأن المكافآت المالية التى تم رصدها لمن يتقدم بمعلومات فى هذا الشأن قد فشلت فى تحقيق تقدم ملموس فى كلتا القضيتين (قضية التفجيرات الارهابية وقضية نشر ميكروب الجمرة الخبيثة).. وأشار إلى أن المحققين توصلوا فقط الى بعض الخيوط المهمة.. وأنه فيما يخص نشر ميكروب الجمرة الخبيثة لا يميل المحققون حتى الان إلى الاشتباه فى مصدر محلى.. ورغم ذلك فإن كل الأدلة المتاحة حتى الان تشير إلى داخل الولايات المتحدة الأمريكية بينما أكد محققون آخرون أن المصدر الذى أرسل الخطابات الملوثة بالميكروب موجود داخل الولايات المتحدة.

وبينما ينظر بعض المراقبين الى هذه التصريحات على إنها إشارة قوية للصعوبات التى يواجهها المحققون الفيدراليون فى جهودهم لكشف المسئولين عن كلتا الجريمتين ومحاولة اجهاض أى هجمات ارهابية جديدة فى الولايات المتحدة.. ورغم اعتقال أكثر من ١١٠٠ شخص منذ ١١ سبتمبر ورغم أن أجهزة التحقيق كونت صورة واضحة عن المجموعة التى نفذت هذه العمليات والذين قتلوا خلالها فإن هذه الأجهزة لم تحقق أى تقدم يذكر بالنسبة للمتورطين فى هجمات ١١ سبتمبر الذين ما زالوا على قيد الحياة.

هذه الشهادة التى صدرت على لسان رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالى المنوط به التحقيق والوصول إلى الحقائق قد تكون معبرة عن الواقع وقد تكون خادعة يقصد بها التمويه.. وعلى أية حال فإنها تشير من حيث لا يقصد إلى أن الحملة الأمريكية- البريطانية على أفغانستان ليس لها سند من المعلومات الصحيحة والدقيقة والموثقة التى تثبت التهمة وتحصرها فى أسامة بن لادن وفى جماعة طالبان الحاكمة فى أفغانستان.. وأن الأدلة التى يقال إن الادارة الأمريكية قدمتها إلى عدد من الدول لا ترقى الى أن تكون أدلة ثبوتية قطعية.. وان تقديم مثل هذه الأدلة والحديث عنها هو لمجرد اضفاء مشروعية على هذه الحملة التى وان لقيت تأييدا من حيث المبدأ الذى لا خلاف عليه فى العالم وهو رفض الارهاب وإدانته والاقرار بضرورة محاربته فإن دول العالم- اسلامية كانت أم غير اسلامية- لابد أن يكون لها تحفظات عليها:

●● تحفظات على أن تكون التفجيرات الارهابية التى وقعت فى ١١ سبتمبر هى الفرصة الذهبية لتنفيذ مخططات سابقة موضوعة فى الأدراج تنتظر الفرصة السانحة لفرض الهيمنة الأمريكية على العالم دون معارضة أو بمعارضة لا تقدم ولا تؤخر.

●● تحفظات على أن تكون الحملة الأمريكية- البريطانية فرصة للانقضاض على نفط بحر قزوين ومحاصرة دول الخليج النفطية ووضع رأس جسر لأمريكا جنوب روسيا وجمهوريات آسيا الوسطى واعادة توزيع موازين القوى فى آسيا.

●● تحفظات على أن تكون هذه الحملة فرصة لتجربة الأسلحة الحديثة التى تعج بها الترسانة الأمريكية والتى لم يتم اختبارها من قبل فى حرب حقيقية.

●● تحفظات على أن تكون هذه الحملة فرصة لشركات ومصانع الأسلحة والذخيرة فى الولايات المتحدة وبريطانيا لأن تتخلص من المخزون لديها وتبدأ آلتها الانتاجية فى الحركة لانتاج وتطوير أسلحة جديدة.

●● تحفظات على أن يكون الحديث عن الشرعية الدولية فرصة لاهدار واعدام هذه الشرعية وتحويل الأمم المتحدة عمليا ونهائيا الى مجرد جزء من الادارة الأمريكية تتخذ القرارات وفقا لرغبة الإدارة الأمريكية.

●● تحفظ على أن يدفع الشعب الأفغانى الأعزل ثمن حملة أو حرب لا ناقلة له فيها ولا جمل.

●●●

وكل تحفظ من هذه التحفظات له أسبابه وله دواعيه وله جهاته وبالطبع فإن الولايات المتحدة لا تلقى بالا لأى من هذه التحفظات إلا لأسباب تكتيكية وإلا لاحتواء هذه التحفظات حتى تستطيع أن تضمن تعاون الجميع لتحقيق أهداف الحملة الأمريكية- بريطانية.. غير إن الإدارة الأمريكية وهى تفعل هذا لم تتخذ بعد القرار الشجاع وهو مواجهة الحقيقة التى تقول إن السياسة الأمريكية مسئولة عن كل ما يجرى.. وأنها حتى لو أزالت طالبان وتنظيم القاعدة من الوجود فلن تضمن ولاء ولا صداقة ولا حتى خضوع العالم.

●●●

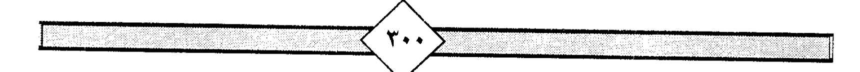
●● هل سمتعتم عن صداقة بين الذئب والغنم؟؟.

●●●

●● أخشى أن يأتى يوم تصبح فيه كل منظمات المقاومة والجمعيات الخيرية على قائمة المنظمات الارهابية من وجهة النظر الغربية.

●●●

●● أثبتت الأمم المتحدة فى السنوات الأخيرة أنها منظمة لا لزوم ولا قيمة لها وأنها يجب



أن تلقى مصير عصبة الأمم حتى من دون حرب.

●●●

●● وأثبتت إدارة جائزة نوبل أنها أداة سياسية منحازة.. فقد منحت جائزة نوبل للسلام للأمم المتحدة وسكرتيرها رغم فشلها الظاهر فى إقرار العدالة فى العالم.. ومنحت جائزة نوبل للآداب لأديب مجهول كل مؤهلاته ما يحمله من حقد وما يكتبه من بذاءات ضد الاسلام.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شىء قديراً﴾** صدق الله العظيم. سورة النساء آية ٨٥.

نحن فى مصر عانينا من الارهاب.. كما أن دورنا فى مواجهة الارهاب دور فعال.. ومن عانى من الارهاب يشعر بخطورته.. ومن يمر بهذه التجربة الصعبة يصبح قادرا على تقدير المواجهة الفعلية وأهميتها.. ودور مصر ليس فقط وليد أحداث سبتمبر الماضى بل كان الرئيس مبارك سباقا فى دعوته للمجتمع الدولى للتنبه لخطورة وأهمية مواجه الارهاب وضرورة التعاون الدولى لمكافحته.. الدور المصرى لم ينشأ من فراغ بل عن دراية كاملة بخطورة الارهاب وتأثيره على السلم العالمى.. والدليل ما جرى فى أمريكا والذى برهن أن الارهاب لا دين له ولا وطن.. وما جرى شكل واقعا جديدا بالنسبة لعديد من الدول.. أما بالنسبة لنا نحن فكان إيذانا باستمرار المواجهة وتفعيل جهودنا وخططنا فى مواجهة الارهاب.

بهذه الكلمات الواضحة المحددة الحاسمة لخص اللواء حبيب العادلى وزير الداخلية موقف مصر من الارهاب.. وهو موقف ينطلق من المبدأ وتعززه التجربة.. المبدأ المستمد من الدين الذى يحرص على دين الانسان وعقله وحياته ونسله وعرضه وماله ومن الحضارة المصرية العريقة التى تعلى شأن الانسان ومن طبيعة الشعب المصرى المسالم المعتدل الذى احتضن كل القيم النبيلة التى صاغتها الحضارة ونزلت بها رسالات السماء.. والتجربة الأليمة التى عاشتها مصر فى مواجهتها للارهاب الذى استهدف أمن واستقرار الوطن وكان لابد من استنفار كل قوى المقاومة فى هذا الشعب فكانت الوقفة الواحدة التى حققت الفوز فى مواجهة الارهاب رغم كل الظروف المعاكسة والمواقف المناوئة أو السلبية من الدول المختلفة عربية كانت أم أجنبية.

هذه الكلمات التى بدأنا بها هذا المقال جاءت فى سياق حديث طويل وصريح وشامل أدلى به اللواء حبيب العادلى وزير الداخلية للاستاذ مكرم محمد أحمد رئيس مجلس ادارة دار الهلال ورئيس تحرير المصور وتناول فيه بوضوح وتفصيل موقف مصر من الارهاب وتجربتها معه وعلاقتها مع الدول العربية والدول الأخرى فى مجال بذل جهد جماعى اقليمى ودولى لمواجهة الارهاب بعد أن تبين للجميع أن له تنظيمات عالمية وشبكات محلية ومراكز تخطيط وتوجيه ونظم تمويل ومؤسسات اقتصادية تغذية ومعسكرات تدريب- فكرى وبدنى وعسكرى- تعد أفراده وتمده بالكوادر والافراد.. بل وربما وراءه فى بعض الاحيان وكالات مخابرات تحمى وتخطط وتوجه مرحليا من أجل أغراض مشتركة فاذا تحققت هذه الأغراض أو اختلف الشركاء انقلب كل منهم على الآخر ودفع الأبرياء الآمنون الثمن.

واللواء حبيب العادلى رجل كثير العمل قليل الكلام.. وقد تولى مسئوليته عقب حادث بشع هو حادث الاقصر.. واستطاع بفضل الثقة والدعم اللذين تلقاهما من الرئيس حسنى مبارك والجهود المضنية التى بذلت- وبفضل توفيق الله أولا وأخيرا- أن ينجز الكثير فى مجال الأمن السياسى والأمن الاجتماعى.. واستطاع من خلال ذلك أن يعيد الانضباط والتوازن والالتزام والعمل العلمى لجهاز الأمن.. وأن يزيل الاحتقان فى الشارع المصرى وهو احتقان نتج عن

اجراءات باتت عنيفة وغير مجدية مثل القبض العشوائى وتوسيع دائرة الاعتقال وفرض اجراءات حظر التجول وخاصة فى الصعيد.

وأن ينتزع أنياب ومخالب الارهاب بالمواجهة بالسلاح.. وأن يواجه التطرف الفكرى بالحوار الرشيد والمجادلة بالحسنى من خلال نخبة من العلماء والمفكرين ومن خلال الافراج المستمر عن المعتقلين والمحكوم عليهم وفتح أحضان الوطن لهم.. ويكفى للتدليل على نجاح هذا المنهج انه من بين آلاف المفرج عنهم لم يعد الى صفوف المتطرفين سوى أربعة بشهادة وزير الداخلية.. ولم يشأ الوزير فى حديثه الطويل أن يتهم هؤلاء الأربعة بالارهاب أو الاجرام بل قال انه تم التغرير بهم مرة أخرى من خلال بعض العناصر.. والذى أعلمه أن الداخلية لا تكتفى بمحاورة هؤلاء الشباب والافراج عنهم ولكنها تسعى لان يفتح الوطن احضانه لهم وان يتم استيعابهم فى الحياة المدنية المستقرة من خلال تدبير أعمال لهم ومن خلال تقديم النصح والمشورة لأجهزة الدولة المختلفة لاحتواء هؤلاء الشباب.. فاذا كان المجتمع يفتح صدره للمجرمين العاديين لكى يتوبوا ويعودوا الى صفوف المواطنين الشرفاء فإن الأولى بالرعاية والاحتضان هم هؤلاء الشباب الذين اجتمعت ظروف اجتماعية واقتصادية واغراءات مادية وتجنيد فكرى لتحرفهم عن الطريق السوى.

واذا كانت أجهزة الأمن قد نجحت الى حد كبير فى مهمتها داخليا وخارجيا.. واذا كان العالم كله قد أدرك ولو متأخرا صدق وجدية الرسالة التى وجهتها مصر بشأن ضرورة التكاتف فى مواجهة الارهاب فان هذا لا يعنى أن نستريح ونسترخى.. واذا كان الحذر والتأهب واليقظة والاستعداد الدائم من سمات جهاز الأمن وواجب واجباته فان هذه السمات يجب أن يتحلى بها المجتمع كله لأن الجهات الكارهة لمصر والحاقدة عليها والتى لا تريد لها استقرارا ولا ازدهارا ولا أمنا ولا أمانا سوف تحاول دائما أن تنال منها بالارهاب أو بالفتنة.. وواجبنا جميعا ألا نمكنها من تنفيذ مخططاتها الدنيئة وتحقيق أغراضها الخبيثة.

●●●

●● قامت السفارة الأمريكية مؤخرا بتوزيع شريط كاسيت يحتوى على تصريحات وإفادات اذاعية سجلتها اذاعة صوت أمريكا- القسم العربى- باللغة العربية لعدد من علماء المسلمين وفد مقدمتهم شيخ الأزهر تستنكر الهجمات الارهابية التى وقعت فى نيويورك وواشنطن فى ١١ سبتمبر الماضى وتدين الارهاب وتؤكد براءة الاسلام من الارهاب وحرص الاسلام على حماية الارواح والأموال والاعراض والممتلكات.. كما وزعت تقريرا باللغتين العربية والانجليزية مزينا بالصور الملونة عن الحياة الاسلامية فى أمريكا.. وكنا نتمنى- ومازلنا- أن تقوم اذاعة صوت أمريكا ببث نفس هذه الاحاديث باللغة الانجليزية وللجماهير الأمريكية.. فنحن لسنا بحاجة لمن يقنعنا بأن الاسلام هو دين السلام ودين المحبة ودين التسامح وانما المجتمع الأمريكى بصفة خاصة والمجتمعات الغربية بصفة عامة هى التى يجب أن توجه لها هذه الرسالة.

من الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت مسكونة بالخوف والشك والتوجس.. فعلى الرغم من أحداث ١١ سبتمبر كانت فرصة تاريخية للإدارة الأمريكية كى تخرج من الادراج وذاكرات الحاسبات الآلية الخطط المعدة سلفا للسيطرة على العالم وفرض الهيمنة الأمريكية وضرب الأعداء الفعليين والمحتملين فإن الهزة العنيفة التى أصابت المجتمع الأمريكى ضربت فى الصميم مصداقية النظام الأمريكى الذى ظل ردحا طويلا من الزمن يتباهى على العالم بالرفاهية غير المسبوقة وبالأمن غير القائم فى أى مكان فى العالم وبالحريات وحقوق الانسان التى لا ينعم بها أى شعب بقدر ما ينعم بها الشعب الأمريكى.. فاذا بهذه الأحداث التى نفذتها قلة من الشباب تضرب ذلك كله.

وكان أول ما ضرب فلسفة القدرة التى عاشت بها الولايات المتحدة طويلا بفضل الذراع العسكرية الطويلة التى تستخدم أحدث وأقصى وأقسى ما وصل اليه العلم والتكنولوجيا من انجازات فى فنون الحرب والقتال والقتل والدمار.. وأحدث ما وصلت اليه فنون الاستطلاع والتنصت والتجسس والتحقيق والتحليل واستنطاق الاحداث وقراءة المستقبل.. وبفضل الأقمار الصناعية وشبكات الصواريخ النووية والصواريخ المضادة للصواريخ ودرع الصواريخ وأسلحة حرب الفضاء.. فاذا بالضربة تأتيها من الداخل- ومن مأمنة يؤتى الحذر- وعلى أيدى مجموعة من الشباب لم تستخدم أعلى درجات فنون الحرب والقتال والتكنولوجيا ولكن استخدمت الطائرات المدنية لتضرب فى قلب الإدارة الأمريكية- مبنى وزارة الحرب وبرجى مركز التجارة العالمى- وهنا كان على الشعب الأمريكى أن يطرح العديد من الأسئلة:

- كيف حدث ذلك؟

- كيف تمكنت هذه الجماعات من التخطيط والتدريب والتنفيذ تحت سمع وبصر أجهزة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات؟

- لماذا يكره الناس- وخاصة العرب والمسلمين- أمريكا ويريدون الانتقام منها وإذلالها؟

- ما هى علاقة الاسلام بهذه الأحداث؟! وهل هو حقا دين دموى ارهابى يحض على العنف وعلى كراهية غير المسلمين والرغبة فى إيذائهم؟

- ماهو الحل فى مواجهة ما حدث؟

ولم تكن هذه هى نفس الأسئلة التى شغلت الإدارة الأمريكية.. وإنما كانت الأسئلة من نوع:

- كيف يكون الانتقام؟

- كيف يمكن استثمار ما حدث لتنفيذ المخططات الأمريكية للسيطرة على مصادر الثروة وإقصاء واخضاع أى منافسين حقيقيين أو افتراضيين؟

- كيف يمكن استعادة الهيبة التى ضاعت فى دقائق معدودات صباح يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟

- كيف يمكن اعادة الثقة والطمأنينة للمواطن الأمريكى الذى عاش طويلا بإحساس بالأمان والاطمئنان ولم يساوره أى شك فى أى وقت من الاوقات فى أنه يمكن أن يكون مستهدفا فى عقر داره؟

وقد أجابت الإدارة الأمريكية على الأسئلة التى طرحتها بشكل عملى بشع.. فأقامت تحالفا دوليا مارست فيه كل فنون الضغط والابتزاز والوعد والوعيد لاسكات أى صوت معارض وضمان تعاون الجميع بالفعل أو بالمباركة أو بالصمت.. وشنت على أفغانستان هجمات ضارية استخدمت فيها قدرات حربية وأسلحة لم تشهدها ساحة حرب- ولا نقول ساحة قتال- فى أى مكان فى العالم من قبل.. وأصدرت قانونا للارهاب يلغى كل ما تباهت به الإدارات الأمريكية المتعاقبة من حريات وحقوق انسان- وكشفت العنصرية القائمة فى المجتمع الأمريكى عن وجهها القبيح فى مواجهة الأجانب وخاصة المسلمين والعرب وبينما تصدر الإدارة الأمريكية تصريحات واشارات تبدو طيبة تجاه الاسلام والملسلمين فإن التهديدات المتتالية بضرب العراق أو الصومال وموقف الإدارة الأمريكية الداعم بلا حدود للارهاب الاسرائيلى الرسمى ضد الشعب الفلسطينى كل ذلك ينسف مصداقية هذه التصريحات والاشارات،

أما على الجانب الشعبى الأمريكى فإن الاسئلة التى طرحت فى الشارع الأمريكى لم تجد جوابا.. لأنه ما من جهة حاولت أن تدرس ما حدث بشكل موضوعى وتبصر الناس بالاسباب الحقيقية لكراهية الناس للسياسات الأمريكية- وليس لأمريكا الدولة والوطن ولا للشعب الأمريكى- بل إن الاعلام الأمريكى المسيطر عليه من الصهيونية العالمية سعى بكل السبل لصب الزيت على نار الكراهية للاسلام والمسلمين والعرب.. وهكذا تعرض العرب والمسلمون- الامريكيون والوافدون على حد سواء- للإيذاء النفسى والبدنى.. ولم تفلح محاولات التهدئة إلا قليلا.

ولكن بقى أنه فى دياجير الظلام يبدو دائما بصيص نور.. هذا البصيص ظهرت له اشارات عديدة على مستوى الشارع الأمريكى منها:

- الاقبال الشديد على دراسة الاسلام مما أدى الى خلو المكتبات من الكتب التى تتحدث عن الاسلام وترجمات القرآن الكريم.
- تزايد معدلات اعتناق الاسلام- عن طواعية واختيار- من قبل افراد الشعب الأمريكى الذين قرأوا عن الاسلام واكتشفوا كذب وزيف الصورة التى تبثها وسائل الاعلام الأمريكية.
- بدء تفكير الشعب الأمريكى فى المصير المجهول.. والحديث صراحة عن فكر الموت ولم يكن ذلك واردا فى الخطاب اليومى الأمريكى.

هذه الاشارات الايجابية يجب ألا تمر بنا أو نمر بها- نحن العرب والمسلمين- مر االكرام.. بل لعلها فرصة تاريخية سانحة ولا تتكرر ويجب أن نغتنمها كى نجرى اتصالا مباشرا مع الشعب الأمريكى ومع مفاتيح الرأى العام فى أمريكا ودول الغرب بصفة عامة ليس فقط لكى نصحح صورة الاسلام بل لكسب تعاطفها مع قضايانا العادلة والتى لو وصلنا الى حلول لها

لقطعنا- وقطع العالم- الطريق على الارهاب.

●●●

مسك الختام

يـارب

مـــجـــيب الســـائلين حـــملت ذنبى وســـرت على الطريق إلى حـــمـــاك

وجـئت أدق بابك مـــســـتـــجـــيـــرا ومـــعـــتـــذرا ومنتظرا رضـــاك

ســـألت يـا مـــفـــرج كل كـــرب ولـست تـرد مـكروبـا دعـــــاك

وتـبـــت إلـــيـــك تـــوبـــة مـــن تـــراه غـــريقـــا فـى الدمـــوع ولا يراك

يـــارب

أصبح الارهاب بين عشية وضحاها هو القضية المحورية التى تحكم وتتحكم فى سياسات وقرارات وأحداث العالم منذ وقعت الواقعة فى ١١ سبتمبر الماضى.. فالحملة الأمريكية- البريطانية فى أفغانستان ماضية فى طريقها ولم تتوقف رغم القضاء على حكم طالبان وتنظيم القاعدة وموت أو فرار زعيميهما الملا محمد عمر وأسامة بن لادن.. وثمة دول عربية واسلامية مستهدفة لأسباب قد تكون لها علاقة بأحداث ١١ سبتمبر وقد لا تكون لها أدنى صلة.. والمطاردة مستمرة لكل من تظن الولايات المتحدة أو تتوهم أن يكون له صلة بالأحداث الارهابية سواء بالتنفيذ أو التخطيط أو التمويل أو التشجيع أو التعاطف أو حتى الصمت.. ولا يكاد ينعقد مؤتمر اقليمى أو عالمى سياسى أو اقتصادى إلا ويكون الارهاب جزءا من أجندته وهاجسا من هواجسه.

وفى هذا السياق تم خلط الأوراق خلطا شديدا ومقصودا.. فتساوى العراق مع أفغانستان.. وتساوى كفاح الشعب الفلسطينى من أجل تقرير مصيره مع ارهاب الدولة الذى تمارسه الحكومة الاسرائيلية التى تستولى على الأرض وتدمر المبانى والمرافق وتزهق الأرواح دون تمييز بين عناصر المقاومة- التى يسمونها ارهابا- وبين الاطفال والنساء والشيوخ الذين لا يحملون فى أيديهم أى سلاح ولا حتى الأحجار.

●●●

ألقت هذه الحملة بظلالها السوداء على الحياة الاقتصادية فى العالم وخصوصا فى الدول النامية وبصفة أخص فى الدول الاسلامية- ومن بينها بالطبع- بل وفى مقدمتها الدول العربية- وتأثر مناخ الاستثمار تأثرا سلبيا بأقصى درجة.. فأن التحويلات التى كانت تتم بين البنوك العالمية لتمويل الصفقات التجارية والاستثمارات المختلفة أصبحت محل شك كبير ومن ثم فرضت عليها قيود واجراءات بالغة التعقيد.. وأصبحت الدول مطالبة بتبنى واصدار قوانين التجريم ومعاقبة غسيل الأموال علما بأن مكافحة غسيل الأموال يمكن أن تكون ذريعة للتدخل فى كل المعاملات المصرفية ومن ثم تعويق تدفق الاستثمارات خاصة فى الدول النامية ومنها الدول العربية والاسلامية كما أسلفنا.

●●●

والواقع أن حملة القضاء على الارهاب تتم الان حسب المفهوم الأمريكى والتخطيط الأمريكى والقرار الأمريكى والتنفيذ الأمريكى- البريطانى.. بينما تتفاوت مواقف الدول المختلفة بما فيها الدول الأوروبية الحليفة لأمريكا ما بين مؤيد ومعارض ومتحفظ.. وازاء شراسة الحملة فانه لا فاعلية ولا جدوى من أى معارضة ليس لمبدأ مكافحة الارهاب ولكن للمغالاة فى الاجراءات ولسياسة الكيل بمكيالين بل بمكاييل متعددة لا تحكمها إلا المصلحة

الأمريكية وحدها دون النظر لرضى أو معارضة هذا الطرف أو ذاك.

●●●

واذا كان من الصعب بل المستحيل التنبؤ بالخطوات التالية التى يمكن أن تتخذها الولايات المتحدة داخليا وخارجيا فإن من الصعب بل المستحيل أيضا التنبؤ بتداعيات الأحداث التى تجرى الان على الأوضاع السياسية والاقتصادية العسكرية والاجتماعية والثقافية فى العالم.. وعلى سبيل المثال فإن التصريحات الصادرة عن المسئولين الأمريكيين بشأن توجيه ضربة عسكرية للعراق متضاربة.. ولكن الضربة ذاتها محتملة ومتوقعة.. ولا عبرة لما تصدره القيادة العراقية بأنها ستقاوم وسترد وما الى ذلك.. ولكن المهم أن كل الدول العربية أعلنت اعتراضها على ضرب العراق.. فهل ستأخذ الولايات المتحدة هذا الاعتراض فى اعتبارها أم ستعتبر أن العرب لا يملكون أكثر من ا لاحتجاجات الشفوية والبيانات الانشائية؟؟ وماذا اذا تجاهلت الإدارة الأمريكية الرفض العربى ووجهت ضربة للعراق؟؟ هل سيصمت العرب وكأن شيئا لم يكن؟؟ هل ستنعقد قمة عربية طارئة لاتخاذ قرارات قوية احتجاجا على هذه الضربة؟؟ أم هل سيكتفى العرب بإصدار بيانات الادانة والشجب التقليدية؟؟ وهل سيظل الشارع العربى فى حالة سبات؟؟ أم ستتعرض المصالح الأمريكية لخطر حقيقى؟؟ أم سيكتفى الشارع العربى باحراق العلم الأمريكى وتماثيل للرئيس جورج بوش فى مظاهرات صاخبة؟؟ وهل حتى سيسمح لهذه المظاهرات الصاخبة بالتعبير عن غضبها أم ستواجه بالقمع على أساس أنها تهدد الأمن العام ومصالح الأوطان؟؟ وكيف ستكون علاقة الأنظمة العربية بشعوبها فى حالة ضرب العراق- اذا وقعت الواقعة-؟؟ كل هذه أسئلة حائرة ومعلقة بلا جواب.. لكنها تعبر عن خطورة تداعيات الحملة على الارهاب من طرف واحد دون مراعاة لإرادات وجهود الاطراف الأخرى.

●●●

ولأن مصر عانت من الارهاب ونجحت بسلسلة من الاجراءات الأمنية والاقتصادية والسياسية والحوارات الفكرية أن توقف هذا المد الدموى الشيطانى فقد كانت أول من نبه لخطورة هذه الظاهرة.. وكان الرئيس حسنى مبارك أول من استرعى انتباه العالم لخطر الارهاب.. وأول من نبه الدول الحاضنة للارهاب والتى تؤوى الارهابيين إلى أنها سوف تكتوى بناره.. واذا كانت جهود مصر قد نجحت فى بدء تحرك دولى أسفر عن اتفاقية دولية لمكافحة الارهاب فإن المؤتمر الدولى الذى سعت مصر إلى عقده لم ينعقد.. وأدى هذا الموقف السلبى خاصة من الدول الكبرى الى استشراء الظاهرة.. وكان لابد من أن تأتى لحظة الحقيقة التى تمثلت فى أحداث ١١ سبتمبر وفى قلب الولايات المتحدة لتؤكد صدق رؤية وصحة وجهة نظرها.

●●●

كل هذا كان فى ذهنى وأنا أتوجه بالسؤال للرئيس حسنى مبارك فى اللقاء الفكرى الذى

عقد عقب افتتاح الرئيس لمعرض القاهرة الدولى للكتاب فى دورته الجديدة.. وفى رده على السؤال أكد الرئيس مبارك مجددا وجهة نظره فى القضية منبها الى ضرورة عقد مؤتمر دولى لمكافحة الارهاب تحت مظلة الأمم المتحدة.. وأنه كانت لدينا تجاه هذه القضية رؤية مستقبلية.. وأن الأمر أصبح أكثر الحاحا لعقد مثل هذا المؤتمر بعيدا عن مشكلة تعريف الارهاب.. ويجب أن نتخطى ذلك ولا نتوقف أمام قضايا تبعد عن الهدف الأهم و هو الوصول الى اتفاق ملزم للدول الكبيرة قبل الصغيرة بمواجهة الارهاب.. وأن مواجهة الارهاب عملية مجهدة ومتصلة ولن تتوقف إلا اذا تعاون العالم كله فى تجفيف المنابع.. لذلك فلا مفر من ا نعقاد هذا المؤتمر وان تسقد مشكلة التعاريف وان نتحدث بواقعية لنتجنب شرور المستقبل.

●●●

وبعد أن أوضح الرئيس مبارك مجددا وبكل الوضوح أبعاد هذه القضية فهل يمكن أن نتوقع من القمة العربية فى بيروت أن تتبنى هذه الدعوة وان تتقدم هذه الدول مجتمعة بطلب جماعى لعقد هذا المؤتمر الدولى أم أن هذا يبدو حلما بعيد المنال؟؟

●●●

مسك الختام

من دعاء الصالحين:

«اللهم أقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك».

فعلت الإدارة الأمريكية كل شيء ممكن أو صعب أو مستحيل لمحاربة الإرهاب ما عدا الشيء الصحيح الوحيد الذى كان يتعين عليها أن تفعله فكانت أشبه بالانسان الذى يحمل ثروته فى جيبه ولكنه يبحث عنها فى جيوب الآخرين وفى أعماق البحار وفى رمال الصحراء ويفتش فى السحب العابرة.

أعلنت الإدارة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أن هدفها وعدوها الأول هو أسامة بن لادن.. ثم أعلنت أن الهدف هو تنظيم القاعدة الذى يقوده أسامة بن لادن ونظام طالبان الحاكم فى أفغانستان الذى يؤوى بن لادن وتنظيمه.. ثم أعلنت أن هدفها هو محاربة الارهاب فى العالم.. ثم قادت الحملة العسكرية غير المسبوقة فى أفغانستان التى أدت الى انهيار نظام طالبان وقتل وأسر مقاتله وهروب بعض قياداته وعناصره.. وكذلك الحال مع تنظيم القاعدة.. ولم ينزل جندى أمريكى أو بريطانى واحد إلى أرض المعركة- إذا اعتبرنا أنه كانت هناك معركة- إلا بعد أن قامت الصواريخ والقنابل الذكية بتدمير المغارات والكهوف التى تحصن بها مقاتلو طالبان والقاعدة وقتل الأحياء من المقتلين والمدنيين الأبرياء بطريق العمل أو بطريق الخطأ- سيان- ووضعت الإدارة الأمريكية دول العالم فى اختيار صعب إما أن تكون مع الحملة الأمريكية البريطانية ضد الارهاب- بالمفهوم الأمريكى والتبعية البريطانية- أو تكون مع الارهاب.

●●●

وفى المرحلة التالية أعلنت الإدارة الأمريكية أن الحرب ضد الارهاب ممتدة فى الزمان والمكان.. فهى مستمرة لسنوات.. كما أنها تشمل العالم كله.. وصدرت تصريحات متعددة من المسئولين الأمريكيين ترشح هذه الدولة وتلك لتكون الهدف التالى للحرب ضد الارهاب.. ويعاد تشكيل مجموعة الدول المستهدفة حسب المعطيات المتغيرة بين يوم وآخر.. ولكن يلاحظ فى كل الحالات أنها دول اسلامية.. فمرة العراق وسوريا ولبنان.. ومرة أخرى تنضم الصومال وثالثة تدخل اليمن فى القائمة.. وأخيرا رأينا محور الشر الذى أعلنت عنه الإدارة الأمريكية يشمل العراق وإيران وكوريا الشمالية.

●●●

ولم يتوقف الأمر عند حد التهديد بتوجيه ضربات عسكرية لهذه الدولة أو تلك.. ولكن الأمر تعدى ذلك الى تعقب منظمات المقاومة المتعارف والمتفق على أنها تناضل من أجل قضية وطنية وإدراجها فى قائمة المنظمات الارهابية التى تستهدفها الحرب الأمريكية ضد الارهاب.. وتعدى ذلك الى مطاردة من تسميها الادارة الأمريكية منظمات ارهابية حتى ولو كانت مجرد هيئات دعوية أو جمعيات خيرية أو أفراد ومصادرة أرصدتهم فى البنوك.. والضغط

على جميع الحكومات لاصدار قوانين لمكافحة غسيل الأموال يتم فرضها فرضا على جميع الدول بما فيها الدول التى لم يشتهر عنها أنها مسارح لغسيل الأموال فى بنوكها.. وضغطت الإدارة الأمريكية ووجهت انتقادات علنية فجة لمناهج التعليم الدينى فى الدول العربية باعتبارها تحث على التطرف وتغذى الفكر المتطرف.. وأصدرت الإدارة الأمريكية قوانين لمكافحة الارهاب ووضعت قواعد استثنائية للتحقيق مع ومحاكمة المتهمين أو المشتبه فيهم فى قضايا الارهاب.. وأباحت التنصت على المكالمات الهاتفية اعتداء على الخصوصية ونيلا من الحرية التى يتباهى بها المجتمع الأمريكى.. ومارست الأجهزة الحكومية الأمريكية تييزا عنصريا ودينيا ضد المواطنين الأمريكيين ذوى الأصول العربية والاسلامية رغم صدور قانون من الكونجرس يجرم التحرش بأى مواطن أمريكى دون تفرقة بين أمريكى مسلم أو غير مسلم عربيا كان أم أوروبيا أم آسيويا.

كل ذلك فعلته الولايات المتحدة.. وقائمة القوانين والقرارات والاجراءات والحملات العسكرية و المطاردات المالية والمعارك الاعلامية مازالت مفتوحة لاستقبال ما تتفق عنه العبقرية الأمريكية.. غير أن هذه العبقرية لم تتوصل بعد- عن عمد- إلى الفعهل الصحيح الوحيد الذى يضمن المصالح الأمريكية فى كل مكان ويكفل استجابة وتعاون الدول طواعية واختيارا لكل المطالب الأمريكية ويحقق تحالفا دوليا حقيقيا ضد الارهاب.. ذلك هو أن تتصرف الولايات المتحدة بصفتها الدول العظمى الوحيدة والقطب الأوحد فى العالم باعتبارها راعية لحقوق الشعوب وداعمة للعدالة ومنتصرة لمبادىء الشرعية الدولية وهى المبادىء التى نفذتها إدارات أمريكية سابقة وروج لها الاعلام الأمريكى ومن بعده الاعلام العالمى مما جعل أمريكا هى زعيمة العالم الحر وأرض الاحلام.

فللأسف.. مع اختفاء الزعماء التاريخيين من قائمة الرؤساء الامريكيين وسيطرة قوى الضغط وتسلل المستشارين اليهود- الصهاينة- إلى مواقع صنع واتخاذ القرار فى المؤسسة الحاكمة فى الولايات المتحدة أصبحت القرارات تتخذ والصياغات تصاغ وفقا للرؤى الصهيونية حتى ولو كانت ضد المصالح الأمريكية إن لم يكن فى المدى القريب ففى المدى البعيد على وجه اليقين.

هل يستطيع العرب والمسلمون أن يصلوا إلى صياغة لعلاقاتهم وقدراتهم وتجعلهم قادرين على إحداث تعديل فى التوجهات الامريكية؟! هذا يبدو الآن صعبا إن لم يكن مستحيلا.. لكنه الواجب الذى لا بديل له إلا الاستسلام المطلق.. فماذا يختار العرب والمسلمون؟! هذا هو السؤال.

•••

•• لأول مرة فى تاريخ المنطقة يتم تبديل المواقع بين اسرائيل والولايات المتحدة.. فتصبح الحكومة الاسرائيلية تشير والحكومة الأمريكية تنفذ بعد أن كانت الحكومة الأمريكية

تأمر وحكومة اسرائيل تطيع.

●●●

●● الحقيقة التى لا يستوعبها غباء شارون هى أن الشعوب لا تموت.

●●●

●● ما الغريب فى قصة وفاء ادريس شهيدة الأقصى؟! إنها ورقة يافعة فى جرة الفداء والتضحية التى أثمرت نادية السلطى وسناء محيدلى وليلى خالد وغيرهن كثير.. الشجرة التى تمتد جذورها الى أم مبد التى وقفت تجاهد بسيفها بجانب الرسول ﷺ فى غزوة أحد.

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾** صدق الله العظيم. سورة الحج آية ٤٥.

نجحت الدول الكبرى- المتقدمة والغنية- وعلى رأسها الولايات المتحدة بالطبع فى تحويل اتفاقية الجات إلى منظمة للتجارة الدولية.. ونجحت من ثم فى نقلها من مجرد اتفاقية تنظم العلاقات بين الدول الموقعة عليها ويكون الانضمام لها اختياريا الى منظمة حاكمة للتجارة الدولية وملزمة فى قراراتها واجراءاتها وترتبط بها محكمة تصدر الاحكام ضد الدول التى تخالف القرارات والقواعد التى تصدرها المنظمة.. وبالطبع فإنه من خلال التنسيق بين هذه المنظمة وبين البنك الدولى وصندوق النقد الدولى لن يكون فى مقدور أى دولة أن تنال البركات أو تحصل على المعونات ما لم تفتح أسواقها لمنتجات الدول المتقدمة صناعيا دون موانع أو عوائق أو اجراءات لحماية انتاجها الوطنى.. ولن يكون بوسع مصانع هذه البلاد أو منتجاتها الزراعية أن تجد لها مكانا- حتى فى الاسواق المحلية- مالم تتوافر لها عوامل المنافسة من جودة عالية وسعر رخيص وهو ما لا تقدر عليه هذه الدول بسبب اعتمادها على التكنولوجيا المستوردة وعجز أغلبها عن تطوير صناعتها ومحاصيلها الزراعية لكى تقوى على المنافسة.

يعنى.. باختصار لم تتوصل الدول الكبرى الغنية والمتقدمة الى مثل هذا الاتفاق إلا من أجل مصالحها الخاصة وحماية هذه المصالح من طموحات الدول النامية التى تتطلع للوصول إلى صيغة أفضل للعلاقات التجارية الدولية تتيح لها حصة أكبر من حجم التجارة الدولية.

يعنى.. مرة أخرى.. لا تتحرك الدول الكبرى على مستوى الاتفاق الدولى مالم يكن ذلك من أجل تحقيق مصالح خاصة أو دفع مخاطر خاصة.. وبالتالى فإن الدعوات المتكررة التى صدرت بشأن اتفاق دولى أو مؤتمر دولى عن الارهاب لم تحدث الصدى أو تحقق النتائج المطلوبة رغم أنها دعوات صادقة مضمونا وشكلا لأن الدول الكبرى التى تؤوى الارهاب وتحتضن عناصره لم تصل بعد إلى القناعة بأن الحركات الارهابية تمثل خطرا حقيقيا عليها.. بل إن هذه الحركات الارهابية تمثل خطرا حقيقيا عليها.. بل إن هذه الحركات هى فى واقع الأمر موظفة لدى بعض هذه الدول ومن ثم فهى تسبغ عليها شرعية و تسمح لها بالعمل كأفراد ومؤسسات وتسمح بغسل أموالها فيها من خلال الشركات والبنوك.. ولو لم يكن الأمر هكذا ما استطاعت هذه الحركات أن تستمر وتنمو وتمتلك جيوشا من المتطوعين أو المرتزقة.. وعندما تصل الدول الكبرى الى قناعة حقيقية بأن هذه المنظمات تمثل خطرا عليها فإنها لن تتردد فى ضربها.. فمتى يأتى اليوم الذى ينقلب فيه السحر على السحر.. وتقتنع الدول الكبرى بالحاجة الحقيقية لمقاومة الارهاب؟

●●●

مسك الختام

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا».

فى مؤتمر منظمة التجارة الدولية الذى عقد فى مدينة سياتل الأمريكية قالت الدول النامية: لا.. قالتها بقوة واجتمعت كلمتها لأول مرة.. والتقت ارادة هذه الدول مع عدد من الدول الغربية الرافضة لهيمنة الولايات المتحدة على منظمة التجارة العالمية واتجاه هذه المنظمة للتحكم فى مصير اقتصاد الدول النامية.. وشارك الشارع الأمريكى فى رفض توجهات الهيمنة من جانب المنظمة الدولية.. وأدى هذا الرفض الى مصادمات بين المتظاهرين وقوات الشرطة أسفرت عن القبض على المئات من المتظاهرين واصابة العشرات من الجانبين.

أهم درس يمكن الخروج به من انهيار قمة سياتل أن الفقراء والضعفاء يستطيعون هم أيضا أن يقولوا لا.. وأن القوة الأمريكية السياسية والاقتصادية والعسكرية لا تستطيع وحدها أن تحكم العالم وتتحكم فيه إلى ما لا نهاية.. وأن النظرة الى المستقبل البعيد يجب أن تتجاوز المصلحة الانية.. وأن حصول العديد من الدول النامية على معونات أمريكية لا يعنى بأى حال أن تفرط فى استقلالها الاقتصادى وتخضع للشروط الجائرة التى تفرض عليها.

والغريب أن عددا كبيرا من الدول النامية المشاركة هى دول اسلامية تعانى من مشكلات النمو.. وتعانى من خلل جسيم فى موازينها التجارية.. وتعانى كذلك من استبداد الأغنياء والأقوياء.. وقد تضافرت جهودها مع جهود الدول الأخرى للوقوف أمام الظلم الاقتصادى الذى يعترف عادة بالقهر السياسى.. والمفترض أن تكون هذه الدول قد خرجت بالنتيجة التى أشرنا اليها وهى أن الفقراء والضعفاء يستطيعون أيضا أن يقولوا: لا.. لأن الفقر والضعف ليسا قدرا محتوما.. والحرب المعلنة عليهم من جانب القوى الكبرى والمنظمات الدولية التى تخضع لسلطات وجبروت هذه القوى الكبرى هدفها الحيلولة دون امتلاكهم لعناصر القوة وأسباب الغنى وعناصر الرقى.

نقول أن المفترض أن تكون الدول الاسلامية قد خرجت بنتيجة أن الفقراء والضعفاء يستطيعون أن يقولوا: لا للقوى الكبرى.. ولكن ما يجرى فى الشيشان وموقف الدول الاسلامية يظهر أن الدول الاسلامية إما لم تفهم الدرس أو إنها لا تريد أن تفهمه أو هى تفهمه ولا تريد أن تعمل به.. والغريب أن هذا يحدث وروسيا ليست تلك القوة العظمى المهيمنة والفاعلة والمتحكمة فى مقادير العالم.. بل أنها رغم كونها دولة كبرى فإنها تعانى من المشكلات الاقتصادية والصراعات السياسية والتفسخ الاجتماعى وسيطرة المافيا وتجارة الاسلحة والجنس على الشارع الروسى.. وما يجرى فى الشيشان هو محاولة من جانب روسيا لسحق المقاومة الاسلامية الشيشانية للهيمنة الروسية.. والحكم فى روسيا يهدف الى أن تكون الشيشان درسا نموذجا لبقية الجمهوريات الاسلامية التى تضمها روسيا الاتحادية والتى تقع فى احدى أهم المناطق من حيث الموارد الاقتصادية والموقع الاستراتيجى.. ويرى الحكم

الروسى أن وجود دولة مستقلة أو حكم ذاتى قوى فى الشيشان من شأنه أى يقوى من عزيمة الشعوب المسلمة فى الجمهوريات الصغيرة الأخرى للمطالبة بالمثل مما يحرم السلطة المركزية فى موسكو من ممارسة هيمنتها على هذه البلاد الاسلامية واستغلال ثرواتها.. ومن أجل هذه الأهداف الاستعمارية يمارس الروس حرب ابادة فى الشيشان لتكون درسا للآخرين.

المدهش أن الدول الاسلامية التى تتعدى خمسين دولة والتى شاركت فى تحدى القوى العظمى فى مؤتمر سياتل لم ترفع صوت احتجاج على العدوان الروسى على الشيشان.. بل ان بعض الاعلاميين والسياسيين بادروا إلى تأييد الموقف الروسى والتعامل مع المقاومة الشيشانية على إنها حركة افنصالية.. وآخرين تعاملوا معها على أنها حركة أصولية متطرفة!! ولم يكلف أحد من هؤلاء نفسه مشقة معرفة الحقيقة ومشقة التساؤل عن السبب فى رفض دول الاتحاد الأوروبى لما يجرى فى الشيشان واتجاهها لتوقيع عقوبات على روسيا لأسباب قد تكون انسانية وقد تكون متعلقة بمصالح هذه الدول.. وللخجل الشديد والأسى الممض فان قادة الشيشان الذى فقدوا الأمل فى قادة الدول الاسلامية ورؤساد المؤسسات الاسلامية المشغولين بمشروعاتهم الخاصة لجأوا إلى الفاتيكان!! ولكن الحكم الروسى لم يأبه بهذا.

والتساؤل الذى يفرض نفسه هو: متى يفيق المسلمون من غفلتهم؟؟ ومتى يفرقون بين الصديق الحقيقى والعدو الذى يرتدى ثياب الصديق؟ ومتى يقفون وقفة حازمة- وموضوعية- فى وجه حروب الابادة التى مازال يتعرض لها المسلمون؟ متى؟؟

يشير المحللون والباحثون فى العلوم السياسية إلى أن من أبرز وأخطر آثار العولمة فى مجال السياسة الدولية زوال أو تضاؤل مبدأ سيادة الدولة ومعنى هذا أنه يمكن للمنظمات الدولية الأساسية الكبرى ونعنى على وجه الخصوص الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى أن تتدخل فيما هو من صميم الشئون الداخلية للدول تحت دعاوى الشرعية أو المحافظة على حقوق الانسان أو حماية الأقليات العرقية أو الدينية أو السياسية.

ولما كانت الأمم المتحدة فى حالة ضعف مستمر وكانت موازين القوى قد تبدلت فى العقد الأخير من القرن العشرين بحيث صارت هناك قوة عظمى واحدة هى الولايات المتحدة وكانت هذه القوة العظمى هى المتحكمة فى الأمم المتحدة ومجلسها الأمنى فإن تراجع مبدأ سيادة الدول لحساب ما يسمى الشرعية الدولية هو فى حقيقة الأمر ذريعة شرعية ملفقة لتدخل الولايات المتحدة فى شئون الدول الأخرى لا باسم حقوق الانسان ولا دفاعا عن حقوق الاقليات ولا لدفع العدوان وانما فرض هيمنتها والدفاع عن مصالحها الحيوية فى كل مكان فى العالم.. وهذا هو ما يفسر ما يسمى بازدواجية المقاييس والمعايير والكيل بمكيالين فى القضايا والمشكلات الدولية.

والحديث عن العولمة فى شقها المتعلق بالسياسة الدولية ليس وليد اليوم بل هو قديم وهو تطوير للفكر الاستعمارى الذى يقوم على الهيمنة والتدخل فى شئون الغير لجنى مصالح خاصة.. وقد اتخذت هذه الظاهرة أبعادا عديدة فى العقد الأخير من القرن العشرين.. وهى تتراوح ما بين التدخل المباشر السياسى والعسكرى وبين تحريض وتغذية الاطراف المختلفة وفقا لنظرية الاحتواء المزدوج التى تعنى ابقاء كل الاطراف فى حالة نزاع وحالة خسارة وعدم السماح لأى طرف بأن يحقق نصرا شاملا فى الحرب بحيث يظل الجميع فى احتياج التى التدخل الامريكى.

فى ضوء ذلك يمكن فهم قانون حماية الاقليات الدينية الذى أقره الكونجرس الأمريكى منذ نحو عامين والذى يتيح للإدارة الأمريكية التدخل فى شئون الدول المختلفة بدعوى حماية الاقليات الدينية التى تتعرض للإضطهاد.. ويمكن فهم اللعب بورقة الاقباط والاضطهاد المزعوم لهم فى مصر.. ويمكن فهم انتزاع جزيرة تيمور الشرقية من أندونيسيا بزعم تعرض المسيحين فيها للاضطهاد من قبل المسلمين ومن قبل الحكومة الاندونيسية وأخيرا يمكن فهم الحملة الدولية ضد النمسا بسبب اشتراك حزب الحرية (أو الاحرار) بزعامة يورج هايدر فى ائتلاف حكومى رغم أن هايدر نفسه لن يشارك فى الوزارة ورغم أن حزبه دخل الائتلاف الحكومى مع حزب الشعب بعد حصولهما على أعلى الاصوات فى بالانتخابات وعجز أى منهما عن تشكيل حكومة منفردا لعدم حصوله على الأغلبية التى تؤهله لذلك أى أن هايدر وصل الى الائتلاف بإرادة شعبية.. ولكن لأن هايدر وتعاقب اطلاق

الرصاص من الولايات المتحدة ومن دول الاتحاد الأوروبى التى بادرت باتخاذ خطوات لعزل النمسا رغم كل التأكيدات والتطمينات الصادرة عن هايدر نفسه وعن الرئيس النمساوى ولكن للأسف الشديد فان العالم لا يعرف إلا لغة القوة وهى اللغة السائدة والتى عانت منها البشرية على مر العصور.

●●●

فى أقل من شهر على صدور قانون الاحوال الشخصية الجديد بدأت تتواتر الاخبار والقصص عن قضايا الخلع التى رفعت.. بعض هذه القضايا تدخل فى دائرة الطلاق للضرر.. وبعضها يدخل فى باب الدلع.. وأخرى تدخل فى اطار الفرقعة الاعلامية.. وغيرها لا يعرف أصحابها عنها شيئا كما نشرت الزميلة «المساء».. وسوف تزداد مثل هذه القضايا وتتضاعف.. وأتوقع كما يتوقع الكثيرون أن تزايدها سيمثل عبئا اضافيا على المحاكم خصوصا وأن تطبيق القانون سوف يحتاج الى تدريب للقضاة ووكلاء النائب العام.. يعنى باختصار لو زن الذين فكروا فى القانون قصروا جهدهم على تبسيط واختصار اجراءات التقاضى دون الدخول فى صلب العلاقة الزوجية وتركوا الفتنة نائمة لأراحوا واستراحوا على أى حال.. لعلنا هنا نكرر ما طالبنا به فى مقال سابق من ضرورة الاسراع فى اصدار اللائحة التنفيذية للقانون والاستماع عند وضعها لآراء المعارضين والمتحفظين لعل هذه اللائحة التنفيذية تجبر كسر القانون بتيسير اجراءات تنفيذية.

●●●

مسك الختام

قال الشاعر:

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه

ولاتك فى كل الأمور معاتبه

فإنك لن تلقى أخاك مهذبا

وأى امرىء ينجو من العيب صاحبه

أخوك الذى لا ينقضى النأى عهده

ولا عند صرف الدهر يزور جانبه

وليس الذى يلقاك بالبشر والرضى

وان غبت عنه لسعتك عقاربه

شهدت الأيام القليلة الماضية واحدا من أهم الأحداث العالمية فى بداية القرن الجديد والألفية الجديدة.. ذلك هو انعقاد قمة الألفة فى اطار الأمم المتحدة.. تلك القمة التى شارك فيها عشرات من الملوك ورؤساء الدول والحكومات ووزراء الخارجية فضلا عن المندوبين الدائمين لجميع الدول الاعضاء فى المنظمة الدولية.. و قد تدفق هؤلاء على نيويورك العاصمة الأمريكية الثانية ومقر الأمم المتحدة التى أعلنت فيها حالة الطوارىء لتمكين استقبال واقامة وانتقالات وحراسة هذا الحشد الكبير وغير المسبوق من قيادات الدول الذين ذهبوا لحضور هذه القمة برغبات وتوجهات ومن مواقع مختلفة ومتباينة تتراوح ما بين السيطرة على المنظمة الدولية بل على مقدرات العالم التى تتناول السلام والأمن والتنمية على مستوى العالم وبين طرح القضايا والمشكلات والهموم الخاصة نوعيا أو اقليميا.. وما بين الرغبة فى نصيب عادل من ثروة العالم والمحافظة على معدلات الرفاهيةالتى تتمتع بها بعض الدول دون نظر لأحقية الآخرين فى حياة كريمة.

هذه القضايا والمصالح والاهتمامات العامة و الخاصة كانت هى الشغل الشاغل للمشاركين فى هذه القمة غير العادية سواء من خلال الخطب العامة أو المناقشات التى دارت فى قاعات المنظمة الدولية أو من خلال الاتصالات والاجتماعات واللقاءات الخاصة التى كانت هذه القمة فرصة مواتية لعقدها.. ورغم تباين الرؤى وتباعد وجهات النظر بل تضارب المصالح فى أغلب الحالات فإن الجميع متفقون على أن أوضاع العالم الآن يجب ألا تستمر على ماهى عليه.. وإنه لابد من أن يحدث تغيير فى هذه الأوضاع.. وان هذا التغيير يجب أن يتم من خلال احترام وتطبيق المبادىء والقيم والمثل التى تحفل بها المواثيق والمعاهدات الدولية.. وأنه لابد من الايمان بالمنظمة الدولية وميثاقها باعتبارهما أساسين لا غنى عنهما لتحقيق مزيد من السلام والرخاء والعدل فى العالم.. وكشفت المناقشات أن الامراض التى عانت منها البشرية على امتداد العصور ماتزال قائمة وهى الفقر والجهل والمرض.. وقد أضيفت اليها فى القرن الأخير أمراض الجوع والارهاب وانتهاك حقوق الانسان وضراوة الحروب وسباق التسلح وتدمير البيئة مما استلزم ان يكون الاعلان الصادر عن هذه القمة التاريخية الاستثنائية محتويا على العناصر التى تعالج هذه الأمراض اذا حسنت النوايا وتوحدت الجهود.

وقد عبر الاعلان الصادر عن القمة عن الرغبة فى معالجة أمراض العالم من خلال سبعة محاور تتناول: القيم والمبادىء.. التنمية والقضاد على الفقر.. حماية البيئة المشتركة.. حقوق الانسان والديمقراطية والحكم الرشيد.. حماية المستضعفين.. تلبية الاحتياجات الخاصة لأفريقيا (باعتبارها أكثر قارات العالم فقرا ومديونية وتخلفا ومجاعات وحروبا واقلها عملا بديمقراطية الحكم واحترام حقوق الانسان).. وتبدو العناصر الواردة فى هذا الاعلان

العالمى التاريخى براقة وجذابة.. غير أن العبرة- كما ذكرنا- هى بالتنفيذ الفعلى وتحويل الأمنيات أو التوصيات إلى واقع معاش.. وهذا هو ما عبر عنه كوفى عنان الأمين العام للأمم المتحدة بقوله فى ختام القمة العالمية الاستثنائية إنه اذا اتخذت فعلا الاجراءات فان الوصول للأهداف سيتحقق.. ومن ثم فإن الأمنيات الطيبة ستظهر الايام مدى جدية الرغبة فى سلام حقيقى وتنمية حقيقية فى العالم من خلال ما أقر من مبادىء وما وقع من اتفاقيات.

●●●

● فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة فى لبنان فاز رفيق الحريرى رئيس الوزراء السابق وهو خارج الحكم وتلقى الدكتور سليم الحص رئيس الوزراء هزيمة ساحقة.. وعقب رئيس الوزراء المهزوم على نتيجة الانتخابات بأنها انتخابات نزيهة فى جو غير ديمقراطى.. على أية حال فإن لبنان بهذه الانتخابات قدمت للعرب درسا فى الديمقراطية بعد أن قدمت منذ شهور قليلة درسا فى مقاومة العدوان الاسرائيلى مما اضطر اسرائيل الى انسحاب مخجل ومهين من الجنوب اللبنانى.

●●●

● عندما أطلق الاتحاد السوفييتى- السابق- رجلا الى الفضاء هو يورى جاجارين منذ نحو أربعين عاما قال جاجارين أنه بحث عن الله فى الفضاء فلم يجده.. ومات الرجل فى حادث على الأرض.. منذ أيام سئل الرئيس الروسى بوتين فى الدين فتهرب من الاجابة عن سؤال ان كان يؤمن بوجود الله لكنه قال: ان لديه مشاعر انسانية دينية وانه تم تعميده فى طفولته طبقا لطقوس الكنيسة الأرثوذكسية وانه يرتدى صليبا بشكل دائم.. هل تعلم بوتين من درس جاجارين؟؟ أم ان هذا جزء من التغيير الذى لحق بالمجتمع الروسى؟

●●●

● ما قيمة العلم؟؟ سؤال تطرحه حقيقة أن الفنان أو الفنانة ممثلة كانت أو مطربة أو راقصة عندما تستضاف فى برنامج من برامج الدردشة أو النميمة فى التليفزيون تحصل على أجرها بالألوف وقبل أن تغادر التليفزيون وان المعلق الرياضى يحصل على الألوف أو المئات مقابل التعليق على مباراة.. بينما العلماء الذين أفنوا عمرهم بين المكتبات وقاعات الدرس يشاركون فى برامج مفيدة ويكون أجر الواحد منهم كوب شاى أو كوب ماء وأحيانا لا يجد هذا ولا ذاك.

●●●

مسك الختام

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال «ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست فى سبيل الله، وعين بكت خشية الله، وعين كفت عن محارم الله» رواه الطبرانى وصدق رسول الله ﷺ.



يواجه ا لعالم الآن كارثة لم تكن على البال.. فهى ليست مواجهة عسكرية اقليمية أو دولية محدودة أو شاملة.. وليست تسريبا اشعاعيا نخشى من ا نتشار أثاره المدمرة للبيئة والانسان.. وليست ظاهرة طبيعية مثل زلزال هائل يهز الأرض أو بركان ثائر فائر يلقى بالحمم المنصهرة على المدن والقرى أو اعصار يقتلع البيوت والاشجار أو فيضان يجتاح ما على الأرض.. وليست- هذه الكارثة- عصابة ارهابية تجند لها الدول قوى الأمن لمواجهتها وتصفيتها بأقل الخسائر الممكنة.. إنها كارثة غريبة كانت موجودة كالبذرة الخاملة فى الأرض الجافة حتى اذا تلقت عناصر التغذية نمت نموا سرطانيا لتهدد حياة الناس من حيث لم يحتسبوا.

هذه الكارثة الجديدة هى جنون البقر الذى ظل لفترة طويلة نسبيا محصورا فى الابقار وظلت خسائره تتمثل فى خسارة الدول- الأوروبية خصوصا- التى تعانى أبقارها منه لملايين الأبقار النافقة ومليارات من الدولارات حتى تبين فى السنوات الأخيرة أن هذا المرض الخطير ينتقل من الأبقار إلى الانسان فيؤدى فى وقت قصير الى الاصابة بالانهيار العقلى ثم الجنون.. وفى محاولات مجنونة لمقاومة هذا المرض الخطير جندت الدول المصدرة لهذه اللحوم كل الامكانات لمواجهة المرض واعدام مئات الألوف من الابقار المشتبه فى اصابتها بالمرض والوصول الى أدوية وأمصال ولقاحات لإنقاذ ثروتها الحيوانية المهددة بالانقراض والأهم حماية مواطنيها من انتقال المرض اليهم كما جندت كل الامكانات لاقناع الدول المستوردة بأنها تدقق فى فحص صادراتها من اللحوم للتأكد من سلامة الابقار المذبوحة.. وفى المقابل بادرت الدول المستوردة- ومن بينها مصر- باتخاذ اجراءات صارمة لمنع استيراد هذه اللحوم وايجاد بدائل محلية من الحيوانات أو الدواجن أو الاسماك- مجتمعة- كما صدرت تنبيهات وتحذيرات من استخدام مستحضرات التجميل الواردة من البلاد المنتجة للابقار المصابة بمرض جنون البقر والتى تستخدم فيها خلاصات حيوانية لأن هذه المستحضرات يمكن أن تؤدى الى انتقال الاصابة بجنون البقر- وموت البشر- أى أن الخسارة لن تطول منتجى الابقار فقط ولكنها سوف تطول سلسلة لا حصر لها من الأنشطة الانتاجية والخدمية مما يؤدى الى تأثيرات بالغة الضرر لاقتصاديات الدول المنتجة لهذه الابقار وخاصة بريطانيا وبعض الدول الأوروبية الأخرى.

وحسبما أشار العلماء فإن أسباب هذا المرض ترجع فى الاساس إلى نوعية الغذاء فكلما تغذت الابقار على مواد نباتية طبيعية قلت فرصة ظهور المرض وكلما ازدادت الاضافات فى المواد البروتينية أو المكسبة للطعم واللون زادت فرصة الاصابة بالمرض.. ومن هذه الاسباب أيضا معدل نقاء أو تلوث الغذاء بالمعادن الثقيلة من بحيرة ملوثة بينما ظهر فى بريطانيا نتيجة استخدام أعلاف حيوانية استخدمت فيها جثث خراف نافقة.. ومن هذه الاسباب كذلك أن الحيوانات التى تتربى وتنمو فى ظروف طبيعية ولا تجرى عليها عمليات تحسين نسل تقل

فيها فرص الاصابة بالمرض بينما تزداد هذه النسبة فى الابقار التى تتعرض لهندسة وراثية هدفها تحسين الانتاج.. وكما يشير العلماء فإن المرض يظهر فى الابقار كبيرة السن ويتركز فى المخ والنخاع والاعصاب.

وبنظرة على الاسباب التى أوردها العلماء نجد أنها كلها من صنع الانسان.. وهذه حقيقة جديدة تضاف الى الحقائق الأخرى الثابتة التى أكدها انتشار أمراض السرطان والفشل الكلوى والفشل الكبدى وأمراض القلب نتيجة تلوث الغذاء وتلوث الماء والهواء واستخدام المواد الكيماوية والهرمونية فى الزراعة وتربية الحيوانات والطيور والاسماك.. وهذه الحقائق تؤكد أنه اذا كان صحيحا أن البحث العلمى المجرد من الغرض مطلوب لأن العلم محايد ولا علاقة له بالضوابط الدينية والاخلاقية والاجتماعية فإن التطبيق العملى لنتائج البحث العلمى هو المحفوف دائما بالمخاطر.. ومن ثم فإن الوصول الى اتفاق على المستويات المحلية والاقليمية والدولية بشأن الضوابط الاخلاقية لاستخدامات وتطبيقات البحوث العلمية أصبح أكثر من ضرورة حتى لا يقود العلم البشرية الى كارثة لا نجاة منها.

●●●

●● أبشروا.. دراسة حديثة أجرتها مجموعة من المتخصصين وشركات الأدوية وكبار صيادلة مصر تشير إلى أن ثلاثة ملايين مصرى يستخدمون الفياجرا.. وأن حجم الانفاق على هذا الساحر الأزرق يبلغ سبعة ونصف مليار جنيه سنويا سوف ترتفع الى تسعة مليارات جنيه- أكرر: تسعة مليارات جنيه- نتيجة انخفاض سعر صرف الجنيه المصرى أمام الدولار.. وهذا المبلغ بالطبع يدخل جانبا منه فى جيوب المستوردين المحليين والجانب الأكبر يذهب الى خزائن شركات الأدوية الأجنبية.. طيب.. اذا كان هذا الدواء ضروريا هكذا لاعتدال مزاج المصريين فلماذا لا ننتجه محليا حتى يزداد اعتدال المزاج وتتوسع قاعدته ويكون زيتنا فى دقيقنا؟؟

●●●

مسك الختام

قال الله تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾** صدق الله العظيم. سورة النور آية ٥٥.

وفى الختام.. ابتهال

يارب

يا منعما على الخلق بنعمة الخلق.. سبحانك ولك الحمد..

يا خالق الوجود من العدم.. ومنشىء الحياة من قلب الموت.. سبحانك ولك الحمد..

يا واهب الرزق بلا حساب تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر على من تشاء.. سبحانك ولك الحمد..

يا مبتليا عبادك بالشر والخير والمرض والصحة والفقر والغنى والعسر واليسر والشدة والفرج.. سبحانك ولك الحمد..

يا عادلا فى حكمك رحيما فى قدرك لطيفا فى قضائك.. سبحانك ولك الحمد..

يا قريبا أقرب من حبل الوريد ومجيبا ونعم المجيب وشافيا ونعم الطبيب.. سبحانك ولك الحمد..

يا غنيا بذاتك عمن سواك ونحن الفقراء إليك.. سبحانك ولك الحمد..

يا من كلنا بين أصابع رحمتك ويا من سبقت رحمتك غضبك وغلب عفوك عقابك.. سبحانك ولك الحمد..

يا من عز جاهك وتقدست أسماؤك وجلت صفاتك وتنزعت عن الشبيه والشريك.. سبحانك ولك الحمد..

يا من كل شىء زائل إلا وجهك ولا ماض إلا حكمك ولا عدل إلا قضاؤك.. سبحانك ولك الحمد..

●●●

يارب

هذه نبضات قلب خاطىء يطمع فى عفوك..

وومضات نفس أمارة بالسوء تغالب سوءها وتهفو الى رضاك..

وخواطر روح تشدها الدنيا وتطمح إلى الآخرة بفضلك ومنك وإحسانك..

ففى كل طرفة عين وفى كل نبضة قلب وفى كل زفرة صدر لك الحمد ولك الشكر..

رقم الايداع ٢٠٠٢/٧٦٨٣

الترقيم الدولي ٠ ـ ١٠١ ـ ٢٢٩ ـ ٩٧٧ I.N.B.N

مطابع دار التعاون الحديثة للطبع والنشر